مَوْسُوعَةُ

الْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ

لِلْأُسْرَةِ الْمُسْلِمَةِ

يَشْتَمِلُ عَلَى ٢٩ كِتَابًا فِي الْعَقِيدَةِ، وَالْحَدِيثِ، وَالْآدَابِ، وَالْأَخْلَاقِ، وَالْفِقْهِ، وَالْأُصُولِ، وَالْقَوَاعِدِ، وَالْمُصْطَلَحِ، وَالسِّيرَةِ، وَاللُّغَةِ

تأليف

خَالِدِ بْنِ مَحْمُودٍ الْجُهَنِيِّ

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

المجلد الرابع

التقوى

دار العلم والمعرفة

المجلد الرابع

«السيرة، واللغة»

وفيه أربعة كتب:

١- المختصر في السيرة النبوية.

٢- المختصر في وصف المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣- مبادئ علم النحو.

٤- الشرح المختصر على البداية في علوم البلاغة.

الشَّرْحُ المُخْتَصَرُ عَلَى السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ

تأليف

خَالِدِ بْنِ مَحْمُودٍ الجُهَنِيِّ

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

كلمة افتتاح الدورة العالمية في السيرة النبوية

لفضيلة الشيخ وحيد بن عبد السلام بالي
حفظه الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

في بداية هذه الدورة المباركة «إسعاد البرية في السيرة النبوية»، أسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن يجعلها دورة مباركة، كما أسأله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يجعلنا مقتدين بحبيبنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أيها الأحباب الكرام إن سيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ترجمة عملية لحياته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وقد كان قرآنا يمشي علىٰ الأرض، فمن أراد أن يقتدي بالحبيب عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فعليه أن يقرأ سيرته قراءة تأمل، وتدبر بنية الاقتداء به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن يجعلكم هداة مهتدين، وأن يملأ قلوبكم إيمانًا، وحكمة، كما نتقدم بالشكر **لفضيلة الشيخ خالد الجهني** حفظه الله تعالىٰ علىٰ هذا الكتاب المبارك، و علىٰ هذه الدورة الطيبة.

أسأل الله أن ينفع بها المسلمين في مشارق الأرض، ومغاربها.

سددك الله **فضيلة الشيخ خالد**، وأنتم أيها الأحباب، وفقكم الله، وسددكم الله، والسلام عليكم، ورحمة الله وبركاته.

محبكم

وحيد بالي

كلمة افتتاح الدورة العالمية في السيرة النبوية

لفضيلة الشيخ خالد الجهني
حفظه الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنعم علىٰ البشرية كلها بمبعث خير خلقه رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصلِّ اللهم، وسلم، وبارك عليه، وعلىٰ آله، وصحبه أجمعين، وبعد،

فإنني اليوم لفي سعادة بالغة، وبهجة عارمة بهذا الجمع الطيب المبارك، جمعٌ لم أرَ مثيله في جميع الدورات التي أقمناها عبر الواتساب، جمعٌ من شتىٰ أقطار الأرض، عربًا، وعجما، من شتىٰ البلدان العربية، والأجنبية، من إفريقيا، وآسيا، وأوروبا، وأستراليا، وأمريكا، كلهم جمعهم حبُّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كلٌّ يريد أن ينهل من سيرة المعصوم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأسأل الله الذي جمعنا في هذه الدورة علىٰ حب رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يجمعنا معه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الفردوس الأعلىٰ.

أبشِّركم أيها الجمع الطيب المبارك بأن المرء يحشر يوم القيامة مع من أحب، وأحسبكم تحبون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

يارب اجعل عملنا كله خالصًا لوجهك الكريم، واجعله سببًا لشفاعة رسولنا الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فينا يوم لا ينفع مال، ولا بنون إلا من أتىٰ الله بقلب سليم.

أيها الجمع الطيب المبارك، في هذه الدورة الطيب أهلُها سنتعرف علىٰ سيرة رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أيها الجمع الطيب المبارك إن الغاية من تعلم العلم أن نعمل به، ونبلِّغه للناس، فينبغي لكل واحد منا إذا تعلم شيئًا أن يعمل به أولا، ثم يبلغه لإخوانه، وأخواته.

أيها الجمع الطيب المبارك؛ لكي نخرج من هذه الدورة بالاستفادة المثلىٰ علينا بتحقيق عدة أمور:

الأول: سماع الدروس الصوتية التي سنرسلها إليكم جيدًا.

الثاني: قراءة الجزء المشروح من الكتاب المقرر جيدًا، أعني كتاب «**إسعاد البرية بشرح الخلاصة البهية في ترتيب أحداث السيرة النبوية**».

الثالث: أجيبوا علىٰ الأسئلة التي تكون في نهاية كل درس، واحتفظوا بالإجابة لأنفسكم، واحفظوها جيدًا؛ لأن الاختبار النهائي سيأتي منها.

الرابع: علِّموا أولادكم، وإخوانكم، وأخواتكم، وآباءكم، وأمهاتكم ما تعلمتموه من سيرة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لكي تكونوا ممن تعلم فعمِل فعلَّم، وسوف نعمل بعد نهاية الدورة بأسبوعين إن شاء الله اختبارًا، هذا الاختبار سيكون تحريريًا عبر الواتساب، وكل من اجتاز الاختبار سيحصل علىٰ إجازة تؤهِّله لشرح الكتاب المقرر في هذه الدورة.

أسأل الله الكريم رب العرش الكريم أن يرضىٰ عنا، وعنكم، وأن يبارك لنا، ولكم في أعمارنا، وفي صحتنا، وفي أولادنا، وفي أزواجنا، وأن يجعلنا ممن يعملون العمل ابتغاء مرضاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن يغفر لنا ما أسرفنا، وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

هذا، وصلِّ اللَّهُمَّ وسلم، وبارك على نبينا محمد،
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

خالد الجُهني

الدرس الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المبارك، وهذا هو الدرس الأول من دروس السيرة النبوية من كتاب «**إسعاد البرية في السيرة النبوية**»، وفي هذا الدرس نتعرف علىٰ اسم نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومولده، وبعض البشارات التي بشَّرت بمولد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإرضاع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحادثة شق صدر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وموت أم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكفالة عبد المطلب جد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم موته، ثم كفالة عمه أبي طالب له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقبل الشروع في دراسة سيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نود أن نبين لكم ثلاثة أمور:

الأمر الأول: تعريف السيرة النبوية.

الأمر الثاني: موضوع السيرة النبوية.

الأمر الثالث: الثمرة، والفائدة التي تعود علينا إذا درسنا السيرة النبوية.

أما الأمر الأول: وهو تعريف السيرة النبوية:

فالسيرة في اللغة: بمعنىٰ الطريقة، يقال: اتبعت سيرته، أي طريقته.

أما في اصطلاح العلماء، فقد عرفوها بقولهم: هي علم يعرف به أحوال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منذ ولادته إلىٰ وفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الأمر الثاني: الموضوع الذي يتناوله علم السيرة النبوية.

يتناول علم السيرة النبوية حياة المعصوم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منذ ولادته إلىٰ وفاته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كما يتناول مواقف الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أصحابه، وأعدائه.

الأمر الثالث: الثمرة والفائدة المرجوة من دراسة علم السيرة النبوية.

من أعظم الثمرات المرجوة من دراسة علم السيرة النبوية الاطلاع علىٰ حياة الحبيب صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهديه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والاقتداء به في ذلك.

أما اسم النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو أَبُو القَاسِمِ مُحمَّدُ بْنُ عبدِاللهِ بنِ عَبدِ المطَّلبِ ابنِ هَاشمِ بنِ عَبدِ مَنافِ بنِ قُصَيِّ بنِ كِلابِ بنِ مُرَّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيِّ بنِ غَالِبِ بنِ فِهْرِ ابنِ مَالِكِ بنِ النَّضرِ بنِ كِنَانةَ بنِ خُزَيمةَ بنِ مُدْرِكةَ بنِ إلياسَ بنِ مُضَرَ بن نِزارِ بنِ مَعَدِّ ابنِ عَدْنَانَ.

إلىٰ هنا معلوم الصحة متفق عليه بين النسابين لا خلاف فيه ألبتة، أما ما فوق عدنان، فمختلف فيه بين النَّسابين، ولا خلاف بين النسابين أن عدنان من ولد إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فالنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشرف الناس نسبا، وأكملهم خَلْقا، وخُلُقا.

قد قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ**»، أي اختار كنانة من ولد إسماعيل، وكِنانة هذه هي القبيلة الأم التي تجمع قبائل عدة مثل قريش، وغيرها.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَاصْطَفَىٰ قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ**»، يعني اختار قبيلة قريش من القبيلة الأم، وهي كنانة.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَاصْطَفَىٰ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**»، يعني النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيار من خيار.

أما أبو القاسم فهي كُنية من كُنىٰ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والنبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **له أسماءُ أخرى** منها المذكور في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ لِي أَسْمَاءً أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِيَ الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَىٰ قَدَمِي** -أي يوم القيامة- **وَأَنَا الْعَاقِبُ الذي ليسَ بعدَه نبي**».

سؤال: لماذا سُمِّي النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمحمد؟

سمىٰ عبد المطلب جدُّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محمدا؛ لأجل أن يحمده الله في السماء، وأن يحمده خلق الله في الأرض.

وولد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يتيما** يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول من عام الفيل.

وقد توفي أبوه عبد الله بن عبد المطلب في أثناء رجوعه من تجارته إلىٰ أرض الشام فمات عند أخواله بالمدينة، وقد ترك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حملا في بطن أمه، وقد ولد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد مجيء الفيل لهدم الكعبة بخمسين يوما.

وقد سُئل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن صوم يوم الاثنين، فقال: «**ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ**».

ولما ولدت آمنة بنت وهب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرسلت إلىٰ جده عبد المطلب، ففرح بذلك فرحا شديدا، وأخذه فأدخله الكعبة، وقام عند الكعبة يدعو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويشكر ما أعطاه.

يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَا دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَىٰ عِيسىٰ، رَأَتْ أُمِّي حِينَ حَمَلَتْ بِي كَأَنَّ نُورًا خَرَجَ مِنْهَا أَضَاءَتْ له قُصُورُ بُصْرَىٰ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ**».

المراد بدعوة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: هي قوله تعالىٰ: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [البقرة:١٢٩].

أما بشرى عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: فهي قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ [الصف:٦].

قالت آمنة بنت وهْب أُم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رأيتُ حين حملتُ به أنه خرج مني نور أضاء لي قُصورَ بُصرىٰ من أرض الشام**»، وبصرىٰ بلدة في دمشق.

تقول آمنة: «**ثم حملتُ به، فوالله ما رأيتُ من حملٍ قط كان أخف عليَّ، ولا أيسرَ منه، ووقعَ حين ولدته، وإنه لواضع يديه بالأرض رافع رأسه إلىٰ السماء**».

وأول من أرضعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي ثُوَيبَة مولاة أبي لهب أرضعته أياما، ثم أرضعته حَليمة بنت أبي ذُؤيب السعدية، وأخذته معها إلىٰ أرضها، فأقام معها في بني سعد نحو أربع سنين، ثم ردته إلىٰ أمه.

وتحكي لنا حليمة السعدية خبر خروج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **معها**، فتقول: خرجت في نسوة من بني سعد بن بكر نطلب الرضعاء بمكة.

يعني خرجت هي، ومن معها؛ لكي تأتي كل واحدة برضيع تُرضعه علىٰ أجر، وكان هذا من عادة العرب قديما، كانوا يعطون أطفالهم صغارا لمن يرضعهم في البادية.

تقول حليمة: وخرجنا في سنة جدباء، ومعي زوجي الحارث بن عبد العزىٰ، ومعنا شارف -أي ناقة مسنة-.

تقول: والله لا تبضُّ علينا بقطرة -هذه الناقة ليس فيها لبن قط-، وما نام ليلنا من صبينا الذي معنا من بكائه من الجوع، ما في ثدييَّ ما يُغنيه -أي ما يشبعه، أي ليس فيه ثديها ما يشبع صبيها-، وما من شارفنا من لبن يغذيه، ولكنا كنا نرجو الغيث، والفرج.

تقول: فلما قدمنا مكة لم تبقَ منا امرأة إلا عُرض عليها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتأباه إذا قيل لها: إنه يتيم، يعني كلما ذهبت امرأة إلىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رفضته؛ لأجل أنه يتيم، لماذا؟

تقول: وذلك أنا إنما كنا نرجو المعروف من أبي الصبي، فكنا نقول يتيم، وما عسىٰ أن تصنع أمه وجدُّه، فكنا نكرهه لذلك، فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعا غيري، يعني كل امرأة أخذت رضيعا إلا حليمة.

تقول: فلما أجمعنا الانطلاق -أي هممنا علىٰ الرجوع- قلت لزوجي: والله إني لأكره أن أرجع من بين صَواحبي، ولم آخذ رضيعا، والله لأذهبن إلىٰ ذلك اليتيم فلآخذنَّه، وقال لها: لا عليك أن تفعلي -يعني لماذا لا تفعلي؟- عسىٰ الله أن يجعل لنا فيه بركة.

تقول حليمة: فذهبت إليه فأخذته، وما حملني علىٰ أخذه إلا أني لم أجد غيره، فلما أخذته رجعت به إلىٰ رحلي، فلما وضعته في حجري أقبل عليه ثديايَ بما شاء من لبن، فشرب حتىٰ روي -أي شبع-، وشرب معه أخوه -تعني ابنها الصبي أخوه من الرضاعة- حتىٰ روي، ثم ناما، وما كنا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجي إلىٰ شارفنا تلك، فإذا إنها لحافلٌ -أي بها لبن كثير-، فحلب منها ما شرب، وشربتُ معه حتىٰ انتهينا رِيًّا وشِبعا، فبتنا بخير ليلة -يعني أول ليلة يشبعون فيها هذه الليلة-.

تقول: وقال لي زوجي حين أصبحنا: والله يا حليمة لقد أخذت نَسَمة مباركة، -أي أخذت إنسانا مباركا-، فقلت: والله إني لأرجو ذلك.

تقول حليمة: ثم خرجنا، وركبت أتاني -أي حماري، الأتان هي أنثىٰ الحمار- وحملته عليها معي، فوالله لقطعتُ بالرَّكب ما يقدر عليها من شيء من حُمُرهم -أي مشت مشيًا سريعًا لم يستطع أن يمشيها حمار من حُمُر من معها-.

تقول حليمة: حتىٰ إن صواحبي ليقُلْن لي: يا ابنة أبي ذؤيب ويحكِ أرْبِعي علينا -أي انتظري، امشي علىٰ مَهَل- أليست هذه أتَانُكِ التي كنت خرجتي عليها؟، فتقول لهم حليمة: بلىٰ والله إنها لهي هي، فيقُلن لها: والله إن لها لشأنا.

تقول حليمة: ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد، وما أعلم أرضًا من أرض الله أجدب منها، يعني كانت أرضهم جدباء جدا لم تكن أرض من الأرَضِين أجدب من أرض بني سعد.

تقول حليمة: فكانت غَنمي تروح عليَّ حين قدمنا به معنا شِباعا لُبَّنا فنحلُب، ونشرب، يعني الغنم كانت تروح تذهب، فترعىٰ فتأتي مليئة باللبن.

تقول: وما يحلب إنسان قطرة لبن، أي لا يحلب أحد غيرهم قطرة لبن؛ لأجل الجدب الذي هم فيه.

تقول: ولا يجدها في ضرع حتىٰ كان الحاضرون -أي أهل البادية- من قومنا يقولون لرُعيانهم: ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب، فتروح أغنامهم جياعا، وما تبضُّ بقطرة لبن، وتروح غنمي شباعا لُبَّنا، يعني أغنامهم تذهب فتأتي جياعا، أما غنم حليمة فتأتي شِباعا.

تقول حليمة: فلم نزل نتعرف من الله الزيادة، والخير حتىٰ مضت سنتاه، وفصلتُه -يعني فطمته- وكان يَشب، -أي كان النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكبُر- شبابا لا يَشبه الغلمان، فكان صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشب في اليوم شباب الصبي في الشهر، -يعني كان يكبر النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في اليوم كما يكبر الصبي في شهر- ويشب في الشهر شباب الصبي في السنة، فلم يبلغ سنتيه حتىٰ كان غلاما جَفْرًا، أي كان غلاما قويا شديدا، يعني النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يكبر في اليوم شهرا، وفي الشهر سنة.

تقول حليمة: فقدمنا به علىٰ أمه، ونحن أحرص شيء علىٰ مكثه فينا، يعني قدموا علىٰ أمه، وكانوا يريدون أن يرجع معهم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لماذا؟

تقول حليمة: لِمَا كنا نرىٰ من بركته، فكلمنا أمه، وقلت لها: لو تركتِ بُنَيَّ عندي حتىٰ يغلظ، فإني أخشىٰ عليه وباء مكة، أي تخشىٰ عليه المرض في مكة.

تقول حليمة: فلم نزل بها حتىٰ قالت: ارجعا به، فرجعنا به.

بعد مقدم حليمة السعدية برسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من عند أمه آمنة بنت وهب أتىٰ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو يلعب مع الغلمان، فأخذ رسولَ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فصرعه، فشق عن قلبه فاستخرج القلب، فاستخرج منه عَلَقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم ضم بعضه إلىٰ بعض، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلىٰ أمه حليمة، فقالوا: إن محمدا قد قُتل؛ لأنهم رأوا الرجل، وهو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ قد شق عن قلبه.

قالت حليمة: فخرجتُ أنا وأبوه إليه، فوجدناه وهو منتقع اللون -يعني متغير اللون- فاعتنقه أبوه، واعتنقتُه، فقلنا له: ما لكَ يا بُني، قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بيض، فأضجعاني، وشقَّا بطني.

تقول حليمة: فرجعنا به إلىٰ خبائنا، وقال لي أبوه: يا حليمة لقد خشيتُ أن يكون هذا الغلام قد أُصيب، فألحقيه بأهله قبل أن يظهر به ما نتخوف عليه، فاحتملناه، فقدمنا به علىٰ أمه.

قالت آمنة: ما ردَّكما به، وقد كنتما حريصين عليه، وعلىٰ مكثه عندكما؟

فقالت حليمة: لا والله، إلا أنا كفلناه، وأدَّينا الحق الذي يجب علينا فيه، ثم تخوَّفت الأحداث عليه، فقلنا: يكون في أهله.

فقالت آمنة: والله ما ذاك بكما فأخبراني خبركما، وخبره.

تقول حليمة: فوالله ما زالت بنا حتىٰ أخبرناها خبره.

قالت آمنة: أفتخوَّفْتما عليه الشيطان؟

قالت حليمة: نعم.

قالت آمنة: كلا، والله ما للشيطان عليه من سبيل، وإن لبُنَيَّ شأنا، أفلا أخبركِ خبره؟

قلت: بلىٰ، فأخبرتْها خبر حِملها، ثم قالت: دعيه عنك، وانطلقي راشدة.

فكانت هذه الحادثة سببا في إعادة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ أمه آمنة بنت وهب، وجده عبد المطلب.

ولما بلغ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **ست سنوات** أرادت أمه آمنة بنت وهب أن تُزِير رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخواله من بني عدي بن النجار، فماتت وهي راجعة به إلىٰ مكة بالأبواء بين مكة والمدينة، ثم احتضنته أم أيمن، وقد كانت مِلكا لأبيه عبد الله، وورثها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه.

ثم كفله جده عبد المطلب، وكان عبد المطلب يُؤثر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ أبنائه، ويُجلسه معه علىٰ الفراش، وكان يمسح ظهره بيده، ويقول لأبنائه: والله إن له لشأنا، أي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولما بلغ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **ثماني سنوات** تُوفي جدُّه عبد المطلب، وكفله عمه أبو طالب، وقد قام أبو طالب بحق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ أكمل وجه، وضمه إلىٰ ولده، وقدمه عليهم، وكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يساعد عمه أبا طالب في رعي الغنم، يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما بعث الله نبيا إلا رعىٰ الغنم**».

أسئلة الدرس

السؤال الأول: ما هي أهم الموضوعات التي يتناولها علم السيرة النبوية؟ وما هي الفائدة التي تعود علينا إذا درسنا علم السيرة النبوية؟

السؤال الثاني: متىٰ شُقَّ عن صدر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

السؤال الثالث: ما هي بشرىٰ عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ودعوة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم علىٰ المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المبارك، وهذا هو الدرس الثاني من دروس السيرة النبوية من كتاب «**إسعاد البرية في السيرة النبوية**»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ حادثة بَحِيراء الراهب، وحرب الفِجَار، وحِلف الفضول، وزواج النبي ﷺ من خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، واختلاف قريش فيمن يضع الحجر الأسود مكانه، وبعض علاماتِ نبوة النبي ﷺ، وخَلوة النبي ﷺ بغار حِراء شهر رمضان يتعبدُ فيه، ورؤيا النبي ﷺ المنامية قبل مَبعثه.

هذا مجمل الأحداث، وإليكم التفصيل:

لما بلغ النبي ﷺ **الثانية عشرة** خرج به عمه أبو طالب إلىٰ الشام، ومعهم أشياخ من قريش، فلما اقتربوا علىٰ الراهب، وهو عابد النصارىٰ نزلوا فحلُّوا رحالهم، فخرج الراهب إليهم، وكان قبل ذلك لا يخرج إليهم، وبينما هم يحلون رحالهم جعل الراهب يتخللهم حتىٰ رأىٰ النبي ﷺ فأخذ بيده، وقال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين.

فقال له أشياخ قريش: ما علمُك؟

فقال: إنكم حين أشرفتم من العَقبة لم يبق شجر، ولا حجر إلا خرَّ ساجدًا، ولا

يسجدان إلا لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة أعلىٰ كتفه اليسرىٰ مثل التفاحة.

ثم رجع الراهب فصنع لهم طعامًا، فلما أتاهم به كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرعىٰ لهم الإبل، فقال الراهب: أرسلوا إليه، فأقبل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفوقه سحابة تُظله، ولما اقترب وجدهم قد سبقوه إلىٰ ظل الشجرة، فلما جلس مال ظل الشجرة عليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال الراهب: انظروا إلىٰ ظل الشجرة مالَ عليه.

وحلف الراهبُ علىٰ أشياخ مكة ألا يذهبوا بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ بلاد الروم، وقال لهم: إن الروم إذا رأوه عرفوه بالصفة، فيقتلونه، فالتفت الراهب، فإذا بسبعة قد أقبلوا من الروم فاستقبلهم، فقال: ما جاء بكم؟

قالوا: جئنا، إن هذا النبي خارجٌ في هذا الشهر، فلم يبق طريق إلا بُعث إليه بأناس، وإنا قد أُخبرنا خبره، فبُعثنا إلىٰ طريقك هذا.

يعني الروم أرسلت جنودا في كل الطرق، يبحثون عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنهم علموا من كتبهم أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيخرج في هذا الشهر، فصرف الراهب هؤلاء عنه، ثم حلف علىٰ أبي طالب أن يرده إلىٰ مكة.

ولما بلغ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخامسة عشرة كانت حرب الفِجَار بين قريش وهَوَازن، وهذه الحرب كان سببها أن عُروة الرَّحال من بني هَوازن أجارَ تجارة للنعمان بن المنذر إلىٰ سوق عُكاظ، وهذا السوق كان سوقا في الجاهلية، فقال له رجل من بني كنانة اسمه البرَّاض بن قيس: أتُجيرها علىٰ كنانة؟ أي تحميها، وتؤمِّنها علىٰ كنانة، قال عروة: نعم، وعلىٰ الخلق كلهم، فقتَل البرَّاضُ عروة في الشهر الحرام، فأتىٰ آتٍ قريشا، فقال: إن البرَّاضَ قد قتل عروة، وهم في الشهر الحرام بعكاظ، فارتحلت كنانة، ومعهم قريش واقتتلوا قتالا كبيرًا.

وقد أخرج أعمام رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فشهد بعض أيام هذه الحرب، يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كنتُ أنبُل علىٰ أعمامي**»، أي أردُّ عليهم نَبل عدوهم إذا رموهم بها.

وسمي يوم الفِجَار؛ لأجل استحلال المحارم في الشهر الحرام، فقد كانت العرب في الجاهلية تعظِّم الأشهر الحرم فلا تقاتل فيها، وكذلك كانت تعظِّم البيت الحرام.

ثم شهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **حِلف الفضول؛ لنصرة المظلوم** لما تداعت قبائل من قريش إلىٰ حِلف، والحِلف هو العهد، فاجتمع بنو هاشم وبنو المطلب وغيرهم في دار عبد الله بن جُدعان، وتعاهدوا ألا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها، أو ممن دخلها من سائر الناس إلا نصروه، وكانوا علىٰ من ظلمه حتىٰ ترد عليه مظلمته، فسمت قريش ذلك الحلف حِلف الفضول.

وكان سبب هذا الحِلف: أن رجلًا قدم مكة ببضاعة، فاشتراها منه العاص بن وائل فلم يعطِه حقه، فذهب الرجل إلىٰ أحلافه من بني عبد الدار، وبني مخزوم، وبني جُمَح، وبني سَهْم، وبني عَدي فأبوا أن يعينوه علىٰ العاص بن وائل وانتهروه، فلما رأىٰ الرجل ذلك علا جبل مكة فصاح بأعلىٰ صوته بأشعار يصف مظلمته، فاجتمعت هاشمٌ، وزُهرة، وعقدوا هذا الحِلف.

ولما بلغ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **الخامسة والعشرين** تزوج خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وكانت خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللهُ عَنْهَا من أزكىٰ قريش نسبا، وأعظمهم شرفا، وأكثرهم مالا، وكانت تستأجر الرجال في مالها، فعمل لها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تجارتها، وخرج لها ذات مرة إلىٰ الشام في تجارة، ومعه غلامها مَيْسَرة حتىٰ أتىٰ بُصرىٰ، فرآه الراهب، وبشَّر بنبوة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ميسرةَ، ورأىٰ ميسرة من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما جعله يتعجب، فلما رجع أخبر سيدته خديجة بما شاهد من حال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبكلام الراهب، فأرادت خديجة أن تتزوج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأخبرت نفيسة بنت منبِّه بذلك، فذهبت نفيسة إلىٰ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكلمته في شأن خديجة، فوافق علىٰ ذلك، فتزوج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خديجة بعد ذلك بشهرين، وولدت له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولده كلهم إلا إبراهيم.

ولما بلغ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **الخامسة والثلاثين** اختلفت قريش فيمن يضع الحجر

الأسود مكانه، فحكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينهم، وذلك حين أصاب مكة سيل جارف، فأوشكت الكعبة علىٰ السقوط فأرادت قريش أن تهدم الكعبة، وتعيد بناءها، فلما اجتمعوا علىٰ ذلك، قال أحدهم: يا معشر قريش لا تدخلوا في بنائها من كسبكم إلا طيبا، يعني لا تدخلوا في بناء الكعبة إلا المال الحلال فقط، فجزَّأت قريش الكعبة، فكان لكل قبيلة جزءا تضعه، ولما جاؤوا لهدم الكعبة خاف الناس من هدمها، فقام الوليد بن المغيرة، وقال: أنا أول من أبدأ بالهدم، فأخذ المِعْوَل، ثم قام عليها، وهو يقول: اللهم إنا لا نريد إلا الخير، ثم هدم من ناحية الركنين.

فانتظر الناس تلك الليلة، وقالوا: ننظر، فإن أصيب الوليد لم نهدم منها شيئًا، ورددناها كما كانت، وإن لم يُصبه شيء فقد رضي الله صُنعنا فهدمنا، فلما أصبح الوليد لم يمسه مكروه هدم الناس الكعبة، ثم أعادوا بناءها، فلمَّا بلغ البنيانُ موضعَ الركن اختصموا فيمن يضع الحجر الأسود مكانه، فقال لهم أحدهم: يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد، يقضي بينكم فيه، ففعلوا، فكان أولَ داخل عليهم هو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين، رضينا، هذا محمد، ولما انتهىٰ إليهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأخبروه الخبر، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هَلُمَّ إليَّ ثوبًا**»، فأوتي به فأخذ الركن فوضعه فيه بيده، ثم قال: «**لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعًا**»، ففعلوا حتىٰ إذا بلغوا به موضعه، وضعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيده، ثم بنىٰ عليه.

وقد قَصُرَت بقريش النفقة الحلال، فلم يبنوا الكعبة علىٰ قواعد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فأخرجوا من الجهة الشمالية نحوا من ستة أذرع، وهي التي تسمىٰ الآن بالحِجر، أو الحَطيم، ورفعوا بابها من الأرض حتىٰ لا يدخلها إلا من أرادوا.

وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعائشة: «**لَوْلا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِالْجَاهِلِيَّةِ فَأَخَافُ أَنْ تُنْكِرَ قُلُوبُهُمْ أَنْ أُدْخِلَ الْجَدْرَ فِي الْبَيْتِ، وَأَنْ أُلْصِقَ بَابَهُ بِالأَرْضِ**»، والجَدْر هو حِجر الكعبة.

ولما بلغ ﷺ **الثامنة والثلاثين** ترادفت عليه علامات نبوته، وتحدَّث بها الرهبان والكهان، فقد كانت الأحبار من اليهود، والرهبان من النصارىٰ، والكهان من العرب قد تحدثوا بأمر رسول الله ﷺ قبل مبعثه لما تقارب زمان خروجه ﷺ.

أما الأحبار، والرهبان، فكانوا يتحدثون عما وجدوه في كتبهم من صفة النبي ﷺ.

وأما الكُهان، فقد أخبرتهم الشياطين من الجن قبل أن تحجب بالنجوم.

ومن ذلك قصة سلمان الفارسي المشهورة في بحثه عن الدين الحق، قال له الراهب حين حضرته الوفاة: أيْ بُني واللهِ ما أعلمه أصبح علىٰ ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظلك زمان نبي هو مبعوث بدين إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، يخرج بأرض العرب مهاجرا إلىٰ أرض بين حَرَّتين بينهما نخل.

والحرتان: مثنىٰ حَرَّة، وهي أرض ذات حجارة سوداء، وهي المدينة بينهما.

قال الراهب لسلمان الفارسي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: به علامات لا تخفىٰ: يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل.

فهذا يدل علىٰ أن الرهبان كانوا يعرفون بمبعث رسول الله ﷺ.

ولما بلغ النبي ﷺ **التاسعة والثلاثين** من عمره حُبِّب إليه الخلوة، فكان يخلو بغار حراء في شهر رمضان، فيتعبد فيه الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلىٰ أهله، ويتزود لذلك ﷺ، ثم يرجع إلىٰ خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

وقبل مبعثه ﷺ **بستة أشهر** كان وحيه مناما، وكان لا يرىٰ رؤية إلا تحققت، ووقعت في يقظته ﷺ كما رآها.

وهنا فائدة: وهي صفة رسول الله ﷺ الخَلْقية.

كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل المفرِط في الطول، ولا بالقصير، ولا بالأبيض شديد البياض، وليس بشديد السمرة، وكان شعره ﷺ وسطا بين

الجعودة والاسترسال، فليس بالجَعد شديد الجعودة، ولا بالمسترسل، توفي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء.

❁❁❁

أسئلة الدرس

السؤال الأول: ما سبب حرب الفِجار؟، ولماذا سُميت بهذا الاسم؟

السؤال الثاني: ما سبب حِلف الفضول؟

السؤال الثالث: ما هي علامات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الثلاث التي ذكرها الراهب لسلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الثالث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم علىٰ سيد المرسلين نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المبارك، وهذا هو الدرس الثالث من دروس السيرة النبوية من كتاب «**إسعاد البرية في السيرة النبوية**»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ مبعث رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودعوته صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ الله سرًّا، وأول من أسلم من الناس، ودعوة النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الجهرية، وتعذيب كفار قريش لمن علموا بإسلامه، واجتماعات النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السرية بالمسلمين، وهجرة المسلمين إلىٰ الحبشة، وإسلام حمزةَ عمِّ النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

هذا مجمل الأحداث، وإليكم التفصيل:

لما بلغ النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أربعين سنة** حُبب إليه الخَلوة، وكان يخلو بغار حراء صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيتعبد الليالي ذوات العدد، ثم يرجع إلىٰ خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فيتزود لمثل هذه الأيام، ثم يرجع مرة أخرىٰ حتىٰ جاءه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو في غار حراء، فقال له: «**اقرأ**»، فقال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما أنا بقارئ**»، أي لا أعرف القراءة.

قال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فأخذني جبريل، فغطَّني حتىٰ بلغ مني الجَهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ**»، فقال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما أنا بقارئ**».

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فأخذني جبريل، فغطني الثانية حتىٰ بلغ مني الجَهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ**»، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما أنا بقارئ**».

قال: «**فأخذني، فغطَّني الثالثة، ثم أرسلني، فقال:** ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢﴾ [العلق:١-٢]»، فرجع بها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرجف فؤاده -أي يتحرك قلبه بشدة-، فدخل علىٰ خديجة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: زمِّلوني، زمِّلوني -أي غطوني-، فزمَّلُوه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ ذهب عنه الرَّوع، فقال لخديجة، وقد أخبرها خبر جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**لقد خشيتُ علىٰ نفسي**»، فقالت خديجة: كلَّا والله ما يخزيكَ الله أبدا، أي لا يُضيِّعك الله أبدا، لماذا؟

قالت: إنك لتصِل الرحمَ، وتحمل الكَلَّ -أي تقوِّي من شأن الضعيف- وتَكْسِب المعدوم -أي تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك-، وتَقري الضيف -أي تكرم الضيف- وتُعين علىٰ نوائب الحق -أي تعين الناس علىٰ ما يَحدث معهم-.

فانطلقت خديجة بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ أتتْ به ورَقَة بن نَوفَل، وهو ابن عم خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وكان امْرَءًا تنصَّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العِبْرَاني -أي الإنجيل- وكان شيخًا كبيرًا قد عَمِي، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال له وَرَقة: يا ابن أخي، ماذا ترىٰ؟ فأخبره رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خبر ما رأىٰ.

فقال له ورَقة: هذا الناموس الذي نزَّل الله علىٰ موسىٰ، يا ليتني فيها جَذَعًا، ليتني أكون حيًّا، إذ يخرجك قومك، أي يا ليتني أكون شابًّا حين ظهور نبوتك.

فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أومُخرجيَّ هُمْ؟**».

قال: نعم، لم يأتِ رجلٌ قط بمثل ما جئتَ به إلا عُودِي، وإن يُدْرِكني يومك أنصرْك نصرًا مؤزَّرًا، يعني إن كنت حيا عند ظهورِ نبوتك سأنصرك نصرا قويا.

ثم مات وَرَقة، وانقطع نزول الوحي عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مدة.

وقد أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نبيه أن يدعو قومه إلى الإسلام، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١

﴿قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧﴾ [المدثر:١-٧]، فاستجاب رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمر الله تعالىٰ، فشرع يدعو إلىٰ عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وحده، ونبذ الأصنام، وكان يدعو إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سرًّا؛ حَذَرا من وقع المفاجأة علىٰ قريش التي كانت متعصِّبة لشركها ووثنيتها، فلم يكن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُظهر الدعوة في المجالس العمومية لقريش، ولم يكن يدعو إلا لمن له قرابة قوية، أو معرفة سابقة، وظل علىٰ هذا الحال ثلاثَ سنوات.

وكان من نتيجة هذه الدعوة السرية إسلامُ الرعيل الأول من الصحابة، فأول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومن النساء خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ومن العبيد زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومن الغلمان علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثم دخل الناس في الإسلام جماعات، جماعات من الرجال والنساء حتىٰ انتشر ذكر الإسلام بمكة، وتحدث الناس به، وظل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو إلىٰ الله سرًّا حتىٰ نزل عليه قول الله تعالىٰ: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ۝٩٤﴾ [الحجر:٩٤]، فأظهر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعوته للناس، ولما أنزل الله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾ [الشعراء:٢١٤] خرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ صعِد جبل الصفا فهتف: يا صباحاه، -وهذه كلمة يقولها المستغيث؛ لأن العدو كان يُغِير غالبا في الصباح-، فقال أهل مكة: من الذي يهتِف؟ أي من الذي يرفع صوته، ويصيح؟ فقالوا: محمد.

فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا بَني فلان، يا بَني فلان، يا بَني فلان، يا بني عبد مَناف، يا بني عبد المطلب**»، فاجتمع الناس حول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «**أرأيتم إنْ أخبرتكم أن خيلا تخرج من سَفْح هذا الجبل أكنتم مُصَدِّقي؟**»، -سفح الجبل أي أسفل الجبل-، قالوا: ما جرَّبنا عليك كذبا.

فقال: «**يا بني كعب بن لُؤي انقذوا أنفسكم من النار، يا بني مُرة بن كَعْب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مَناف انقذوا أنفسكم من النار، يا بَني هَاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا**

أنفسكم من النار، يافاطمة أنقذي نفسك من النار، فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، وإني لا أملك لكم من الله شيئًا».

فقال أبو لهب: تبًّا لك سائر اليوم -أي هلاكا، وخسرانا لك سائر اليوم- ألهذا جمعتنا؟، فنزل قول الله تعالىٰ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾ [المَسَد:١:٢].

وكان من نتيجة الجهر بالدعوة أن كل قبيلة وثبت علىٰ من فيها من المسلمين، فجعلوا يعذبونهم عذابا شديدا بالضرب تارة، وبالجوع تارة، وبالعطش تارة، وبالرمال الحارَّة تارة.

فكان أبو جهل إذا سمع برجل قد أسلم وله شرف، ومَنَعَة في قومه وبَّخه وأخزاه، ويقول له: تركتَ دين أبيك وهو خير منك، لنسفِّهنَّ حلمك، ولنقبِّحن رأيك، ولنضعَنَّ شرفك، وأما إن كان تاجرا قال له: والله لنكسِّدَن تجارتك، ولنهلكنَّ مالك، وأما إن كان ضعيفا ضربه، وأغرىٰ به السفهاء.

وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه إذا حميت الظهيرة، يعذبونهم برمضاء مكة، فيمر بهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقول: «**أبشروا آلَ عمار، وآل ياسر فإن موعدكم الجنة**»، فأما أمه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فقتلوها، وهي لا تريد إلا الإسلام.

وكان من نتيجة هذه الاعتداءات الشديدة، والانتهاكات التي تعرض لها المسلمون في بداية الدعوة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اجتمع بأصحابه سرا بدار الأرقم، ليعلمهم مبادئ الإسلام، وذلك حتىٰ لا يصطدم بكفار قريش فيعملوا فيهم بشتىٰ أنواع التعذيب.

ولما كثر المسلمون خاف منهم الكفار، فاشتد أذاهم وتعذيبهم لهم، فأذن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمسلمين في **الهجرة إلى الحبشة**، وقال لهم: «**إن بها مَلِكا لا يُظلم الناس عنده**»، فهاجر من المسلمين اثنا عشر رجل، وأربع نسوة، منهم: عثمان ابن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأكرمهم النجاشي ملك الحبشة، وظلوا هناك حتىٰ بلغهم أن قريشا

قد أسلمت، وكان هذا الخبر كذبا فرجعوا إلىٰ مكة، فلما بلغهم أن الأمر أشد من مما كان رجع منهم من رجع، ودخل جماعة منهم مكة، فلقوا من قريش أذىٰ شديدا.

ثم أذن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم في **الهجرة ثانيًا إلى الحبشة،** فهاجر من الرجال ثلاثة وثمانون رجلًا، ومن النساء ثماني عشرة امرأة، فأقاموا عند النجاشي علىٰ أحسن حال إلىٰ أن أرسلت قريش عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة في جماعة؛ ليكيدوا بالمسلمين عند النجاشي، ولكن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ردَّ كيد المشركين في نحورهم.

وفي ظل هذه الأوقات العصيبة مَنَّ الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ المسلمين **بإسلام عمر بن الخطاب، وحمزة بن عبد المطلب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فجعلا أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عِزة، ومَنَعة من قريش.

وكان ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **يقول:** إن إسلام عمرَ كان فتحا، وإن هجرته كانت نصرا، وإن إمارته كانت رحمة، ولقد كنا ما نصلي عند الكعبة حتىٰ أسلم عمر، فلما أسلم قاتل قريشا حتىٰ صلىٰ عند الكعبة، وصلينا معه.

أما حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فكان سبب إسلامه أن أبا جهل نال من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآذاه وشتمه، فلم يكلمه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ انصرف إلىٰ نادٍ من قريش عند الكعبة، فجلس معهم، فجاء حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأخبروه أن أبا جهل نال من ابن أخيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فخرج حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ حيث يجلس أبو جهل حتىٰ إذا قام علىٰ رأسه رفع القوس فضربه فشجَّ شجة منكَرَة، ثم قال له: أتشتمه وأنا علىٰ دينه أقول ما يقول؟ فرُدَّ عليَّ ذلك إن استطعتَ.

فقام رجال من بني مخزوم إلىٰ حمزة؛ لينصروا أبا جهل، فقال أبو جهل: دعوا أبا عُمارة -هذه كنية حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، فإني والله لقد سببتُ ابن أخيه سبًّا قبيحا، ثم ثبت حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ إسلامه، فعرفت قريش أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد صار في عزة ومَنَعَة، وأن حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بات يمنعهم مما كانوا ينالون منه.

أما عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقيل إن سبب إسلامه: أنه خرج ذات ليلة إلىٰ الكعبة يريد الطواف بها، فإذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قائم يصلي، فسمعه يقرأ القرآن، فرقَّ له قلبه، وبكىٰ، ودخل الإسلام قلبه، فلما انصرف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ بيته تبعه، فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة؟**».

قال عمر: جئتُ لأؤمن بالله، وبرسوله، فحمد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربه، ثم قال: «**قد هداك الله يا عمر**»، ثم مسح صدره، ودعا له بالثبات، وقيل في سبب إسلامه غير ذلك.

وكان إسلام عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسبب بركة دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم أعزَّ الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبي جهل، أو بعمر بن الخطاب**»، فكان أحبهما إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أسئلة الدرس

السؤال الأول: ماذا قالت خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما أخبرها خبر نزول الوحي عليه أول مرة؟

السؤال الثاني: كم سنة ظل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو إلىٰ الله سرا؟ ومن هم أول من أسلم نتيجة الدعوة السرية؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الرابع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم علىٰ سيد المرسلين نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المبارك، وهذا هو الدرس الرابع من دروس السيرة النبوية من كتاب «إسعاد البرية في السيرة النبوية»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ معاهدة قريش علىٰ قطيعة بني هاشم إلا أن يُسلِموا إليهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واعتزال بني هاشم وبني المطلب في شِعْب أبي طالب، وموت أبي طالب وخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وعقد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من سَوْدة بنت زَمْعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وخروج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ الطائف يدعوهم إلىٰ الإسلام، وعرض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفسه الكريمة علىٰ القبائل في موسم الحج، وإسلام نفر من الأنصار.

هذا مجمل الأحداث، وإليكم التفصيل:

لما أسلم حمزة عم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجماعات كثيرة من الناس، وانتشر الإسلام أجمعت قريش علىٰ عقد معاهدة علىٰ بني هاشم، وبني المطلب ألا يبايعوهم، ولا يناكحوهم، ولا يكلموهم، ولا يجالسوهم حتىٰ يُسلِموا إليهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكتبوا بذلك صحيفة، وعلقوها في سقف الكعبة، وقد دعىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ من كتبها، فشُلَّت يده، وقد اشتد أذىٰ الكفار لرسول الله

صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فحاصروه، وأهل بيته في شِعب أبي طالب، -والشِّعْب مكان منفرج بين جبلين-، فانحاز بنو هاشم، وبنو المطلب مؤمنهم وكافرهم لرسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا أبا لهب فإنه نصر قريشا علىٰ رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وظل رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن معه في الشِّعْب محصورين، مقطوعا عنهم الطعام والشراب نحو ثلاث سنين حتىٰ بلغهم الجَهد، وسُمع صوت صبيانهم بالبكاء من وراء الشِّعْب، وقد انقسمت قريش فريقين: منهم راضٍ عن هذا الفعل، ومنهم كاره، فسعىٰ بعضهم إلىٰ نقض هذه الصحيفة، وأطلع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ أمر صحيفتهم، وأنه أرسل عليها الأَرَضة -وهي حشرة تأكل الخشب-، فأكلت جميع ما فيها إلا ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأخبر النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمه أبا طالب بذلك، فخرج أبو طالب إلىٰ قريش فأخبرهم خبر ابن أخيه، وقال لهم: «**إن كان كاذبًا خلينا بينكم وبينه، وإن كان صادقًا رجعتم عن قطيعتنا وظلمنا**»، قالوا: قد أنصفتَ، فأنزلوا الصحيفة، فلما رأوا الأمر كما أخبر به رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ازدادوا كفرا إلىٰ كفرهم، وخرج النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن معه من الشِّعب، وفي هذا الشعب وُلد عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

ولما نُقضت الصحيفة تتابعت علىٰ رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المصائب بموت زوجه خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وعمه أبي طالب، وكان بينهما زمن يسير، فسمي هذا العام **بعام الحزن**، فنالت قريش من رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأذىٰ ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب، وكان مما حدث له صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن سفيها من سفهاء قريش اعترض رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فنثر علىٰ رأس النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ترابا، فدخل رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيته والتراب علىٰ رأسه، فقامت إليه إحدىٰ بناته، فجعلت تمسح عنه التراب وهي تبكي، ورسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول لها: «**لا تبكي يا بُنية، فإن الله مانعٌ أباك، فما نالت مني قريش شيئًا أكرهه حتىٰ مات أبو طالب**»، وقد كان النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حريصًا علىٰ إسلام عمه أبي طالب إلا أنه مات علىٰ الكفر.

فلما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعنده أبو جهل،

وعبد الله بن أبي أمية، فقال: «**أيْ عَم، قل: لا إله إلا الله، كلمةً أُحاجُّ لك بها عند الله**»، فقال أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب ترغب عن ملة عبد المطلب؟ أي تترك ملة عبد المطلب، فلم يزالا يكلمانه حتىٰ مات علىٰ الكفر، فقال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لأستغفرَنَّ لك ما لم أُنْهَ عنه**»، فنزل قول الله تعالىٰ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾ [التوبة:١١٣].

وكان النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا ذكر خديجة أثنىٰ عليها فأحسن الثناء، وكان يقول: «**مَا أَبْدَلَنِي اللهُ عَزَّوَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللهُ عَزَّوَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ**».

ولما ماتت خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، جاءت خَوْلَة بنت حكيم امرأة عثمان بن مَظْعون، فقالت: يا رسول الله، ألا تتزوج؟

قال: «**مَن؟**».

قالت: إن شئت بِكْرا، وإن شئتَ ثيبا.

قال: «**فمن البِكر؟**».

قالت: ابنة أحب خلق الله عَزَّوَجَلَّ إليك عائشة بنت أبي بكر.

قال: «**ومن الثيب؟**».

قالت: سَوْدَة بنت زَمعة آمنت بك، واتبعتك علىٰ ما تقول.

قال: «**فاذهبي، فاذكريهما عليَّ**».

فدخلت بيت أبي بكر فقالت: يا أم رُومَان -وهي أم عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- ماذا أدخل الله عَزَّوَجَلَّ عليكم من الخير، والبركة؟

قالت: وما ذَاك؟

قالت: أرسلني رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخطب عليه عائشة.

قالت: انتظري أبا بكر حتىٰ يأتي.

فجاء أبو بكر، فقالت: يا أبا بكر ماذا أدخل الله عَزَّوَجَلَّ عليكم من الخير، والبركة؟

قال: وما ذاك؟

قالت: أرسلني رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخطب عليه عائشة.

قال: وهل تصلح له، إنما هي ابنة أخيه؟!.

فرجعت إلىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فذكرت ذلك له، قال: «**ارجعي إليه، فقولي له: أنا أخوك، وأنت أخي في الإسلام، وابنتك تصلحُ لي**».

فرجعت فذكرت ذلك لأبي بكر، فقال لها: انتظري، ثم خرج، فقالت أم رومان: إن مُطعِم بن عدي قد كان ذكرها علىٰ ابنه فوالله ما وعد وعدا قط فأخلفه لأبي بكر.

فدخل أبو بكر علىٰ مُطْعِم بن عدي، وعنده امرأته أم الفتىٰ الذي يريد أن يتزوج عائشة، فقالت: يا ابن أبي قُحَافَة لعلك مصبئٌ صاحبَنا مُدْخِلُه في دينك الذي أنت عليه إنْ تزوج ابنه ابنتك -أي ستجعل المُطعم يترك دينه ويدخل دينك إن تزوج ابنه ابنتك- ثم خرج أبو بكر من عند المطعم بن عدي، وقال لخولة: ادعي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدعته فزوجها إياه، وعائشة يومئذ بنت ست سنين.

قالت عائشة: تزوجني رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شوال، أي عقد عليَّ في شوال، وأنا بنت ست سنين، وبنىٰ بي -أي دخل عليَّ- في شوال وأنا بنت تسع سنين، وكان هذا السن حينئذ تصلح فيه المرأة للزواج، ولم يتزوج رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكرا غير عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

وبعد أن فرغت خَوْلة بنت حكيم من تزويج رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من عائشة، دخلت علىٰ سَوْدَة بنت زمعة، فقالت: ماذا أدخل الله عَزَّوَجَلَّ عليك من الخير، والبركة؟

قالت: وما ذاك؟

قالت: أرسلني رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخطُبك عليه.

قالت: ودِدتُ -يعني وافقت- ادخلي علىٰ أبي، فاذكري ذاك له، فدخلت عليه وأخبرته الخبر، فقال لها: كفؤ كريم، ماذا تقول صاحِبَتُكِ؟ أي ماذا تقول سودة؟

قالت: تحب ذاك.

قال: ادعيها لي، فدعتها، فأخبرها الخبر، وقال لها: أتحبين أن أزوجك به؟

قالت: نعم.

فقال لخولة: ادعيه لي، فجاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فزوجها إياه.

ولما اشتد البلاء علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج إلىٰ الطائف رجاء أن يؤووه، وينصروه علىٰ قومه، فدعاهم إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلم ير منهم ناصرًا، وآذوه مع ذلك أشد الأذىٰ، ونالوا منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما لم ينله قومه، فظل فيهم عشرة أيام لا يدع أحدا من أشرافهم إلا جاءه وكلمه، فقالوا له: اخرج من بلادنا، وأغروا به سفهاءهم، ووقفوا له صفين، وجعلوا يرمون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحجارة حتىٰ دَميت قدماه، ومعه زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنفسه من الحجارة حتىٰ أصابه شِجاج في رأسه، فانصرف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ راجعا من الطائف إلىٰ مكة محزونا.

وفي مرجعه دعا بالدعاء المشهور: «**اللَّهُمَّ إِلَيْك أَشْكُو ضَعْفَ قُوّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَىٰ النَّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ أَنْتَ رَبّ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَأَنْتَ رَبّي، إلَىٰ مَنْ تَكِلُنِي؟ إلَىٰ بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي؟ أَوْ إلَىٰ عَدُوٍّ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي؟ إنْ لَمْ يَكُنْ بك عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أُبَالِي، غير أن عَافِيَتَك هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِك الّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَنَ يَحِلَّ عليَّ غَضَبَك، أَوْ يَنزل بَيّ سُخْطُكَ، لَك الْعُتْبَىٰ حَتَّىٰ تَرْضَىٰ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِك**».

وفي مرجعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الطائف إلىٰ مكة بعث الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ إليه، فقال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك مَلَك الجبال لتأمره بما شئت فيهم**»، فسلم مَلَك الجبال علىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم قال: «**يا محمد قد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين**» -أي الجبلين-، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا**».

ولما نزل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنخلة -وهو مكان بين مكة والطائف- قام يصلي من الليل، فجاءه نفر من الجن فاستمعوا قراءته، ولم يشعر بهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ نزل عليه قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأحقاف:٢٩]، إلىٰ آخر الآيات من سورة الأحقاف.

ثم دخل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة في أمان، وجِوار المطْعِم بن عدي، ونادىٰ المطعِم بن عَدي: يا معشر قريش إني قد أَجَرْتُ محمد فلا يَهِجه أحد منكم.

وظل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة يتبع الحجاج كل عام في منازلهم وفي المواسم بعُكَاظ، ومَجَنَّة، وذي المَجَاز -وهذه ثلاثة أسواق كانت للعرب قديمة-، كان يدعو النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناس في هذه الأسواق، كان يدعوهم إلىٰ أن ينصروه حتىٰ يبلغ رسالات ربه ولهم الجنة، فلم يجد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ناصرًا، ولا مجيبا، وكان يذهب إلىٰ القبائل، ويقول: «**يا أيها الناس قُولُوا: لا إِلَهَ إلا اللهُ تُفْلِحُوا، وَتَمْلِكُوا بِهَا الْعَرَبَ، وَتَذِلَّ لَكُمُ الْعَجَمُ، وَإِذَا آمَنْتُمْ كُنْتُمْ مُلُوكًا فِي الْجَنَّة**».

وكان أَبُو لَهَبٍ وَرَاءَهُ، ويَقُولُ: لا تُطِيعُوهُ، فَإِنَّهُ صَابِئٌ كذَّابٌ، وكان الناس يَرُدُّونَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْبَحَ الرَّدِّ، وَيُؤْذُونَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويَقُولُونَ: عَشِيرَتُكَ أَعْلَمُ بِكَ، حَيْثُ لَمْ يَتَّبِعُوكَ، وَالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ اللهِ، وَيَقُولُ: «**اللَّهُمَّ لَوْ شِئْتَ لَمْ يَكُونُوا هَكَذَا**»، فعرض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفسه علىٰ عدة قبائل، فلم يستجب منهم أحد إلىٰ أن لقي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند العقَبة في الموسم ستة نفر من الأنصار، وكانوا من الخَزْرج، وهم: أبو أمامة، أسعد بن زُرَارَة، وعوف بن الحارث، ورافع بن مالك، وَقُطْبة بن عامر، وعقبة بن عامر، وجابر بن عبد الله بن رِئاب، فدعاهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ الإسلام، فأسلموا، ثم رجع هؤلاء النفر إلىٰ المدينة، فدعو أهلهم إلىٰ الإسلام فأسلموا، وانتشر الإسلام في المدينة حتىٰ لم يبق دار من دور الأنصار إلا وقد دخلها الإسلام.

أسئلة الدرس

السؤال الأول: متىٰ تزوج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عائشة، وسودة بنت زمعة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا؟

السؤال الثاني: ماذا كان رد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ ملَك الجبال حين قال له: إن شئتَ أن أطبق عليهم الأخشبين؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الخامس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم علىٰ سيد المرسلين نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المبارك، وهذا هو الدرس الخامس من دروس السيرة النبوية من كتاب «**إسعاد البرية في السيرة النبوية**»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ حادثة الإسراء والمعراج لرسولنا صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبيعة العَقَبة الأولىٰ، وبيعة العَقَبة الثانية، وهجرة أصحاب النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ المدينة، واجتماع قريش في دار الندوة للمشاورة في أمر رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هذا مجمل الأحداث، وإليكم التفصيل:

في السنة الثانية عشرة من البعثة أُسري برسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المسجد الحرام إلىٰ المسجد الأقصىٰ، ثم عُرج به إلىٰ سدرة المنتهىٰ، وكان الإسراء برسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بجسده في اليقظة ليلا، ولما وصل صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيت المقدس ربط البُراق الذي كان يركبه بحلْقة باب المسجد، ثم دخل المسجد وصلىٰ فيه بالأنبياء إماما.

ثم جاءه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بإناء من خمر، وإناء من لبن، فاختار صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللبن علىٰ الخمر، فقال له جبريل: «**هُديت للفطرة**».

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذاكرا الإسراء برسول الله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا

مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء:١].

ولما عُرج بالنبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ السماء الثانية رأىٰ عيسىٰ ابن مريم، ويحيىٰ بن زكريا عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، فرحَّبا به ودعو له بخير، ثم عُرج به صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ السماء الثالثة فرأىٰ يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ورآه قد أُعطي شطر الحسن -أي نصف الحسن والجمال- فرحَّب بالنبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودعا له بخير، ثم عُرج به صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ السماء الرابعة فرأىٰ إدريس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فرحب بالنبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودعا له بخير، ثم عُرج به صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ السماء الخامسة فرأىٰ هارون عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فرحب بالنبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودعا له بخير، ثم عُرج به صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ السماء السادسة فرأىٰ موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فرحب بالنبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودعا له بخير.

ثم عُرج بالنبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ السماء السابعة، فرأىٰ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مسنِدًا ظهره إلىٰ البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف مَلَك لا يعودون إليه، ثم ذهب جبريل بالنبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ السدرة المنتهىٰ، وهذه السدرة عندها ينتهي علم الملائكة، لذلك سميت بسدرة المنتهىٰ.

فأوحىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلىٰ نبيه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند سدرة المنتهىٰ ما أوحىٰ، ففرض الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزل النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فقال له موسىٰ: ما فرض ربك علىٰ أمتك؟

فقال النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خمسين صلاة، فقال موسىٰ: ارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف؛ فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوتُ بني إسرائيل وخبرتُهم، فرجع النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ ربه فقال: يارب خفف علىٰ أمتي، فحَط الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خمسا، فرجع النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ موسىٰ، فقال له: حَطَّ عني خمسا.

فقال موسىٰ: إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف، فلم يزل النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرجع بين ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وبين موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حتىٰ قال الله

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: «**يا محمد إنهن خمسُ صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر، وذلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة فلم يعملها كُتبت له حسنة، فإن عَمِلها كتبت له عشرا، ومن همَّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئًا، فإن عملها كتبت سيئة واحدة**».

فلما أصبح رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مكة أخبر الناس بما أراه الله عَزَّوَجَلَّ من آياته الكبرىٰ، فاشتد تكذيب الكفار له، وسألوه أن يصف لهم بيت المقدس، فجلَّاه الله عَزَّوَجَلَّ له حتىٰ عاينه، فطفق يخبرهم عن آياته، ولا يستطيعون أن يردوا عليه شيئًا، وأخبرهم عن تجارة لهم، وعن وقت قدومها، وأخبرهم عن البعير الذي يقدمها، فلما رجعت التجارة كان الأمر كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلم يزدهم ذلك إلا نفورا.

وفي موسم الحج من السنة الثانية عشرة من البعثة وافىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اثنا عشر رجلا من الأنصار، بعضهم ممن لقي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الموسم السابق فبايعهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ «**ألا يشركوا بالله شيئًا، ولا يسرقوا، ولا يزنوا، ولا يقتلوا أولادهم، ولا يأتوا ببهتان يفترونه من بين أيديهم وأرجلهم** -أي لا يقولوا كذبا فظيعا يدهش سامعه-، **وبايعهم** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **علىٰ ألا يعصونه في معروف، فمن وفَىٰ بذلك فله الجنة، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعُوقب به في الدنيا فهو له كفارة، ومن أصاب من ذلك شيئًا فستره الله فأمره إلىٰ الله إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه**»، فبايعوه علىٰ ذلك.

وبعث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع هؤلاء الاثني عشر مُصعب بن عُمير وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلِّمهم الإسلام، ويفقِّهم في الدين، فأسلم علىٰ يديه خلق كثير.

وفي السنه الثالثة عشرة من البعثة في موسم الحج وافاه سبعون رجلا من الأنصار فبايعوه عند العقبة أيضًا علىٰ أن يمنعوه إن هاجر إليهم مما يمنعون منه أنفسهم ونساءهم وأبناءهم، فأخرجوا له اثني عشر نقيبا.

فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للنقباء: «**أنتم علىٰ قومكم كُفلاء**»، فسميت ببيعة العقبة الثانية.

ويحكي لنا كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قصة البيعة،** فيقول: خرجنا إلىٰ الحج، وواعدنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعقبة من أوسط أيام التشريق، والعقبة مكانها جمرة العقبة بمنىٰ، والعقبة هي الشيء المرتفع.

يقول كعب: فلما فرغنا من الحج، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لها، ومعنا أبو جابر عبد الله بن عمر بن حَرَام وكان سيدا من سادتنا، فكلمناه في أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأسلم، فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتىٰ إذا مضىٰ ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكنا ثلاثة وسبعين رجلا، فاجتمعنا في الشِّعْب ننتظر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ جاءنا، ومعه عمه العباس بن عبد المطلب، وكان يومئذ علىٰ دين قومه، فلما جلس تكلم العباس، فقال: يا معشر الخزرج إن محمدا منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو علىٰ مِثل رأينا فيه، فهو في عِزٍّ من قومه ومَنَعة في بلده، وإنه قد أبىٰ إلا الانحيازَ إليكم، فإن كنتم ترون أنكم وافُون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه فأنتم، وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مُسلِموه، وخاذلوه بعد الخروج به إليكم، فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومَنَعَة من قومه في بلده.

فقال له الأنصار: قد سمعنا ما قلتَ، فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك، ولربك ما أحببت، فتكلم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتلا قرآنا، ودعا إلىٰ الله ورغَّب في الإسلام، ثم قال: «**أبايعكم علىٰ أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم**».

فأخذ البراء بن مَعْرور بيده، ثم قال: نعم، والذي بعثك بالحق نبيا لنمنعنَّك مما نمنع منه أُزُورَنا -أي نساءنا-، فبَايِعْنا يا رسول الله، فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحَلْقة -أي أهل السلاح- ورثناها كابرا عن كابر.

وبينما البراء يكلم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال أبو الهيثم بن التيِّهان: يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالا، وإنا قاطعوها -يعني اليهود-، فهل عسيتَ إن نحن فعلنا ذلك، ثم أظهرك الله -أي نصرك الله علىٰ عدوك- أن ترجع إلىٰ قومك، وتدعنا،

فتبسم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم قال: «**بل الدمُ الدمُ، والهدمُ الهدمُ** -أي ذمتي ذمتكم، وحرمتي حرمتكم- **أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم، وأُسَالم من سالمتم**».

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للأنصار: «**أخرجوا إليَّ منكم اثني عشر نقيبا**-أي رئيسا-؛ **ليكون علىٰ قومهم بما فيهم**»، فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا، تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس.

فلما علمت قريش بالبيعة ذهبوا للأنصار في بيوتهم يسألونهم، ولكن الأنصار لم يخبروهم بحقيقة الأمر، فانصرف الكفار عنهم، فأكثرت قريش في البحث حتىٰ استيقنت بالبيعة، فتتبعوا الأنصار، وكانوا قد نفروا من منىٰ، فخرجوا في طلبهم فأدركوا سعد بن عبادة، والمنذر بن عمرو، فأما المنذر فأعجزهم ولم يلحقوا به، وأما سعد فأخذوه فربطوا يديه إلىٰ عنقه، ثم أقبلوا به حتىٰ أدخلوه مكة يضربونه.

ولما نزل قول الله تعالىٰ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الحج:٣٩-٤٠].

أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينئذ أصحابه بالهجرة إلىٰ المدينة بعد أن بايع الأنصار علىٰ الإسلام والنصرة له، ولمن اتبعه.

فقال لأصحابه في مكة: إن الله عَزَّوَجَلَّ قد جعل لكم إخوانا، ودارا تأمنون بها، فخرجوا جماعة في إثر جماعة، وأقام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يأذن الله عَزَّوَجَلَّ له في الهجرة، ولم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين إلا من حُبس، أو فُتن إلا علي بن أبي طالب، وأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وكان أبو بكر كثيرا ما يستأذن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الهجرة، فيقول له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تعجل لعلَّ الله يجعل لك صاحبا**»، وكان أبو بكر يطمع أن يكون هذا الصاحب.

ولما رأىٰ كفار قريش أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد صارت له شيعة، وأصحاب

من غيرهم بغير بلدهم، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم عرفوا أنهم قد نزلوا دارا، وصاروا في عز وحماية، فتخوَّفوا أن يخرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهم، فأجمعوا علىٰ الاجتماع في دار الندوة يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فلما غدوا في اليوم الذي تواعدوا عليه اعترضهم إبليس في هيئة شيخ حسن الصورة، فوقف علىٰ باب الدار، فلما رأوه واقفا علىٰ بابها قالوا: من الشيخ؟

قال: شيخ من أهل نجد سمع بالذي تواعدتم عليه فحضر معكم؛ ليسمع ما تقولون، وعسىٰ ألا يعدمكم منه رأيا، ونصحا.

قالوا: أجل، فدخل معهم، وقد اجتمع فيها أشراف قريش، فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم فإنا والله ما نأمنه علىٰ الهجوم علينا فيما قد اتبعه من غيرنا، فأجمعوا فيه رأيا، فتشاوروا، ثم قال قائل منهم: احبسوه في الحديد، وأغلقوا عليه بابا، ثم تربصوا فيه حتىٰ يصيبه ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله فيموت.

فقال الشيخ النجدي، وهو إبليس: لا والله ما هذا لكم برأي يعني هذا رأي غير جيد، والله لئن حبستموه كما تقولون: ليخرجن أمره من وراء الباب الذي قد أغلقتم دونه إلىٰ أصحابه، فلأوشكوا أن يهجموا عليكم فينزعوه من أيديكم، ثم يغلبوكم علىٰ أمركم، ما هذا لكم برأي فانظروا في غيره.

فتشاوروا، ثم قال قائل منهم: نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلدنا، فإذا أُخْرج عنا فوالله ما نبالي أين ذهب، ولا حيث وقع إذا غاب عنا، وفرغنا منه، فأَصْلَحْنا أمرنا.

فقال الشيخ النجدي، وهو إبليس: لا والله ما هذا لكم برأي، ألم تروا حسن حديثه، وحلاوة منطقه، وغلبته علىٰ قلوب الرجال بما يأتي به، والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحلَّ علىٰ حي من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتىٰ يتابعوه عليه، ثم يسيروا بهم إليكم، فيأخذ أمركم من أيديكم، ثم يفعل بكم ما أراد، دبروا فيه رأيا غير هذا.

فقال أبو جهل: والله إن لي فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد.

قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟

قال: أرىٰ أن نأخذ من كل قبيلة فتىٰ شابا جليدا، نسيبا، وسيطا فينا -أي شابا قويا ذا حسب ونسب، شريفا في قومه- ثم نعطي كل فتىٰ منهم سيفا صارما -أي سيفا قويا قاطعا-، ثم يذهبوا إليه فيضربوه فيها ضربَة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل كلها، فلم يقدر بنو عبد مناف علىٰ حرب قومهم جميعا.

فقال الشيخ النجدي، وهو إبليس: القول ما قال الرجل هذا الرأي الذي لا رأي غيره، فتفرق كفار قريش علىٰ ذلك، وهم مجمعون له.

فأتىٰ جبريل النبيَّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ليخبره بما أجمع عليه كفار قريش، فقال له: لا تَبِت هذه الليلة علىٰ فراشك الذي كنت تبيت عليه، فلما ذهب أول الليل اجتمع كفار قريش علىٰ باب بيت رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينتظرونه متىٰ ينام؛ حتىٰ يقتلونه.

فلما رأىٰ رسول الله مكانهم، قال لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**نم علىٰ فراشي وتسجىٰ ببردي هذا** -أي غطِّ به جسدك ووجهك-، **فنم فيه فإنه لن يَخلُصَ إليك شيء تكرهه منهم**».

وكان رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا نام ينام في بُرْده ذلك، وبينما كفار قريش علىٰ باب بيت رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفيهم أبو جهل قال لمن معه: إن محمدا يزعم أنكم إن تابعتموه علىٰ أمره كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بُعثتم من بعد موتكم، فجعلت لكم جنانا كجنان الأردن.

الأردن: هي الدولة المشهورة، وعاصمتها حاليا عَمَّان، وهي من أرض الشام.

قال أبو جهل: وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح، ثم بُعثتم من بعد موتكم، ثم جُعلت لكم نار تُحرقون بها.

وكان أبو جهل يقول هذا تهكما، وسخرية من رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فخرج

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ كفار قريش فأخذ حفنة من تراب في يده، ثم قال: «**نعم، أنا أقول ذلك، أنت أحدهم**»، وأخذ الله تعالىٰ علىٰ أبصارهم عنه فلم يروه، فجعل ينثر التراب علىٰ رؤوسهم وهو يتلو قول الله تعالىٰ: ﴿يسٓ ١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٤ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٥ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ٦ لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٧ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ٨ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ٩﴾ [يس:١-٩]، فلم يبق منهم رجل إلا وقد وضع رسول الله علىٰ رأسه ترابا، ثم انصرف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ حيث أراد أن يذهب، وبينما الكفار علىٰ تلك الحال أتاهم رجل ممن لم يكن معهم، فقال: ما تنتظرون ها هنا؟

قالوا: محمدًا.

قال: خيبكم الله، والله لقد خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلا إلا وقد وضع علىٰ رأسه ترابا، وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟

فوضع كل رجل منهم يده علىٰ رأسه، فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يتطلعون فيرون عليا علىٰ الفراش متسجيا ببرد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالوا: والله إن هذا لمحمد نائما عليه بُرده، فلم يتركوا أماكنهم حتىٰ أصبحوا فقام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الفراش، فقالوا: والله لقد كان صدَقنا الذي حدَّثنا.

وأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ قوله: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٣٠﴾ [الأنفال:٣٠].

وتجهز أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ ليهاجر إلىٰ المدينة، فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**علىٰ رِسلك** -أي لا تتعجل-، **فإني أرجو أن يؤذن لي، ولعل الله يجد لك صاحبا**».

فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟

قال: «**نعم**»، فطمع أبو بكر أن يصحب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم يهاجر، فظل مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مكة ليصحبه في الهجرة، واشترىٰ راحلتين، وظل يعلفهما أربعة أشهر في داره؛ إعدادا لذلك.

أسئلة الدرس

السؤال الأول: ما هي بيعة العقبة الأولىٰ؟

السؤال الثاني: علىٰ أي شيء بايع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأنصار في بيعة العقبة الثانية؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس السادس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم علىٰ سيد المرسلين نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المبارك، وهذا هو الدرس السادس من دروس السيرة النبوية من كتاب «**إسعاد البرية في السيرة النبوية**»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ هجرة الرسول صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مكة إلىٰ المدينة، ونزول النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقُباء، وبناء مسجد قباء، وأول جمعة صلاها النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الإسلام، ونزول النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدار أبي أيوب الأنصاري، وبناء المسجد النبوي والحُجرات، وإسلام حَبر اليهود عبد الله بن سلام.

هذا مجمل الأحداث، وإليكم التفصيل:

كان رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذهب إلىٰ بيت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كل يوم، إما في الصباح، وإما في المساء، فلما كان اليوم الذي أذن الله عَزَّ وَجَلَّ فيه للنبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الهجرة ذهب رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ بيت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في نصف النهار، في ساعة كان لا يأتي فيها النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل ذلك، فلما رآه أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ما جاء رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الساعة إلا لأمر حدث، فلما دخل رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجلس أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رسولَ الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ سريره، وقال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أخرج عني من عندك**».

فقال أبو بكر: يا رسول الله إنما هما ابنتاي عائشة، وأسماء، وما ذاك، فداك أبي، وأمي.

فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله قد أذن لي في الخروج، والهجرة**».

فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله، أي أطلب الصحبة معك في الهجرة يا رسول الله.

فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الصحبة**».

قالت عائشة: فوالله ما شعرت قبل ذلك اليوم أن أحدا يبكي من الفرح، حتىٰ رأيت أبا بكر يبكي يومئذ.

قال أبو بكر للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فخذ بأبي أنت يا رسول الله احدىٰ راحلتي هاتين.

فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بالثَّمن.

قالت عائشة: فجهزناهما سريعًا، وصنعنا لهما سفرة من جِراب، -والسفرة هي الطعام الذي يُعد للمسافر-، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نِطاقها، -والنطاق هو ما يشد به الوسط-، فربطت به علىٰ فم الجراب، أي شقت نطاقها نصفين، فشدت بأحدهما الزاد، وشدت بالآخر فم القِربة، لذلك سميت: بذات النطاقين.

ولم يعلم أحد بخروج رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للهجرة إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر وآله، أما علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فإن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبره بخروجه، وأمره أن يتخلف بعده بمكة حتىٰ يؤدي عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الودائع التي كانت عنده للناس، فقد كان أهل مكة يأتمنون رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيضعون عنده ما يخشون عليه الضياع.

ثم لحق رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو بكر بغار في جبل ثَور، فانتهيا إليه ليلًا، فقال أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: والله لا تدخله حتىٰ أدخله قبلك، فإن كان فيه شيء أصابني دونك، فدخل فكنَسه، ووجد في جانبه ثُقُبا، فشق إزاره رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وسدها به، وبقي من الثَّقب اثنان، فألقمهما رجليه، ثم قال لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ادخل، فدخل النبي

صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووضع رأسه في حجره ونام، فلُدغ أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في رجله من الجحر، فلم يتحرك مخافة أن ينتبه رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فسقطت دموعه علىٰ وجه رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال له النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما لك يا أبا بكر؟**».

قال: لُدغتُ، فِداكَ أبي وأمي، فتَفل رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رِجل أبي بكر فذهب عنه ما يجد، فمكث رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأبو بكر في الغار ثلاث ليال، وكان يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر، وكان غلاما شابًّا، ثم يخرج من عندهما في السَّحَر، فيصبح مع قريش بمكة كأنه بات بها، وكان لا يسمع أمرًا يمكرون به لرسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا أخبر رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأبا بكر به.

وكان عامر بن فُهَيرة مولىٰ أبي بكر يرعىٰ عليهما الغنم، فيذهب بها إليهما حين تذهب ساعة من العشاء حتىٰ يشربا من لبنها، وكان يفعل ذلك كلَّ ليلة من تلك الليالي الثلاث.

وكانت أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تأتيهما بما يصلحهما من الطعام، وغيره إذا أمست.

وكان رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأبو بكر استأجرا رجلًا يدلهما الطريق وهو عبد الله بن أُرَيْقِط، وكان رجلًا مشركا، وواعداه أن يأتيهما بعد ثلاث ليال في الصباح براحلتيهما.

وبينما النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو بكر في الغار إذ رأىٰ أبو بكر أقدام المشركين علىٰ باب الغار، فقال لرسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلىٰ قدميه أبصرنا تحت قدميه.

فقال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟**»، فانصرف الكفار خزايا دون أن يَظفروا برسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأبي بكر، فلما مضت الليال الثلاث أتاهما عبد الله بن أُريقط ببعيريهما، وبعير له، وأتتهما أسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بسفرتهما، فقدم أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أفضل الراحلتين إلىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال له: اركب فداك أبي، وأمي.

فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إني لا أركبُ بعيرا ليس لي**»، فقال أبو بكر: هي لك يا رسول الله بأبي أنت، وأمي.

فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا، ولكن ما الثمن الذي ابتعتها به؟**»، أي اشتريها به.

فقال أبو بكر: كذا وكذا، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قد أخذتها به**»، أي بالثمن الذي اتفقنا عليه.

فقال أبو بكر: هي لك يا رسول الله، فركبا وانطلقا، وانطلق معهما عامر بن فهيرة، وعبد الله بن أُريقط، فأخذ بهم طريق السواحل.

واشتد البحث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان الحافز الأكبر وراء شدة البحث عنهما أن قريشا جعلت لمن ردَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليهم مائة ناقة، فبينما الكفار جلوسا في ناديهم إذ جاءهم آتٍ، فقال: والله لقد رأيتُ ثلاثة مروا عليَّ آنفا إني لأراهم محمدا، وأصحابه.

فأومأ إليه سُرَاقة بن مَالك بعينه أن اسكُت، ثم قال: إنما هم بنو فلان يبتغون ضالة لهم، فقال الرجل: لعله كما يقول سُراقة، ثم سكت، ومكث سُرَاقة بن جُعْشم قليلًا، ثم قام فدخلَ بيته، فأخذ فرسه، وسلاحه، والأزلام التي يستقسم بها، والأزلام هي سهام لا رِيش لها، ولا نَصل، مكتوب عليها «**لا**»، و«**نعم**»، فكانوا في الجاهلية إذا أرادوا أمرًا ضربوا بها، فإن خرج «**لا**» تركوا ما هموا به، وإن خرج «**نعم**» فعلوا ما هموا به، ثم انطلق سراقة، فلبس درعه، ثم أخرج الأزلام فاستقسم بها، فخرج السهم الذي يكره، وهو الذي مكتوب فيه: «**لا تَضُرَّه**»، يعني لا تفعل هذا، فبينما هو راكب فرسه إذ عثر به فسقط عنه، ثم أخرج الأزلام فاستقسم بها، فخرج السهم الذي يكره وهو الذي مكتوب فيه: «**لا تَضُرَّه**»، فبينما هو راكب فرسه إذ عثر به فسقط عنه، ثم أخرج الأزلام، فاستقسم بها فخرج السهم الذي يكره وهو الذي مكتوب فيه «**لا تَضُرَّه**»، فأبىٰ سُرَاقة إلا أن يتبع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فركب في أثره، فبينما هو راكب فرسه إذ عَثر به، فَسقط عنه، ثم أخرج الأزلام مرة ثالثة فاستقسم بها فخرج

السهم الذي يكره، وهو الذي مكتوب فيه: «**لا تَضُرَّه**»، فأبي إلا أن يتبع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فركب في أثره، فلما رأىٰ النبي في صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، قال أبو بكر: أُتينا يا رسول الله، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تحزن إن الله معنا**»، فدعا عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فارتطمت به فرسه إلىٰ بطنها، أي غاصت قوائم فرسه في الأرض، وتبعهما دُخَان كالإعصار، أي ريح شديدة فيها غبار.

فقال سُرَاقَة: فناديتهم بالأمان فوقفوا، فركبت فرسي حتىٰ جئتهم، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أنْ سيظهر أمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضتُ عليهم الزاد والمتاع، فأبيا فلم يأخذا مني شيئًا، ولم يسألاني إلا أن قال: «**أَخْفِ عنا**»، فسألت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن يكتُب لي كتابَ أَمن، فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رُقْعَةٍ من جلد، ثم مضىٰ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولمَّا خَرَج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأبو بكر أتىٰ نفرٌ من قريش فيهم أبو جهلٍ، فوقفوا علىٰ باب أبي بكر، فخرجت إليهم أسماء، فقالوا: أين أبوكِ يا بنت أبي بكر؟

قالت: لا أدري والله أين أبي، فرفع أبو جهل يده فلطم خدَّها لطمة طَرح منها قُرْطها.

وعند خروج أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ للهجرة أخذ ماله كله، فدخل أبوه أبو قُحَافة، وهو أعمىٰ علىٰ أسماء رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فقال: والله إني لأراه قد أخذ ماله كله، قالت أسماء: كلا يا أبتِ، إنه قد ترك لنا خيرًا كثيرًا، فأخذت أحجارا فوضعتها في المكان الذي كان يضع فيه أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ماله، ثم وضعت عليه ثوبا، ثم أخذت بيده، وقالت: يا أبتِ ضع يدك علىٰ هذا المال، فوضع يده عليه، فقال: لا بأس إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن.

وفي يوم الاثنين من شهر ربيع الأول سمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكانوا يغدون كل غداة إلىٰ الحرَّة، فينتظرونه حتىٰ يردَّهم حر الظهيرة، والحرة هي الأرض التي عليها حجارة سود.

فرجعوا يومًا بعد ما طال انتظارهم فلما وصلوا إلىٰ بيوتهم صعِد رجل من اليهود علىٰ حصن من حصونهم لأمر ينظر إليه، فبصُر برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه عليهم ثياب بِيض يزول بهم السراب -أي يخفون تارة، ويظهرون تارة-، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلىٰ صوته: يا معاشر العرب هذا جدُّكم الذي تنتظرون -أي حظكم، وصاحب دولتكم-، فثار المسلمون: إلىٰ السلاح، أي تقلَّد المسلمون أسلحتهم لاستقبال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحراسته من اليهود، وسُمعت الرَّجَّة، والتكبير من بني عمرو بن عوف، وكبَّر المسلمون فرحًا بقدومه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخرجوا للقائه، فتلقوه، وحيوه بتحية النبوة، فاتجه بهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سيره إلىٰ غرب قباء فسار حتىٰ نزل بقباء في بني عمرو بن عوف، فنزل علىٰ كلثوم بن الهِدْم، فقام أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ للناس يتلقاهم، وجلس النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صامتًا، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم يرَ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَيِّ أبا بكر، حتىٰ أصابت الشمس رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأقبل أبو بكر حتىٰ ظلل عليه بردائه، فعرَف الناسُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند ذلك.

وأقام عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **بمكة ثلاثة ليال وأيامها** حتىٰ أدىٰ عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الودائع التي كانت عنده للناس حتىٰ إذا فرغ منها لحق بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنزل معه علىٰ كلثوم بن الهِدم.

فأقام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقُباء في بني عوف يوم الاثنين، ويوم الثلاثاء، ويوم الأربعاء ويوم الخميس، وأسس مسجده الذي أُسِّس علىٰ التقوىٰ، وهو مسجد قُباء، وصلىٰ فيه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم خرج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بين بني عمرو بن عوف يوم الجمعة، فأدركت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الجُمعة في بني سالم بن عوف فصلاها في بني سالم، فكانت أولَ جمعة صلاها بالمدينة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولما خرج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بني سالم بن عوف راكبًا راحلته، كان كلما مر بدار من دور الأنصار قالوا له: أقم عندنا يا رسول الله، فكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يقول: «**خلُّوا سبيلها، فإنها مأمورة**»، أي ناقته، فيخلون سبيلها فتنطلق حتىٰ إذا مرت بدار بني عدي بن النجار وهم أخوال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالوا: يا رسول الله، هلمَّ إلىٰ أخوالك، فقال: «**خلوا سبيلها فإنها مأمورة**»، فخلوا سبيلها، فانطلقت -أي الناقة، مأمورة ستبرك حيث أمرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- حتىٰ إذا أتت دار بني مالك بن النجار بركت علىٰ باب المسجد، وهو يومئذ موضع يجفف فيه التمر لغلامين يتيمين من بني النجار، فلما برَكت ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليها لم ينزل، وثَبَت فسارت غير بعيد، ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واضع لها زمامها لا يَثنيها به، ثم التفتت إلىٰ خلفها، فرجعت إلىٰ مبركها أول مرة فبركت فيه، -أي رجعت إلىٰ المكان الذي بركت فيه أول مرة-، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين بركت به راحلته: «**هذا إن شاء الله المنزِل**»، أي هذا هو المكان الذي سأقيم فيه، فنزل عنها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاحتمل أبو أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَحْل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوضعه في بيته، ونزل عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم دعا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الغلامين فاشترىٰ منهما هذا الموضع، وظل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مقيمًا في دار أبي أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سبعة أشهر حتىٰ بنىٰ مسجده، ومساكنه، فانتقل إليها.

وقد أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه ببناء المسجد، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينقُل معهم اللَّبِن، أي الحجارة المصنوعة من الطين، ويقول وهو ينقل اللَّبِن: «**هَذَا الْحِمَالُ لا حِمَالَ خَيْبَرْ. هَذَا أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرْ**»، أي هذا ما يُحمل لا ما يُحمل من خيبر من التمر، ونحوه.

ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ إِنَّ الْأَجْرَ أَجْرُ الْآخِرَة، فارْحَمْ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَهْ**».

وكان المهاجرون، والأنصار يقولون: «**لا عَيْشَ إلا عَيْشَ الآخِرَة. اللَّهُمَّ ارْحَمْ الأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَة**».

ولما أتم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو، وأصحابه بناء مسجده من الجريد واللبن، بنىٰ مسكنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومساكن أزواجه إلىٰ جنبه، وكان أقربها إليه مسكن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ثم انتقل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من دار أبي أيوب إلىٰ مساكنه.

ولما قدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة ذهب إليه الناس مسرعين، وقيل: قدم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجاء عالم من علماء يهود، وهو عبد الله بن سَلَام؛ لينظر إلىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما استبان وجه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عرَف أن وجهه ليس بوجه كذَّاب، فأتىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يريد أن يتحقق من شأنه، فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، فما أول أشراط الساعة؟، وما أول طعام أهل الجنة؟، وما ينزع الولد إلىٰ أبيه أو إلىٰ أمه؟ أي متىٰ يأتي الولد شبيها بأبيه؟، ومتىٰ يأتي شبيها بأُمه؟.

فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَخبرني بهنَّ جبريل آنفا**».

فقال عبد الله بن سَلام: جبريل!!

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نعم**».

قال عبد الله بن سلام: ذاك عدو اليهود من الملائكة.

فقرأ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الآية: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٩٧].

ثم قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، فَنَارٌ تَحْشُرُ الناس مِنْ الْمَشْرِقِ إِلَىٰ الْمَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ، فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ**»، أي القطعة المنفردة المتعلقة بالكبد، وهي أطيبها، وألذُّها.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ نَزَعَ الْوَلَدَ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ نَزَعَت**».

فقَالَ عبد الله بن سلَام: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأشهد أَنَّكَ رَسُولُ الله، ثم قال: يا رسول الله إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ -أي كثيرو البُهتان-، وإنْهم إن يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي قبل أن تسألهم يبهتوني، أي يكذبوني.

فَجَاءَتْ الْيَهُودُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللهِ فِيكُمْ؟**».

قَالُوا: خَيْرُنَا، وَابْنُ خَيرِنَا، وسيدُنا، وَابْنُ سيدنا.

قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ الله بْنُ سَلَام».

فَقَالُوا: أَعَاذَهُ اللهُ مِنْ ذَلِك.

فَخَرَجَ عَبْدُ اللّه بن سلام، فَقَال: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، فقالت اليهود: شَرُّنَا، وَابْنُ شَرِّنَا، وانتقصوه.

فقَالَ عبد الله بن سلام: فهَذَا الذي كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللهِ.

أسئلة الدرس

السؤال الأول: هل خرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للهجرة سرا، أم جهرًا؟ وهل أحد علم بهجرة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

السؤال الثاني: أين صلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أول جمعة في الإسلام؟

السؤال الثالث: أين نزل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد هجرته إلىٰ المدينة؟ وكم مكث في هذا المنزل؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس السابع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المبارك، وهذا هو الدرس السابع من دروس السيرة النبوية من كتاب «إسعاد البرية في السيرة النبوية»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ هجرة آل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ المدينة، وهجرة آل أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ المدينة، والزيادة في صلاة الحضر، وأول مولود للمهاجرين في الإسلام، وأول مولود للأنصار بعد الهجرة، ووفاة كلثوم بن الهِدْم، وأسعد بن زُرَارة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وتشريع الأذان، ومعاهدة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع اليهود بالمدينة، وسَرِيَّة حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ سِيف البحر، وسرية عُبيدة بن الحارث بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ بطن رابغ، ودخول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وسرية سعد بن أبي وقَّاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ الخرَّار، ومؤاخاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين المهاجرين والأنصار.

هذا مجمل الأحداث، وإليكم التفصيل:

لما هاجر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ المدينة ترك بناته، وزوجته سودة بنت زَمعة بمكة، فلما قدم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة أرسل زيد بن حارثة، وأبا رافع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إلىٰ مكة، فقدما عليه بابنتيه فاطمة، وأم كلثوم، وزوجته سَوْدة بنت زمعة، وأسامة بن زيد،

وأمه أم أيمن، فقدموا جميعا على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يبني المسجد ومساكنه، أما رقية بنت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكانت هاجرت مع زوجها عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأما زينب بنت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم يمكِّنها زوجها أبو العاص بن الربيع من الخروج للهجرة.

وأرسل أيضًا أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عبد الله بن أُرَيقط مع زيد بن حارثة أبي رافع فأتوا مع آل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد فرض الله عَزَّ وَجَلَّ في بداية الإسلام الصلاة ركعتين ركعتين في الحضر والسفر، فلما قدم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة أُقرَّت صلاة السفر، وزِيد في صلاة الحضر مع كل ركعتين ركعتين إلا المغرب، فإنها وتر النهار، وصلاة الفجر لطول قراءتها.

ولما أتت أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا ونزلت بقباء ولدت عبد الله بن الزبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهو أول مولود ولد في الإسلام، ففرحوا به فرحا شديدا؛ لأنهم قيل لهم: إن اليهود قد سحرتكم، فلا يُولد لكم، ثم أتت به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوضعته في حجره، فدعا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتمرة فمضغها، ثم تفل في فمه، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم حنَّكه بتمرة، أي مضغ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تمرة، ودلَّك بها حنكه، ودعا له.

ووُلد أيضًا النعمان بن بشير وهو أول مولود للأنصار بعد الهجرة، فأتت به أمه إلىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فحنَّكه، ودعا له.

وكان أول من تُوفي بعد مَقدم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة من المسلمين كلثوم ابن الهِدم، ثم توفي بعده أسعد بن زُرَارة، وكانت وفاته قبل أن يفرغ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بناء المسجد.

وكان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فينتظرون الصلاة، وكانت الصلاة حينئذ لا ينادىٰ لها، فتكلموا يوما في ذلك فقال بعضهم: اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس

النصارىٰ، أي حتىٰ يُعلم الناس بالصلاة، فلم يُعجب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ذلك، وقال: «**هو من أمر النصارىٰ**».

فقال بعضهم: اتخذوا بُوقا مثل قرن اليهود-البوق هو الذي يُنفخ فيه فيُخرج صوتا-، فلم يُعجب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وقال: «**هو من أمر اليهود**».

قال بعضهم: انصب راية عند حضور الصلاة، فإذا رأوها أعلم بعضهم بعضا، فلم يعجب ذلك النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فانصرف عبد الله بن زيد وهو مهتم لهَمِّ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فأُري الأذان في منامه، فغدا علىٰ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فأخبره ما رأىٰ في منامه.

وكان عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قد رآه قبل ذلك، فكتمه عشرين يوما، ثم أخبر به النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بعد ذلك، وقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**يا بلال قم فانظر ما يأمرك به عبدالله بن زيد، فافعله**»، فأذن بلال رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

وبعد مَقدِم النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ المدينة عقد عهدا مع اليهود، وشرط لهم، واشترط عليهم، ومما جاء في هذه المعاهدة:

الأول: من تبعنا من اليهود، فإن له النصر، والأُسوة غير مظلومين، ولا متناصر عليهم، وإن سِلْم المؤمنين واحدة.

الثاني: اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

إلىٰ آخر هذه المعاهدة، من أراد الرجوع إليها فليراجع الكتاب.

وأرسل النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عمه حمزة بن عبد المطلب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ إلى سِيف البحر - ي ساحل البحر-؛ لأنه علم أن تجارة لقريش ستمر به، ولكن لم يكن بين المسلمين والمشركين قتال.

وأرسل النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أيضًا عُبيدة بن الحارث بن عبد المطلب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ إلى بطن رابغ، وهو موضع قريب من الجحفة، ومعه ستون من المهاجرين، فالتقوا مع أبي سفيان في مائتين من المشركين، فلم يكن بينهم إلا الرمي، ثم رجعوا إلىٰ المدينة.

وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد عقد على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بمكة، فلما قدم المدينة دخل بها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكان عمرها يومئذ تسع سنين.

وبعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد هجرته إلى المدينة سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومعه عشرون رجلا إلىٰ مكان قريب من الجُحفة وهو الخرَّار؛ لأنه علم أن تجارة لقريش ستمر به، ولكنهم وجدوا أن الكفار قد مروا قبل وصولهم إليهم، ولولا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عهد إليهم ألا يجاوزوا الخرَّار لتبعوهم.

وبعد هجرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة عقد مؤاخاة بين المهاجرين، والأنصار، وذلك حتىٰ يُذهب عنهم وحشة الغُربة، وقد آخىٰ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينهم في دار أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكانوا يومئذ تسعين رجلا نصفهم من المهاجرين، ونصفهم من الأنصار، أخىٰ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينهم علىٰ أنهم يتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام بحيث يكون أثر الأخوة الإسلامية في ذلك أقوىٰ من أثر قرابة الرحم، وظلت هذه الحقوق مقدمة علىٰ حقوق القرابة إلىٰ غزوة بدر الكبرىٰ لما عزَّ الإسلام وقوي، فأنزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال:٧٥]، فرد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ التوارث إلىٰ الرحم دون عقد الأخوة.

وقد ضرب الأنصار أروع الأمثلة في تقديم المهاجرين علىٰ أنفسهم في أموالهم، فكانوا يتسابقون في مؤاخاتهم حتىٰ يؤُول الأمر إلىٰ الاقتراع، وكانوا يحكِّمونهم في بيوتهم، وأثاثهم، وأموالهم، وأرضهم، ويؤثرونهم علىٰ أنفسهم، ومن ذلك أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما آخىٰ بين عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن الربيع قال سعد بن الربيع لعبد الرحمن بن عوف: إني أكثر الأنصار مالا فأَقسم مالي نصفين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك، فسمها لي أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها، فقال عبدالرحمن بن عوف: بارك الله لك في أهلك، ومالك، وسأله عن السوق، فذهب؛ ليتاجر.

❁❁❁

أسئلة الدرس

السؤال الأول: من هو أول مولود للمهاجرين في الإسلام؟ ومن هي أمه؟ وأين ولدته؟

السؤال الثاني: من هو أول من تُوفي من المسلمين بعد مقدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة؟

السؤال الثالث: لماذا عقد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المؤاخاة بين المهاجرين، والأنصار؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الثامن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم علىٰ سيد المرسلين نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المبارك، وهذا هو الدرس الثامن من دروس السيرة النبوية من كتاب «**إسعاد البرية في السيرة النبوية**»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ بعض أحداث السنة الثانية من الهجرة، ومنها: غزوة الأبواء، وغزوة بُواط، وغزوة بدر الأولىٰ، وغزوة العُشيرة، وسَرِيَّة جُهينة، ومبعث عبد الله بن جحش إلىٰ نخلة، وتحويل القبلة من بيت المقدس إلىٰ الكعبة المشرَّفة، وفرض صيام رمضان.

هذا مجمل الأحداث، وإليكم التفصيل:

غزا النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صفر من السنة الثانية من الهجرة غزوة الأبواء، وهذه الغزوة هي أول غزوة غزاها النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنفسه الشريفة، وخرج مع النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المهاجرون خاصة، وذلك ليعترضوا تجارة لقريش، ولكنه لم يكن قتال بين المسلمين، والمشركين.

ثم غزا النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غزوة بُواط، وخرج مع النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مائتان من أصحابه، وذلك ليعترضوا تجارة لقريش، وكان فيها أُمية بن خلف الجُمَحي، ومائة رجل من قريش، ولكنه لم يكن قتال بين المسلمين، والمشركين.

ثم خرج النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يريد كُرْز بن جابر الفِهري؛ لأن كُرْزا قد أغار

علىٰ إبل، ومواشي المسلمين، فاستولىٰ عليها، فطلبه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ بلغ واديا يقال له: **سَفَوَان**، ولكنَّ كُرزا فات رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يلحقه، فرجع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ المدينة.

ثم غزا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العُشَيرة، وخرج معه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مائة وخمسون من أصحابه، وذلك ليعترضوا تجارة لقريش كانت ذاهبة إلىٰ الشام، ولكنَّ المشركين غادروا قبل أن يصل إليهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلم يحصل قتال بين المسلمين والمشركين.

ولما قدم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة جاءته قبيلة جُهينة، فقالوا: إنك قد نزلت بيننا، فاكتب لنا عهدا حتىٰ نأتيك فتعطينا الأمان، فكتب لهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عهدا، فأسلموا.

ويحكي لنا سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ما حدث في هذه السرية، فيقول: بعثنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رجب في أقل من مائة رجل، وأمرنا أن نُغير علىٰ حي من بني كِنانة إلىٰ جنب جُهينة، فأغرنا عليهم، وكانوا كثيرا، فلجأنا إلىٰ جُهينة، فمنعونا منهم، وقالو: لِمَ تقاتلون في الشهر الحرام؟، فقلنا: إنما نقاتل من أخرجنا من البلد الحرام في الشهر الحرام، فقال بعضنا لبعض: ما ترون؟ فقال بعضنا: نأتي نبي الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فنخبره، وقال قوم: لا، بل نقيم ها هنا، فقال سعد بن أبي وقاص، وأناس معه: لا، بل نأتي عير قريش فنقتطعها، فانطلقوا إلىٰ العِير، وانطلق بعضهم إلىٰ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبروه الخبر، فغضب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غضبا شديدا، وقال: «**أذهَبتم من عندي جميعا، وجئتم متفرقين، إنما أهلك من كان قبلكم الفُرْقة، لأبعثن عليكم رجلا ليس بخيركم، أصبركم علىٰ الجوع، والعطش**»، فبعث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبد الله بن جحش، ومعه اثنا عشر رجلا من المهاجرين، كل اثنين يعتقبان علىٰ بعير، فلما وصلوا إلىٰ نخلة انتظروا عيرا لقريش، وكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتب لعبد الله بن جحش كتابا، وأمره ألا ينظر فيه حتىٰ يسير يومين، ولا يستكره من أصحابه أحدا.

فلما فتح عبد الله بن جحش الكتاب وجد فيه: «**إذا نظرتَ في كتابي هذا فامض حتىٰ تنزل نخلةَ بين مكة والطائف، فترصُد بها قريشا، وتعلم لنا من أخبارهم**»، فقال عبدالله: سمعا وطاعة، ثم قال لأصحابه: قد أمرني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أمضي إلىٰ نخلة أرصُد بها قريشا حتىٰ آتيه منهم بخبر، وقد نهاني أن أستكره أحدا منكم، فمن كان منكم يريد الشهادة، ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع، فأما أنا فماضٍ لأمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومضىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومعه أصحابه جميعا لم يرجع منهم أحد، ولما كانوا في أثناء الطريق ضل بعير كان سعد بن أبي وقاص وعُتْبة بن غَزْوان يعتقبانه -أي يركب أحدهما تارة، ويركب الآخر تارة-، فتخلف سعد بن أبي وقاص، وعُتبة بن غزوان يبحثان عن البعير، وبعُد عبد الله بن جحش حتىٰ نزل بنخلة، فمرت به عير لقريش تحمل زبيبا وأُدما -أي جلدا-، وتجارة، فيها عمرو بن الحضرمي، وعثمان، ونَوفل ابنا عبد الله بن المغيرة، والحكم بن كيسان، فتشاور المسلمون، وقالوا: نحن في آخر يوم من رجب، فإن قاتلناهم انتهكنا حرمة الشهر الحرام، وإن تركناهم الليلة دخلوا الحرم، فلم نستطع أن نقاتلهم، ثم أجمع المسلمون علىٰ ملاقاة المشركين، فرمىٰ أحد المسلمين عمرو بن الحضرمي، فقتله، وأسروا عثمان بن عبدالله بن المغيرة والحكم بن كيسان، وهرب نوفل، ثم قدِموا بالبعير، والأسيرين علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة، وعزلوا خمس الغنيمة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقُسم الباقي علىٰ أصحاب السرية، وهذا أول خُمس في الإسلام، وأول قتيل في الإسلام، وأول أسيرين في الإسلام، فأنكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليهم ما فعلوه، وأبىٰ أن يأخذ من ذلك شيئًا، واشتد تَعنُّت قريش وإنكارهم ذلك، وقالوا: قد استحلَّ محمد، وأصحابه الشهر الحرام، وسفكوا فيه الدم، وأخذوا فيه الأموال، وأسروا فيه الرجال، فاشتد علىٰ المسلمين ذلك حتىٰ نزل قول الله تعالىٰ: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ [البقرة:٢١٧]، أي هذا الذي أنكرتموه عليهم يا معشر الكفار، وإن كان كبيرة، فما ارتكبتموه أنتم من الكفر

بالله، والصد عن سبيله وعن بيته، وإخراج المسلمين الذين هم أهله منه، والشرك الذي أنتم عليه والفتنة التي حصلت منكم به، أكبر عند الله تعالىٰ من قتال المسلمين في الشهر الحرام.

فلما نزل القرآن بهذا، قبض رسول الله نصيبه من الغنيمة، وبعثت قريش في فداء أسيريها، أما الحَكَم، فأسلم فحسن إسلامه، وأما عثمان بن عبد الله، فلحق بمكة ومات بها كافرا، ولما ذهب عن عبد الله بن جحش، وأصحابه ما كانوا فيه من الخوف حين نزل القرآن طمعوا في الأجر، فقالوا: يا رسول الله أنطمع أن تكون لنا غزوة، نُعطىٰ فيها أجر المجاهدين؟ فأنزل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢١٨﴾ ﴾ [البقرة:٢١٨].

وكان النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يصلي إلى قِبلة بيت المقدس، وكان يحب صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يوجَّه إلىٰ الكعبة، وقال لجبريل عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: «**وودتُ أن يصرفَ الله وجهي عن قبلة اليهود**»، فقال له جبريل: إنما أنا عبد، فادع ربك واسأله، وجعل النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يدعو ربه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مقلِّبا وجهه في السماء حتىٰ أنزل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ ﴾ [البقرة:١٤٤]، وكان ذلك بعد ستة عشرة شهرا من مقدم النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ المدينة، وكان لله عَزَّوَجَلَّ في جعل القبلة إلىٰ بيت المقدس، ثم تحويلها إلىٰ الكعبة حكم عظيمة، ومحنة للمسلمين، والمشركين، واليهود، والمنافقين؛ ليرىٰ من يتبع الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ممن ينقلب علىٰ عقبيه.

فأما المسلمون، فقالوا: سمعنا، وأطعنا.

وأما المشركون، فقالوا: كما رجع إلىٰ قبلتنا يوشك أن يرجع إلىٰ ديننا، وما رجع إليها إلا أنها الحق.

وأما اليهود، فقالوا: خالف قبلة الأنبياء قبله، لو كان نبيا لكان يصلي إلىٰ قبلة الأنبياء.

وأما المنافقون، فقالوا: وما يدري محمدٌ أين يتوجَّه، إن كانت الأولىٰ حقا فقد تركها، وإن كانت الثانية هي الحق فقد كان علىٰ باطل.

قال الله سبحانه: ﴿وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة:١٤٣].

وكان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ **قبل فرض صيام رمضان** يصوم يوم عاشوراء، فلما قدم المدينة صامه، وأمر بصيامه، فلما فُرض رمضان ترك يوم عاشوراء، فمن شاء صامه، ومن شاء تركه.

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة:١٨٣].

أسئلة الدرس

السؤال الأول: ما هي أول غزوة غزاها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ؟، وهل خرج الأنصار مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في هذه الغزوة، أم لا؟

السؤال الثاني: اكتب مجملا لسرية عبد الله بن جحش إلىٰ نخلة ما لا يزيد عن خمسة أسطر.

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس التاسع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم علىٰ سيد المرسلين نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المتميز، وهذا هو الدرس التاسع من دروس السيرة النبوية من كتاب «**إسعاد البرية في السيرة النبوية**»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ غزوة بدر الكبرىٰ.

لما سمع النبي ﷺ بأبي سفيان بن حرب مقبِلا من الشام في عير لقريش عظيمة حث المسلمين علىٰ الخروج إليه، وقال: «**هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله يُنفلكُمُوها**»، أي يجعلها لكم غنيمة.

فخرج بعض الناس، وبقي آخرون، وذلك لأنهم لم يظنوا أن النبي ﷺ سيلقىٰ قتالا، ولما دنا أبو سفيان من الحجاز تخوف علىٰ تجارته، فكان يتجسس الأخبار حتىٰ قيل له: إن محمدا قد استنفر أصحابه لك ولعيرك، وهنا حذر أبو سفيان فأرسل إلىٰ قريش يخبرهم بهذا الخبر؛ ليمنعوه من محمد ﷺ وأصحابه، ولما علمت قريش بهذا خرجوا جميعا سوىٰ أبي لهب بعث مكانه العاصيَ بن هشام، ولم يخرج أيضًا معهم بنو عدي.

ولما تجهز الكفار لملاقاة رسول الله ﷺ تذكروا الحرب التي كانت بينهم وبين بني بكر بن كنانة، فقالوا: إنا نخشىٰ أن يأتونا من خلفنا، فكادَ ذلك

أن يُثنيهم عن الخروج، فتبدىٰ لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك، وقال لهم: أنا لكم جارٌ من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه، أي أنا أحميكم من كنانة من خلفكم.

فخرجوا لملاقاة رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخرج النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، واستخلف علىٰ المدينة، وعلىٰ الصلاة بالناس ابنَ أُمِّ مَكتوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي أثناء الطريق ردَّ أبا لبابة بن عبد المنذر واستعمله علىٰ المدينة، وكان أمامَ رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رايتان سوداوان: إحداهما مع عَلي، والأخرىٰ مع سعد بن معاذ، وجعل علىٰ السَّاقة -وهم الذين يكونون خلف الجيش- قيسَ بن أبي صعصعة، ودفع النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الراية يومئذ إلىٰ مُصعب بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان لواء أبيض، ولكن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يتجهز التجهز الكامل، فخرج مسرعًا في ثلاثمائة وسبعةَ عشر رجلا، ولم يكن معهم يومئذ من الخيل إلا فرسان: فرس للزبير، وفرس للمقداد، وكان معهم سبعون بعيرا، يعتقب الرجلان والثلاثة علىٰ البعير الواحد، ولما علم النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخروج قريش لملاقاته استشار أصحابه، وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فتكلم كلاما حسنا، ثم قام عمر فتكلم كلاما حسنا، ثم قام المقداد، فقال: يا رسول الله امض لِمَا أراك الله، فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسىٰ: فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرتَ بنا إلىٰ بَرْك الغِمَاد -هذا موضع بناحية اليمن-، لجَالَدْنَا معك مَن دونه، -أي لقاتلنا معك من دون هذا الموضع- حتىٰ تبلغه.

فقال له رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيرا، ودعا له، ثم قال رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أشيروا عليَّ أيها الناس، وكان يعني الأنصار، وذلك لأن الأنصار حينئذ كانوا أكثر الناس عددا، وأنهم حين بايعوه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعَقبة قالوا: يا رسول الله إنا برآء من ذمامك حتىٰ تصل إلىٰ ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه

أبناءنا ونساءنا، يعني كان العهد الذي بين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والأنصار يقتضي حماية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المدينة فقط، أما إذا خرج للقتال ونحوه خارج المدينة، فليس للأنصار نصرة، فكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتخوف ألا تكون الأنصار ترىٰ عليها نُصرة إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلىٰ عدو خارج بلادهم.

فلما قال ذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أجل**».

فقال سعد: لقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك علىٰ ذلك عهودنا ومواثيقنا، علىٰ السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر، فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكْره أن تلقىٰ بنا عدونا غدا، إنا لصُبُر في الحرب، صُدُق في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقرُّ به عينك فسِر بنا علىٰ بركة الله، ففرح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما سمع من أصحابه، ثم قال: «**سيروا وأبشروا، فإن الله تعالىٰ قد وعدني إحدىٰ الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلىٰ مصارع القوم**»، أي مواضع قتلهم.

ورأىٰ أبو سفيان أنه قد نجا بعيره فأرسل إلىٰ قريش: أن ارجعوا، فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتىٰ نأتي بدرا، ونقيم بها، فننحر الجُزُر -الجزر: جمع جزور، وهو البعير-، ونُطعم الطعام، ونسقي الخمر، وتسمع بنا العرب، وبمسيرنا، وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها، وأمرهم بالمضي لملاقاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهنا أشار أحد بني زُهرة علىٰ الكفَّار بالرجوع، فعصوه، فرجع هو وبنو زهرة فلم يشهدوها، وأرادت بنو هاشم الرجوع، فاشتد عليهم أبو جهل، فأطاعوه، وساروا معه.

ثم ارتحل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنزل قريبا من بدر، فركب هو وأبو بكر حتىٰ وقف علىٰ رجل من العرب، واستعلم منه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن قريش.

ولما أمسىٰ رسول الله ﷺ بعث عليا، والزُّبير، وسعد بن أبي وقاص، ومعهم نفر من أصحابه إلىٰ ماء بدر يلتمسون الخبر، فأصابوا إبلا عليها ماء لقريش فيها غلامان فأتوا بهما رسول الله ﷺ، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**ما عِدَّتهم؟**».

قالا: لا ندري.

قال: «**كم ينحرون كل يوم؟**».

قالا: يوما تسعا، ويوما عشرا.

فقال رسول الله ﷺ: «**القوم فيما بين التسعمائة، والألف**».

ولما نزل النبي ﷺ بالقرب من بدر قال له الحُبَاب بن المنذر: يا رسول الله هذا المنزل أمنزلا أنزلك الله ليس لنا أن نتقدم، ولا نتأخر عنه أم هو الرأي، والحرب، والمكيدة؟

أي هل هذا المنزل الذي نزلتَ فيه هو أمر من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يجوز لنا أن نتقدمه، أو نتأخره؟ أم هو الرأي، والحرب، والمكيدة؟

فقال النبي ﷺ: «**بل هو الرأي، والحرب، والمكيدة**».

فقال: يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتىٰ تأتي أدنىٰ ماء من القوم فننزله، ثم نغوِّر ما وراءه من القُلُب.

نُغَوِّر: أي ندفن، **القُلُب**: جمع قليب، وهو البئر.

قال: ثم نبني عليه حوضا فنملأه ماء، ثم نقاتل القوم، فنشرب، ولا يشربون.

فقال له النبي ﷺ: «**لقد أشرتَ بالرأي**»، فأمر النبي ﷺ الجيش أن ينزل بالمكان الذي أشار إليه الحُبَاب بن المنذر.

وأشار سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ النبي ﷺ أن تُبنىٰ له خيمة، فأثنىٰ عليه رسول الله ﷺ خيرا، ودعا له بخير، ثم بُني لرسول الله ﷺ خيمة، فكان فيها.

ومشىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في موضع المعركة، وجعل يُشير، ويقول: «**هذا مصرع فلان غدا إن شاء الله**»، فما أخطؤوا الحدود التي حدَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولما استقرت قريش علىٰ ملاقاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرسلوا أحدهم، ليأتيهم بعدد المسلمين، فذهب، ثم رجع إليهم، فقال: ما وجدتُ شيئًا، ولكني قد رأيتُ يا معشر قريش البلايا تحمل المَنايا نواطح يثرب تحمل الموتَ الناقع، قوم ليس معهم مَنَعَة ولا ملجأ إلا سيوفهم، والله ما أرىٰ أن يقتل رجل منهم حتىٰ يَقتل رجلا منكم، فإذا أصابوا منكم أعدادهم، فما خير العيش بعد ذلك، فتفكروا في رأيكم.

وهنا أشار حكيم بن حِزام علىٰ المشركين بالرجوع إلىٰ مكة، ولكنَّ أبا جهل أبىٰ إلا ملاقاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولما رأىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كفار قريش قال: «**اللهم هذه قريش قد أقبلت بخُيلائها وفخرها تحادُّك، وتكذِّب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني، اللهم أَحنهم الغداة**».

وخرج من المشركين الأسود بن عبد الأسد وقال: أعاهد الله لأشربنَّ من حوضهم، أو لأهدمنه، أو لأموتن دونه، فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فقتله حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهذا أول قتيل من الكفار، ثم خرج بعده عُتبة بن ربيعة بين أخيه شَيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عُتبة، فدعا إلىٰ المبارزة، فخرج إليه ثلاثة فتية من الأنصار: عوف، ومعوِّذ ابنا الحارث، وعبد الله بن رواحة، فقال المشركون لهم: من أنتم؟ فقالوا: رهط من الأنصار، فقال المشركون: أَكْفاء كرام، وإنما نريد بني عمنا، أي نريد أن نقاتل بني عمنا -أي المهاجرين-، ثم نادىٰ أحدهم: يا محمد، أخرج إلينا أكفَاءَنا من قومنا، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قم يا عبيدة بن الحارث، وقم يا حمزة، وقم يا عَلي، فقتل حمزة شَيبةَ بن ربيعة، وقتل عليٌّ الوليدَ بن عُتبة، أما عبيدة فضرب عُتبة ضربة لم يقم معها، وضربه عُتبة ضربة لم يقم معها، ثم كرَّ حمزة وعليٌّ فقتلا عُتبةَ، واحتملا عبيدة إلىٰ معسكر المسلمين.

ولما اشتدت الحرب استقبل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القبلة، ثم مد يديه، فجعل صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستغيث بالله رافعا صوته: «**اللهم انجزْ لي ما وعدتني، اللهم آتِ ما وعدتني، اللهم إن تُهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض**»، فما زال يستغيث بربه مادًّا يديه مستقبل القبلة حتىٰ سقط رداؤه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن منكبيه، فأنزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾ [الأنفال:٩].

ودعا المسلمون ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ واستغاثوه، فأوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ ملائكته: ﴿أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ۝١٢﴾ [الأنفال:١٢]، وخرج رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ الناس، وقال لهم: «**والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مُدْبِر إلا أدخله الله الجنة**».

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه: «**قوموا إلىٰ جنة عرضها السموات والأرض**».

وقاتل الملائكة مع المسلمين، ولما اشتد القتال، ورأىٰ إبليس جند الله قد نزلت من السماء فر ونكص علىٰ عقبيه، فقالوا له: إلىٰ أين يا سُراقة؟ ألم تكن قلت: إنك جار لنا لا تفارقُنا؟، فقال كما أخبر الله: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٤٨﴾ [الأنفال:٤٨].

وبينما المسلمون صفوف لملاقاة أعداء الله، إذ بعبد الرحمن بن عوف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقف عن يمينه غلام، وعن شماله غلام، فقال أحدهما له: يا عم، هل تعرف أبا جهل؟ فقال: نعم، وما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ فقال الغلام: أُخبرت أنه يسب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والذي نفسي بيده لئن رأيتُه لا يفارق سوادي سوادَه حتىٰ يموت الأعجلُ منا، أي لن أتركه حتىٰ يموت، أو أموت.

فتعجب عبد الرحمن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لذلك، فقال له الغلام الآخر مثل ما قال الغلام الأول، فلما رأىٰ عبد الرحمن بن عوف أبا جهل قال لهما: ألا إنَّ هذا صاحِبكما

الذي سألتماني، فأسرعا إليه فضرباه حتىٰ قتلاه، وبعد انتهاء المعركة وجده عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبه رَمق فقضىٰ عليه.

ولما انقضت الحرب أقبل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ وقف علىٰ قتلىٰ الكفار، فقال: «**بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم، كذَّبْتموني وصدَّقني الناس، وخذلتموني ونصرني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس**»، ثم أمر بهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأُلقوا في قليب بدر.

وقد قتل المسلمون من الكفار يومئذ سبعين، وأسروا سبعين، وقُتل من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلا.

ثم أقبل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ راجعا إلىٰ المدينة، وقد خافه كل عدو له بالمدينة وحولها، وأسلم بَشر كثير من أهل المدينة، وحينئذ دخل عبد الله بن أُبي المنافق، وأصحابه في الإسلام ظاهرا.

أسئلة الدرس

السؤال الأول: كم عدد المسلمين الذين خرجوا في غزوة بدر مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ ومن هو حامل راية المسلمين يومئذ؟ وكم كان عدد المشركين يومئذ؟

السؤال الثاني: بم أشار الحُبَاب بن المنذر علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس العاشر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المتميز، وهذا هو الدرس العاشر من دروس السيرة النبوية من كتاب «**إسعاد البرية في السيرة النبوية**»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ ما تبقىٰ من أحداث السنة الثانية من الهجرة، ومنها: فرض زكاة الفطر، والزكاة ذات النُّصُب، ووفاة رقية بنت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، ومقتل عصماء بنت مروان اليهودية، وأول صلاة عيد في الإسلام، ومقتل أبي عَفَك اليهودي، وغزوة الكُدْر، وهجرة زينب بنت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ من مكة إلىٰ المدينة، وزواج علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ بفاطمة بنت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وإسلام عُمير بن وهب حينما رأىٰ علامة من علامات النبوة، وإجلاء يهود بني قَينُقَاع عن المدينة، وغزوة السَّويق، ووفاة عثمان بن مظعون رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، وكتابة المَعاقل.

هذا مجمل الأحداث، وإليكم التفصيل:

فرض الله عَزَّ وَجَلَّ على المسلمين زكاة الفطر قبل العيد بيومين، وخطب صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قبل الفطر بيوم في الناس يعلِّمهم زكاة الفطر، وقد «**فرض الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ زكاة الفطر صاعا من تمر، أو صاعا من شعير علىٰ العبد، والحر، والذكر، والأنثىٰ، والصغير والكبير، من المسلمين، وأمر بها أن تؤدىٰ قبل خروج الناس إلىٰ الصلاة**»، يعني يجب

علىٰ كل مسلم ذكرا كان أو أنثىٰ، صغيرا كان أو كبيرا صاع من طعام في زكاة الفطر، والصاع: أربعة أمداد، والمُدُّ: مِلء كفي الرجل المعتدل ليس الكبير، وليس الصغير، ويجب أن تؤدىٰ قبل الخروج إلىٰ صلاة العيد.

وفرض الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الزكاة ذات النُّصب، وهي زكاة الأموال، وذلك بعد ظهور القوة والغنىٰ في المسلمين، فإذا بلغ الذهب خمسا وثمانين جراما عيار أربعة وعشرين وجب أن يؤدىٰ ربع العشر منه، وإذا بلغ المال المُعَدُّ للتجارة، أو المال المدَّخر ستمائة جرام فضة عيار ألف وجب أن يؤدىٰ منه ربع العشر، أي خمس وعشرون عن كل ألف، وهكذا في باقي الأموال التي تجب فيها الزكاة، والزكاة لا تصرف إلا في الأصناف الثمانية التي ذكرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠﴾ [التوبة:٦٠].

وعند مرجع رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بدر توفيت رقية بنت رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي زوجة عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقد جاء النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فوجد عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ واقفا علىٰ قبرها يدفنها، وكان تمريضها منعه عن شهود غزوة بدر، وذلك أن عثمان استأذن رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التخلف عن خروجه إلىٰ بدر لمرض ابنته رقية، وكان عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ تزوج رقية بمكة في الجاهلية، وهاجر معها إلىٰ الحبشة كما تقدم.

وكان بعض اليهود يُؤذون النبيّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويحرِّضون عليه، ومنهم امرأة اسمها عصماء بنت مروان، فكانت تؤذي النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتقول شعرا تعيب فيه الإسلام وأهله، فجاءها عُمير بن عَدي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في جوف الليل حتىٰ دخل عليها بيتها وقتلها، ثم صلىٰ الصبح مع النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة، فقال له رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أقتلتَ ابنة مروان؟**».

قال: نعم، فهل عليَّ في ذلك من شيء؟

فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا ينتطح فيها عَنْزَان**»، أي إن شأنها هَيِّنٌ لا يكون فيه طلب ثأر، ولا اختلاف.

وسماه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُميرا البصير، وكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ضرير البصر.

وشرع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى للمسلمين صلاة العيد في الفضاء، فخرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالناس إلىٰ الفضاء؛ ليصلي بهم صلاة العيد، يهلِّلون، ويكبِّرون، ويعظِّمون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وصلىٰ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير أذان، ولا إقامة ركعتين، ثم خطب بعدهما خطبة العيد.

وفي شوال من السنة الثانية من الهجرة قتل سالم بن عمير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أبا عَفَك اليهودي؛ وذلك لأن أبا عَفَك كان يحرِّض علىٰ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويقول شعرا في ذم الإسلام وأهله، فقال سالم بن عمير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عليَّ نذر أن أقتل أبا عفك، أو أموت دونه، ثم ذهب إليه فقتله.

ولم يقم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيرا في المدينة بعد غزوة بدر بل نهض بنفسه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى غزو بني سُليم، وخرج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ بلغ موضع ماء يقال له: **الكُدْر** فقام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه ثلاث ليال، ثم رجع إلىٰ المدينة، ولم يلقَ حَربا.

وكان من أسارى بدر أبو العاص بن الربيع، وهو زوج زينب بنت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في فداء أبي العاص بن الربيع بمال، وبعثت بهذا المال بِقِلادة لها كانت خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أعطتها لها حين تزوجت، فلما رأىٰ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القِلادة رقَّ لها رِقة شديدة، وقال: «**إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها** -يعني أبا العاص بن الربيع- **وتردُّوا عليها مالها، فافعلوا**».

فقالوا: نعم يا رسول الله، فأطلقوه، وردوا عليها الذي لها.

وبعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زيد بن حارثة، ورجلا من الأنصار، ليأتيا

بزينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ولما قدم أبو العاص مكة، أمرها باللحاق بأبيها، فخرجت، وكان هذا بمقتضىٰ ما شرط أبو العاص للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وتزوج علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **بفاطمة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وذلك بعد سنة من الهجرة، وابتنىٰ بها بعد ذلك بسنة أخرىٰ، وهي أول زوجة تزوجها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولم يتزوج عليها حتىٰ توفيت، وجهَّز النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاطمة في خَميل، وقِربة، ووسادة حشوها إذخر.

والخميل: هو القطيفة، **والإذخر**: حشيشة طيبة الرائحة، كانت البيوت تسقف بها فوق الخشب.

وقد ولدت فاطمة لعلي الحسن، والحسين، ومُحسِّن وتوفي صغيرا، كما ولدت زينب، وأم كلثوم، وأم كلثوم هذه تزوجها عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وذات يوم جلس عُمير بن وهب الجُمحي مع صفوان بن أمية في حجر الكعبة بعد غزوة بدر بيسير، وكان عمير بن وهب شيطانا من شياطين قريش، وكان يؤذي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه إيذاء شديدا، وكان ابنه وهب بن عُمير في أسرىٰ بدر، فذكر أصحاب القليب ما أصابهم، فقال صفوان: والله ليس في العيش خير بعدهم، فقال عمير: صدقتَ والله، أما والله لولا دَين عليَّ ليس له عندي قضاء، وعيال أخشىٰ عليهم الضَّيعَة بعدي لركبتُ إلىٰ محمد حتىٰ أقتله، فاغتنم صفوان هذه، وقال: عليَّ دينك أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا، فقال له عمير: فاكتم شأني وشأنك، قال صفوان: أفعل، ثم أمر عمير بسيف فشُحذ له، وسُمَّ.

شُحِذ: أي حُدِّد، **وسُم**: أي وُضع السُّم فيه.

ثم انطلق حتىٰ قدم المدينة، فبينما عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر إذ نظر عمر إلىٰ عُمير بن وهب حين أناخ علىٰ باب المسجد متوشِّحا السيف، فقال عمر: هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب، والله ما جاء إلا لشر، وهو الذي حرَّش بيننا، وحزَرَنا للقوم يوم بدر.

حرش: أي أفسد، **وحزرنا**: أي قدَّر عددنا.

ثم دخل عمر علىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا نبي الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشِّحا سيفه، فقال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فأدخله عليَّ**»، فأقبل عمر حتىٰ أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلبَّبه بها، أي لفَّه علىٰ عنقه، وشدَّه منه.

وقال لرجال ممن كانوا معه من الأنصار: ادخلوا علىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاجلسوا عنده، واحذروا عليه من هذا الخبيث، فإنه غير مأمون، ثم دخل به علىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلما رأىٰ ذلك النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**أرسله يا عمر، ادنُ يا عُمير**»، فدنا عمير، ثم قال: أنعَموا صباحا، وكانت هذه تحية أهل الجاهلية بينهم، فقال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عُمير بالسلام، تحية أهل الجنة**».

فقال عمير: أما والله يا محمد إن كنت بها لحديث عهد، فقال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فما جاء بك يا عُمير؟**»، قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه، فقال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فما بال السيف في عنقك؟**»، قال عمير: قبَّحها الله من سيوف، وهل أغنت عنا شيئًا؟، فقال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اصدُقْني، ما الذي جئتَ له؟**»، قال عمير: ما جئت إلا لذلك، فقال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بل قعدتَ أنت وصفوان بن أُمية في الحجر فذكرتما أصحاب القليب من قريش، ثم قُلتَ: لولا دَين عليَّ، وعيال عندي، لخرجتُ حتىٰ أقتل محمدا، فتحمَّل لك صفوان بدينك، وعيالك علىٰ أن تقتلني له، والله حائل بينك، وبين ذلك**».

قال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله نكذِّبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المساق، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، فقال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فقِّهوا أخاكم في دينه، وأقرئُوه القرآن، وأطلقوا له أسيره**»، ففعلوا.

ثم قال: يا رسول الله إني كنتُ جاهدا علىٰ إطفاء نور الله، شديد الأذىٰ لمن كان

علىٰ دين الله عَزَّوَجَلَّ، وأنا أحب أن تأذن لي فآتي مكة، فأدعوهم إلىٰ الله تعالىٰ، وإلىٰ رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وإلىٰ الإسلام لعل الله يهديهم، وإلا آذيتهم في دينهم كما كنتُ أؤذي أصحابك في دينهم، فأذن له النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فلحق بمكة، وكان صفوان بن أُمية حين خرج عمير بن وَهْب يقول لأهل مكة: أبشروا بوقعة تأتيكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر، وكان صفوان يسأل عن عمير الركبان حتىٰ قدم راكب، فأخبره عن إسلامه، فحلف ألا يكلمه أبدا، ولا ينفعه بنفع أبدا، فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلىٰ الإسلام، ويؤذي من خالفه أذىٰ شديدا، فأسلم علىٰ يديه ناس كثير.

ولما انتصر رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ على قريش يوم بدر، وقدم المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع، فقال: «**يا معشرَ يهود أسلموا قبل أن يصيبكم مثلُ ما أصاب قريشا**».

قالوا: يا محمد لا يَغرنَّك من نفسك أنك قتلتَ نفرا من قريش كانوا أغمارا لا يعرفون القتال، إنك لو قاتلتنا لعرفتَ أنا نحن الناس، وأنك لم تلقَ مثلنا، فأنزل الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾ [آل عمران:١٢-١٣].

واشتد غيظ اليهود علىٰ المسلمين، وأظهروا البغي والحسد، ونبذوا العهد الذي كان بينهم وبين المسلمين؛ لأجل ما من به الله تعالىٰ علىٰ المسلمين يوم بدر، فجعلوا يكيدون بالمسلمين المكائد؛ للإيقاع بهم، وصرفهم عما جاءهم من الحق.

والسبب في جلاء يهود بني قَينُقَاع عن المدينة: أن امرأة من المسلمين قدمت سوق بني قَينُقاع فباعت متاعا لها ثم جلست إلىٰ صائغ يهودي بالسوق، والصائغ هو بائع الذهب.

فجعل بنو قَينُقَاع يحاولون كشف وجهها فأبت المرأة، فعقد الصائغ طرف ثوبها

بشيء خلفها، فلما قامت المرأة، انكشفت سوأتها فضحكت اليهود، فصاحت المرأة، فقام رجل من المسلمين فقتل الصائغ، ثم قتلتِ اليهود الرجل المسلم، فغضب المسلمون غضبا شديدا، وكان هذا أولَ غدر من اليهود، فخرج رسول الله ﷺ لحصارهم يومَ السبت، فحاربَ بنو قَينُقَاع، وتحصنوا في حصنهم، فحاصرهم النبي ﷺ أشد الحصار خمسة عشر ليلة حتىٰ قذف الله في قلوبهم الرعب، فنزلوا علىٰ حكم رسول الله ﷺ: أن لرسول الله ﷺ أموالهم، وأن لهم النساء والذرية، فأمر بهم فكُتِّفوا، والذرية هي الأطفال.

فشفع فيهم عبد الله بن أُبي بن سَلول، وألحَّ علىٰ النبي ﷺ، فأطلقهم النبي ﷺ له، وكانوا سبعمائة مقاتل، وأمر رسول الله ﷺ بني قَينُقاع أن يُجلَوا من المدينة، ولم يأمر بقتلهم، فلحقوا بأذرُعَات الشام، وأخذ النبي ﷺ سلاحهم.

ولما رجع المشركون إلى مكة منهزمين من غزوة بدر نذر أبو سفيان ألا يمس رأسه ماء حتىٰ يغزو رسول الله ﷺ، فخرج في مائتي راكب حتىٰ أتىٰ طرف المدينة، وقتل رجلا من الأنصار، ثم رجع هاربا، فنذر به رسول الله ﷺ، فخرج في طلبه، ولكنه لم يلحق به، فطرح الكفار سويقا كثيرا من أزوادهم؛ ليتخففوا، فأخذها المسلمون، فسمِّيت **غزوة السَّويق**، والسَّويق هو قمح أو شعير يُقلىٰ، ثم يطحن فيتزود به مخلوطا بماء، أو سمن، أو عسل.

وفي ذي الحجة من السنة الثانية من الهجرة مات عثمان بن مظعون رضي الله عنه، فبكىٰ عليه رسول الله ﷺ، فقالت امرأة: هنيئا لك الجنة عثمانَ بن مظعون، فنظر إليها رسول الله ﷺ نظر غضبانَ، فقال: «**وما يدريكِ؟**»، قالت: يا رسول الله فارسك، وصاحبك، فقال النبي ﷺ: «**والله إني رسول الله وما أدري ما يُفعل بي**».

ولما ماتت زينب ابنة رسول الله ﷺ قال النبي ﷺ: «**الحقي بسلفنا الخير عثمان بن مظعون**».

وكتب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتابا بين المهاجرين والأنصار أن يَعْقِلوا معاقلهم، وأن يفدوا عانيَهم بالمعروف والإصلاح بين المسلمين.

ومعنى «يعقلوا معاقلهم»: أي يؤدوا دياتهم، والمَعَاقل هي الديات.

ومعنى «أن يَفدوا عانيهم»: أي أسيرهم، بأن يسعوا في خلاصه بمال، أو وغيره.

ومعنى قوله: «بالمعروف»: أي بحيث لا يرتكبون في ذلك محرَّما.

وكان هذا الكتاب معلَّقا بسيف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي عيد الأضحى من هذه السنة ضحَّى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكبشين أَمْلحين أقرنين، ذبحهما بيده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسمىٰ، وكبَّر.

وأملحين: مثنىٰ أملح، وهو الأبيض الخالص البياض.

وأقرنين: أي لكل واحد منهما قرنان حَسَنان.

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند ذبح الكبش الأول: «**عن محمد، وآل محمد**»، وقال عند الذبح الآخر: «**عمن آمن بي، وصدَّقني من أمتي**».

وهذا من خصائص رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الشاة لا تجزئ أكثر من واحد، وإنما يجوز إشراك الغير في الأجر.

❁❁❁

أسئلة الدرس

السؤال الأول: من تُوفي من المسلمين في السنة الثانية من الهجرة؟ ومن قُتل من اليهود؟

السؤال الثاني: اكتب ما لا يقل عن سبعة أسطر عن إجلاء يهود بني قَينُقاع عن المدينة.

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الحادي عشر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المبارك، وهذا هو الدرس الحاديَ عشر من دروس السيرة النبوية من كتاب «**إسعاد البرية في السيرة النبوية**»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ بعض أحداث السنة الثالثة من الهجرة، ومنها: غزوة نجد، ومقتل كعب بن الأشرف اليهودي بأمر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وزواج عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من أم كُلثوم بنت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وغزوة الفُرُع، وسرية زيد بن حارثة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلىٰ القِرَدة، وزواج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حفصة بنت عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وزواج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من زينب بنت خُزيمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، ومولد الحسن بن عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

هذا مجمل الأحداث، وإليكم التفصيل:

لما رجع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **من غزوة السَّويق** بلغه أن جمعا من غطفان تجمعوا بموضع يسمىٰ **بذي أَمَرٍّ** يريدون حرب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن يصيبوا من أطراف المدينة، فحث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسلمين علىٰ الخروج، وخرج إليهم من المدينة نحو نجد، وفي طريقهم أمسك المسلمون برجل من بني ثَعلبة، فلما أُدخل علىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أخبره خبر المشركين، وقال: لن يلاقُوك، ولو سمعوا بمسيرك لهربوا في رؤوس الجبال، وأنا سائرٌ معك، فدعاه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

إلىٰ الإسلام فأسلم، وأقام رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنجد شهر صفر كله، ثم رجع إلىٰ المدينة، ولم يلق حربًا.

وكان كعب بن الأشرف رجلاً يهوديًّا، وكان شديد الأذىٰ لرسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان يتغزل في أشعاره بنساء الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فلما كانت وقعة بدر، ذهب إلىٰ مكة، وحرَّض علىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم رجع إلىٰ المدينة علىٰ تلك الحال، فقال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ؟ فَإِنَّهُ قَدْ أَذَىٰ الله وَرَسُولَهُ**».

فقال محمد بن مَسْلَمة: يا رسول الله، أتحبُّ أن أقتله؟

فقال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نعم**».

فقال محمد بن مَسْلَمَة: فأذن لي أن أقول شيئًا.

أي ائذن لي أن أقول عني، وعنك ما رأيتُه مصلحة من التعريض وغيره.

فقال له النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قل**»، فذهب محمد بن مَسْلَمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ كعب بن الأشرف، فقال له: إن هذا الرجل -يعني النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قد سألنا صدقة، وإنه قد عنَّانَا -أي أوقعنا في العناء، والتعب-، وإني قد أتيتك أستسلفك.

قال كعب: وأيضًا والله لَتَمَلُّنَّه.

فقال محمد بن مَسْلَمَة: إنا قد اتبعناه، فلا نحب أن ندعه حتىٰ ننظر إلىٰ أي شيء يصير شأنه، وقد أردنا أن تسلفنا وسْقًا، أو وسقين.

الوسق يساوي ستين صاعا، **والصاع** يساوي أربعة أمداد، **والمُد** يساوي ملء كفي الرجل المعتدل.

فقال كعب بن الأشرف: نعم، ارهنوني نساءكم، أي أعطوني نساءكم رهنا.

قالوا: كيف نرهنك نساءنا، وأنت أجمل العرب؟

قال: فارهنوني أبناءكم.

قالوا: كيف نرهنك أبناءنا، فيُسب أحدهم، فيقال، رُهن بوَسْق، أو وَسْقَين، هذا عار علينا، ولكنا نرهنك اللَّأْمَة، أي السلاح.

فوعده أن يأتيه، فجاءه ليلًا، ومعه أبو نائلة، وهو أخو كعب من الرضاعة، فدعاهم إلىٰ الحصن، فنزل إليهم، فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟ فقال: إنما هو محمد بن مَسْلَمة، وأخي أبو نَائلة، قالت: أسمع صوتا كأنه يقطر منه الدم، فقال كعب: إنما هو أخي محمد بن مَسلمة ورضيعي أبو نائلة، إن الكريم لو دُعي إلىٰ طعنة بليل لأجاب.

وجاء محمد بن مَسْلمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ معه برجلين، فقال للرجلين: إذا ما أجاء فإني قائلٌ بشعره فأشَمُّه، فإذا رأيتموني استمكنتُ من رأسه فدونكم فاضربوه، فنزل إليهم متوشِّحا، وهو يفوح منه ريح الطيب، متوشِّحا، أي متلبِّسا بثوبه، وسلاحه.

فقال محمد بن مَسلمة: ما رأيتك اليوم ريحا أَعطر -أي ما رأيت ريحا أطيب في يوم مثل هذا اليوم- أتأذن لي أن أشم رأسك.

فقال كعب: نعم، فشمه، ثم أشم أصحابه، ثم قال: أتأذن لي.

قال: نعم، فلما استمكن منه قال: اضربوا عدو الله، فضربوه، فاختلفت عليه أسيافهم فلم تُغن شيئًا.

قال محمد بن مسلمة: فذكرت مِغولا في سيفي، مغولا: أي السكين التي تكون في السوط.

وقد صاح عدو الله صيحة شديدة أفزعت من حوله، فلم يبق حولهم حصنا إلا وقد أُوقد عليه نار؛ ليروا ما الخبر، قال محمد بن مسلمة: فوضعته في ثُنَّته، ثم تحاملت عليه حتىٰ بلغتُ عانَته، فوقع عدو الله.

وثُنَّته: أي ما بين سُرته، وعَانَته.

وجاء محمد بن مسلمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ومعه الرجلان حتىٰ قدموا علىٰ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من آخر الليل، وهو قائم يصلي، فسلموا عليه، فخرج إليهم رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فأخبروه بقتل عدو لله، ورجعوا إلىٰ أهليهم، فأصبحوا وقد خافت اليهود لِما فُعل بعدو الله كعب، فليس بالمدينة يهودي إلا وهو يخاف علىٰ نفسه.

وزوَّج رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ابنته أُم كُلثوم رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا لعثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ

بعد موت أختها رقية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكان هذا في شهر ربيع الأول، وقد توفيت أم كلثوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ولم تلد لعثمان ولدا، وكانت أم كلثوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قبل النبوة زوجة لعُتَيبة بن أبي لهب، فأمره أبوه أبو لهب أن يفارقها؛ لأجل الإسلام، ففارقها، ولم يكن دخل بها.

ثم خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شهر ربيع الآخر، ومعه ثلاثمائة من أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يريد قريشا، وبني سُليم، فلما بلغ بُحران من ناحية **الفُرُع**، والفُرُع قرية في ناحية المدينة فأقام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شهر ربيع الآخر، وجُمادىٰ الأولىٰ، ثم رجع إلىٰ المدينة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يَلقَ حربًا.

ولما بلغ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أبا سفيان بن حرب خرج في تجارة عظيمة بعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومعه مائة راكب إلىٰ القِرَدة؛ ليعترض تجارة قريش، فلما جاءهم زيد بن حارثة هربوا، وتركوا العير وما فيها، فقدم زيد بالعير علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فخمَّسها، وتخميس الغنيمة يكون بتقسيم أربعة أخماسها علىٰ المجاهدين، وصرف الخمس الخامس لله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويُصرف في مصالح المسلمين.

وفي شهر شعبان تزوَّج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حفصة بنت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكانت متزوجةً من خُنَيس بن حُذافة فتوفي عنها بالمدينة، وكان من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد شهد بدرا.

ويحكي لنا عمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قصة زواج ابنته حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيقول: لما تُوفي خُنيسٌ، لقيت عثمان بن عفان فعرَضتُ عليه حفصة، فقلت: إن شئتَ أنكحتُك حفصة بنت عمر، قال عثمان: سأنظر في أمري، فلبثتُ ليال، فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا.

قال عمر: فلقيتُ أبا بكر، فقلت: إن شئتَ أنكحتُك حفصةَ بنت عمر، فصمت أبو بكر فلم يرجع إليَّ شيئًا، يعني لم يردَّ علىٰ عمرٍ بقبول، أو رفض.

فقال عمر: فكنت عليه أوجدَ مني علىٰ عثمان، أي كنتُ أشد حُزنًا منه من حزني علىٰ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لعدم قَبوله.

قال عمر: فلبثت ليالي، ثم خطبها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأنكحتها إياه، فلقيني

أبو بكر، فقال: لعلَّك وجدتَ عليَّ حين عرضتَ عليَّ حفصة فلم أرجع إليك، أي لعلك غضبت مني حينما لم أردَّ عليك حينما عرضتَ عليَّ ابنتك حفصة.

قال عمر: نعم، قال أبو بكر: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت إلا أني قد علمت أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد ذكرها، أي بما يدل علىٰ أنه يرغب في زواجها.

قال: فلم أكن لأفشي سرَّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولو تركها لقبلتُها.

وفي شهر رمضان تزوج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زينبَ بنت خزيمة، وكانت تسمىٰ أم المساكين، وذلك لرحمتها إياهم، ورِقتها عليهم، وكانت قبل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متزوجة من رجلين، وماتت في حياة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي أول نساء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موتا.

ولما وُلد الحسن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سماه علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حربًا، فجاء رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: أروني ابني ما سميتموه؟ قال علي: حربًا، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بل هو حَسنٌ، ولم يكن أحد أشبه بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصعِد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات مرة المنبر، وكان الحسن إلىٰ جنبه، فكان ينظر إلىٰ الناس مرة، وإلىٰ الحسن مرة، ويقول: ابني هذا سيد، ولعلَّ الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين.

وقد بشره النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة بقوله: «**الحسن والحسين سَيدا شباب أهل الجنة**».

❁❁❁

أسئلة الدرس

السؤال الأول: متىٰ تزوج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حفصة، وزينب بنت خزيمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا؟

السؤال الثاني: اكتب مجملا لا يزيد علىٰ أربعة أسطر عن سرية زيد بن حارثة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلىٰ القِرَدة.

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الثاني عشر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المتميز، وهذا هو الدرس الثاني عشر من دروس السيرة النبوية من كتاب **«إسعاد البرية في السيرة النبوية»**، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ أهم الأحداث في غزوة أحد، ولا زلنا في السنة الثالثة من الهجرة.

لما انهزم مشركو قريش ورجعوا إلى مكة في غزوة بدر سعىٰ بعض المشركين ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر، فكلموا أبا سفيان، ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة، وقالوا: يا معشر قريش إن محمدا قد وَتَركم - أي ظلمك-، وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال علىٰ حربه، فلعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا، ففعلوا.

وقال الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ في ذلك: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ٣٦ ﴾ [الأنفال:٣٦].

واجتمع كفار مكة علىٰ حرب رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وكانوا ثلاثة آلاف، وأخرجوا معهم نساءهم؛ حتىٰ لا يَفروا، وليدافعوا عنهن، وهنا دَعا جُبَير بن مطعِم غلاما له يقال له: وحشي، وقال له: اخرج مع الناس فإن قتلت حمزةَ عمَّ محمد كما قتل عمي طُعَيمَة يوم بدر فأنت حر.

ورأىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وهو بالمدينة رؤيا،** رأىٰ أن في سيفه كَسرًا، ورأىٰ أن بقرا تُذبح، وأنه أدخل يده في دِرع حصينة، فتأول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكسرَ في سيفه برجل يصاب من أهل بيته، وكان حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتأول البقر بنفر من أصحابه يقتلون، وتأول الدِّرع بالمدينة.

ولما علم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بخبر المشركين،** وأنهم جمعوا له استشار أصحابه بعد صلاة الجمعة، أيخرج إلىٰ المشركين، أم يمكث في المدينة؟ وكان رأي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألا يخرجوا من المدينة، وأن يتحصَّنوا بها، فإن دخلوها قاتلهم المسلمون، والنساء من فوق البيوت، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكره الخروج.

وكان زعيم المنافقين عبد الله بن أُبي يرىٰ رأي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك، فأشار جماعة من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممن لم يخرجوا يوم بدر علىٰ رسول الله بالخروج، وألحُّوا علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك، وقالوا: يا رسول الله، اخرج بنا إلىٰ أعدائنا؛ لئلا يروا أنَّا جَبُنَّا عنهم، وضعُفنا.

فقال عبد الله بن أُبي: يا رسول الله، أقم بالمدينة لا تخرج إليهم، والله ما خرجنا منها إلىٰ عدو لنا قط إلا أصاب منا، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه، وتابعه علىٰ ذلك بعض أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكنَّ المؤيدين للخروج ألحُّوا علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنهض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودخل بيته، ولبس دِرْعه، فلما خرج عليهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالوا: يا رسول الله استكرهناك، ولم يكن لنا ذلك، فإن شئتَ فاقعد، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما ينبغي لنبيٍّ إذا لبس لأْمَتَهُ أن يضعها حتىٰ يحكم الله بينه، وبين عدوه**».

واللَّأمة: هي الدرع التي تلبس في الحرب؛ لتقي صاحبها من ضربات العدو.

فخرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **في شهر شوال من يوم الجمعة** في ألف من أصحابه، واستعمل علىٰ المدينة وعلىٰ الصلاة ابن أم مكتوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي أثناء الطريق تفقد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جيشه، فرد عن القتال من استصغره، وأجاز من

رآه مطيقا، وبينما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأصحابه في أثناء الطريق إذ بزعيم المنافقين عبد الله بن أُبي يرجع بثلث الجيش، وقال لأصحابه: أطاعهم وعصاني، والله ما ندري علامَ نَقتل أنفسنا ها هنا أيها الناس، فرجعوا معه.

ومضىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ نزل الشِّعْب من أُحد، -الشِّعب: هو المكان المنفرج بين الجبلين-، فجعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظهره، وجيشه إلىٰ جبل أُحد، وقال: لا يقاتلن أحد منكم حتىٰ نأمره بالقتال، وتجهَّز رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صبيحة يوم السبت، ومعه سبعمائة رجل، ولبس صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دِرعين، ودفع اللواء إلىٰ مصعب بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجعل علىٰ إحدىٰ المَجْنَبَتَين الزُّبير بن العوام، وعلىٰ الأخرىٰ المنذر بن عمرو، والمَجْنَبَتان: هما الميمنة، والميسرة، فالجيش يقسم خمسة أقسام: مقدمة، وميمنة، وميسرة، وساقة، وقلب.

وأمَّر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ الرُّماة عبد الله بن جُبير وكانوا خمسين رجلا، وشدَّد عليهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألا يتركوا أماكنهم، وإن رأوا المسلمين انتصروا علىٰ المشركين، أو رأوا المشركين انتصروا علىٰ المسلمين.

وتجهَّزت قريش للقتال وهم ثلاثة آلاف، وكان معهم مائتا فرس، وجعلوا علىٰ الميمنة خالد بن الوليد، وعلىٰ الميسرة عِكْرمة بن أبي جَهل، ونزلت قريش منزلها بأُحد يوم الأربعاء، فأقاموا بها ذلك اليوم، ويوم الخميس، ويوم الجمعة، والتقوا بجيش المسلمين يوم السبت.

وبينما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرتِّب صفوف جيشه أمسك بسيفه، وقال: من يأخذ هذا السيف بحقِّه؟، فقام رجال فمنعه عنهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ قام إليه أبو دُجَانة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأعطاه السيف، وسأل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما حقُّه يا رسول الله؟ قال: «**أنْ تضرب به القوم حتىٰ يَنثني**»، فاقتتل الناس حتىٰ حَميت الحرب.

وقاتل أبو دُجَانة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتىٰ دخل بين صفوف المشركين، وقاتل قتالا شديدا، فكان لا يلقىٰ أحدا إلا قتله.

وقاتل حمزةُ عم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قتالا شديدا حتىٰ قتل جماعة من المشركين منهم حامل لوائهم، ولكن وحْشيًا غدر به رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فضربه بالحَرْبة حتىٰ خرجت من بين وَرِكَيه.

وقاتل مصعب بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قتالا شديدا دفاعا عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ قتله ابنُ قَمِئَة الليثي، وهو يظن أنه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأعطىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللواء لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأنزل الله تعالىٰ نصره علىٰ المسلمين، وصدَقهم، وعده، فقتلوهم بالسيوف حتىٰ كانت الهزيمة التي لا شكَّ فيها.

فكان النصرُ أول النهار للمسلمين علىٰ الكفار، فهربوا من أمام جيش المسلمين، ولكنَّ الرماةَ لما رأوا المشركين هربوا أخذوا يقولون: الغنيمةَ، الغنيمةَ، فقال عبد الله بن جُبير: عهد إلينا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألا تبرحوا، فأبوا أن يطيعوه، ولم يسمعوا له، وظنوا أن ليس للمشركين رَجعة، فذهبوا في طلب الغنيمة، وأخلوا الثَّغر، فلما انصرف الرماة، وبقي من بقي نظر خالدُ بن الوليد إلىٰ خلاء الجبل، وقلة أهله، فرجع بالخيل، وتبعه عِكْرمة فانطلق إلىٰ بعض الرماة حتىٰ قتلوهم.

وصرخ الشيطان يومئذ بأعلى صوته: إن محمدا قد قُتل، فتقهقر المسلمون للخلف، وفرَّ أكثرهم بعد أن كان النصر حليفهم، فانكشف المسلمون فأصاب منهم العدو، فكان يومَ بلاء، وتمحيص أكرم الله من أكرم بالشهادة، فلما وصل الكفار إلىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رموه بالحجارة حتىٰ وقع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ شِقِّه، فكُسِرت رَبَاعيَّته، وشُجَّ رأسه، فجعل يمسح الدم عنه وهو يقول: «**كيف يُفلح قوم شجُّوا نبيهم، وكَسروا رَبَاعِيته؟ وهو يدعوهم إلىٰ الله، رب اغفر لقومي؛ فإنهم لا يعلمون**»، فأنزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عمران:١٢٨].

وسُئل سَهل بن سَعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن جُرح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: جُرِح وجه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكُسِرت رَبَاعيته، وهُشمت البَيْضَة علىٰ رأسه -أي

الخَوْذة-، فكانت فاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تغسل الدم، وكان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَصب عليها بالترس، ولما رأت فاطمة أنَّ الماء لا يزيد الدم إلا كثرة، أخذت قطعةَ حصير فأحرقته حتىٰ صار رمادا، ثم ألصقته بالجُرح، فاستمسك الدم.

وأُفرد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد بسبعة من الأنصار، ورجلين من قريش، فلما اقتربوا منه قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من يَردُّهم عنا، وله الجنة؟**»، فتقدم رجل من الأنصار، فقاتل حتىٰ قُتل، ثم تقدم آخر فقُتل حتىٰ قُتِلَ السبعة من الأنصار، وترَّس أبو دُجانة بنفسه دفاعا عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودافع أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن نبيهم دفاعا عظيما، ودافعت أيضًا الملائكة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأقبل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نحو المسلمين، وكان أولَ من عرَفه تحت المغِفْر كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فنادىٰ بأعلىٰ صوته: يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأشار إليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنْ أَنْصت، فلما عَرف المسلمون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهضوا به نحو الشِّعْب، ومعه جماعة من المسلمين منهم أبو بكر، وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فلما استند النبي والمسلمون إلىٰ الجبل أدركه أُبَي بن خلف، وهو يقول: يا محمد، لا نجوتُ إنْ نجوتَ، فلما اقترب منه أخذ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحَرْبة، فطعنه بها فرجع هاربا إلىٰ المشركين، ثم مات قبل أن يصل إلىٰ مكة.

ولما انصرف أبو سفيان، ومن معه نادىٰ بأعلىٰ صوته: إن موعدكم بدرٌ العام المقبل، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لرجل من أصحابه: «**قل: نعم هي بيننا، وبينك مَوعِدًا**»، وسأل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن سعد بن الربيع أفي الأحياء هو أم في الأموات؟ فلما بحثوا عنه وجدوه في الأموات.

وكان أناس من المسلمين قد احتملوا قتلاهم إلىٰ المدينة فدفنوهم بها، ثم نهىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ذلك، وقال: «**ادفنوهم حيث صُرعوا**»، وأشرف رسول

الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ الدفن، فكان يجمع بين الرجلين من قتلىٰ أحد في ثوب واحد، ثم يقول: أيهم أكثر أخذا للقرآن؟ فإذا أشير له إلىٰ أحدهم قدمه في اللحد، وأمر بدفنهم في دمائهم، ولم يغسَّلوا، ولم يُصَلَّ عليهم.

وخرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبحث عن عمه حمزة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فوجده قد بُقِر بطنُه عن كبده، ومُثِّل به، وجُدِعَ أنفُه، وأُذناه، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لن أُصابَ بمثلك أبدا، ما وقفت موقفا قطُّ أغيظ إلي من هذا**».

وقُتل من المسلمين يومئذ سبعون رجلا، وقُتل من المشركين اثنان وعشرون رجلا.

❁❁❁

أسئلة الدرس

السؤال الأول: من الذي قتل حمزة عمَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟، ولماذا قتله؟

السؤال الثاني: ماذا كان رأي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل الخروج لغزوة أحد؟ وهل وافق أصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ علىٰ ما أشاروا به عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الثالث عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المتميز، وهذا هو الدرس الثالث عشر من دروس السيرة النبوية من كتاب «**إسعاد البرية في السيرة النبوية**»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ بعض أحداث السنة الثالثة من الهجرة، ومنها غزوة حمراء الأسد، وزواج رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بزينب بنت جحش، ونزول آية الحجاب، ونزول تحريم الخمر.

هذا مجمل الأحداث، وإليكم التفصيل:

لما انصرف أبو سفيان، وأصحابه من أُحد، وكانوا في أثناء الطريق ندموا فيما بينهم، وقال بعضهم لبعض: لم تصنعوا شيئًا، أصبتم شوكتهم، ثم تركتموهم، وقد بقي منهم رؤوس يجمعون لكم، فارجعوا حتىٰ نستأصلهم، فبلغ ذلك رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأراد أن يُرهب أعداء الله من كفار قريش، ويبلِّغهم أنه خرج في طلبهم؛ ليظنوا به قوة، وأن الذي أصابهم لم يُوهنهم عن عدوهم.

فلما كان الغد من يوم الأحد السادس عشر من شوال أمر رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤذِّنه أن يؤذن في الناس بالمسير إلىٰ لقاء عدوهم، فأذن مؤذِّنه ألا يخرُجَن معنا إلا من شهد القتال، فقال عبد الله بن أُبي: أركب معك؟ قال النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا»، واستجاب المسلمون لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ ما بهم من الجروح، وقالوا: سمعا وطاعة، وخرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والمسلمون معه حتىٰ بلغوا إلىٰ حمراء الأسد، وكان بينها وبين المدينة ثمانية أميال، واستعمل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ المدينة ابن أم مكتوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأقبل مَعْبَد بن أبي معبد إلىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأسلم، فأمره رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يلحق بأبي سفيان فيخذِّله، فلحق مَعبَد بأبي سفيان، ولم يعلم أبو سفيان بإسلامه، فقال أبو سفيان: ما وراءك يا معبد؟ فقال معبد: محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط، يتحرِّقون عليكم تَحرُّقا -أي يلتهبون غيظا عليكم- قد اجتمع معه من كان تخلَّف عنه في يومكم، وندموا علىٰ ما صنعوا فيهم من الحَنَق عليكم شيئًا لم أر مثله قط، والحَنَق: شدة الغيظ.

فقال أبو سفيان: ويحكَ ما تقول؟

فقال مَعبد: والله ما أراك ترتحل حتىٰ ترىٰ نواصيَ الخيل.

فقال أبا سفيان: فوالله لقد أجمعنا الكرَّة عليهم؛ لنستأصلَ بقيتهم.

فقال معبد: فإني أنهاك عن ذلك، لا تفعل، فإني لك ناصح.

فأمر أبو سفيان من معه بالرجوع، فرجعوا إلىٰ مكة.

وأقام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحمراء الأسد ثلاثة أيام، ثم رجع إلىٰ المدينة، وأرسل أبو سفيان رسالة إلىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنا قد أجمعنا الكرَّة؛ لنستأصله، وَنَستَأْصِلَ أصحابه، فلما بلغ ذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نزل قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران:١٧٣-١٧٤].

وفي هذه السنة تزوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **زينب بنت جحش** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بأمر الله تعالىٰ لما انقضت عدتها من زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مولىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفيها نزل قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ

زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ [الأحزاب:٣٧].

ولم يُولِم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ شيء من نسائه كما أولم علىٰ زينب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، أولم بشاة، وكانت زينب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا تفخر علىٰ أزواج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تقول: زوجكن أهاليكن وزوَّجني الله تعالىٰ من فوق سبع سماوات، وهي أول نساء رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لحوقا به بعد وفاته، توفيت سنة عشرين.

ولما تزوج رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زينب بنت جحش دعا القوم فطَعِموا، ثم جلسوا يتحدثون في بيت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالس، وزوجته مُولِّيَة وجهها إلىٰ الحائط، فثقلوا علىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فخرج رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسلم علىٰ نسائه، ثم رجع، فلما رأوا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد رجع ظنوا أنهم قد ثَقِلُوا عليه، فأسرعوا الباب، فخرجوا كلهم، وجاء رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ أرخىٰ الستر، ودخل في الحجرة، فلم يلبث إلا يسيرا ونزل قول الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ [الأحزاب:٥٣]، فحُجبت نساء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكانت الخمر من أفضل أشربة الناس في الجاهلية، وكان الناس قد ألِفوا شرب الخمر، وكانوا ينتفعون بها كثيرا، وقد علم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه لو منعهم شرب الخمر دَفعة واحدة لشق عليهم؛ لذلك كان نزول تحريمها علىٰ مراحل.

قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: إنما نزل أول ما نزل سورة من المفصَّل -المفصل: من سورة «ق» إلىٰ آخر المصحف- فيها ذكر الجنة، والنار حتىٰ إذا ثاب الناس إلىٰ

الإسلام - أي دخلوا، وكثُروا-، نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل لا تزنوا؛ لقالوا: لا ندع الزنا أبدا، فنزل أول ما نزل قول الله تعالىٰ: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٦٧﴾ [النحل:٦٧].

ثم نزل قول الله تعالىٰ: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَا﴾ [البقرة:٢١٩].

ثم نزل قول الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء:٤٣].

ثم نزل قول الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١﴾ [المائدة:٩٠-٩١]، فكان هذا تحريما قاطعا للخمر في الأوقات كلها.

فامتثل أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لنهي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن شرب الخمر، وسكبوا الخمر في سِكك المدينة لما سمعوا منادٍ ينادي: ألا إن الخمر قد حُرِّمت، فقال بعض الصحابة لبعض: قُتل قوم والخمر في بطونهم، فأنزل الله تعالىٰ قوله: ﴿لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾ [المائدة:٩٣].

❁❁❁

أسئلة الدرس

السؤال الأول: ما هو دور مَعبد الخزاعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في غزوة حمراء الأسد؟

السؤال الثاني: من من زوجات رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تزوجها بأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الرابع عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المتميز، وهذا هو الدرس الرابع عشر من دروس السيرة النبوية من كتاب «**إسعاد البرية في السيرة النبوية**»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ بعض أحداث السنة الرابعة من الهجرة، ومنها: سرية أبي سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ طليحة الأسدي، وسرية عبد الله بن أُنيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ خالد الهُذَلي، وسرية الرجيع، وسرية بئر مَعونة.

هذا مجمل الأحداث، وإليكم التفصيل:

لما بلغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن طُلَيحَة الأسدي، وأخاه سَلَمة قد جمعا حلفاءهم من بني أسد في حرب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والنيل من أطراف المدينة بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال له: «**سِرْ حتىٰ تأتي أرض بني أسد فَأَغِر عليهم**»، وأوصاه بتقوىٰ الله، وبمن معه من المسلمين خيرا.

وخرج معه خمسون ومائة، فلما انتهوا إلىٰ أرض بني أسد تفرق المشركون، وتركوا إبلا، وغنما كثيرة، فأخذها أبو سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأَسرَ منهم ثلاثة، ثم رجع إلىٰ المدينة.

وفي الخامس من المحرَّم من السنة الرابعة من الهجرة بلغ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أن خالدَ بن سفيان الهُذَلِي قد جمع الناس؛ ليغزو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فبعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبد الله بن أُنيس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ ليقتله، فسأل عبد الله بن أُنَيس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن صفته، فقال له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنك إذا رأيتَه أَذْكَرك الشيطان، وآيةُ ما بينك، وبينه أنك إذا رأيته وجدَّت له قُشعريرة**»، أي شعرت بِرِعْدَة، وهيبة عندما تراه.

فلما وصل إليه عبد الله بن أُنيس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خافَ أن يشغله عن صلاة العصر، فصلىٰ وهو يمشي نحوه، وكان يومئ برأسه، فلما انتهىٰ إليه، قال له: من الرجل؟ قال عبد الله بن أنيس: رجل من العرب سمِع بك، وبجمعك لهذا الرجل -أي للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فجاءك لذلك.

فقال خالد: أجل إني لفي ذلك، فمشىٰ معه شيئًا، فلما تمكَّن منه قتله عبد الله بن أنيس، ثم رجع إلىٰ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما رآه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: «**أفلَحَ الوجه**»، ثم أعطاه عصا، وقال له: «**أمسك هذه العصا عندك يا عبد الله بن أُنيس**»، فلما خرَج عبد الله بن أنيس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بالعصا علىٰ الناس سألوه: ما هذه العصا؟، فقال لهم: أعطانيها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأمرني أن أمسكها، فقالوا له: أفلا ترجع إلىٰ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتسأله: لمَ ذلك؟، فرجع إلىٰ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال له: يا رسول الله لم أعطيتني هذه العصا؟

فقال له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**آيةٌ بيني، وبينك يوم القيامة**»، أي علامة بيني، وبينك يوم القيامة، فقرنها عبد الله بسيفه فلم تزل معه حتىٰ مات، وأمر بها فضُمَّت معه في كفنه، ثم دُفِنا جميعا.

وفي شهر صفر من السنة الرابعة من الهجرة قدم علىٰ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوم من بني خُزيمة، وهم من عَضَل والقَارَة، فقالوا: يا رسول الله إن فينا إسلاما، فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا في الدين، ويُقْرِؤُننا القرآن، ويعلِّموننا شرائع الإسلام، فبعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معهم عشرة نفر، وأمَّرَ عليهم عاصمَ بن

ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وكان فيهم مَرثد بن أبي مَرثد الغَنوي، وخُبَيب بن عَدي، وعبد الله ابن طارق.

فلما ذهبوا معهم، وكانوا بالرجيع، وهو موضع ماء لهذيل بناحية الحجاز غدروا بهم، وطلبوا النصر عليهم من هُذيل، فجاءهم مائة رامٍ، فلما رآهم عاصم، وأصحابه لجؤوا إلىٰ مكان مرتفع، وأخذوا أسيافهم؛ ليقاتلوهم، ولكن الكفار أحاطوا بهم من كل جانب، وقالوا لهم: انزلوا وأعطونا بأيديكم، ولكم العهد والميثاق، ولا نقتل منكم أحدا.

فقال عاصم: أمَّا أنا فوالله لا أنزل اليوم في ذِمة كافر -أي في عهد كافر- اللهم أخبر عنا نبيك، فرموهم بالنبل، فقتلوا عاصما، وستة من أصحابه، وبعث كفار مكة إليهم حين علموا بمقتل عاصم؛ ليأتوا بشيء منه حتىٰ يمثِّلوا به؛ لأن عاصما رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان قتل رجلا من عظماء المشركين يوم بدر، فبعث الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ عاصم مثل الظُّلة من الدَّبْر -أي سحابة من ذكور النحل-، فلم يقدروا علىٰ قطع شيء من لحمه، فقالوا: دَعوه يمسي حتىٰ تذهب عنه، فنأخذه، فبعث الله عَزَّوَجَلَّ المطر فاحتمل عاصما، فذهب به، فبحثوا عنه فلم يجدوه، وقد كان عاصم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قد عاهد الله ألا يَمسه مشرك، ولا يمس مشركا أبدا.

ورضي ثلاثة من المسلمين بالعهد والميثاق، وهم خبيبٌ الأنصاري، وزيد بن الدَّثِنَة، وعبد الله بن طارق، فلما استمكنوا منهم قيدوهم، فقال عبد الله بن طارق: هذا أولُ الغدر، وأبىٰ أن يصحبهم، فقتلوه.

وأما خُبيب، وزُيد بن الدَّثِنَة فقدموا بهما إلىٰ مكة وباعوهما، فاشترىٰ الحارث بن عامر خُبيبا؛ لأنه قتل الحارث بن عامر يوم بدر، فلبث عندهم أسيرا.

وأما زيد بن الدَّثِنَة فاشتراه صفوان بن أُمية؛ ليقتله بأبيه أُمية بن خلف، وبعث به مع مولىٰ له إلىٰ التنعيم؛ ليقتله، فَقتله.

وأما خُبيب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فمكث عند بني الحارث أسيرا إلىٰ أن أجمعوا علىٰ قتله،

فلما أجمعوا علىٰ قتله خرجوا به إلىٰ التنعيم؛ ليقتلوه، فقال لهم خبيب: ذروني أركع ركعتين، فتركوه، فركع ركعتين، ثم قال: لولا أن تظنوا أن ما بي جزع لطوَّلتُها، اللهم أحصهم عددا، واقتلهم بدَدًا، ولا تغادر منهم أحدًا.

أحصهم عددا: أي لا تُبق منهم أحدا، **واقتلهم بددا**: أي واحدا تلو الآخر.

ثم قال:

لقد أجمعَ الأحزابُ حَولي وألَّبوا ... قبائلهم واستجمعوا كلَّ مجمعِ

إلى الله أشكو غُربتي بعد كُربتي ... وما أَرصدَ الأحزابُ لي عند مَصرعي

لقد خيَّروني الكفرَ والمَوتُ دونَه ... فقد ذرفتْ عيناي من غير مَجزعي

ما أُبالي حين أُقتل مسلِما ... على أي شقٍّ كان للهِ مصرعي

وذلك في ذاتِ الإلهِ وإنْ يشأْ ... يُبارِكْ على أَوصَالِ شِلوٍ ممزَّعِ

ثم قتله ابن الحارث، وكان خُبيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أول من سَن هاتين الركعتين عند القتل، ثم صلبوه، ووكَّلوا به من يحرس جثته، فجاء عمرو بن أُمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فاحتمله بجذعه ليلا فذهب به، ودفنه.

تقول امرأةٌ من بني الحارث: والله ما رأيتُ أسيرا قط خيرا من خُبيب، والله لقد وجدته يوما يأكل من قِطف عِنب في يده، وإنه لمُوثَق في الحديد، وما بمكة من ثمر، إنه لرزق من الله رزقه خُبيبًا.

واستجاب الله عَزَّوَجَلَّ لعاصم بن ثابت يَوم قتل فأخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه خبرهم، وما أصيبوا.

وفي شهر صفر من السنة الرابعة من الهجرة قدم عامر بن مالك علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة، فدعاه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ الإسلام، فلم يُسلم، ولم يَبعُد من الإسلام، وقال: يا رسول الله، لو بعثتُ رجالا من أصحابك إلىٰ أهل نجد، فدعوهم إلىٰ دينك لرجوتُ أن يستجيبوا لك.

فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إني أخشىٰ عليهم أهل نجد**»، فقال عامر: أنا لهم جار، أي هم في حمايتي، وأماني.

قال عامر: فابعثهم فليدعو الناس إلىٰ أمرك.

فبعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبعين رجلا من أصحابه، وأمر عليهم المنذر بن عمرو، وكانوا من خيار المسلمين، وفضلائهم، وقُرَّائِهم، فساروا حتىٰ نزلوا بئر مَعونة، فبعثوا حَرَام بن مِلْحَان بكتاب إلىٰ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ عامر بن الطُّفيل، فلما أتاه لم ينظر في كتابه، وأمر رجلا فطعنه من خلفه، فقال حرامُ بن مِلْحَان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حينئذ: الله أكبر فزْتُ وربِّ الكعبة.

ثم استنفر عامرُ بن الطفيل بني عامر إلىٰ قتال الباقين، فلم يجيبوه؛ لأجل جوار عامر بن مالك، فاستنفر بني سُليم فأجابته عُصيةُ، ورِعْلٌ، وذَكْوَانُ، فجاؤوا حتىٰ أحاطوا بأصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقتلوهم جميعا إلا كعب بن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فإنهم تركوه وبه رمق، فرُفع من بين القتلىٰ فعاش حتىٰ قُتل يوم الخَندق، وكان عمرو بن أمية الضمري، والمنذر بن محمد في سَرْح المسلمين -أي في رعي إبل ومواشي المسلمين-، فلم يُنبِئهما بمقتل أصحابهما إلا الطير تحوم علىٰ العسكر، فقالا: والله إن لهذه الطير لشأنا، فأقبلا؛ لينظرا، فوجدا أصحابهما بدمائهم قد قتلوا، ووجدا القوم الذين قتلوهم لم يذهبوا، فقال المنذر بن محمد لعمرو بن أمية: ما ترىٰ؟

قال: أرىٰ أن نلحق برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنخبره الخبر.

فقال المنذر: لكني ما كنت لأرغب بنفسي عن مثل هذا الموطن، ثم قاتل القوم حتىٰ قُتل.

وأخذوا عمرو بن أمية أسيرا، فلما أخبرهم أنه من مُضَر أطلقه عامر بن الطفيل، ورجع عمرو بن أمية الضمري إلىٰ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي طريقه نحو المدينة نزل في ظل شجرة، فجاء رجلان من بني كلاب فنزلا معه، فلما ناما قتلهما عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهو يظن أنه قد أصاب ثأرَ أصحابه، فوجد معهما عهدا من رسول الله

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يعلم به، فلما قدم المدينة أخبر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما فعل، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لقد قتلتَ قتيلين لأَدِيَنَّهُما**»، أي لأدفع ديتهما.

ونزل جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ علىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأخبره بمقتل أصحابه قبل أن يأتيه خبرهم، ونزل فيهم قرآن: «**أن بَلِّغُوا قَوْمَنَا أَنْ قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا**»، ثم نسخ هذا القرآن.

وظل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقنتُ في صلاته شهرا بعد الركوع يدعو علىٰ الذين قتلوا أصحابه القُرَّاء ببئر مَعُونَة.

أسئلة الدرس

السؤال الأول: لماذا أرسل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلىٰ طليحة الأسدي؟

السؤال الثاني: ما سبب سرية الرجيع؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الخامس عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ سيد المرسلين نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المبارك، وهذا هو الدرس الخامس عشر من دروس السيرة النبوية من كتاب «إسعاد البرية في السيرة النبوية»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ ما تبقىٰ من أحداث السنة الرابعة من الهجرة، ومنها: سرية عمرو بن أمية الضمري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لقتل أبي سفيان، وإجلاء يهود بني النضير عن المدينة، ووفاة أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ووفاة عبد الله بن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وغزوة بدر الآخرة، ومولد الحُسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وزواج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أم سلمة بنت أبي أُمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وأُمْر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يتعلم لغة اليهود، ورجم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اليهودي، واليهودية.

هذا مجمل الأحداث، وإليكم التفصيل:

قال أبو سفيان بن حرب لنفر من قريش بمكة: ما أحد يغتال محمدا؟ فإنه يمشي في الأسواق، وندرك ثأرنا، فأتاه رجل، وقال له: إن أنت قوَّيتني خرجت إليه حتىٰ أغتاله، فأعطاه أبو سفيان بعيرا ونفقة، وقال له: اطوِ أمرك، إني لا آمن أن يسمع هذا أحد فَيَنْمِيه إلىٰ محمد -أي يبلِّغه إلىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فقال الرجل: لا يعلمه أحد، فخرج الرجل حتىٰ أتىٰ المدينة، فلما رآه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال

لأصحابه: إن هذا الرجل يريد غدرا، والله حائل بينه، وبين ما يريد، فوقف الرجل، وقال: أيكم ابن عبد المطلب؟

قال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنا ابن عبد المطلب**».

فاقترب الرجل من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ليغدر به، فجذبه أُسَيد بن حُضَير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من إزاره، فقال: يا رسول الله هذا غادر.

فقال الرجل: دمي دمي يا محمد، أي اتركوا دمي، ولا تقتلوني.

فقال له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اصْدُقني، ما أنت؟ وما أقدمك؟، فإن صدَقتني نفعك الصدق، وإن كذَبتني فقد اطلعت علىٰ ما أهممتَ به**».

قال الرجل: فأنا آمن؟، أي تعطيني الأمان.

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فأنت آمن**».

فأخبره الرجل بخبر أبي سفيان، وعرض عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإسلام، فأسلم، ثم استأذن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخرج من عنده.

وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمرو بن أُمية الضمري، ولسلمة بن أسلم: اخرجا حتىٰ تأتيا أبا سفيان بن حرب، فإن أصبتما منه غِرَّة فاقتلاه، فخرج عمر بن أمية، وسلمة بن أسلم رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا حتىٰ أتيا مكة، فطافا بالبيت سبعا، وصليا ركعتين، فعرفهما معاوية بن أبي سفيان، فأخبر أباه، فتجمَّع أهل مكة؛ لقتلهما، فهرب عمرو وسلمة إلىٰ الجبل، وخرج أهل مكة في البحث عنهما، ولكن عمرا وسَلَمة دخلا غارا، فباتا فيه حتىٰ أصبحا، فأقبل رجل من مكة نحو الغار فلما اقترب من الغار قتله عمرو، فسقط، وصاح صيحة أسمعت أهل مكة، فلما أقبلوا نحوه سألوا الرجل: من قتلك؟ فقال: عمرو بن أمية الضمري، ولم يستطع أن يخبرهم عن مكانهما؛ لأنه كان بآخر رمق فمات، وانشغل أهل مكة بالرجل عن البحث عن عمرو وسلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ومكث عمرو، وسلمة في الغار ليلتين.

ثم قال سلمة لعمرو: يا عمرو هل لك في خُبيب بن عَدي ننزله؟ -وكان مصلوبا،

صلبه بنو الحارث-، فقال عمرو: أين هو؟ فقال سَلَمة: هو ذاك مصلوب وحوله الحرس، فقال عمرو: أَمهلني وتنحَّ عني، فإن خشيت شيئًا فاركب بعيرك، وائت رسول الله ﷺ وأخبره الخبر، ودعني فإني عالم بالمدينة، ثم أسرع عمرو نحو خُبيب رضي الله عنه فحمله بجذعه علىٰ ظهره، فما مشىٰ به إلا عشرين ذراعا حتىٰ استيقظ أهل مكة علىٰ صوت الجِذع حينما وَقَع، فخرجوا في أثره، فألقىٰ عمرو خُبَيبا، ثم أهال عليه التراب، ثم أسرع نحو المدينة، فلم يستطع أحد أن يلحق به، ثم قدم علىٰ رسول الله ﷺ.

وفي ربيع الأول من السنة الرابعة من الهجرة خرج النبي ﷺ إلى يهود بني النضير حتىٰ يُعينوه في دِية القتيلين الذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه - وكان ذلك حينما رجع عمرو بن أمية من بِئر مَعونة-؛ للعهد الذي كان رسول الله ﷺ عقد لهما، فلما أتىٰ رسول الله ﷺ يهود بني النضير يستعينهم في دية هذين القتيلين قالوا: نعم يا أبا القاسم نعينك علىٰ ما أحببت مما استعنت بنا عليه، وجلس رسول الله ﷺ وأصحابه إلىٰ جنب جدار من بيوت اليهود.

فقال بعض يهود بني النضير لبعض: إنكم لن تجدوا الرجل علىٰ مثل حاله هذه، فمن يعلو علىٰ هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه؟ فصعِد أحدهم؛ ليلقي صخرة علىٰ النبي ﷺ، فنزل جبريل علىٰ رسول الله ﷺ يعْلمه بما هموا به، فنهض رسول الله ﷺ راجعا إلىٰ المدينة، ثم تجهَّز، وخرج بنفسه لحربهم، واستعمل علىٰ المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه، وتحصَّن بنو النضير بحصونهم، فحاصرهم النبي ﷺ ست ليال، وأمر رسول الله ﷺ بقطع نخيل بني النضير وتحريقها، فنادوه: أي يا محمد قد كنت تنهىٰ عن الفساد، وتعيبه علىٰ من صنعه، فما بال قطع النخيل وتحريقها؟، فأنزل الله عز وجل: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾ [الحشر:٥]، ولِينة: أي نخلة صغيرة.

وأرسل رهط من بني عوف منهم عدو الله عبد الله بن أُبي إلىٰ يهود بني النضير أن اثبتوا فإنا لن نسلِّمكم، وإن قُوتلتم قاتلنا معكم، وإن أُخرجتم خرجنا معكم، فلم يفعلوا، ونزل قول الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الحشر:١١-١٤].

وقذف الله تعالىٰ في قلوب بني النضير الرعب، وسألوا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُرحَّلوا من ديارهم، ولا يُقتلوا علىٰ أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا السلاح، ففعل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فحملوا من أموالهم ما استطاعوا حمله، فكانوا يخرِّبون بيوتهم بأيديهم، وحملوا النساء والصبيان ورحلوا علىٰ ستمائة بعير، فذهبت طائفة منهم إلىٰ خيبر، منهم زعيمهم حُيَي بن أَخْطب وسلام بن أبي الحُقَيق، وذهبت طائفة منهم إلىٰ الشام، وحزن المنافقون عليهم حزنا شديدا، وأسلم منهم رجلان، فأخذا أموالهما.

وفي جمادى الأولى من السنة الرابعة من الهجرة تُوفي أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وكان رضيع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأمُّه هي عمة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برَّةُ بنت عبد المطلب.

وكان أبو سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قد أسلم في اليوم الذي أسلم فيه أبو عبيدة، وعثمان، والأرقم بن أبي الأرقم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وقد هاجر هو وزوجته أمُّ سلمة إلىٰ أرض الحبشة، ثم عاد إلىٰ مكة، وشهد بدرا وأحدا، وجُرح يوم أحد، ثم برئ، ثم خرج في سرية، ثم رجع فأقام بالمدينة سبعة عشرة يوما، ثم انتقض عليه جرحه الذي كان يوم أحد، فمات رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ومات عبد الله بن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في جُمادىٰ الأولىٰ من السنة الرابعة من الهجرة، وهو ابن ست سنين، وهو ابن رقية بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصلىٰ عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي شهر شعبان من السنة الرابعة من الهجرة خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لموعده الذي واعده أبا سفيان عند انصرافه من أحد حيث قال: موعدكم، وإيانا العام القابل ببدر، فخرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعه ألف وخمسمائة من أصحابه، فلما انتهىٰ إلىٰ بدر، أقام بها ثمانية أيام ينتظر المشركين، وخرج أبو سفيان بالمشركين من مكة، وهم ألفان، فلما كانوا في أثناء الطريق قال لهم أبو سفيان: إن العامَ عامُ جدْب، وقد رأيت أن أرجع بكم، فانصرفوا راجعين، وأخلفوا الموعد، وسميت هذه **بدر الموعِد**، وتسمىٰ بغزوة **بدر الآخرة**.

وفي شهر شعبان من السنة الرابعة من الهجرة وُلد الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فسماه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حربا، فجاء به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: أروني ابني، ما أسميتموه؟ فقال علي: حربا، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بل هو حسين، فسماه علي حُسينا.

وفي شوال من السنة الرابعة من الهجرة تزوج النبي أم سلمة بنت أبي أمية، وكانت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا متزوِّجة قبله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أبي سلمة، فلما انتهت عدتها تزوجها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

تقول أم سلمة: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: إِنَّا لِله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أَجِرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إلا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا**»، فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قَالَتْ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللهُ لِي رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولما تزوجها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقام عندها ثلاثة، فلما أراد أن يخرج أمسكت بثوبه، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن شئتِ زدتُك، وحاسبتُك به للبِكر سبع، وللثيِّب ثلاث**».

أي يجب للزوجة البكر الجديدة مبيت سبع من الليالي، أما الثيب فيجب لها مبيت ثلاث من الليالي.

ولما قدم النبي ﷺ المدينة أُتي بزيد بن ثابت رضي الله عنه، فقالوا: يا رسول الله هذا غلام من بني النجار معه مما أنزل الله عليك بضعَ عشرة سورة، فأعجَب ذلك النبي ﷺ، وقال: «**يا زيد تعلَّم لي كتاب يهود، فإني والله ما آمن يهود علىٰ كتابي**»، قال زيد رضي الله عنه: فتعلمت له كتابهم، ما مرَّت بي خمس عشرة ليلة حتىٰ حَذقته، -أي فهمته، وحفظته- يقول زيد: وكنت أقرأ له كتبهم إذا كتبوا إليه، وأُجيب عنه إذا كتب.

وهذا ذكاء مفرِط جدا من زيد بن ثابت رضي الله عنه.

وجاء اليهود رسول الله ﷺ بيهودي، ويهودية قد زنيا، فانطلق رسول الله ﷺ حتىٰ جاء يهود، فقال: «**ما تجدون في التوراة علىٰ من زنىٰ؟**»، قالوا: نسوِّد وجوههما -أي بالفحم- ونحمِّلُهما -أي علىٰ الجمال- ونخالف بين وجوههما، ويطاف بهما.

قال ﷺ: «**فأتوا بالتوراة إن كنتم صادقين**»، فجاؤوا بها، فقرأوها حتىٰ إذا مرُّوا بآية الرجم وضع الفتىٰ الذي يقرأ يده علىٰ آية الرجم، وقرأ ما بين يديه، وما وراءها، فقال له عبد الله بن سلام: مُره يا رسول الله فليرفع يده، فرفعها، فإذا تحتها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرُجما.

❁❁❁

أسئلة الدرس

السؤال الأول: ما سبب إجلاء يهود بني النضير عن المدينة؟

السؤال الثاني: من من نساء النبي ﷺ تزوجها في السنة الرابعة من الهجرة؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس السادس عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المبارك، وهذا هو الدرس السادس عشر من دروس السيرة النبوية من كتاب «**إسعاد البرية في السيرة النبوية**»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ بعض أحداث السنة الخامسة من الهجرة، ومنها: غزوة دُوْمة الجندل، وقدوم وفد مُزَينة علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ووفاة أم سعد بن عُبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وغزوة بني المصطلِق، وزواج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من جُوَيرية بنت الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وحادثة الإفك.

هذا مجمل الأحداث، وإليكم التفصيل:

لما بلغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أن بدُومة الجندل** جمعا كثيرًا يريدون حربه والنيل من أطراف المدينة خرج إليهم ومعه ألفا من المسلمين، فلما اقترب منهم لم يجدهم، فهجم علىٰ ماشيتهم ورعاتهم، فأصاب بعضَهم، وهرب البعض الآخر، ولما علم أهل دُومة الجندل بما فعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تفرَّقوا، ونزل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأرضهم، فلم يجد فيها أحدا، فأقام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيامًا ثم رجع إلىٰ المدينة.

وأتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أربعمائة من مُزَينة،** وفيهم النعمان بن مُقَرِّن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

فأمرهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأمره، وزودهم من التمر، وقد ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنهم من خاصته، فقال: «**قريشٌ، والأنْصَارُ، وَجُهَيْنَةُ، وَمُزَيْنَةُ، وأَسْلَمُ، وَغِفَارُ، وَأَشْجَعُ مَوَالِيَّ، ليسَ لهُم مُولىٰ دُونَ اللهِ، وَرَسُولِهِ**»، موالي: أي أنصاري، والمختصون بي.

ولما رجع سعد بن عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من غزوة دُومة الجندل ماتت أمه فدفنها وصلىٰ عليها، فقال سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسول الله إن أمي ماتت فجأة، وأظنها لو تكلمت تصدقت، فهل لها أجر إن تصدقتُ عنها؟ قال: «**نعم**»، فقال: يا رسول الله، فأيُّ الصدقة أفضل؟ قال: «**الماء**»، فحفر سعد بئرا، وقال: هذه لأم سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وبلغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن سيد بني المُصطلِق الحارث بن أبي ضِرار جمع قومه، ومن قَدَر عليه من العرب لحرب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فبعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُرَيدَة بن الحُصَيب؛ ليأتيه بخبرهم، فلما أتاهم كلم الحارث ابن أبي ضِرار، ورجع إلىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخبره خبرهم، فحث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسلمين علىٰ الخروج، فامتثلوا أمره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخرج صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في آخر شهر شعبان، فلما علم الحارث بن أبي ضِرار بمسير رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليه خاف خوفًا شديدًا، وتفرق عنه من كان معه من العرب.

وانتهي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ موضع ماء يسمىٰ المُرَيسِيع فضرب عليه قُبته، ومعه عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فلما تهيأ المسلمون للقتال أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه أن يحملوا علىٰ بني المُصْطلِق حملة رجل واحد، فكانت النصرة، وانهزم بنو المُصطلِق، وقُتل من قُتل منهم، وسبىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نساءهم وأطفالهم، وغنم مواشيهم.

ولما قسَّم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السبايا وقعت جُويرية في سَهم ثابت بن قيس بن الشمَّاس فكاتبته علىٰ عتقها -أي ستعطيه مالا في سبيل أن يعتقها- فأتت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَستعينه في عتقها، فقالت: يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بنت

أبي ضِرار سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك، ووقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشمَّاس، فكاتبته علىٰ نفسي، فجئتك استعينك علىٰ كتابتي، فقال لها رسول الله ﷺ: فهل لك في خير من ذلك؟ قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: «**أقضي كتابك، وأتزوَّجُك**»، يعني: أعتقك، وأتزوجك، قالت: نعم يا رسول الله، قال: «**قد فعلتُ**».

وخرج الخبر إلىٰ الناس أن رسول الله ﷺ تزوج جويرية بنت الحارث، وقال المسلمون: أصهار رسول الله ﷺ، فأعتقوا ما بأيديهم من أُسَارىٰ بني المصطلِق.

تقول عائشة: فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة علىٰ قومها منها.

وفي مرجع النبي ﷺ من غزوة بني المصطلق نزلوا في أثناء الطريق، فخرجت عائشة رضي الله عنها لقضاء حاجتها، فلما رجعت فقدت عِقدا كانت أعارتها أختها إياه، فرجعت تبحث عنه في الموضع الذي فقدته فيه، فجاء النفر الموكَّلون بحمل هودج عائشة رضي الله عنها فظنوها فيه، فحملوا الهودج، ثم ساروا، فرجعت عائشة رضي الله عنها إلىٰ موضع الهَوْدَج، وقد وجدت العقد، فلم تجد أحدا، فقعدتْ وظنت أنهم سيفقدونها، فيرجعون في طلبها، والله عز وجل غالب علىٰ أمره يدبر الأمر فوق عرشه كما يشاء، فغلبتها عيناها رضي الله عنها فنامت، فلم تستيقظ إلا بقول صفوان بن المُعَطِّل: إنا لله وإنا إليه راجعون، زوجة رسول الله ﷺ.

وكان صفوان في أُخريات الجيش؛ لأن الرسول ﷺ كان يجعل رجلًا يتأخر عن الجيش إذا رَحل الناس، ثم يَتَّبعهم، فمن سقط منه شيء أتاه به.

فلما رأىٰ صفوانُ عائشة عرفها، وكان يراها قبل نزول الحجاب، فأناخ راحلته، ثم قربها إليها، فركبتها، وما كلمها كلمة واحدة، ولم تسمع منه إلا استرجاعه، أي قوله: إنا لله، وإنا إليه راجعون.

ثم سار بها يقودها حتىٰ قدم بها، وقد نزل الجيش في منتصف الظهيرة، فلما رأىٰ

ذلك الناس تكلم كلٌّ منهم بشاكلته، وما يليق به، ووجد الخبيث عدو الله عبد الله بن أُبَي متنفَّسًا، فتنفَّس من كرب النفاق والحسد الذي بين ضلوعه، فجعل يستحكي الإفك، ويستوشيه ويشيعه، ويذيعه، وكان أصحابه يتقرَّبون إليه بالحديث عن الإفك.

فلما قدموا المدينة أفاض أهل الإفك في الحديث، ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ساكت لا يتكلم، وظلت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مريضة شهرا، والناس يُشيعون قول أصحاب الإفك، وما كانت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تعلم بما يقول الناس، والذي جعل عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تشكُّ، وتتوهم في حصول أمر أنها لم تر من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللطف الذي كانت تراه عندما تمرض، وإنما كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدخل عليها، ويقول: «**كيف تِيكم؟**»، **تيكم**: إشارة إلىٰ المؤنث.

فلما بَرِأَت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا من مرضها علمت بما يقوله أهل الإفك، وذلك حين خرجت هيَ، وأم مِسْطَح ليلا لقضاء حاجتهما في الصحراء، فلما رجعتا تعثَّرت أم مِسْطَح في ثوبها، فقالت: تَعِس مِسْطَح، فقالت لها عائشة: بئس ما قلتِ، أَتَسُبِّين رجلًا شهد بدرا؟، فقالت: يا هَنْتَاه -أي يا هذه- ألم تسمعي ما قالوا؟ فأخبرتْها بما قال أهل الإفك، فازدادت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مرضا علىٰ مرضها، فلما رجعت إلىٰ بيتها دخل عليها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فسلم عليها، وقال: «**كيف تِيكم؟**»، فقالت: ائذن لي في أبويَّ؛ حتىٰ تستيقن الخبر منهما، فأذن لها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأتت أبويها، فقالت لأمها: ما يتحدث به الناس؟!، فقالت: يا بُنية هوِّني علىٰ نفسك الشأن، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها، ولها ضرائر، إلا أكثرن عليها.

وضيئة: أي جميلة، **وضرائر**: أي زوجات لرجل واحد.

فقالت عائشة: سبحان الله، ولقد يتحدث الناس بهذا، فباتت تلك الليلة لم تنم حتىٰ أصبحت، ولم ينقطع لها دمعٌ.

فلما تأخر نزول الوحي دعا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علي بن أبي طالب، وأسامة بن زيد يستشيرهما في فِراق عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فأشار عليه أسامة بإمساكها، وأن

لا يلتفت إلىٰ كلام الأعداء، وذلك لأنه عَلِم حب رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعائشة ولأبيها، وعلم عِفَّتَها، وبراءتها، وحصانتها، وديانتها، ما هي فوق ذلك، وأعظم منه، وأن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكرم علىٰ ربه، وأعز عليه من أن يجعل تحته امرأة بغيًّا.

وأما عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فقال: يا رسول الله لم يضيِّق الله عليك، والنساء سواها كثير، وسل الجارية تَصدُقك، فقد رأىٰ علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن ما قيل مشكوك فيه، فأشار علىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بترك الشك، والرَّيبة إلىٰ اليقين، وذلك ليتخلص رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الهم والغم الذي لحقه من كلام الناس، فأشار بحسم الداء.

وسأل رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زينبَ بنت جحش عن أمر عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فقال: يا زينب ما علمتِ؟ ما رأيتِ؟ فقالت: يا رسول الله أَحمي سمعي، وبصري، والله ما علمتُ عليها إلا خيرًا، فقد عصم الله عَزَّ وَجَلَّ زينب بنت جحش بالوَرَع، وقد كانت تُضَاهي عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في مكانتها عند رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ودعا النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَرِيرَة، فقال: «**يا بريرة، هل رأيتِ فيها شيء يريبُكِ؟**»، فقالت بريرة: لا، والذي بعثك بالحق إن رأيتُ منها أمرا أغمصُه عليها قط أكثر من أنها جارية حديثة السن -أغمصه: أي أعيبه- تنام عن العَجين فتأتي الداجن فتأكله.

الداجن: هي الشاة التي تألف البيت.

فقام رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من يومه، وظلَّت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عند أبويها تبكي ليلتين، ويومًا، ولا يَجُف لها دمع، ولا تنام، وبينما هي كذلك إذ جاءت امرأة من الأنصار فجلست تبكي معها، وبينما هما كذلك إذ دخل رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجلس، ولم يكن يجلس عندها من يوم إشاعة حديث الإفك، ومكث رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شهرا لا يوحىٰ إليه في شأنها شيء، فتشهد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم قال: «**يا عائشة، فإنه بلغَني عنك كذا وكذا، فإن كنتِ بريئة فسيبرِّئُك الله، وإن كنت ألممتِ بذنب فاستغفري الله، وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه، ثم تاب تابَ الله عليه**».

فلما قضىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مقالته، انقطع دمع عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وقالت لأبيها: أَجب عني رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال لها: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالت لأمها: أجيبي عني رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما قال، قالت أمها: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكانت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا حينئذ جارية حديثة السن، لم تقرأ كثيرا من القرآن، فقالت: إني والله لقدْ علمتُ أنكم سمعتم ما يتحدَّث به الناس، وصدَّقتم به، ولئن قلتُ لكم: إني بريئة، والله يعلم إني لبريئة، لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفتُ لكم بأمر، والله يعلم إني بريئة، لتُصدِّقُنِّي، والله ما أجد لي لكم مثلا إلا أبا يوسف إذ قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف:١٨].

ثم تحولتْ عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا علىٰ فراشها، واضطجعت وهي ترجو أن يبرئها الله تعالىٰ، وما ظنَّت أن الله يُنزِل في شأنها وحيا، وكانت ترىٰ في نفسها أنها أحقر من أن يتكلم القرآن في أمرها، وإنما كانت ترجو أن يرىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النوم رؤيا يبرئها الله بها، فما قام أحد من مجلسه هذا حتىٰ نزل الوحي علىٰ رسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما سُرِّيَ عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال لها رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «**يا عائشة، احمدي الله، فقد برَّأكِ الله**».

فقالت لها أمها: قومي إلىٰ رسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالت عائشة: لا والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله، وأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النور:١١]، إلىٰ آخر الآيات.

فلما أنزل الله عَزَّ وَجَلَّ هذا في براءتها، قال أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، -وكان ينفق علىٰ مِسْطَح بن أُثَاثة لقرابته منه-: والله لا أُنفق علىٰ مِسْطَح شيئًا أبدًا بعد ما قال لعائشة، فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور:٢٢].

فقال أبو بكر: بلىٰ والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فأنفق علىٰ مِسْطَح.

ثم خرج رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ الناس فخطبهم، وتلا عليهم ما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ عليه من القرآن في ذلك، ثم أمر بمن أفصح بالفاحشة فحُدوا ثمانين جلدة، وهو حَد القذف إلا أنه ترك الخبيث عبد الله بن أُبي مع أنه رأس أهل الإفك، وذلك لأن الحدَّ لا يثبت إلا بالإقرار أو بينة، وهو لم يقرَّ بالقذف، ولا شهد به عليه أحد؛ لأنه كان يذكره بين أصحابه، ولم يَشهدوا عليه.

أسئلة الدرس

السؤال الأول: لماذا غزا رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بني المُصْطَلِق؟

السؤال الثاني: في أي غزوة افترىٰ المنافقون علىٰ أم المؤمنين عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا حادثة الإفك؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس السابع عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المبارك، وهذا هو الدرس السابع عشر من دروس السيرة النبوية من كتاب «إسعاد البرية في السيرة النبوية»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ أهم الأحداث في غزوة الأحزاب.

لما رأى اليهود انتصار المشركين على المسلمين يوم أحد، وعلموا بميعاد أبي سُفيان لغزو المسلمين في العام المقبل خرج أشرافهم كسَلَّام بن أبي الحُقَيق، وسَلَّام بن مِشْكَم إلىٰ قريش بمكة يحرضونهم علىٰ غزو رسول الله ﷺ، ووعدوهم أنهم سيعاونونهم، وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتىٰ نستأصله، فأجابتهم قريش، ثم خرج أولئك النفر من اليهود إلىٰ غَطَفان، فدعوهم إلىٰ حرب رسول الله ﷺ، وأخبروهم أنهم سيعاونونهم، وأن قريشا قد تابعوهم علىٰ ذلك، فاجتمعوا معهم.

فخرجت قريش، وقائدهم أبو سفيان في أربعة آلاف، ووافتهم بنو سُليم في أثناء الطريق، وخرجت بنو أسد، وفَزَارة، وأشجع، وبنو مُرة، وجاءت غطفان وقائدهم عُيَينةُ بن حِصْن، فكان عدد من وافىٰ الخندق من الكفار عشرة آلاف.

ولما سمع رسول الله ﷺ بمسير المشركين، استشار أصحابه في ذلك، فأشار عليه سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بحفر خندق يحول بين العدو وبين المدينة، فعمل النبي ﷺ بمشورة سلمان، وأمر بحفر الخندق، فسارع إليه المسلمون

وشاركهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحفر، وكانت الأنصار تقول: نحن الذين بايعوا محمدا علىٰ الجهاد ما حَيينا أبدا.

وكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجيبهم قائلًا: «**اللهم لا عيشَ إلا عيشُ الآخرهْ فأكرمِ الأنصارَ والمهاجرهْ**».

وكان المنافقون يتسللون إلىٰ أهليهم بغير علم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما المؤمنون فكانت إذا أصابت أحدهم حاجة لا بد منها، استأذن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم رجع مرة أخرىٰ، وأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ في ذلك قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور:٦٢:٦٣].

وأيّد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعدة معجزات أثناء حفر الخندق، منها: أن صخرة صلبة من الأرض عَرضت للمسلمين أثناء حفر الخندق، فكان لا يؤثِّر فيها المعوَل، فجاؤوا إلىٰ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذكروا ذلك له، فأخذ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المعول فضرب فتفتت حتىٰ صارت كالرمل ينهال.

وكان عدد المسلمين الذين خرجوا للخندق ثلاثة آلاف، وتحصنوا بجبل سلع، فكان الجبل خلف ظهورهم، والخندق أمامهم بينهم، وبين الكفار، وأمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالنساء والأطفال فجُعلوا في حصون المدينة، واستخلف عليها ابن أم مكتوم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وانطلق حُيَي بن أَخْطَب إلىٰ بني قُرَيظة، فلما اقترب من حصنهم، أبي كعب ابن أسد أن يفتح له، فلم يزل يكلمه حتىٰ فتح له، لما دخل عليه لم يزل يكلمه حتىٰ نقض كعبٌ العهد الذي بينه، وبين رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودخل مع المشركين في محاربة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولما بلغ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن بني قُريظة نقضوا العهد الذي بينهم وبين المسلمين بعث إليهم جماعة من أصحابه؛ ليتأكدوا من صحة هذا الخبر، فلما رجعوا أخبروه بأنهم نقضوا العهد، فعند ذلك عظُم البلاء، واشتد الخوف، وأتىٰ المسلمين العدوُّ من كل جانب حتىٰ ظن المؤمنونَ كلَّ ظن، وحينئذ قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين، ونزل قول الله تعالىٰ: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب:١٠-١١].

وظهر النفاق من بعض المنافقين حتىٰ قال بعضهم: كان محمد يعِدُنا أن نأكل كنوز كسرىٰ وقيصر، واليوم لا يأمن أحدنا علىٰ نفسه أن يذهب إلىٰ الغائط، وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو علىٰ الأحزاب، فيقول: «**اللهم منزِلَ الكتاب، سريعَ الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم، وزلزلهم**».

وظل المشركون محاصِرين لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شهرا، ولم يكن بينهم قتال؛ لأجل الخندق بينهم وبين المسلمين إلا أن جماعة من المشركين اقتحموا الخندق، وجالت بهم خيلهم بين الخندق وسَلْع، ودعو المسلمين إلىٰ المبارزة، فخرج جماعة من المسلمين منهم علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فبارزهم فقتل علي عمرو بن عبد وُدٍّ، وكان من شجعان المشركين وأبطالهم، فهربت خيل المشركين منهزمة.

وشغل المشركون رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن صلاة العصر حتىٰ كادت الشمس تغرب، فدعا عليهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قائلا: «**ملأ الله قبورهم، وبيوتهم نارا كما شغلونا عن صلاة الوسطىٰ حتىٰ غابت الشمس**».

واستشار رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سعد بن معاذ، وسعد بن عُبادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في مصالحة عُيينة بن حِصْن، والحارث بن عوف رئيسي غطفان علىٰ ثلث ثمار المدينة، وينصرفا بقومهما، فقالا: يا رسول الله إن كان الله أمرك بهذا فسمعا وطاعة، وإن كان شيئًا تصنعه لنا فلا حاجة لنا فيه، لقد كنا نحن وهؤلاء القوم علىٰ الشرك بالله، وعبادة

الأوثان، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قِرىٰ، أو بيعا -قرىٰ: أي ضيافة- فحين أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا له، وأعزنا بك نعطيهم أموالنا؟ والله لا نعطيهم إلا السيف، فصوَّب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأيهما، وقال: «**إنما هو شيء أَصنعه لكم لمَّا رأيت العرب قد رَمتكم عن قَوس واحدة**»، أي اجتمعت عليكم.

ثم جاء رجل من غطفان يقال له: نُعَيم بن مسعود، فقال: يا رسول الله إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمُرني بما شئت، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنما أنت رجل واحد فخذِّل عنا ما استطعت، فإن الحرب خَدْعة -خذل: أي ادخل بين القوم حتىٰ يَخذُل بعضهم بعضا-، فخرج نُعيم بن مسعود حتىٰ أتىٰ بني قريظة، فقال: يا بني قريظة، إن قريشا وغطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم فيه أموالكم، وأبناؤكم، ونساؤكم، لا تقدرون علىٰ أن تذهبوا منه إلىٰ غيره، وإن قريشا، وغطفان قد جاؤوا لحرب محمد، وأصحابه، وقد ناصرتموهم عليه، وبلدهم، ونساؤهم، وأموالهم بغيره، فليسوا كأنتم، فإن أصابوا فرصة انتهزوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم، وخلوا بينكم، وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، قالوا: فما العمل يا نُعِيم؟

قال: لا تقاتلوا معهم حتىٰ يُعطوكم رهائن من أشرافهم.

قالوا: لقد أشرتَ بالرأي.

ثم خرج نُعِيم حتىٰ أتىٰ قريشا، فقال لهم: إن معشرَ يهود ندموا علىٰ ما كان منهم من نقض عهد محمد وأصحابه، وإنهم قد أرسلوا إليه: أنا قد ندمنا علىٰ ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين قريش، وغَطَفَان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم، فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك علىٰ من بقي منهم حتىٰ نستأصلهم؟ فأرسل إليهم: أن نعم، فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم، فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدا، ثم خرج حتىٰ أتىٰ غَطَفَان، فقال لهم مثل ما قال لقريش، وحذَّرهم ما حذرهم.

فلما كانت ليلة السبت بعث المشركون إلىٰ اليهود أن انهضوا بنا حتىٰ نقاتل

محمدا، فأرسل إليهم اليهود يطلبون رهائن، فأرسل المشركون إلىٰ اليهود: إنا والله لا ندفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا، فعلمت يهود بني قريظه صحة ما ذكر لهم نعيم، فخذَّل الله عَزَّوَجَلَّ بينهم.

وأرسل الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ المشركين جُندا من الريح، فجعلت تطرح خيامهم، ولا تدع لهم قِدْرا إلا كفأتها، ولا يَقِر لهم قرار، وجند الله من الملائكة يزلزلونهم، ويلقون في قلوبهم الرعب والخوف، ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش إنكم، والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكُرَاع، والخُف -الكراع: أي الخيل، والخُف: أي الإبل- وأخلفتنا بنو قريظه، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون، ما تطمئن لنا قِدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحِلوا، فإني مرتحِل.

ولما أصبح رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ انصرفوا عن الخندق راجعين إلىٰ المدينة، ووضعوا السلاح، وقد رد الله عَزَّوَجَلَّ عدوه بغيظه لم ينالوا خيرا، فكفاه الله قتالهم، فصدق وعده، وأعز جنده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، وقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ حين هرب الأحزاب عنه: «**الآنَ نغزوهم، ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم**».

وهذه الغزوة مشهورة عند أهل السير والمغازي **بغزوة الخندق**، وتسمىٰ أيضًا **بغزوة الأحزاب**.

❁❁❁

أسئلة الدرس

السؤال الأول: من الذي أشار علىٰ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بحفر الخندق؟

السؤال الثاني: من الذي جعل بني قُريظة ينقضون عهد رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الثامن عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المبارك، وهذا هو الدرس الثامن عشر من دروس السيرة النبوية من كتاب «**إسعاد البرية في السيرة النبوية**»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا على ما تبقى من أحداث السنة الخامسة من الهجرة، ومنها: غزوة بني قُريظة، ووفاة سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومقتل أبي رافع سَلَّام بن أبي الحُقَيق اليهودي، وقدوم وفد ربيعة عبد القيس إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقدوم وفد أشجعَ على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومسابقة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين الخيل.

هذا مجمل الأحداث، وإليكم التفصيل:

كانت بنو قُرَيظة أشد اليهود عداوة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لذلك فعل بهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما لم يفعله بإخوانهم من اليهود.

وكان سبب غزو بني قريظة: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما خرج إلى غزوة الخندق نقضت بنو قُريظة العهد الذي كان بينهم وبين المسلمين، فلما انصرف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الخندق إلى المدينة جاءه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ عند الظهر، وهو يغتسل، فقال: أوضعتَ السلاح؟ والله إن الملائكة لم تضع أسلحتها، فانهض بمن معك إلى بني قريظة، فإني سائر أمامك أُزلزل بهم حصونهم، وأَقذف في قلوبهم

الرعب، فسار جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ في موكبه من الملائكة، ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ أثره في موكبه من المهاجرين، والأنصار.

وأمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤذِّنًا، فأذن في المسلمين: من كان سامعًا مطيعًا فلا يصلِّين العصر إلا في بني قريظة، فسارع أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بامتثال أمره، وخرجوا إلىٰ بني قريظة، وأعطىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الراية علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واستخلف علىٰ المدينة ابن أُمِّ مكتوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وظل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محاصرًا لبني قُرْيظَة خمسا وعشرين ليلةَ حتىٰ جهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فلما اشتد عليهم الحصار، وأيقنوا بأن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غير منصرف عنهم حتىٰ يقاتلهم قال كعب بن أسد لليهود: يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإني عارض عليكم خلالا ثلاثة، فخذوا بما شئتم منها.

قالوا: ما هن؟

قال: نتابع هذا الرجل ونصدِّقه، فوالله لقد تبين لكم أنه لنبي مرسَل، وأنه للذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون به علىٰ دمائكم، وأموالكم، وأبنائكم، ونسائكم، فقالت اليهود: لا نفارق حكم التوراة أبدا، ولا نستبدل به غيره.

فقال كعب: فإذا أبيتم عليَّ هذه، فهَلُمَّ فلنقتلْ أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلىٰ محمد، وأصحابه فنقاتله حتىٰ يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نَهْلِك نهلك ولم نترك وراءنا نسلًا نخشىٰ عليه، وإن انتصرنا فلعَمري لنجدَنَّ النساء والأبناء -أي نتزوج النساء فينجبن لنا أبناء آخرين-.

قالوا: أنقتل هؤلاء المساكين، فما خير العيش بعدهم -أي بعد نسائهم، وأبنائهم-.

قال: فإن أبيتم علي هذه فالليلة ليلة السبت، وإنه قد عسىٰ أن يكون محمد، وأصحابه قد أَمِنونا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد، وأصحابه غِرة.

قالوا: أنُفسد سبتنا، ونُحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا إلا من قد علمت، فأصابه ما لم يخف عنك من المسخ.

فقال كعب: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلةً واحدة من الدهر حازما.

ثم بعث بنو قريظة إلىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ابعث لنا أبا لُبابة بن عبد المُنذر؛ لنستشيره في أمرنا، وكان أبو لبابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من الأوس، وكانت بنو قريظة حلفاء للأوس، فأرسل رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا لُبابة إلىٰ بني قُريظة، فلما رأوه بَكوا له فرَقَّ لهم، وقالوا له: يا أبا لُبَابة، أترىٰ أن ننزل علىٰ حكم محمد؟

فقال لهم: نعم، وأشار بيده إلىٰ حَلقه أنه الذبح -أي سيذبحون-، ثم علم أبو لبابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه خَان بذلك الله ورسوله، فلم يرجع إلىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ أتىٰ مسجد المدينة، فربط نفسه بسارية المسجد، وحلف ألا يَحله إلا رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيده، فلما بلغ ذلك رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أما إنه لو جاءني لاستغفرتُ له، فأما إذ قد فعل ما فَعل فما أنا بالذي أطلِقه من مكانه حتىٰ يتوب الله عليه**»، ثم تاب الله عَزَّ وَجَلَّ عليه وحله رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيده.

ثم نزلت بنو قُريظة علىٰ حكم رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجاءت الأوس إلىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالوا: يا رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسِنْ إلىٰ مَوالِينا، أي بني قُرَيظَة.

فحكَّم فيهم رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَعد بن معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وكان من الأوس، فأرسل رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ سعد بن معاذ، وكان بالمدينة لم يَخرج معهم لجُرح كان به، فلما جاء سعد بن معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ طلبوا منه أن يُحسن إلىٰ بني قُرَيظة، فقال سعد: لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم، فلما أقبل سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه: «**قوموا إلىٰ سيِّدكم**»، فلما نزل.

قال: فإني أحكم فيهم أن يقتل الرجال، وتسبىٰ الذرية، وتُقسم الأموال.

فقال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لقد حكمتَ فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات**».

فأمر رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقتل كل الرجال البالغين من بني قريظة، ومن لم

يبلغ منهم أُلحق بالذرية -أي بالأطفال- ثم قَسَم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أموال بني قريظة، ونساءهم، وأبناءهم علىٰ المسلمين.

ولما عاد سعد بن معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلىٰ خيمته من المسجد النبوي بعد أن حكم في بني قُريظة بالقتل، والسبي انفجر جُرحه من الليل، فلم يزل يخرج منه الدم حتىٰ مات رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ولما وُضعت جنازته قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اهتزَّ العرشُ لموت سعدِ بن معاذ**»، ولما حُملت جنازته قال المنافقون: ما أخفَّ جِنازته، فبلغ ذلك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «**إن الملائكة كانت تحمله**».

ولما انتهى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غزوة بني قُريظة، وكان أبو رافع سلَّام بن أبي الحُقَيق اليهودي ممن جمع، وحرض الأحزاب علىٰ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يُقتل مع بني قريظة كما قُتل صاحبه حُيَي بن أَخْطب، أتت الخزرج إلىٰ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واستأذنوه أن يقتلوه، فأذِن لهم، فخرج إليه رجال من الخزرج وأتَوه ليلا في خيبر في دار له، ووجدوه في غرفة عالية، فلما صعدوا إليه خرجت إليه امرأته، فقالت: من أنتم؟ قالوا: ناس من العرب نلتمس الطعام، فقالت لهم: هذا صاحبكم، فادخلوا عليه، فلما دخلوا عليه أغلقوا الباب عليهم، فضربوه بأسيافهم، ثم خرجوا مسرعين نحو المدينة، فلما قدموا علىٰ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبروه بقتل عدو الله، وكلٌّ واحد منهم يدَّعي قتله، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أروني أسيافكم**»، فلما أروه إياها، قال لسيف عبد الله بن أُنيس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**هذا الذي قتله؛ أرىٰ فيه أثر الطعام**».

وأتى وفد عبدِ قيس ثلاثةَ عشرَ رجلا إلىٰ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَن الوفد؟ قالوا: ربيعة، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مرحبًا بالقوم غير خزايا، ولا نَدامىٰ**».

فقالوا: يا رسول الله، إنا نأتيك من شُقة بعيدة، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مُضر، ولا نستطيع إلا أن نأتيك في الشهر الحرام، فمُرنا بأمر فَصل -أي واضح ثابت- نخبر به من وراءنا -أي من تركنا من قومنا-، وندخل به الجنة، وسألوه عما يَحِل، ويحرم من الأشربة، فأخبرهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم قدم وفد أشجع علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم مائة رجل، وأمر لهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأحمال التمر، فَحَالَفَهُم، ورَجَعوا إلىٰ بلادهم، ثم أسلمُوا بعد ذلك.

وسابق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **في السَّنة الخامسة** من الهجرة بين الخيل التي أُضمرت من الحفياء إلىٰ ثَنِيَّة الوَدَاع، وكان بينهما سبعة أميال.

الحَفْياء: موضع بالقُرب من المدينة.

والخيل التي أُضمِرت: هي التي ذهب رَهْلُها، فقوي لحْمُها، واشتد جريها.

وسابق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بين الخيل التي لم تُضَمَّر** من ثَنيَّة الوداع إلىٰ مسجد بني زُريق، وكان بينهما مِيل، وكان عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فيمن سابق بها.

المراد بالمسابقة بالخَيل كونها مركوبة لا مجرد إرسال الفرسين بغير راكب.

أسئلة الدرس

السؤال الأول: لماذا غزا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بني قريظة؟

السؤال الثاني: من الذي حكَّمه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بني قريظة؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس التاسع عشر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المبارك، وهذا هو الدرس التاسع عشر من دروس السيرة النبوية من كتاب «**إسعاد البرية في السيرة النبوية**»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ بعض أحداث السنة السادسة من الهجرة، ومنها: سرية محمد بن مسلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلىٰ القُرُطاء، وتَسرِّي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بريحانة، وسرية عُكَّاشة بن محصن إلىٰ الغَمْر، وسرية محمد بن مَسْلمة إلىٰ ذي القَصَّة، وسرية أبي عُبيدة بن الجرَّاح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلىٰ ذي القَصَّة، وسرية زيد بن حارثة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلىٰ بني سُلَيم بالجَمُوم، وسرية زيد بن حارثة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلىٰ العِيص، وغزوة بني لِحْيَان، وسرية زيد بن حارثة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلىٰ الطَّرِف.

هذا مجمل الأحداث، وإليكم التفصيل:

في العاشر من المحرم من السنة السادسة من الهجرة بعث الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محمد بن مَسْلَمة في ثلاثين راكبا إلىٰ القُرَطاء، وذلك ليؤدِّب بني بكر؛ لأنهم تآمروا علىٰ قتل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأمر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محمد بن مَسْلَمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن يَشن علىٰ بني بكر الغَارة، فكان يسير بالليل، ويستريح بالنهار، فأغار عليهم، فقتل نفرًا منهم، وأسرَ ثُمامةَ بن أُثال الحنفي، وهرب سائر بني بكر، وغَنِم

محمد بن مَسَلمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ نَعَما وشاءً، ورجع إلىٰ المدينة، فخمَّس رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الغنيمة التي جاء بها محمد بن مَسْلَمة خمسة أخماس.

ولما قدموا المدينة ربطوا ثمامة بن أُثال بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فقال: «**ما عندك يا ثُمامة؟**» فقال: عندي خير يا محمد، إن تَقتلني تَقتل ذا دم، وإن تُنْعِم تُنْعِم علىٰ شاكر -أي إن تقتلني تَقتل ذَا قَدْر يُشتفىٰ بدمه وقتله، وذلك لرياسته وفضيلته، وإن تحسن إليَّ بالعفو عنهم، فالعفو من شيم الكرام، ولن يضيع معروفك عندي- قال ثمامة: وإن كنتَ تريد المال فسل منه ما شئت، فتُرك حتىٰ كان الغد، ثم قال له رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**ما عندك يا ثمامة؟**»، فقال ثمامة: ما قلت لك، أن تُنعم تُنعم علىٰ شاكر، فتركه رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حتىٰ كان بعد الغد، فقال: «**ما عندَك يا ثمامة؟**»، فقال ثمامة: عندي ما قلتُ لك، فقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: أطلقوا ثُمامة، فانطلق ثمامة إلىٰ نَخل قريب من المسجد فاغتسل، ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، يا محمد والله ما كان علىٰ الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إليَّ، والله ما كان من دين أَبغض إليَّ من دِينك، فأصبَح دينك أحب الدين إليَّ، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إليَّ، وإنَّ خيلك أخذتني، وأنا أريد العُمرة فماذا ترىٰ؟

فبشره رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بمغفرة ذِنوبه، وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قيل له: صبوتَ -أي وتركت دينك، ودين آبائك- فقال لهم: لا، لكني أسلمت مع محمد رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حَبة حِنطة حتىٰ يأذن فيها النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

واصطفى النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من سَبي بني قُريظة رَيحانة بنت زيد بن عمرو، ولم تزل عند رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حتىٰ ماتت في مرجعه من حَجة الوداع، فدفنها في البقيع.

وبعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **في شهر ربيع الأول عُكَّاشَةَ بن مِحْصَن** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أربعين رجلا إلىٰ الغَمْر، فخرج سريعا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلما علم المشركون به هربوا، فنزل علىٰ مياههم، وبعث الطلائع، فوجدوا مائتي بعير فساقوها إلىٰ المدينة، ولم يُصَب منهم أحد، ولم يَلقَوا حربا.

ثم بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **في شهر ربيع الآخر محمد بن مَسلمة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في عشرة نفر إلىٰ بني ثعلبة، وهم بذي القَصَّة، فأتوهم ليلا، فكَمن بنو ثعلبة حتىٰ نام محمد بن مَسلَمة وأصحابه، فاجتمعوا حولهم، فما شعر المسلمين إلا بالنبل قد خالطتهم، فصاح محمد بن مسلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأصحابه: السلاح، فقاموا، فترامَوا ساعة من الليل بالنبل، ثم قاتلهم بنو ثعلبة بالرِّماح فقتلوهم جميعا إلا محمدَ بن مسلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقع جريحا لا يتحرك، وجرَّدوهم من الثياب وانطلقوا، فمر رجل مسلم علىٰ القتلىٰ، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، فلما سمعه محمد بن مَسلمة تحرك له، فعرض علىٰ محمد طعاما، وشرابا، وحمله حتىٰ قدم به المدينة.

ثم بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أبا عُبيدة بن الجَرَّاح إلى ذي القَصَّة** في أربعين رجلًا، فساروا ليلتهم مشاة، ووافوا مصارع أصحاب محمد بن مَسْلَمة مع الصبح، فأغاروا علىٰ بني ثعلبة فهربوا منهم في الجبال، وأسروا رجلا واحدا، فأسلم، ووجدوا نَعَمًا وشاء فساقوها إلىٰ المدينة، ورجعوا.

ثم بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **زيد بن حارثة إلى بني سُليم،** فسار حتىٰ أتىٰ الجَمُوم فأصابوا امرأة من مُزَينة، فدلتهم علىٰ مَحَلة من مَحَالِّ بني سليم، فأصابوا نَعَما وشاء، وأسرىٰ، ثم رجعوا إلىٰ المدينة.

ولما بلغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أن عيرًا لقريش أقبلت من الشام بعث زيد بن حارثة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ العِيص، ومعه سبعون ومائة راكب، وذلك ليتعرَّض لعير قريش فأخذوها وما فيها، وأخذوا يومئذ فضة كثيرة لصفوان بن أُمية، وأسروا ناسا ممن كان في العير، منهم أبو العاص بن الربيع، فلما قدموا بهم المدينة استجار أبو

العاص بزينب بنت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأجارته، ونادت في الناس حين صلىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصبح: إني قد أجرتُ أبا العاص، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أيها الناسُ هل سمعتُم ما سمعتُ؟**» قالوا: نعم، فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فوالذي نفسي بيده ما علمت بشيء مما كان حتىٰ سمعت الذي سمعتم، المؤمنون يد علىٰ من سواهم، يُجير عليهم أدناهم، وقد أجرنا من أجارتْ**».

معنى «يد على من سواهم»: أي يجب علىٰ كل واحد نُصرة أخيه.

ومعنى «يجير عليهم أدناهم»: أي الأدنىٰ كالأعلىٰ يعطي الأمان لمن شاء.

ومعنى «قد أجرنا من أجارت»: أي أمَّنَّا من أمَّنَت.

فلما انصرف النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ منزله دخلت عليه زينب، فسألته أن يَرُد علىٰ أبي العاص ما أخذ منه من المال، ففعل صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورد عليه ما أخذ منه، ثم كلم رسول الله أصحابه، فردوا إليه كل شيء أخذوه منه، فلما رجع أبو العاص إلىٰ مكة أدىٰ إلىٰ كل ذي حق حَقه، وقال: يا معشر قريش، هل بقي لأحد منكم شيء؟، قالوا: لا والله، قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، لقد أسلمت بالمدينة، وما منعني أن أُقيم بالمدينة إلا أن خشيت أن تظنوا أني أسلمت لأن أذهب بالذي لكم.

وفي شهر جمادى الأولى خرج رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بني لِحيان؛ ليغزوهم، ومعه مائة رجل، وأظهر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه يريد الشام، وذلك ليصيب المشركين، وهم في غفلة، واستخلف صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ المدينة ابن أم مكتوم، ثم أسرع السير حتىٰ انتهىٰ إلىٰ مصاب أصحاب الرجيع، فترحم رسول الله عليهم، ودعا لهم، فلما سمعت بنو لِحيان بمجيء رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هربوا في رؤوس الجبال، فَلم يقدر عليهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأقامَ يومين بأرضهم، وبعثَ السرايا فلم يقدروا عليهم، فسار صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ عُسْفان، ثم رجع صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ المدينة، وبعث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زيد بن حارثة إلىٰ الطَّرِف إلىٰ بني ثعلبة،

فخرج رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في خمسةَ عشر رجلا حتىٰ إذا كانوا بالطَّرِف أصاب نَعَما وشاء، وهربت بنو ثعلبة، وخافوا أن يكون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد سار إليهم، ورجع زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ المدينة، وخرج بنو ثعلبة في البحث عنه، فلم يلحقوا به.

أسئلة الدرس

السؤال الأول: لماذا أرسل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محمد بن مَسْلَمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ القُرَطَاء؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس العشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المبارك، وهذا هو الدرس العشرون من دروس السيرة النبوية من كتاب «إسعاد البرية في السيرة النبوية»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ بعض أحداث السنة السادسة من الهجرة ومنها: سرية زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ حِسْمَىٰ، وسرية زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ وادِي القرىٰ، وسرية عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ دُوْمَة الجَنْدل، وسرية علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ بني سعد بن بكر بِفَدَك، وسرية زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ أُم قِرْفة، واستسقاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالناس، وسرية عبدالله بن أبي رَواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ أُسَير بن زَارِم، وسرية كُرْز بن جابر إلىٰ العُرَنِيِّين، وسرية الخَبَط، وقدوم وفد عَبْس علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسرية بني عَبْس.

هذا مجمل الأحداث، وإليكم التفصيل:

في شهر جمادى الآخرة من السنة السادسة من الهجرة لما رجع دِحْية بن خليفة الكَلبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من عند قَيصر، وقد أبلغه كتاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعوه إلىٰ الله، فلما بلغ واديا في أرض بني جُذَام لقيه الهُنَيد بنُ عَارض، وابنه عارض بن الهُنيد ومعهم ناس من جُذام بحِسْمىٰ، فقطعوا عليه الطريق وأخذوا ما معه، فسمع بذلك

نفر منهم قد أسلموا، فاستنقذوا ما كان أخذ لِدِحْية، فردوه عليه، ولما رجع دِحية إلىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبره الخبر، فبعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينئذ زيدَ بن حارثة في خمسمائة رجل، وردَّ معه دِحية، فهجموا علىٰ القوم مع الصبح، وقَتلوا الهُنَيد، وابنه، وثلاثة رجال، وغنموا نَعَمًا، وشَاءً كثيرة، ثم رجع إلىٰ المدينة.

وفي رجب من السنة السادسة من الهجرة أراد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُرهِب أعداء الله تعالىٰ، وينذرهم بأن يُخَلوا بينه وبين دعوة الناس لعبادة الله عَزَّ وَجَلَّ وحده، فأرسل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِدة سرايا منها: سَرِيَّة زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ وادي القرىٰ، ولكنه لم يَلقَ حربا.

وفي شهر شعبان من السنة السادسة من الهجرة أمَر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يتجهَّز للخروج إلىٰ دُوْمة الجَنْدل؛ ليدعوهم إلىٰ الإسلام، فلما أصبح صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بلالا أن يدفع إليه اللواء، فدفعه إليه، وأمره أن يغزوا في سبيل الله، ويقاتلوا من كفر بالله، ولا يخونوا في المغانم، ولا يغدروا، ولا يمثِّلوا، ولا يقتلوا وليدا، وقال له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن أطاعوك فتزوَّج ابنة مَلِكهم**»، فلما قدم عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دُوْمة الجَنْدل، ظل يدعوهم إلىٰ الإسلام ثلاثة أيام، وقد كانوا أبوا أولَ ما قدم يعطونه إلا السيف، فأسلم في اليوم الثالث ملكهم الأَصْبَغ بن عمرو الكَلبي، وكان نصرانيا، فأسلم القومُ، وتزوَّج عبد الرحمن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تُمَاضر بنت الأَصْبغ.

وفي شهر شعبان من السنة السادسة من الهجرة بلغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن بني سعد بن بكر بفَدَك يريدون أن يساعدوا يهودَ خيبر، فبعث إليهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علي بن أبي طالب ومعه مائة رجل فأغاروا عليهم، فغنموا بعيرا وشَاءً، وهربت بنو سعد بالنساء، وقدم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمن معه المدينة، ولم يلقوا حربًا.

وفي رمضان من السنة السادسة من الهجرة خرج زيد بن حارثة في تجارة إلىٰ الشام، ومعه بضائع لأصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما اقترب من وَادِي القُرىٰ لقيَه

ناس من فَزَارة فضربوه، وضربوا أصحابه، وأخذوا ما كان معه، فقدم زيدُ بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المدينة، فلما برِئ من جراحته بعثه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ بني فَزَارة في جيش فقتلهم بوادي القرىٰ، ثم رجع إلىٰ المدينة.

وفي رمضان من السنة السادسة من الهجرة أصاب الجَدْب أهل المدينة، فأتوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فشَكَوا ذلك إليه، وقالوا: يا رسول الله قحطَ المطر، وأجدبت الأرض، وهلك المال، فخرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين بدا حاجب الشمس، فقَعَد علىٰ المنبر، فكبَّر، وحمد الله عَزَّوَجَلَّ، ثم قال: «**إنكم شكوتم جدْب دياركم، واستئخار المطر عن إبَّان زمانه عنكم** -أي وقت زمانه- **قد أمركم الله** عَزَّوَجَلَّ **أن تدعوه، ووعدكم أن يستجيب لكم**»، ثم قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، ملك يوم الدين، لا إله إلا الله، يفعل ما يريد، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت الغَنِي، ونحن الفقراء، أَنْزل علينا الغَيث، واجعل ما أنزلت لنا قوة، وبلاغا إلىٰ حين**»، ثم رفع يديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلم يزل في الرفع حتىٰ بدا بياض إبطيه، ثم حوَّل إلىٰ الناس ظهره، وقلَّب رداءه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو رافع يديه، ثم أقبل علىٰ الناس ونزل فصلىٰ ركعتين، فأنشأ الله سحابة فرعدت، وبرَقت، ثم أَمطرت بإذن الله تعالىٰ، فما لبث أن أتاه الناس يَشْكون منه الغَرق من كثرة الأمطار، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أشهدُ أن الله علىٰ كل شيء قدير، وأني عبد الله ورسوله، اللهم حَوَالينا لا علينا**»، فانكشف السحاب عن المدينة فصار حَواليها، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لو أدركَ أبو طالبٍ هذا اليوم لسَرَّه**».

ولما قَتل أبو رافع سلام بن أبي الحُقَيق أمَّرت يهود عليهم أُسَير بن زَارم، فسار في غَطَفان، وغيرهم يجمعهم؛ لحرب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما بلغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك بعث عبد الله بن رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في ثلاثة نفر سرا؛ ليأتي بخبر أُسَير، فقدم علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبره بأن أُسَيرا يجمع الناس لغزو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فحث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناسَ، فخرج له ثلاثون

رجلا، فأمَّر عليهم عبد الله بن رَوَاحة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فلما قدموا علىٰ أُسَير قالوا: إن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بعثنا إليك؛ لتخرج إليه فيستعملك علىٰ خيبر، ويُحسن إليك، فلم يزالوا به حتىٰ تبعهم، وخرج معه ثلاثون رجلا من اليهود مع كل رجل رديف من المسلمين حتىٰ إذا اقتربوا من خيبر ندم أُسير، ثم قتله عبد الله بن أُنيس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بعد أن همَّ أُسير بقَتله، ثم قتل كل مسلم رَديفه من اليهود غيرَ رجل واحد هرب، ثم رجعوا إلىٰ المدينة، وقال لهم رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لما أخبروه الخبر: «**قد نجَّاكم الله من القوم الظالمين**».

وفي شوال من السنة السادسة من الهجرة قدم ثمانية نَفر من عُكْل، وعُرَينة علىٰ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فأظهروا الإسلام، ثم قالوا بعد مدة: يا نبي الله، إنا كنا أهل ضَرع -يعني أهل ماشية-، ولم نكن أهل ريف، واستوخموا المدينة -أي كرهوها لمرض أصابهم- فأمر رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بإبل وراع، وأمرهم أن يخرجوا فيه، فيشربوا من ألبانها وأبوالها، فكانوا فيها حتىٰ صحوا، وسمنوا، فكفروا بعد إسلامهم، وقطعوا يد، ورِجل راعي النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وغرزوا الشوك في لسانه، وعينيه حتىٰ مات، وأخذوا الإبل، فلما بلغ ذلك رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بعث في آثارهم عشرين فارسا، وأمَّر عليهم كُرْز بن جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فأدركوهم، فأحاطوا بهم، وأسروهم، وربطوهم، وأردفوهم علىٰ الخيل حتىٰ قَدِموا بهم المدينة، فأمَر رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بهم ففَقُؤوا أعينهم بمسَامير مَحْمِيَّة، وقطعوا أيديهم وأرجلهم، وتُركوا في ناحية الحرَّة حتىٰ ماتوا علىٰ حالهم، وأنزل الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ رسوله قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾ [المائدة:٣٣]، فلم يَفقأ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عينًا بمسامير محمِية بعد ذلك.

وقبل صلح الحُديبية أرسل رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أبا عُبيدة بنَ الجرَّاح

في ثلاثمائة رجل من المهاجرين والأنصار، وذلك ليرصدوا إبلا لقريش، وزودهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِرابا من تَمر.

والجراب: هو الوعاء المصنوع من جلد، ولم يجد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم غير هذا الجِراب.

فكان أبو عبيدة يعطي كل واحد من الجنود تمرة، فكان كل واحد يَمَصُّ تمرته كما يَمَصُّ الصبي، ثم يشرب عليها من الماء فتكفيه يومه إلىٰ الليل، فأصابهم جوع شديد حتىٰ أكلوا الخَبَط، **والخبط** ما يتساقط من الشجر إذا ضربتها بالعصا.

فكانوا يضربون الخبط بعِصِيِّهم، ثم يبلونَه بالمَاء فيأكلونه، فسُمِّي جَيش الخَبَط، فانطلقوا علىٰ ساحل البحر، فألقىٰ إليهم البحر حوتا ضخما ميِّتا لم يُرَ مثله، فأتوه فإذا هو العَنبر، فقال أبو عبيدة: مَيتة، ثم قال: لا، بل نحن رُسل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي سبيل الله وقد اضطررتم فكُلوا، فأكلوا منها نصف شهر حتىٰ سَمِنوا، وكانوا يَدَّهِنُون من دُهنها، وشَحمها حتىٰ رجعت إليهم قواهم، وكانوا يغترفون الدُّهن من داخل عين الحوت بالقلال، ويقطعون منه القطع مثل الثَّور، وأخذ أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فأقعدهم داخل عينه، هذا لكِبَر عينه، وأخذ ضلعا من أضلاعه فنصبه، ثم ركب أطول رجل منهم أعظم بعير معهم فمر تحته، وتزودوا من لحمه إلىٰ المدينة، فلما قدموا المدينة أتوا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فذكروا ذلك له، فقال: «**هو رزق أخرجه الله لكم، هل معكم من لحمه شيء فتطعمونا؟**» فأرسلوا إلىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأكله.

فقدم على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسعة رهط من بني عَبْس فأسلموا، ودعا له رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخير، ولما بلغه أن عيرا لقريش أقبلت من الشام بعث إليهم هذا الوفد، فقالوا: يا رسول الله، كيف نَقسم غنيمة إن أصبناها، ونحن تسعة؟ فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنا عاشِركم**».

❁❁❁

أسئلة الدرس

السؤال الأول: لماذا سميت سرية الخَبَط بهذا الاسم؟

السؤال الثاني: ماذا فعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع العُرَنِيين؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الحادي والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المبارك، وهذا هو الدرس الحادي والعشرون من دروس السيرة النبوية من كتاب **«إسعاد البرية في السيرة النبوية»**، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ بعض ما جاء في صلح الحديبية، ولا زلنا في السنة السادسة من الهجرة.

في شهر ذي القعدة خرج رسول الله ﷺ معتمرا لا يريد حربًا، واستنفر ﷺ العرب، ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب حتي يخرجوا معه؛ لأنه يخشىٰ من قريش أن يعرضوا له بحرب، أو يصدوه عن البيت، فأبطأ عليه ﷺ كثير من الأعراب، وخرج رسول الله ﷺ بمن معه من المهاجرين والأنصار، ومن لحق به من العرب، وكانوا ألفا وأربعمائة، وساق ﷺ معه الهدي، وأحرم بالعمرة، وذلك حتىٰ يأمن المشركون من حربه ﷺ، وليعلموا أنه إنما خرج زائرًا لهذا البيت، ومعظِّما له، ولم يأتِ للقتال.

ولما كان النبي ﷺ بذي الحُليفة أحرم بالعمرة، وقلَّد الهَدي، وأَشعَره، وبعثَ ﷺ أمامه رجلًا ليأتيه بخبر قريش، فلما كان ﷺ قريبًا من مكة أتاه هذا الرجل، فقال: يا رسول الله، هذه قريش قد سَمعتْ بمسيرِك،

فخرجوا معهم العُوذُ المَطافيل، -أي أنهم خرجوا معهم بذوات الألبان يتزودون من ألبانها، ولا يرجعون حتىٰ يقاتلوا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويمنعوه من الدخول إلىٰ مكة-، قال هذا الرجل: وجمعوا لك يا رسول الله جموعا، وقد لبسوا جلود النمور، وقد نزلوا بذي طوىٰ -وهو مكان بالقُرب من مكة-، قال: وهم مقاتلوك، وصادوك عن البيت، ومانعوك، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدًا، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموها إلىٰ كُرَاع الغَمِيم.

فاستشار النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه، فقال: «**أَتَرَوْنَ أَنْ نَمِيلَ إِلَىٰ ذَرَارِيِّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَعَانُوهُمْ فَنُصِيبَهُمْ، فَإِنْ قَعَدُوا قَعَدُوا مَوْتُورِينَ مَحْرُوبِينَ** -أي مسلوبين منهزمين-، **وَإِنْ يجيئوا تَكُنْ عُنُقًا قَطَعَهَا الله، أَمْ تَرَوْنَ أَنْ نَؤُمَّ الْبَيْتَ فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ**».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، إِنَّمَا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَلَمْ نَجِئْ نقَاتِلُ أَحَدًا، وَلَكِنْ مَنْ حَالَ بَيْنَنَا، وَبَيْنَ الْبَيْتِ قَاتَلْنَاهُ.

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَرُوحُوا إِذن**»، فَرَاحوا.

ثم سلك النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طريقا وَعْرا، وذلك ليتجنَّب ملاقاة المشركين، فلما رأت خيل قريش غبار جيش المسلمين قد خالفوا عن طريقهم رجع خالد، ومن معه راكضين نذيرا إلىٰ قريش، ثم نزل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأقصىٰ الحُدِيبية، ولما استقر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحُدَيبية، أتاه بُدَيل بن وَرْقَاء الخزاعي، ومعه نفر من خزاعة، وكانوا محل نصح رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: إني تركتُ كعب بن لؤي، وعامر بن لُؤي نزلوا أعدادَ مياه الحديبية، معهم العُوْذ المطافيل، وهم مقاتلوك، وصادوك عن البيت، فما الذي جاء بك؟

قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنا لَمْ نَجِئْ نقَاتِلُ أَحَدًا، ولكنا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وإن قريشا قد نَهِكَتْهم الحَربُ، وأضرَّت بهم، فإن شاؤوا مَادَدْتُهم مدة** -أي جعلت بيننا، وبينهم مدة صلح، وهُدنة- **ويخلُّوا بيني، وبين الناس، فإن أظهر** -أي انتصرت عليهم- **فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جَمُّوا** -أي

استراحوا من جهد الحرب- **وإن هم أَبوا، فوالذي نفسي بيده لأقاتلنَّهم علىٰ أمري هذا حتىٰ تَنْفِرد سَالفتي** -أي حتىٰ أُقتل- **ولينفذَنَّ الله أمره**».

فقال بُدَيْل: سأبلغهم ما تقول، فانطلق حتىٰ أتىٰ قريشا، قال: إنا قد جئناكم من هذا الرجل، وسمعناه يقول قولًا، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا.

فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء، وقال ذو الرأي منهم: هات ما سمعته يقول، فأخبرهم بما قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاتهموه، وخاطبوه بما يكره، وقالوا: وإن كان جاء، ولا يريد قتالًا فوالله لا يدخلها علينا عَنوة أبدًا، ولتحدَّث بذلك عنا العرب.

فقام عروةُ بن مسعود فقال: يا قوم، ألستُ بالوالد؟ أي مثل الوالد في الشفقة، والمحبة.

فقالوا: بلىٰ.

قال: أولستُ بالولد؟ أي مثل الولد في النصح لوالده.

قالوا: بلىٰ.

قال: فهل تَتهمونني؟

قالوا: لا.

قال: ألستم تعلمون أني استنفرتُ أهل عُكاظ، فلما بلَّحُوا عليَّ جئتكم بأهلي وولدي، ومن أطاعني؟ **بلَّحوا**: أي امتنعوا.

قالوا: بلىٰ.

قال: فإن هذا قد عرَض لكم خُطَّة رشد، أي خَصْلة خير.

قال: اقبلوها، ودَعوني آتيه.

فقالوا له: ائْتِهِ.

فأتىٰ عروة بن مسعود النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكلم النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثل ما كلَّمه بُدَيل، ثم رجع عروة إلىٰ أصحابه فقال: يا قوم، والله لقد وفدت علىٰ الملوك

ووفدت علىٰ قيصر وكِسرىٰ والنجاشي، والله ما رأيتُ ملكا قط يعظِّمه أصحابه ما يعظِّم أصحاب محمد محمدًا صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، والله إن تنخَّم نُخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدَلَك بها وجهه، وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون علىٰ وَضوئه، وإذا تكلم خَفضوا أصواتهم عنده، وما يُحدُّون إليه النظر تعظيما له، وإنه قد عَرض عليكم خُطَّة رشد فاقبلوها، فقال رجل من بني كِنانة: دعوني آتيه، فقال: ائْتِهِ، فلما أشرف علىٰ النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأصحابه قال صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**هَذَا فُلان، وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ الْبُدْنَ فَابْعَثُوهَا لَهُ**».

قوله: «يُعَظِّمُونَ الْبُدْنَ»: أي يعظِّمون ما أُهدي إليهم البيت احترامًا للبيت، وليسوا ممن يستحلها، والْبُدْنَ هي الإبل، والبقر.

وقوله: «فَابْعَثُوهَا»: أي أثيروها أمامه.

فبُعثت له، واستقبله الناس يلبون بالعمرة، فَلَمَّا رَأَىٰ ذَلِكَ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ! مَا يَنْبَغِي لِهَؤُلاءِ أَنْ يُصَدُّوا عَنْ الْبَيْتِ، فَلَمَّا رَجعَ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ قَالَ: رَأَيْتُ الْبُدْنَ قَدْ قُلِّدَتْ وَأُشْعِرَتْ، فَمَا أَرَىٰ أَنْ يُصَدُّوا عَنْ الْبَيْت، فقام رجل منهم يقال له: مِكْرَز بن حَفْص، فقال: دعوني آتيه، فقالوا: ائْتِهِ، فلما أشرفَ عليهم.

قال النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**هذا مِكْرز، وهو رجل فاجرٌ**»، أي غادر، فجعل يكلِّم النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فقال له رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مثل ما قال لبُدَيل وأصحابه، فرجع إلىٰ قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

سؤال الدرس

كم كان عدد المسلمين الذين خرجوا مع رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في صلح الحديبية؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الثاني والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المبارك، وهذا هو الدرس الثاني والعشرون من دروس السيرة النبوية من كتاب «**إسعاد البرية في السيرة النبوية**»، ولا زلنا في السنة السادسة من الهجرة في صلح الحُدَيبية.

لما تتابع رسل قريش على رسول الله ﷺ أحب ﷺ أن يبعث إلىٰ كفار قريش رجلا من أصحابه يخبرهم بأنهم ما جاؤوا إلا للعمرة، فدعا عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليبعثه إليهم، فقال: يا رسول الله ليس لي بمكة أحد من بني كعب يغضب لي إن أُوذيت، فأرسلْ عثمان بن عفان فإنَّ عشيرته بها، وإنه مبلِّغ ما أردت، فدعا ﷺ عثمان بن عفان فأرسله إلىٰ قريش، وقال: أخبرهم أنا لم نأتِ لقتال، وإنما جئنا عُمَّارا، وادعهم إلىٰ الإسلام، وأمره أن يأتي رجالا بمكة مؤمنين، ونساء مؤمنات، فيدخل عليهم، ويبشِّرهم بالفتح، ويخبرهم أن الله مظهِر دينه بمكة حتىٰ لا يُستخفىٰ فيها بالإيمان، فانطلق عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نحو مكة حتىٰ أتىٰ أبا سفيان، وعظماء قريش، فقالوا له: أين تريد؟

قال: بعثني رسول الله ﷺ أدعوكم إلىٰ الله، وإلىٰ الإسلام، وأُخبركم أنا لم نأتِ لقتال، وإنما جئنا عُمَّارا.

فقالوا: قد سمعنا ما تقول، فانفُذ لحاجتك، وإن شئتَ أن تطوف بالبيت فطُف.

فقال: ما كنتُ لأفعل حتىٰ يطوف به رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقال المسلمونَ قبل أن يرجع عثمان: خلَص عثمان قبلنا إلىٰ البيت وطاف به، فقال رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما أظنُّه طاف بالبيت ونحن مَحْصورون**»، أي ممنوعون من دخول الحرم.

فقالوا: وما يمنعه يا رسول الله، وقد خلَص؟

قال رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ذاك ظني به ألا يطوف بالكعبة حتىٰ نطوف معه**».

ثم بَعثت قريش أربعين رجلا؛ ليُصيبوا من أصحاب رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتراموا بالنَّبْل والحجارة، وكانت معركة، وأُتي بهم إلىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعفا عنهم، وخلَّىٰ سبيلهم، وبلغ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن عثمان قد قُتل، فقال صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا نبرحُ حتىٰ نُناجز القوم**»، أي نقاتلهم، فدعا صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ البيعة، فكانت بيعةُ الرِّضوان تحت الشجرة.

وبايع المسلمون رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو تحت الشجرة علىٰ ألا يفرِّوا، فكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ الموت، وأخذ رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيد نفسه، وقال: هذه عن عثمان، ولما تمت البيعة رجعَ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال له المسلمون: اشتفيت يا أبا عبد الله من الطواف بالبيت؟

فقال عثمان: بِئس ما ظننتم بي، والذي نفسي بيده لو مكثتُ بها سنة ورسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقيم بالحُديبية ما طُفت بها حتىٰ يطوف بها رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولقد دَعتني قريش إلىٰ الطواف بالبيت فأبيت.

فقال المسلمون: رسولُ الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان أعلمنا بالله، وأحسننا ظنًّا.

ثم بعثت قريش سُهيلَ بن عمرو إلىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقالوا له: ائْتِ محمدا فصالحه، ولا يكن في صلحه ألا يرجع عنا عامه هذا، فوالله لا تحدث العرب عنا أنه دخلها علينا عَنوة أبدا، فأتىٰ سهيلُ بن عمرو رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما رآه

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مقبلا قال: «**قد أراد القوم الصلحَ حيث بعثوا هذا الرجل، لقد سهُل لكم من أمركم**».

فقال سهيل بن عمرو للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هات اكتُب بيننا وبينكم كتابا، فدعا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اكتب بسم الله الرحمن الرحيم**».

فقال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو؟، ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب.

فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم.

فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اكتب باسمك اللهم، ثم قال: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيلَ بن عمرو.

فقال سهيل: والله لو كنا نعلم إنك رسول الله ما صَدَدناك عن البيت، ولا قاتلناك ولكن، اكتب محمد بن عبد الله.

فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**والله إني لرسول الله وإن كذبتموني، اكتب محمد بن عبد الله**»، وفعل ذلك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه قال: «**لا يسألوني خُطة يعظِّمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها**».

فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**علىٰ أن تخلوا بيننا، وبين البيت فنطوف به**».

فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أُخِذْنا فجأة، ولكن ذلك من العام المقبِل، فكتب.

فقال سهيل: وعلىٰ أنه لا يأتيك منا رجل، وإن كان علىٰ دينك إلا رددتَه إلينا.

قال المسلمون: سبحان الله!، كيف يُرد إلىٰ المشركين، وقد جاء مسلِما؟

وجرىٰ الصلح بين المسلمين، وبين أهل مكة علىٰ وضع الحرب بينهم عشر سنين، وأن يأمن الناس بعضهم البعض، وأن يرجع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنهم عامه ذلك حتىٰ إذا كان العام المقبل قدِمها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخلوا بينه، وبين مكة، فيقيم بها

ثلاثا، وألا يدخل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة إلا بسلاح الراكب والسيوف في القُرُب، ومن أتانا من أصحابنا فلن نردَّه عليك، ومن أتاك من أصحابنا رددته علينا، وأنه لا سَرِقة ولا خِيانة، فقال الصحابة: يا رسول الله نعطيهم هذا؟

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَن أتاهم منا فأبعده الله، ومن أتانا منهم فرددناه إليهم جعل الله له فرجًا، ومخرجًا**»، وبينما هم كذلك إذ دخل أبو جَنْدل بن سهيل بن عمرو يمشي في قيوده، وقد خرج من أسفل مكة حتىٰ رمىٰ بنفسه بين المسلمين، فقال سُهيل: يا محمد، أولُ ما أقاضيك عليه أن ترده إليَّ، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنا لم نقضِ الكتاب بعد**»، أي لم نَتم العهد بيننا بعد.

قال سهيل: فوالله إذن لن أصالحك علىٰ شيء أبدًا.

فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فأجِزْه لي**».

قال سهيل: ما أنا بمجيزه لك، وأبىٰ أن يُجيزه للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقال أبو جَنْدل: يا معشر المسلمين أُرَدُّ إلىٰ المشركين، وقد جئتُ مسلما؟ ألا ترون ما قد لقيت؟ أأردُّ إلىٰ المشركين يَفتِنُوني في ديني؟ وكان قد عُذب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عذابا شديدا في مكة.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا أبا جَندل اصبر، واحتسب فإن الله جاعلٌ لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجا، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا وأعطيناهم علىٰ ذلك، وأعطونا عهد الله، وإنا لا نغدر بهم**».

فقام عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع أبي جندل يَمشي إلىٰ جنبه، ويقول: اصبر يا أبا جندل، فإنما هم المشركون، وإنما دَم أحدهم دم كلب، وَيُدني قائم السيف منه.

وكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرجو أن يأخذ أبو جندل السيف فيضرب به أباه، ولكنه لم يفعل، فأتىٰ عمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال له: ألستَ نبي الله حقا؟

فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بلىٰ**».

فقال عمر: ألسنا علىٰ الحق وعدونا علىٰ الباطل؟

فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بلىٰ**».

فقال عمر: أليس قتلانا في الجنة، وقتلاهم في النار؟

فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بلىٰ**».

فقال عمر: فلِمَ نُعطِ الدَّنية في ديننا إذن؟ -الدَّنية: أي المَذلة والنقيصة- أنرجع ولمَّا يحكم الله بيننا، وبينهم؟

فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا ابن الخطاب إني رسول الله ولستُ أعصيه، وهو ناصري، ولن يضيعني الله أبدا**».

قال عمر: أوليس كنت تحدِّثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟

فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بلىٰ، فأخبرتُك أنا نأتيه العام؟**».

فقال عمر: لا.

فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فإنك آتيه، ومطوِّف به.

فأتىٰ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال له: يا أبا بكر، أليس هذا نبي الله حقًّا؟

فقال أبا بكر: بلىٰ.

فقال عمر: ألسنا علىٰ الحق، وعدونا علىٰ الباطل؟

فقال أبو بكر: بلىٰ.

فقال عمر: فلم نُعطي الدنية في ديننا إذن؟

فقال أبو بكر: أيها الرجل، إنه لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليس يعصي ربه، وهو ناصره، ولن يضيِّعه الله أبدا، فاستمسك بغرزه -أي بأمره -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فوالله إنه علىٰ الحق.

فقال عمر: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت، ونَطوف به؟

فقال أبو بكر: بلىٰ، أفأخبرك بأنك تأتيه العام؟

فقال عمر: لا.

فقال أبو بكر: فإنك آتيه، ومطوِّف به.

فكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يكثر من الأعمال الصالحة؛ ليكفِّر الله عَزَّ وَجَلَّ عنه ما مضىٰ من التوقف في الامتثال لأمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابتداء.

سؤال الدرس

ما سبب بيعة الرضوان؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الثالث والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المبارك، وهذا هو الدرس الثالث والعشرون من دروس السيرة النبوية من كتاب «**إسعاد البرية في السيرة النبوية**»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا على بعض ما تبقي من صلح الحديبية، ونزول سورة الفتح على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند مرجعه من الحديبية، ونزول فرض الحج، وتحريم المسلمات علي المشركين.

هذا مجمل الأحداث، وإليكم التفصيل:

لما فرغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كتابة العقد بينه، وبين مشركي مكة قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه: «**قُومُوا فَانْحَرُوا، ثُمَّ احْلِقُوا**»، فمَا قَامَ أحد مِنهُمْ، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ مِنْهُمْ، فدَخَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ أُمِّ سَلَمَةَ وذَكَرَ لَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، وأنهم لم يمتثلوا أمره، فقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللهِ أَتُحِبُّ ذَلِكَ؟ اخْرُجْ، ثُمَّ لَا تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّىٰ تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ، فخَرَجَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ففعل كما قالت أُم سلمة، فلَمَّا رَأَوْا المسلمون ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّىٰ كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا من شدة الازدحام علىٰ النحر، والحلق.

ثُمَّ جَاءَ نِسْوَةٌ مُؤْمِنَاتٌ من مكة مهاجرات إلىٰ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأبىٰ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يردَّهن إلىٰ قريش، فأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الممتحنة:١٠]، فطَلَّقَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ امْرَأَتَيْنِ كَانَتَا لَهُ فِي الشِّرْكِ.

وبينما المسلمون في الحُديبية إذ أصابهم مطر ذاتَ ليلة، فصلىٰ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهم الصبح، ثم أَقْبَلَ عَلىٰ أصحابه، فقالَ: أَتَدْرُونَ مَاذا قَالَ رَبُّكُم؟ فقَالوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَم، فقَالَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قالَ اللهُ: أَصْبَحَ مِنْ عِبادي مُؤْمِنٌ بِيَ وَكافِرٌ بي، فَأَمّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنا بِرَحْمَةِ الله وبرزق الله وبِفَضْلِ الله فهو مُؤْمِنٌ بِيَ كافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنا بِنَجمِ كَذا فهو مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَب كافِرٌ بِيَ**».

ثم رجع النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة، فجاءه رجل من قريش، وهو أبو بَصير، فأرسل المشركون رجلين للبحث عنه، فأتوا النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالا: العهدَ الذي جعلت لنا، -أي نطالبك بالوفاء بالعهد الذي أعطيتَه لنا-، فدفع النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا بصير إلىٰ الرجلين فخرجا به حتىٰ بلغا ذا الحُليفة، فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرىٰ سيفك هذا يا فلان جيدا، فاستله الآخر، وقال: أجل والله إنه لجيد لقد جرَّبت به، ثم جربت، فقال أبو بصير: أَرِني أنظر إليه، فلما تمكَّن أبو بصير من السيف قتل أحدهما، وفرَّ الآخر حتىٰ أتىٰ المدينة، فدخل المسجد يعدو، فقال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لقد رأىٰ هذا ذُعْرا**»، أي فزعا، وخوفا.

فلما انتهىٰ إلىٰ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: قُتل والله صاحبي، وإني لمقتول -أي سيقتلني أبو بصير-، فجاء أبو بصير، فقال: يانبي الله، قد والله أوفىٰ الله ذمتك -أي ليس عليك عتابا منهم في ما صنعت أنا- قد رددتني إليهم، ثم أنجاني الله منهم.

فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَيْلُ أُمِّهِ! مِسْعَرَ حَرْبٍ لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ**»، أي لو كان أحد معه ينصره سيكون سببًا في إيقاد حرب.

فلما سمع أبو بصير ذلك عرَف أنه سيردُّه إليهم، فخرج حتىٰ أتىٰ ساحل البحر، وفر أبو جَنْدل بن سُهيل من المشركين فلحق بأبي بصير، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتىٰ اجتمعت منهم جماعة، فكانوا لا يسمعون بتجارة خرجت لقريش إلىٰ الشام إلا اعترضوا لها، فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تناشده بالله والرحم -أي يسألونه بحق الله تعالىٰ وبحق القرابة بينهم وبينه-، أن يرسل إلىٰ أبي بصير وأصحابه بالامتناع عن إيذاء قريش، فمن أتاه فهو آمن، فأرسل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهم بذلك.

وفي مرجع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الحُديبية نزلت عليه سورة الفتح: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:١-٢]، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لقد نَزَلت عليَّ آية أَحبُّ إِليَّ من الدنيا جميعًا**»، ثم قرأها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقالوا: هنيئًا مريئا يا نبي الله، لقد بيَّن الله لك ماذا يُفعل بك، فماذا يُفعل بنا؟ فنزل عليه قوله تعالىٰ: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٥﴾ [الفتح:٥].

فقال عمر للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يارسول الله أَوَفتحٌ هو؟

قال: نعم.

وفي السنة السادسة من الهجرة فرض الله عَزَّ وَجَلَّ على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى أُمته الحج، والحج أحد أركان الإسلام، وإنما يجب علىٰ المكلف في العمر مرة واحدة، وإنما فرضه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ليجتمع المسلمون من جميع الأقطار، فيتجهوا إلىٰ الله، ويبتهلوا إليه أن يؤيدهم بنصره، ويُعينهم علىٰ اتباع دينه القويم.

ولا خلاف بين أهل العلم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يحجَّ بعد هجرته إلىٰ

المدينة سوىٰ حَجَّة واحدة، وهي حَجة الوداع، ولا خلاف أنها كانت في سنة عشر من الهجرة، وقد حج صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل الهجرة أكثر من مرة علىٰ الصحيح من أقوال أهل العلم.

ومتىٰ وجب الحج علىٰ مسلم وجب عليه أن يسارع إليه؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[آل عمران:٩٧].

ولقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَرَادَ الحُجَّ فَلْيَتَعَجَّلْ**».

سؤال الدرس

ما قصة مجيء أبي بصير إلىٰ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما رجع إلىٰ المدينة بعد صلح الحديبية؟ يكتفىٰ بكتابة خمسة أسطر.

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الرابع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المبارك، وهذا هو الدرس الرابع والعشرون من دروس السيرة النبوية من كتاب «**إسعاد البرية في السيرة النبوية**»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ ما تبقىٰ من أحداث السنة السادسة من الهجرة، ومنها: إرسال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتبا إلىٰ ملوك العالم يدعوهم فيها إلىٰ الإسلام، وكسوف الشمس علىٰ عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونزول حكم الظهار، وقدوم وفد جُذام علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هذا مجمل الأحداث، وإليكم التفصيل:

لما رجع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الحديبية، وهدأت الأحوال وجدت الدعوة الإسلامية متنفَّسًا ومجالا للتقدم، فكتب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُتبا إلىٰ ملوك العالم وأمراء العرب، وكتب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ كِسرىٰ، وإلىٰ قيصر، وإلىٰ النجاشي، وإلىٰ كل جبار يدعوهم إلىٰ الله تعالىٰ، وإلىٰ سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، واهتم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اهتماما كبيرا، فاختار لكل واحد منهم رسولا يليق به، ويعرف لغته، وبلاده، فقيل للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن الملوك لا يقرؤون كتابا إلا مختوما، فاتخذ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتَما من فضة نقشُه محمدٌ رسولُ اللهِ، وختم به الكُتب.

وقد دلت هذه الكتب علىٰ أن هذا الدين ليس دين العرب خاصة، أو دين الجزيرة العربيه، وإنما هو دين البشرية، ودين الإنسانية قاطبة، ومن هؤلاء الملوك الذين كتب إليهم رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ملك الروم «**هِرَقل**»، وملك فارس «**كِسرىٰ**»، وملك الحبشة، «**النَّجاشي**»، وملك مصر، «**المُقوقِس**».

ولما كسفت الشمس على عهد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ المسجد مسرعا فزعا يجر رداءه، وكان كسوفها في أول النهار علىٰ مقدار رمحين أو ثلاثة من طلوعها، فتقدم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فصلىٰ ركعتين، فقرأ في الأولىٰ بفاتحة الكتاب وسورة طويلة، جهر بالقراءة، ثم ركع فأطال الركوع، ثم رفع رأسه من الركوع، فأطال القيام وهو دون القيام الأول، ثم أخذ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القراءة، ثم ركع فأطال الركوع، وهو دون الركوع الأول، ثم رفع رأسه من الركوع، ثم سجد سجدة طويلة فأطال السجود، ثم فعل في الركعة الأخرىٰ مثل ما فعل في الأولىٰ، فكان في كل ركعة ركوعان وسجودان، فاستكمل صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الركعتين أربع ركعات، وأربع سجدات، ثم انصرف صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد انجلت الشمس، فخطب الناس، فحمد الله، وأثنىٰ عليه، ثم قال: «**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا يَخسفان لموت أحد، ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك، فادعو الله، وكبروا، وصلوا، وتصدقوا حتىٰ يُفرج عنكم، قد رأيت في مقامي هذا كل شيء وُعدته حتىٰ لقد رأيتُ أريد أن آخذ قِطفا من الجنة حين رأيتموني جعلت أتقدم، ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا حين رأيتموني تأخرت، ورأيت فيها عمرو بن لُحَي، وهو الذي سيَّب السَّوائب**»، أي الذي سن لهم هذه العادة، وهي ترك النوق بلا ركوب؛ تقرُّبا لآلهتهم.

ثم قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا أمةَ محمد، والله ما من أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته، يا أمة محمد، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا، ولبكيتم كثيرا**».

وقد اختلف أهل العلم في عدد الكسوفات التي صلىٰ فيها رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاة الكسوف، والصواب أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلىٰ في كسوفات كثيرة.

وفي السنة السادسة من الهجرة نزل حكم الظهار علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد كان الرجل في الجاهلية إذا قال لأمرأته: أنتِ عليَّ كظهر أمي، حرُمت عليه، وكان أول من ظاهر في الإسلام أوس بن الصامت، وكان متزوجا من ابنة عمه، وهي خَوْلة بنت مالك، فقال لها: أنت عليَّ كظهر أمي، وقال: ما أراكِ إلا حرُمت عليَّ، وقالت له: مثل ذلك، فقال لها: انطلقي إلىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجاءت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تشكو إليه، وقالت: يا رسول الله، أكل شبابي، ونثرت له بطني -أي أكثرت له الأولاد- حتىٰ إذا كبرت سني، وانقطع ولدي ظاهر مني، اللهم إني أشكوا إليك، فجادلها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه، وقال لها: «**اتقي الله، فإنه ابن عمِّك**»، وقال لها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قد حَرُمتِ عليه، فجعلت تقول: والله ما ذكر طلاقا، فكلما قال لها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قد حَرُمتِ عليه**» تقول: والله ما ذكر طلاقا، فهذه كانت مجادلتها، فما برحت خولة حتىٰ نزل القرآن: ﴿**قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١**﴾ [المجادلة:١]، إلىٰ قول الله: ﴿**وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤**﴾ [المجادلة:٤] من سورة المجادلة.

فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يعتق رقبة**».

فقالت: لا يجد.

فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يصوم شهرين متتابعين**».

فقالت: يا رسول الله، إنه شيخ كبير ما به من صيام.

فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فليُطعم ستين مسكينا**».

فقالت: ما عنده من شيء يتصدق به.

فأوتي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعَرَق من تمر، أي بستين صاعا، فقالت يا رسول الله: فأنا أعينه بعَرَق آخر، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قد أحسنتِ، اذهبي فأطعمي بها عنه ستين مسكينا، وارجعي إلىٰ ابن عمك**».

وقدم رفاعة بن زيد الجُذامي وافدا علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الهُدْنة بينه

وبين قريش، وأهدىٰ للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبدا، وأسلم، وأقام بالمدينة، ثم سأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يكتب معه كتابا، فكتب له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتابا، فلما قدم رفاعة علىٰ قومه بكتاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرأه عليهم، فأجابوه، وأسلموا.

سؤال الدرس

اذكر الملوك الذين كتب إليهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتبا يدعوهم فيها إلىٰ الإسلام.

هذا، وصل اللَّهُمَّ وسلم وبارك على نبينا محمد،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الخامس والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المبارك، وهذا هو الدرس الخامس والعشرون من دروس السيرة النبوية من كتاب «**إسعاد البرية في السيرة النبوية**»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ بعض أحداث السنة السابعة من الهجرة، ومنها: ردُّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابنته زينب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا علىٰ أبي العاص بن الربيع بالنكاح الأول، وغزوة ذي قَرَد، وزواج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أمِّ حبيبةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

هذا مجمل الأحداث، وإليكم التفصيل:

في المحرم من السنة السابعة من الهجرة ردَّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابنته زينب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا علىٰ أَبي العاص بالنكاح الأول، ولم يجدِّد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نكاحها؛ لأن تحريم المسلمات علىٰ المشركين إنما نزل بعد صلح الحديبية لا قبل، وكان قبل صلح الحديبية يجوز للكافر أن يتزوج المسلمة، ولكن بعد صلح الحديبية نزل علىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحريم المسلمات علىٰ المشركين؛ لذلك لم ينفسخ النكاح في تلك المدة؛ لعدم شرعية هذا الحكم فيها، ولما نزل التحريم أسلم أبو العاص، فرُدَّت عليه زينب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

ولما قدم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **المدينة بعد صلح الحُديبية** أرسل بإبله مع غلامه

رباح، وسلمة بن الأكوع إلىٰ ذي قَرَد، فلما أصبحوا أغار عبد الرحمن الفزَاري علىٰ إبل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاستاقه جميعا، وقتل راعيه، فقال سلمةُ بن الأكوع: يا رباح خذ هذا الفرس فأبلغه طلحة بن عُبيد الله، وكان قد أخذ فرسه؛ ليرعاه مع إبل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال له: وأخبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن المشركين قد أغاروا علىٰ سَرْحه، أي إبله.

ثم قام سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ مكان مرتفع متجِها إلىٰ المدينة وصرخ ثلاث صرخات: يا صباحاه، وهذه كلمة يقولها المستغيثُ؛ لأن العدو كان أكثر ما يُغير علىٰ القوم عند الصباح، فسمع صوت سَلَمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كل من بالمدينة، وجعل سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يجري خلف القوم المشركين، ويقول: أنا ابن الأكوع، واليوم يوم الرُّضَّع.

ومعنى يوم الرُّضَّع: أي يوم هلاك اللئام.

فكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقتل خيول المشركين، ويضرب رجالهم بالسهام، ويقول كلما ضرب أحدهم: خذها أنا ابن الأكوع، واليوم يوم الرُّضَّع، فما زال سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرميهم ويقتل دوابهم حتىٰ خلَّف بعير رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلها وراء ظهره، ثم أَتبعهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرميهم حتىٰ أَلقوا أكثر من ثلاثين ثوبا، وثلاثين رمحا، وذلك حتىٰ يستطيعوا أن يهربوا بسرعة، فكان سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يأخذ كل ما يرمونه ويجعل عليه علامة من الحجارة حتىٰ يعرفها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأصحابه.

وبينما المشركون يتغدَّون إذ رأوا سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ رأس جبل كبير، فقالوا: فليقُم إليه نفر منكم أربعة، فصعِد إليه أربعة في الجبل، فلما اقتربوا منه قال لهم: هل تعرفوني؟ قالوا: لا، ومن أنت؟ فقال سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنا سلمة بن الأكوع، والذي كرَّم وجه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا أطلب رجلا منكم إلا أدركته، ولا يطلبني رجل منكم فيدركني، فرجعوا.

وظل سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مكانه حتىٰ رأىٰ فوارس رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان الأخرم الأسدي أول القوم، فأراد الأخرم أن يقاتل المشركين، فقال سلمة: يا أخرم

احْذَرهم لا يقتطعوك حتىٰ يلحق رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، يعني انتظر حتىٰ يأتي رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأصحابه.

فقال الأخرم: يا سلمة إن كنتَ تؤمن بالله واليوم الآخر، وتعلم أن الجنة حق، والنار حق، فلا تحُل بيني، وبين الشهادة، فتركه سلمة، فالتقىٰ مع عبد الرحمن الفَزَاري فقتله عبدُ الرحمن.

ثم جاء أبو قتادة فارسُ رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقتل عبدَ الرحمن الفزاري، ثم تبع سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المشركين حتىٰ غاب عن أصحاب رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأراد المشركون أن يشربوا من بئر يقال لها: ذو قَرَد، فلما رأوا سلمة هربوا، ثم رجع إلىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم رجع رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمن معه إلىٰ المدينة، وكانت هذه الغزوة قبل غزوة خيبر بثلاثة أيام.

ثم تزوج رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا واسمها رَمْلَة بنت أبي سفيان بن حرب، وكانت متزوجة قبل رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من عُبيد الله بن جحش، وكان له منها حبيبة، فمات عُبيد الله بن جَحْش، وهما بأرض الحبشة، وذلك بعد أن تنصَّر، وتزوجها رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي ببلاد الحبشة.

❁❁❁

سؤال الدرس

في أي سنة تزوَّج رسول الله أم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس السادس والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المبارك، وهذا هو الدرس السادس والعشرون من دروس السيرة النبوية من كتاب «**إسعاد البرية في السيرة النبوية**»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ بعض أحداث السنة السابعة من الهجرة، ومنها: غزوة خيبر، وتحريم لحوم الحمر الأهلية، وقدوم جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومن معه من مهاجري الحبشة، وقدوم أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وزواج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من صفية بنت حُيَي.

هذا مجمل الأحداث، وإليكم التفصيل:

في محرم من السنة السابعة من الهجرة لما قدم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غزوة ذي قَرَد لم يلبث إلا ثلاث ليال حتىٰ خرج صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ خيبر، وكان الله سبحانه وعده خيبر وهو بالحديبية، قال سبحانه: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ [الفتح:٢٠].

وسار الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بجيشه إلىٰ خيبر حتىٰ نزل بوادي الرجيع، وذلك حتىٰ يقطع المدَد من اليهود من غَطَفان، ولما سمعت غَطَفان بمنزل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خيبر جمعوا له، ثم خرجوا، وذلك حتىٰ يعاونوا اليهود علىٰ

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبينما هم في أثناء الطريق سمعوا صوتا خلفهم في أموالهم وأهليهم، فظنوا أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه قد رجعوا إليهم، فرجعوا علىٰ أعقابهم، فأقاموا في أموالهم وأهليهم، وخلوا بين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبين خيبر.

ولما قدم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيبر صلى بها الصبح، وركب المسلمون، فخرج أهل خيبر بأدوات فلاحتهم إلىٰ أرضهم، فلم يشعروا برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما رأوا جيش المسلمين قالوا: محمد والله، محمد والخميس، والخميس هو الجيش، وسمي بذلك لأجل أن الجيش كان يُقسم خمسة أقسام: مقدمة، وساقة، وهي المؤخِّرة، ومَيمنة، وميسرة، وقلب.

فلما رأىٰ اليهود الجيش الإسلامي رجعوا إلىٰ حصونهم هاربين، فحينئذ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الله أكبر خربت خيبر، الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذَرِين**»، والمراد بالساحة المكان المتسع بين الدور.

ولما كانت ليلة دخول خيبر، قال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لأعطينَّ هذه الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله علىٰ يديه**»، فكان هذا الرجل هو علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال له الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنفذْ علىٰ رِسْلِك** -أي تمهل في السير- **حتىٰ تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلىٰ الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي بك رجلا واحدا خير من أن يكون لك حُمْر النعم**».

ثم خرج مَرْحب مَلِك اليهود يهزُّ سيفه، ويقول:

قد علمتْ خيبرُ أني مَرحَب شاكِي السلاحِ بطلٌ مُجرَّب

إذا الحروبُ أقبلتْ تلهَّب

وخرج له عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال:

قد علمتْ خيبرُ أني عامر شاكي السلاحِ بطلٌ مُغامِر

فتقاتلا فوقع سيف مرحَب في تُرس عامر، وكان سيف عامر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قصيرا، فذهب عامر يضربه من أسفله فرجع سيفه علىٰ نفسه، فمات عامر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ثم شرع رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يفتتح حصون خيبر حصنا بعد حصن، وفي أثناء حصار رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لحصن الوَطيح، والسُّلَالم خرج مَرحب ملك اليهود، فخرج إليه عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فقتله علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ثم خرج أخو مَرحب، فقال: من يبارز؟ فخرج إليه الزبير بن العوام رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فقتله الزبير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ولما أيقن اليهود بالهَلكة سألوا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يُجْليهم عن خيبر، وأن يحقن لهم دماءهم، ففعل رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ثم سألوا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يعاملهم في الأموال علىٰ النصف، وقالوا: نحن أعلم بالأرض منكم، دعونا نكون فيها، ونعمُرها لكم بشطر ما يخرج منها، أي نزرع الأرض ونعمرها، ونأخذ نصف ما يخرج منها، ولكم النصف، فقسم رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ شطر خيبر وترك شطرها.

وغنم المسلمون من خيبر غنائم كثيرة حتىٰ قال أصحاب رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ما شبعنا حتىٰ فتحنا خيبر، ثم رجع رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلىٰ المدينة.

وكانت لحوم الحُمُر الأهلية يجوز أكلها في بداية الإسلام، ثم حرمها رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يوم خيبر، والحُمُر جمع حمار، والحمر الأهلية هي الحُمُر المستأنَسة التي يستخدمها الفلاحون في فلاحتهم.

وفي غزوة خيبر قدم على رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **ابن عمه** جعفر بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وكان معه أصحابه، ومعهم الأشعريون أبو موسىٰ وأصحابه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، ولما قدم جعفر علىٰ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تلقاه، وقبَّل جبهته، وقال: «**والله ما أدري بأيهما أفرح بفتح خيبر، أم بقدوم جعفر**».

ولما خرج رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **إلى خيبر،** واستخلف علىٰ المدينة سِباع بن

عُرْفُطة قدم أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومعه نفر من قومه المدينة، فأتوا سباع بن عُرْفُطَة وهو في صلاة الصبح، فلما فرغ من صلاته ذهب أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ سباع بن عرفطة فأعطاه زادا حتىٰ قدم أبو هريرة علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد فتح خيبر.

وكان من سبي خيبر صفية بنت حُيَيِّ بن أَخْطَب، وكانت عروسا حديث عهد بالدخول، فعرض عليها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإسلام، فأسلمت، فاصطفاها لنفسه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأعتقها، وجعل عتقها صداقها، وبنىٰ بها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الطريق، وأولم عليها.

سؤال الدرس

في أي غزوة قدم جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بلاد الحبشة؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الدرس السابع والعشرون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المبارك، وهذا هو الدرس السابع والعشرون من دروس السيرة النبوية من كتاب «إسعاد البرية في السيرة النبوية»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ بعض أحداث السنة السابعة من الهجرة، ومنها: سرية أبَان بن سعيد ابن العاصِي قِبَل نجد، وقصة الشاة المسمومة التي أكل منها رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقدوم حاطب بن أبي بَلْتَعة من عند المقوقِس علىٰ النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومصالحة يهود فَدَكَ للرسول صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفتح وادي القرىٰ، ومصالحة يهود تَيمَاء للرسول صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونوم رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه عن صلاة الفجر حتىٰ طلعت الشمس، وقصة الحجاج بن عِلَاط السُّلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع مشركي مكة، وغزوة ذَات الرِّقاع، ونزول آية التيمم.

هذا مجمل الأحداث، وإليكم التفصيل:

لا زلنا في أحداث السنة السابعة من الهجرة، وفيها أراد النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُرهب أعداء الله ممَّن حول المدينة حتىٰ لا يغيروا عليها أثناء حصاره لخيبر، فبعث الرسول صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبَان بن سعيد علىٰ سرية من المدينة قبل نَجد، وقدموا علىٰ النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعدما فتح صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيبر.

ولما فُتحت خيبر، واطمأن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أهدت له يهودية بخيبر شاة مشوية، وكانت هذه المرأة اليهودية سألت أيُّ عضو من الشاة يحب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فقيل لها: الذراع، فأكثرت فيه السم، ثم سمَّت سائر الشاة، ثم جاءت بها للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما وضعتها بين يدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تناول الذراع، فمضغ منها مَضغة، فلم يبْلعها، فلفظها من فِيه، وكان معه بِشر بن البراء بن مَعرور رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فأخذ من الشاة كما أخذ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا أنه ابتلع ما وضعه في فيه، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة**»، فأرسل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ اليهودية، فقال لها: «**ما حملكِ علىٰ الذي صنعت؟**»، قالت: إن كنتَ نبيا لم يضرك الذي صنعت، وإن كنت مَلِكا أرحت الناس منك، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما كان الله ليسلطكِ عليَّ**»، ومات بِشْر بن البراء بن معرور رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من أكلته التي أكل، فقال أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ألا نقتلها يا رسول الله؟ قال: لا، ثم إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في مرضه الذي توفي فيه بعد ذلك: «**ما زلت أجد من الأكلة التي أكلت بخيبر، فهذا أوان قَطَعت أَبْهَري**»، والأبهر عرق مرتبط بالقلب إذا انقطع مات الإنسان.

وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرسل في السنة السادسة من الهجرة حاطب بن أبي بَلْتَعة إلى المقَوقِس ملك القبط بمصر إلا أن المقوقِس لم يسلم، وأهدىٰ للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاريتين أختين هما مارية وسيرين، وجارية أخرىٰ، وغلاما يقال له: مابور، وبغلة يقال لها: دُلْدُل، وحمار يقال له: عُفير، وفرسا يقال له: اللزَّاز، وكسوة، وألف مثقال ذهبا، وعشرين ثوبا من أثواب مصر، وقدَحا من زجاج، وعسلا، فتسرىٰ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمارية، فولدت له إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ووهب سيرين لحسان بن ثابت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فولدت له ابنه عبد الرحمن فهو، وإبراهيم ابنا خالة.

ولما فرغ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خيبر قذف الله الرعب في قلوب أهل فدك، وذلك حين بلغهم ما أوقع الله بأهل خيبر، فبعثوا إلىٰ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يطلبون منه أن يصالحهم علىٰ النصف من فَدَك كما عامل يهود خيبر يعني يعملون للمسلمين في الأرض، ولهم نصف ما يخرج منها، وللمسلمين النصف، فبعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ يهود فَدَك مُحَيِّصَة بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فصالح أهل فدك علىٰ ذلك، فكانت فَدك خالصة لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك لأن المسلمين لم يَجلبوا عليها بخيل ولا رِكاب، وإنما فتحت سِلما.

ولما انصرف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خيبر فتح وادي القرىٰ، وكان بها جماعة من اليهود، وقد انضمَّ إليهم جماعة من العرب، فلما نزل المسلمون استقبلهم اليهود بالرمي، وكان المسلمون علىٰ غير استعداد للقتال، ثم جهَّز رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه للقتال، وصفهم صفوفا، ثم دعا اليهود إلىٰ الإسلام وأخبرهم أنهم إن أسلموا أخذوا أموالهم، وحقنوا دمائهم، وحسابهم علىٰ الله، فبارز بعض اليهود نفرا من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد قُتلوا جميعا، وقد قَتل عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من اليهود مبارزةً أحدَ عشر رجلا، وكانت الصلاة تحضر ذلك اليوم فيُصلي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأصحابه، ثمّ يعود فيدعو اليهود إلىٰ الإسلام، وإلىٰ الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ فَتَحَ وادي القرىٰ عَنوة، وغنم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أموالهم.

وقد أقام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بوادي القرىٰ أربعة أيام، وقسَم الغنائم علىٰ أصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وترك الأرض والنخل بأيدي اليهود وعاملهم عليها، ولما بلغَ يهود تَيمَاء ما فعله رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خَيبر وفدَك ووادي القرىٰ صالحوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ الجزية، ثُم انصرف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ راجعا إلىٰ المدينة.

وفي طريق رجوعهم إلى المدينة سار النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلةً حتىٰ أدركه النعاس فنام في آخر الليل، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لبلال: «**اكْلأْ لنا الليل** -أي ارقُب لنا الليل- **فإذا طلع الفجر فأيقظنا**»، فصلىٰ بلال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ما قُدِّر له من الليل، ونام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، فلما اقترب وقتُ الفجر نام بلال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فلم يستيقظ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا بلال، ولا أحد من الصحابة حتىٰ طلعت الشمس،

وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولُ من استيقظ، ففزع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال لبلال: «**أيْ بلال!**»، فقال بلال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أخذ بنفسي الذي أخذ بأبي أنت وأمي يا رسول الله بنفسك، يعني نمت كما نمت يا رسول الله.

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اقتادوا**»، أي ارتحلوا من هذا المكان.

فلما رحلوا من هذا المكان توضأ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأمر بلالا فأذَّن، وأقامَ الصلاة، فصلىٰ بالمسلمين الصبح، فلما قضىٰ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصلاة قال: «**من نسي الصلاة فليصلها إذا ذكرها فإن الله تعالىٰ قال:** ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾[طه:١٤]».

وكان ممَّن أسلم من مشركي مكة في فتح خيبر الحجَّاج بن عِلاط السُّلمي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وكان له مال كثير بمكة، فلما انتصر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ خيبر، قال الحجاج للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن لي بمكة مالا، وإن لي بها أهلا، وإني أريد أن آتيهم، وإن علمت امرأتي، وأهلها بإسلامي فلن يعطوني شيئًا من مالي، واستأذنَ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقولَ عنه شيئًا؛ حتىٰ يستنقذ ماله من المشركين، فأذن له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما رجع إلىٰ مكة قال لامرأته: أَخْفِي عليَّ، واجمعي لي ما كان عندك من مال، فإني أريد أن أشتري من غنائم محمد، وأصحابه، فإن اليهود قد انتصروا عليهم، وأسروا محمدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتفرق عنه أصحابه، فانتشر هذا الخبر بمكة فحزن المسلمون حزنا شديدا، وحزن العباس عمُّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا أنه علم بعد ذلك من الحجاج أنها مكيدة، وأخبره الحجاج أن يخفي عن المشركين هذا الخبر حتىٰ يرجع إلىٰ المدينة بماله.

فلما رجع الحجاج إلىٰ المدينة بماله أخبر العباس زوجة الحجاج بحقيقة الأمر، ولما انتشر الخبر فرح المسلمون فرحا شديدا.

وفي هذه السنة غزا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غزوة ذات الرِّقاع، فسار نحو نجد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يريد بني محارِب وبني ثعلبة من غطفان، وسميت هذه الغزوة بذات الرقاع؛ لأن المسلمين تشققت أقدامهم، وسقطت أظافرهم، فكانوا يعصبون أرجلهم

بالخرق فسميت غزوة ذات الرِّقاع، ولقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنجد جمعا عظيما من غَطفان، ولما اقترب منهم خاف الناس بعضهم بعضا حتىٰ صلىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالناس صلاة الخوف، ثم انصرف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأصحابه راجعا إلىٰ المدينة.

وفي غزوة ذات الرِّقاع خرجت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ إذا كانوا في أثناء الطريق انقطع عِقد لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فأقام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ البحث عنه، وأقام الناس معه، وليس بالمكان الذي أقاموا فيه ماء، فأتىٰ الناس إلىٰ أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقالوا: ألا ترىٰ ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والناسِ، وليسوا علىٰ ماء، وليس معهم ماء، فجاء أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واضع رأسه علىٰ فخذ عائشة قد نام، فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لعائشة حبست رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والناس وليسوا علىٰ ماء، وليس معهم ماء؟

وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يطعن عائشة بيده في خاصرتها، ولا يمنع عائشةَ من التحرك إلا مكانُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ فخذها، فقام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ آية التيمم: ﴿ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ [النساء:٤٣].

فلما أقاموا البعير الذي كانت تجلس عليه عائشة وجدوا العقد تحته.

❁❁❁

سؤال الدرس

ما قصة الشاة المسمومة التي أهديت لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الثامن والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المبارك، وهذا هو الدرس الثامن والعشرون من دروس السيرة النبوية من كتاب «**إسعاد البرية في السيرة النبوية**»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ ما تبقىٰ من أحداث السنة السابعة من الهجرة، ومنها: شراء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جمل جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وسريَّة غالب بن عبد الله الليثي إلىٰ بني عبد بن ثَعلبة، وسرية أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ نَجد، وسرية عُمَر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ تُرْبَة، وسرية بشير بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ بني مُرَّة بناحية فدَك، وسرية غالب بن عبد الله الليثي إلىٰ بني مُرَّة، وسرية بشير بن سعد إلىٰ يَمن وجَبار، وعمرة القضاء، وزواج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مَيمونة بنت الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وسَرية ابن أبي العَوجاء السُّلَمي إلىٰ بني سليم، وإسلام عمران بن حصين، وأبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

هذا مجمل الأحداث، وإليكم التفصيل:

في مرجع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غزوة ذات الرِّقاع كان جمل جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مؤخرة الناس، فلما مرَّ به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من هذا؟**».

فقال جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: جابر بن عبد الله.

فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له: «**ما لك؟**».

فقال جابر: يا رسول الله، أبطأ بي جملي هذا.

فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أمعك قَضيبٌ؟**».

فقال جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نعم.

فأخذه منه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فضرب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الجمل، ودعا له، ثم زجره فسار سيرا سريعا، ثم قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجابر: «**أتبيعُني جملك هذا يا جابر؟**».

فقال له جابر: بل أهبه لك يا رسول الله.

فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بل بِعنيه، قد أخذته بأربعة دنانير**».

فقال جابر: فهو لك يا رسول الله، واستثنىٰ جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يحمله الجمل إلىٰ المدينة، ثم يعطيه للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما قدم جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المدينة أرسل الجمل إلىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا ابن أخي خذ برأس جملك فهو لك، وقال لبلال: يا بلال اقضه، وزد، فأعطاه بلال أربعة دنانير وقيراطا، والقيراط: جزء من أجزاء الدينار.

وأرسل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الجمل إلىٰ جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبارك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في المال الذي أعطاه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جابرا، فلم تكن الزيادة التي زادها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي القيراط تفارق جيب جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأرسل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **غالب بن عبد الله الليثي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ بني ثعلبة؛ ليغير عليهم، فلما أغار عليهم استاق نَعَمهم وشاءهم، ثم رجع إلىٰ المدينة بمن معه.

وبعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أبا بكر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في سرية إلىٰ نجد قبل بني فَزارة، وأمَّره عليها، فلما اقتربوا من بني فَزارة في آخر الليل نزلوا ليستريحوا، ثم أغاروا عليهم فقتلوا منهم وسَبوا، ثم رجعوا إلىٰ المدينة.

وأرسل رسول الله ﷺ أيضًا في شهر شعبان عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سرية إلىٰ هوازن بتُربة، ولكن عمر رضي الله عنه لما بلغ مساكنهم لم يلق منهم أحدا، فانصرف راجعا إلىٰ المدينة.

وأرسل ﷺ أيضًا في شهر شعبان سرية بقيادة بشير بن سعد والد النعمان بن بشير رضي الله عنهما إلىٰ بني مرَّة بناحية فدَك، فلقي رضي الله عنه رِعَاء الشاء، فسأل: أين الناس؟ فقالوا: هم في بواديهم، فاستاق بشير رضي الله عنه النَّعَم والشَّاء ورجع إلىٰ المدينة، وبينما هو في طريقه نحو المدينة إذ لحقه بني مرة فاقتتلوا مع بشير رضي الله عنه وأصحابه، فتراموا بالنبل حتىٰ فني نبل بشير رضي الله عنه وأصحابه، ثم قَتَل بنو مرة أصحاب بشير جميعا، وسقط بشير رضي الله عنه جريحا، ثم تحامل حتىٰ بلغ فدَك، فأقام عند يهود أياما حتىٰ برئت جراحه، ثم رجع إلىٰ المدينة، فأراد النبي ﷺ أن يؤدِّب الأعراب الذين أصابوا سرية بشير بن سعد رضي الله عنه، فبعث غالب بن عبد الله الليثي رضي الله عنه في مائة وثلاثين رجلا إلىٰ بني مُرة -وتسمىٰ **بالحُرُقات**- فهجموا عليهم جميعا، وقتلوا من خرج لهم، واستاقوا نَعَما وشاء إلىٰ المدينة، ولم يأسروا أحدا.

وفي هذه السرية لحق أسامة بن زيد رضي الله عنه ورجل من الأنصار رجلا، فقال: لا إله إلا الله، فكفَّ عنه الأنصاري، وطعنه أسامة رضي الله عنه برمحه حتىٰ قتله، فلما قدموا بلغ ذلك النبي ﷺ، فقال لأسامة: يا أسامة، أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟ قال: يا رسول الله، إنما كان متعوِّذا، فقال ﷺ: أقتلتَه بعدما قال: لا إله إلا الله؟ قال أسامة رضي الله عنه: فما زالَ رسول الله ﷺ يكرِّرها عليَّ حتىٰ تمنيتُ أني لم أكن أسلمتُ قبل ذلك اليوم.

وبلغ رسول الله ﷺ أن جمعا من غطفان قد واعدهم عُيينة بن حِصن ليكون معهم؛ ليزحفوا إلىٰ رسول الله ﷺ، فأرسل رسول الله ﷺ بشيرَ بن سعد ومعه ثلاثمائة رجل حتىٰ أتوا إلىٰ يَمن وجَبار، فلما اقتربوا منهم أصابوا

لهم نَعَما كثيرة، وخرج بشير بن سعد في أصحابه حتىٰ أتىٰ محالهم فلم يجد منهم أحدا، ثم رجع إلىٰ المدينة بالنَّعَم، وأسر منهم رجلين، وقدما بهما علىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأسلما فتركهما.

وفي شهر ذي القَعْدة من السنة السابعة من الهجرة خرج رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معتمرا عمرةَ القضاء، وهذه العمرة كانت مكان عمرته التي صدَّه عنها المشركون، وخرج مع رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسلمونَ الذين صُدوا معه في عمرته تلك، وتحدثت قريش بينها أن محمدا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه في عُسرة، وجهد، وقالوا: إنه يقدم عليكم وفد وهنتهم حُمَّىٰ يثرب، فلما قدم رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه وقف الكفار الرجال والنساء والصبيان ينظرون إلىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه وهم يطوفون بالبيت، وأمر رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه أن يرمُلوا الأشواط الثلاثة، وأن يَمشوا ما بين الركنين، وذلك حتىٰ يرىٰ المشركون قوةَ المسلمين وصبرهم، فقال المشركون: هؤلاء الذين زعمتم أن الحمىٰ قد وهنتهم! هؤلاء أجلدُ من كذا وكذا، أي أقوىٰ مما ظننتم.

واضطبع النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بردائه، وأخرج عَضُده اليمنىٰ، ثم قال: رحم الله امرءًا أراهم اليوم من نفسه قوة، ثم استلم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الركن، وخرج يهرول، ويهرول أصحابه معه، وكان أصحاب رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسترون رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المشركين وغلمانهم؛ لئلا يؤذوه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسميت هذه العمرة بعمرة القضاء؛ لأن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاضىٰ أهل مكة عليها، وعندما أشرف رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ مكة بعثَ جعفر بن أبي طالب أمامه إلىٰ ميمونة بنت الحارث رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فخَطبها إليه، فجعلت أمرها إلىٰ العباس بن عبد المطلب، وكانت أختها أم الفضل زوجة العباس، فزوجها العباس رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأصدقها عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أربعمائة درهم، وأقام النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة ثلاثة أيام، فلما أصبح من اليوم الرابع أتاهُ نفر من قريش؛ ليُخرجوا رسول الله

صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مكة، وذلك لأجل أنه عاهدُوا رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقيم بمكة ثلاثة أيام فقط.

وأراد النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يبنيَ بميمونة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا بمكة إلا أن المشركين أبوا إلا أن يَخرج النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أن يبني بها.

ولما رجع رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من عمرة القضاء بعث ابن أبي العوجاء السلمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في خَمسين رجلا إلىٰ بني سليم، وذلك حتىٰ يَدعوهم إلىٰ الإسلام، وكان معه عَينٌ لبني سليم، فلما خرج من المدينة ذهب العَين -وهو الجاسوس- إلىٰ قومه، فحذَّرهم وأخبرهم بمسير ابن أبي العوجاء إليهم، فجمعوا جمعا كثيرا، فلما جاءهم ابن أبي العوجاء وجدهم علىٰ استعداد له، فلما دعاهم إلىٰ الإسلام رشقوه، ومن معه من المسلمين بالنبل، ولم يسمعوا قولهم، وقالوا: لا حاجة لنا إلىٰ ما دعوتم إليه، فتراموا بالنبل ساعة، وجعلت الأمداد تأتي بني سُليم حتىٰ أحاطوا بالمسلمين من كل ناحية، فقاتل المسلمون قتالا شديدا حتىٰ قُتل عامتهم، وأُصيب ابن أبي العوجاء جريحا مع القتلىٰ، ثم تحامل حتىٰ أتىٰ المدينة.

وأرسلت قريش حُصينا إلى رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقالوا له: كلم لنا هذا الرجل -يعني النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؛ فإنه يذكر آلهتنا، ويسبهم، فجاؤوا معه حتىٰ جلسوا قريبا من باب النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودخل حُصين، فلما رآه النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**أوسعوا للشيخ**»، فقال حُصَين: ما هذا الذي يبلغنا عنك؟ إنك تشتم آلهتنا وتذكرهم -أي تذكرهم بسوء-، قال النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا حُصين كم إلها تعبد اليوم؟**»، قال: سبعة في الأرض، وإلها في السماء، فقال النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فإذا أصابك الضُّر من تدعو؟**»، قال: الذي في السماء، فقال النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فإذا هلك المال مَن تدعو؟**»، قال: الذي في السماء، فقال النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أيستجيبُ لك وحده، وتشركهم معه يا حصين؟، أسلم تسلم، يا حصين أمَا إنك لو أسلمت علَّمتك كلمتين تَنفعانك**»، فأسلم، وأسلم معه ابنه عمران بن حصين، فقال: يا رسول

الله علِّمني الكلمتين اللتين وعَدْتني، فقال: «**قل: اللهم ألهمني رُشدي، وأعذني من شر نفسي**»، فلما أراد حصين الخروج، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: شيِّعوه إلىٰ منزله، أي امشوا معه حتىٰ توصلوه إلىٰ منزله، فلما خرج من عَتبة باب النبي ﷺ رَأته قريش، فقالوا: قد صبأ، وتفرقوا عنه.

❁❁❁

أسئلة الدرس

السؤال الأول: لماذا سميت عمرة القضاء بهذا الاسم؟

السؤال الثاني: متىٰ تزوج رسول الله ﷺ ميمونة بنت الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس التاسع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المبارك، وهذا هو الدرس التاسع والعشرون من دروس السيرة النبوية من كتاب «إسعاد البرية في السيرة النبوية»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ بعض أحداث السنة الثامنة من الهجرة، ومنها: قصة إسلام عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد، وعثمان بن طلحة، وهجرتهم إلىٰ المدينة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وسرية غالب بن عبد الله الليثي إلىٰ بني المُلَوَّح بالكَدِيد.

هذا مجمل الأحداث، وإليكم التفصيل:

في صفر من السنة الثامنة من الهجرة أسلم عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد، وعثمان بن طلحة، وهاجروا إلىٰ المدينة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وأما قصة إسلام عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فيحكيها لنا، قائلا: كنت للإسلام معاندا، حضرت بدرا، وأحدا، والخندق مع المشركين، فنجوت، فقلت في نفسي: والله ليَظهرن محمد علىٰ قريش، ولحق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأحد بساتِينه بالطائف، وأقل من مخالطة الناس، ولما عُقد صلح الحديبية قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يدخل محمد قابلا مكة بأصحابه، ما مكة بمنزل ولا الطائف، ولا شيء خير من الخروج.

أي سيدخل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة في السنة القادمة، ولا أستطيع أن أمكث في

مكة، ولا الطائف، ولا شيء خير لي من الخروج من مكة.

قال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: وأنا بعدُ بعيد عن الإسلام، وأرىٰ لو أسلمت قريش كلُّها لم أسلم، فتحدث رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مع رجال من قومه، وكانوا علىٰ مثل رأيه، وقال لهم: كيف أنا فيكم؟، قالوا: صاحب رأينا وأشرفنا، فقال لهم عمرو: تعلمون أني والله لأرىٰ أمر محمد أمرا يعلو الأمور علوا منكَرًا، وإني قد رأيت رأيا، قالوا: ما هو؟، قال لهم: نلحق بالنجاشي فنكون معه، فإن يظهر محمد كنا عند النجاشي فنكون تحت يد النجاشي أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يد محمد، وإن تظهر قريش -أي تنتصر قريش-، فنحن من قد عرفوا، أي ممن يعرفونهم.

فقالوا له: هذا الرأي -أي هذا رأي جيد-، فقال عمرو: فأجمعوا ما نُهديه له -أي للنجاشي-، فجمعوا للنجاشي جِلدا كثيرا، وكان يحب الجِلد، ثم خرجوا إليه، فدخل عمرو علىٰ النجاشي وسجد له، فقال له النجاشي: مرحبًا بصديقي، أهديت لي من بلادك شيئًا؟ أي هل أتيت لي بهدية من بلادك؟

فقال عمرو: نعم أيها المَلِك، أهديت لك أَدَما كثيرا، أي جلدا كثيرا، فلما قدم الجِلد للنجاشي أعجبه، ثم قال عمرو للنجاشي: أيها الملك إني قد رأيت رجلا خرج من عندك -يقصد أحد أصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وهو عمرو بن أمية الضمري، وكان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قد بعثه بكتاب كتبه يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان-، قال عمرو: وهو رسول عدو لنا قد وَتَرنا، وقتل أشرافنا، وخيارنا فأعطينيه فأقتله.

ومعنى قوله: «وترنا»: أي جنىٰ علينا، وانتقصنا.

فغضب النجاشي من كلام عمرو، ورفع يده فضرب بها أنفه ضربة ظن عمرو أنه كسر أنفه، يقول عمرو: فجعلت أتلقىٰ الدم بثيابي فأصابني من الذل ما لو انشقت بي الأرض دخلت فيها فَرَقا منه، أي خوفا من النجاشي.

ثم قال عمرو للنجاشي: أيها الملك لو ظننتُ أنك تكره ما قلت ما سألتك، فاستحيا النجاشي، وقال: يا عمرو تسألني أن أعطيك رسول من يأتيه الناموسُ

الأكبر؟ -أي جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- الذي كان يأتي موسىٰ، والذي كان يأتي عيسىٰ؛ لتقتله.

قال عمرو: فغيَّر الله قلبي عما كنت عليه، وقلت في نفسي: عرف هذا الحق العرب والعجم، وتخالف أنت!

ثم قال عمرو للنجاشي: أتشهد أيها الملك بهذا؟

فقال النجاشي: نعم، أشهد به عند الله يا عمرو، فأطعني واتبعه، فوالله إنه لعلىٰ الحق، وليظهرن علىٰ من خالفه -أي لينتصرن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ من خالفه-، كما ظهر موسىٰ علىٰ فرعون، وجنوده.

فقال عمرو: أتبايعني له علىٰ الإسلام؟

فقال النجاشي: نعم، فبايع النجاشي عَمرًا علىٰ الإسلام، ثم دعا بطست، فغسل عن عمرو الدماء، وكساه ثيابا، وكانت ثيابه قد امتلأت بالدم فألقاها عمرو، ثم خرج علىٰ أصحابه، فلما رأوا كسوة النجاشي، فرحوا بذلك، وقالوا: هل أدركت من صاحبك ما أردت؟

فقال لهم عمرو: كرهت أن أكلمه في أول مرة، وقلت: أعود إليه.

فقالوا له: الرأي ما رأيت، أي هذا رأي جيد.

ثم ذهب عمرو إلىٰ شاطئ البحر، فركب سفينة إلىٰ أن بلغ ساحل بحر الحجاز، وفي طريقه إلىٰ المدينة رأىٰ خالد بن الوليد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وكان كافرا، فقال له: أين تريد؟

فقال خالد: أريد محمدا، دخل الناس في الإسلام، فلم يبق أحد به طعمٌ، والله لو أقمتُ لأُخذ برقابنا كما يؤخذ برقبة الضبع في مغارتها.

فقال عمرو: وأنا والله قد أردت محمدا، وأردت الإسلام، وخرج عثمان بن طلحة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -وكان كافرا- من الخيمة، فرحب بعمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ثم تصاحبوا جميعا حتىٰ أتوا المدينة.

قال عمرو: فلما اقتربنا من المدينة رآنا رجل فولىٰ مدبرا إلىٰ المسجد سريعا؛ ليبشر رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمجيئهم، فتقدم خالد بن الوليد، فبايع رسول الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم تقدم عثمان بن طلحة فبايع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم تقدم عمرو فبايع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ أن يُغفر له ما تقدم من ذنبه.

فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الإسلام يَجُب ما كان قبله، والهجرة تجب ما كان قبلها**».

وأما قصة إسلام خالد بن الوليد، فيحكيها لنا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قائلا: لما أراد الله بي ما أراد من الخير قذف في قلبي الإسلام، فقلت في نفسي: قد شهدت هذه المواطن كلها علىٰ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلست في موطن أشهده إلا وأنصرف وأنا أرىٰ في نفسي أني موضِع في غير شيء، وأن محمدا سيظهر -أي سينتصر-، ولما عُقد صلح الحديبية قلت في نفسي: أي شيء بقي؟ أين المذْهَب؟ أي إلىٰ أي مكان أذهب؟، فتحير في شأنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلما دخل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة في عمرة القضاء لم يشهد دخوله، وكان أخوه الوليد بن الوليد قد دخل مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عمرة القضاء، فبحث عن خالد، فلم يجده فكتب الوليد لخالد كتابا، فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإني لم أر أعجب من ذَهاب رأيك عن الإسلام وعقلُك عقلك، وقد سألني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنك، وقال: «**أين خالد؟**»، فقلت: يأتي الله به، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للوليد: «**ما مثله جهل الإسلام، ولو كان جعل نِكَايته وَحدَّه مع المسلمين كان خيرا له، ولقدَّمناه علىٰ غيره**»، ثم ختم الوليد كتابه لأخيه خالد بقوله: فاستدْرِك يا أخي ما قد فاتك، فقد فاتك مواطن صالحة.

قال خالد: فزادني ذلك رغبة في الإسلام، وسرَّني سؤال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنِّي، ورأيت في النوم كأني في بلاد ضيقة مجدِبة خرجت إلىٰ بلاد خضراء واسعة، فقلت: إن هذه لرؤيا، وقد قصها علىٰ أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال له: مخرَجك الذي هداك الله للإسلام، والضيق الذي كنتَ فيه من الشرك.

ثم عزم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يذهب إلىٰ المدينة، وذكر ذلك لعثمان بن طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان مشركا فوافقه علىٰ ذلك، ثم خرجا معا نحو المدينة، وفي طريقهما وجدا عَمرا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم ذهبوا جميعا إلىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأسلموا.

وفي صفر من السنة الثامنة من الهجرة بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غالب بن عبد الله إلىٰ بني المُلَوَّح بالكديد، وأمره أن يغير عليهم، فلما بلغ هو وأصحابه بني المُلَوَّح انتظروا حتىٰ ذهبت عتمة الليل، فأغاروا عليهم، واستاقوا نَعَمَهم، ورجعوا إلىٰ المدينة، وفي أثناء رجوعهم إلىٰ المدينة أدركهم بنو المُلَوَّح بما لا قِبل لهم به، وأرسل الله عَزَّوَجَلَّ سيلا من غير سحابة، فجاء بشيء ليس لأحد به قوة، ولا يقدر أحد أن يجاوزه، فوقفوا ينظرون إلىٰ المسلمين، وهم يسوقون نَعَمهم، ولم يستطع أحد منهم أن يُجيز إليهم حتىٰ رجعوا إلىٰ المدينة.

سؤال الدرس

اذكر بإجمال قصة إسلام عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الثلاثون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المبارك، وهذا هو الدرس الثلاثون من دروس السيرة النبوية من كتاب «**إسعاد البرية في السيرة النبوية**»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ بعض أحداث السنة الثامنة من الهجرة، ومنها: سرية غالب بن عبد الله الليثي إلىٰ فَدَك، وسرية شُجاع بن وهب إلىٰ بني عامر، وسرية كعب بن عُمير إلىٰ ذات أطلاح، وسرية زيد بن حارثة إلىٰ مدين، وسرية مُؤْتة، وسرية عمرو بن العاص إلىٰ ذات السَّلاسل.

هذا مجمل الأحداث، وإليكم التفصيل:

لازلنا في السنة الثامنة من الهجرة، ففي صفر من هذه السنة بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غالب بن عبد الله الليثي، ومعه مائة رجل إلىٰ فدَك، فلما اقتربوا من أهل فدَك أحاطوا بهم، وتقاتلوا معهم ساعة، فقتل المسلمون منهم رجالا، وأصابوا منهم نَعَما، ثم رجعوا إلىٰ المدينة.

ثم بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **شُجاع بن وهب**، ومعه أربعة وعشرون رجلا إلىٰ جمع من هَوَازن بالسِّيِّ، وأمره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُغِير عليهم، فأغار عليهم في الصبح، فأصاب منهم نَعَما كثيرا وشاء، واستاقوا ذلك كله حتىٰ أتوا المدينة.

ثم بَعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **كعب بن عُمَير الغِفاري** ومعه خمسة عشر رجلا، وذلك ليدعوا إلىٰ الإسلام.

فلما بلغوا ذات أطلاح من أرض الشام وجدوا جمعا كثيرا، فدعوهم إلىٰ الإسلام، فلم يستجيبوا لهم، ورشقوهم بالنَّبل، فلما رأىٰ ذلك أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاتلوهم قتالا شديدا حتىٰ قُتل المسلمون جميعا إلا رجلا واحدا أفلت جريحا، فأتىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخبره الخبر، وأراد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يرسل إليهم سرية أخرىٰ، ولكنه بلغه أنهم قد ساروا إلىٰ موضع آخر فتركهم.

وبعث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السنة الثامنة من الهجرة سرية بقيادة زيد بن حارثة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلىٰ مَدين، فأصابوا سبيا من أهل ميناء، ثم رجعوا إلىٰ المدينة.

وفي جمادى الأولى في السنة الثامنة من الهجرة كانت سرية مُؤتة التي قتل فيها الأمراء الثلاثة، ثم فتَح الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ يد خالد بن الوليد، وكان سببُ هذه السرية أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث رسولا بكتابه إلىٰ مَلِك الروم أو بصرىٰ، فقتله شُرَحْبيل بن عَمرو، ولم يُقتل لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسول غيره، فاشتد ذلك علىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين بلغه الخبر، فبعث هذه السرية وأمَّر عليهم زيد بن حارثة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقال: إن أُصيب فجعفر بن أبي طالب علىٰ الناس، فإن أُصيب جعفر فعبد الله بن رواحة، وتجهز ثلاثة آلاف من المسلمين للخروج في هذه السرية، وودَّعهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم تحرك الجيش الإسلامي حتىٰ نزل مَعَان، وهي بلدة في جنوب الأردن، فبلغهم أن هِرَقل بالبلقاء جمع لهم مائة ألف من الروم، وانضم إليهم مائة ألف من قبائل العرب، فعقد المسلمون مجلسا للاستشارة في هذا الأمر، وقال بعضهم: نكتب إلىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فنخبره بعدد عدونا، فإما أن يَمدَّنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له، فشجَّع عبد الله بن رواحة الناس، وقال لهم: يا قوم، والله إن الذي تكرهونه للذي خرجتم تطلبون، وهو الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا به الله، فانطلقوا فإنما هي إحدىٰ الحسنيين، إما النصر، وإما الشهادة.

ومضىٰ المسلمون حتىٰ إذا كانوا علىٰ حدود البَلْقاء، وهي إحدىٰ محافظات الأردن، لَقيتهم جموع الروم، وانحاز المسلمون إلىٰ مؤتة، -ومؤتة تقع في محافظة الكَرْك في الأردن-، فالتقىٰ الناس عندها، فتجهز المسلمون، ثم اقتتلوا والراية في يد زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلم يزل يقاتل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتىٰ قُتل، فأخذ الراية جعفر فقاتل بها حتىٰ إذا أرهقه القتال نزل عن فرسه فعقرها -أي ضرب قوائمها بالسيف-، ثم قاتل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتىٰ قتل فقُطعت يمينه، فأخذ الراية بيساره، فقُطعت يساره، فاحتضن الراية حتىٰ قُتل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وله ثلاث وثلاثون سنة، ثم أخذ الراية عبد الله بنُ رَواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتقدم بها وهو علىٰ فرسه، فجعل يتردَّد بعض التردد، ثم قاتل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتىٰ قُتل، ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم، فقال: يا معشر المسلمين اصطلحوا علىٰ رجل منكم، فقالوا له: أنت، فقال: ما أنا بفاعل، فاصطلح الناس علىٰ خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فبات خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يفكر في مكيدة ينجو بها بالمسلمين من جحافل الروم، فهداه الله عَزَّ وَجَلَّ إلىٰ تغيير أوضاع جيشه بجعل الميمنة ميسرة، وجعل الميسرة ميمنة، وجعل ساقة الجيش وهي مؤخرته مكان مقدمته، وذلك حتىٰ يظن العدو أن المسلمين أتاهم مدد فيخافوا، فلما أصبح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نفَّذ مكيدته، فلما رأىٰ ذلك الروم، قالوا: قد جاءهم مَدَدٌ، فرُعبوا وهربوا منهزمين، ثم رجع خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالمسلمين إلىٰ المدينة، وقد قُتل من المسلمين في هذه السرية اثنا عشر رجلا.

وأطلع الله عَزَّ وَجَلَّ رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ ما حدث للمسلمين في هذه السرية قبل أن يأتيه خبرهم، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه: «**أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب** -وعيناه تسيلان بالدموع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- **حتىٰ أخذ الراية سيف من سيوف الله حتىٰ فتح الله عليهم**».

ولما دنا الجيش الإسلامي من المدينة تلقاهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والمسلمون، وجعل الناس يَحْثون علىٰ الجيش التراب ويقولون: يا فُرَّار، فررتم في سبيل الله، فيقول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ليسوا بالفرَّار، ولكنهم الكُرَّار إن شاء الله تعالىٰ**»، والكرار: أي الرجَّاعون إلىٰ القتال.

وفي شهر جمادى الآخرة في السنة الثامنة من الهجرة بلغ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن جمعا من قُضَاعَةَ قد تجمعوا يريدون أن ينالوا من أطراف المدينة، فدعا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وبعثه في ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار، فلما اقترب عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من المشركين بلغه أن لهم جمعا كثيرا، فبعث رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يطلب مددا، فأرسل إليه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا عبيدة بن الجراح في مائتين، وبعث معه المهاجرين الأولين، وفيهم: أبو بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، ولما سمع المشركون بالمسلمين تفرقوا في البلاد، وهربوا.

وسميت هذه السرية بذات السلاسل؛ لأنه نزلوا علىٰ بئر يقال له: السَّلْسَل.

وفي هذه السرية احتلم عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في ليلة شديدة البرد، فأشفق إنِ اغتسلَ أن يهلِك فتيمم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ثم صلىٰ بمن معه الصبح، فأخبروا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك، فقال: يا عمرو، صليتَ بأصحابك، وأنت جُنُب؟ فأخبره رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الخبر، وقال له: إني سمعت الله يقول: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩﴾ [النساء:٢٩]، فضحك رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يقل له شيئًا، ولم يعنِّفه.

وقدم على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجل من بني سُليم، فدعاه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ الإسلام فأسلم، ثم رجع هذا الرجل إلىٰ قومه فأخبرهم ما رأىٰ من حال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما كان عام الفتح أتىٰ بني سُليم إلىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأسلموا، وكانوا تسعمائة.

❁❁❁

سؤال الدرس

من هم أمراء سرية مؤتة؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الحادي والثلاثون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المبارك، وهذا هو الدرس الحادي والثلاثون من دروس السيرة النبوية من كتاب «**إسعاد البرية في السيرة النبوية**»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ بعض أحداث السنة الثامنة من الهجرة، ومنها: سرية أبي قتادة إلىٰ خَضِرة، وسرية بن أبي حَدْرد إلىٰ الغَابة، ونقض قريش عهدها مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومجيء أبي سفيان بن حرب؛ ليجدِّد العهد مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإرسالُ حاطب بن أبي بَلْتَعة كتابا إلىٰ قريش يخبرهم بمسير رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهم، وسرية أبي قتادة إلىٰ إِضَم للتمويه علىٰ المشركين.

هذا مجمل الأحداث، وإليكم التفصيل:

في شعبان في السنة الثامنة من الهجرة بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا قتادة بن رِبعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومعه خمسة عشر رجلا إلىٰ غطفان، وأمره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُغِير عليهم، وبلغ أبو قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومن معه أرضَ العدو ليلا، فجرَّد المسلمون سيوفهم، وكبَّروا، وهجموا عليهم وأحاطوا بهم، فقتلوا من خرج إليهم، واستاقوا نَعَما وشاء كثيرة، ثم رجعوا إلىٰ المدينة.

وفي شعبان أيضًا من السنة الثامنة من الهجرة أرسل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابن أبي حدرد إلىٰ الغابة، فلما وصل إلىٰ أرض العدو انتظر حتىٰ دخل الليل وذهب

أوله، ثم هجم، ومن معه من أصحابه عليهم، فهزموا القوم، واستاقوا إبلا، وغنما كثيرة، ثم رجعوا إلىٰ المدينة.

وفي شهر شعبان أيضًا من هذه السنة نقضت قريش عهدها مع رسول الله ﷺ الذي كان في صلح الحديبية، وكان سبب نقض العهد أنه كانت بين قبيلتي بني بكر وخُزاعة عداوة قبيل الإسلام، **وسببها** أن رجلا من بني الحضرمي خرج تاجرا، فلما توسط أرض خُزاعة، قتلوه وأخذوا ماله، وكان بين هذا الرجل ورجل من بني بكر حِلف وعهد، فقتلت بنو بكر رجلا من خُزَاعة، فعَدَت خُزَاعة علىٰ بني الأسود الدِّيلِي، فقتلوهم بعرفة بين الحِلِّ والحرم، فلما ظهر الإسلام تشاغلوا به عما كان بينهم من عداوة حتىٰ كان صلح الحديبية بين رسول الله ﷺ، وبين قريش، وكان من شروط الصلح أنه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله ﷺ وعهده فليدخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم، فليدخل فيه، فدخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم، ودخلت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ، وعهده.

فلما كانت الهدنة اغتنمها بنو بكر وأرادوا أن يصيبوا ثأرهم من خزاعة، فخرج بنو بكر فأتوا خزاعة ليلا وهم علىٰ بئر لهم بأسفل مكة، فاقتتلوا، وقتلوا منهم رجلا، وأعانت قريش بني بكر بالسلاح، وقاتل بعض رجال قريش معهم بالليل مستخفيا حتىٰ ساقوا خزاعة إلىٰ الحرَم.

فلما انتصرت بنو بكر قريش علىٰ خزاعة، ونقضوا ما كان بينهم، وبين رسول الله ﷺ من العهد والميثاق بما استحلوا من خُزاعة، قدم عمرو بن سالم الخُزاعي علىٰ رسول الله ﷺ المدينة، فأخبره الخبر، فقال رسول الله ﷺ: «**نُصرتَ يا عمرو بن سالم**»، ثم أتىٰ جماعة من خزاعة إلىٰ رسول الله ﷺ فأخبروه بما أصيب منهم.

فخافت قريش من رسول الله ﷺ أن يأتيهم؛ لأجل أنهم نقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه، فخرج أبو سفيان حتىٰ قدم علىٰ رسول الله ﷺ

المدينة، فدخل علىٰ ابنته أم حبيبة زوج النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما أراد أن يجلس علىٰ فراش رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منعته منه، فقال: يا بُنية لا أدري أرغبت بي عن هذا الفراش، أم رغبتِ به عني؟ فقالت أم حبيبة: بل هو فراش رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنت رجل مشرك نجَس، ولم أحب أن تجلس علىٰ فراش رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال أبو سفيان: والله لقد أصابك يا بُنية بعدي شر.

ثم خرج أبو سفيان حتىٰ أتىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكلمه، فلم يرد عليه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئًا، ثم ذهب إلىٰ أبي بكر فكلمه أن يكلم له رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال له: ما أنا بفاعل، ثم أتىٰ عمر بن الخطاب فكلمه، فقال: أأنا أشفع لكم لرسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فوالله لو لم أجد إلا الذَّر لجاهدتكم به، يعني لو لم أجد إلا النمل الأحمر الصغير لجاهدتكم به.

ثم خرج أبو سفيان فدخل علىٰ علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعنده فاطمة بنت رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعندها حسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فقال: يا علي إنك أمسُّ القوم بي رحما، وإني قد جئتُ في حاجة، فلا أرجعن كما جئت خائبا، فاشفع لي إلىٰ رسول الله، فقال علي: ويحك يا أبي سفيان، والله لقد عزم رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ أمر ما نستطيع أن نكلِّمه فيه، فالتفت أبو سفيان إلىٰ فاطمة فقال: يا ابنةَ محمد، هل لك أن تأمري بُنيَّك هذا فيُجير بين الناس فيكون سيد العرب إلىٰ آخر الدهر؟ - يريد الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ومعنىٰ يجير بين الناس: أي يعطي الأمان لقريش-، فقالت فاطمة: والله ما بلغ بُنَي ذاك أن يجير بين الناس، وما يجير أحد علىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أي ليس لأحد أن يجير عدوا من غزو الإمام إياهم.

فقال أبو سفيان: يا أبا الحسن إني أرىٰ الأمور قد اشتدت عليَّ فانصحني، فقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والله لا أعلم لك شيئًا يغني عنك شيئًا، ولكنك سيد بني كنانة، فقم فأجر بين الناس، ثم الحق بأرضك.

فقال أبو سفيان: أوترىٰ ذلك مُغنيا عني شيئًا؟ أي هل هذا إذا فعلته يُغني عني شيئًا؟

فقال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا والله ما أظن، ولكني لا أجد لك غير ذلك، فقام أبو سفيان في المسجد، فقال: أيها الناس، إني قد أجرت بين الناس، أي ناديت بالأمان بين الناس.

ثم ركب أبو سفيان بعيره فانطلق، فلما قدم علىٰ قريش قالوا له: ما وراءك؟

قال: جئت محمدا فكلمته، فوالله ما رد عليَّ شيئًا، ثم جئت ابن أبي قُحافة فلم أجد فيه خيرا، ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أعدىٰ العدو -يعني أشد الناس عدوا-، ثم جئت عليا فوجدته ألين القوم، وقد أشار عليَّ بشيء صنعته، فوالله ما أدري هل يغني ذلك شيئًا أم لا؟

قالوا: وبِمَ أمرك؟

قال: أمرني أن أجير بين الناس، ففعلت.

قالوا: فهل أجاز ذلك محمد؟ أي هل أجاز النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الإجارة -أي هذا العهد، وهذا الأمان-.

قال: لا.

قالوا: ويلك، والله ما زاد الرجل علىٰ أن لعب بك، لا يغني عنك ما قلتَ.

قال أبو سفيان: لا والله ما وجدتُ غير ذلك.

ولما أجمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسير إلى مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة كتابا إلى قريش يخبرهم بمسير رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهم، ثم أعطاه امرأة، وجعل لها أجرة علىٰ أن تبلغه قريشا، فجعلته في قرون رأسها، ثم خرجت به، وأتىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخبر من السماء بما صنع حاطب، فبعث علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، والمقداد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فقال: «**انطلقوا حتىٰ تأتوا روضة خاخ** -هذا مكان بين مكة والمدينة-، **فإن بها ظعينة**، -أي امرأة في هودج- **معها كتاب إلىٰ قريش يحذِّرهم ما قد أجمعنا لهم في أمرهم، فخذوه منها**»، فانطلقوا تجري بهم خيلهم حتىٰ وجدوا المرأة بذلك المكان، وقالوا لها: معكِ كتاب؟ فقالت: ما معي كتاب، ففتشوا رحلها فلم يجدوا شيئًا، فقال لها علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أحلف بالله ما كذب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا كذبنا، والله لتخرجِنَّ الكتاب، أو لنجرِّدَنَّكِ، فلما رأت

الجِد منه قالت: أعرض، أي تولَّ بعيدا، فأعرض، فحلَّت قرون رأسها، فاستخرجت الكتاب منها، فدفعته إليهما، فأتيا به رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلىٰ قريش يخبرهم بمسير رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهم، فدعا رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حاطبا، فقال: «**ما هذا يا حاطب؟**».

فقال: لا تعجل علي يا رسول الله، والله إني لمؤمن بالله ورسوله وما أرتددت، ولا بدَّلت، ولكني كنت امرءًا ملصَقًا في قريش لست من أنفسهم، ولي فيهم أهل، وعشيرة، وولد، وليس لي فيهم قرابة يحمونهم، وكان من معك لهم قرابات يحمونهم، فأحببت إذ فاتني ذلك أن أتخذ عندهم يدًا يحمون بها قرابتي.

ومعنى قوله: «أن أتخذ عندهم يدا»: أي نعمة، ومِنَّة عليهم.

فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دعني يا رسول الله أضرب عنقه فإنه قد خان الله ورسوله، وقد نافق، فقال رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل الله قد اطلع علىٰ أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»، فذرفت عينَا عمر، وقال: الله ورسوله أعلم.

فأنزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سورة الممتحنة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١﴾ [الممتحنة:١].

وأراد النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أن يُخفي أمر مسيره إلىٰ مكة** عن المشركين حتىٰ يفاجئهم في ديارهم، فبعث أبا قتادة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومعه ثمانية نفر إلىٰ إِضَم؛ ليظنَّ المشركون أن رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ توجه إلىٰ تلك الناحية، وحتىٰ تذهب بذلك الأخبار إليهم، فلما أتوا إِضَمًا لم يلقوا جمعا، فرجعوا إلىٰ المدينة، وقبل أن يصلوا إلىٰ المدينة بلغهم أن رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد توجه إلىٰ مكة فساروا إليه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ لحقوا به.

أسئلة الدرس

لماذا قدم أبو سفيان بن حرب المدينة قبل فتح مكة؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الثاني والثلاثون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المبارك، وهذا هو الدرس الثاني والثلاثون من دروس السيرة النبوية من كتاب «**إسعاد البرية في السيرة النبوية**»، وفي هذا الدرس نتعرَّف سويًّا علىٰ بعض أحداث السنة الثامنة من الهجرة، ومنها: خروج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجيش الإسلامي لفتح مكة، ومجيء العباس بن عبد المطلب بعياله من مكة مهاجرا إلىٰ المدينة، ومجيء مَخْرَمَة بن نَوْفَل، وأبي سفيان بن الحارث، وعبد الله بن أُمية إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ووفاة مُغفَّل بن عبد نَهْمٍ المُزني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإسلام أبي سفيان بن حرْب، وحكيم بن حِزام، وبُدَيل بن وَرْقاء قبل فتح مكة.

هذا مجمل الأحداث، وإليكم التفصيل:

في السنة الثامنة من الهجرة عزم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الخروج بكتائب الإسلام وجنود الرحمن للفتح الأعظم الذي أعز الله به دينه ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو الفتح الذي دخل به الناس في دين الله أفواجا، وأشرق به وجه الأرض ضياء وابتهاجا، وأمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناس بالجَهاز، وأمَر أهله أن يجهِّزوه، فدخل أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ ابنته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهي تحرك بعض جَهَاز رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: أي بُنية أمركُنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتجهيزه؟ قالت: نعم،

فتَجَهَّزْ، قال أبو بكر: فأين تَرَينَه يريد؟ قالت عائشه: لا والله ما أدري! وذلك لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يُخبر أحدا أنه يريد مكة، حتىٰ يأتيهم فجأة.

ثم إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلم الناس أنه سائرٌ إلىٰ مكة، فأمرهم بالجِد والتهيؤ، وقال: «**اللَّهم خُذِ العيون، والأخبار عن قريش حتىٰ نَبْغَتها في بلادها**»، أي حتىٰ نأتيها فجأة في بلادها، فتجهز الناس.

ثم خرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمكة وهو صائم، والناس صيام، واستخلف صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ المدينة أبا رُهْم الغِفَاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وكان العباس خرج قبل ذلك بأهله، وعياله مسلما مهاجرا، فلقي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجحفة، وقد كان قبل ذلك مقيما بمكة علىٰ سقايته، وكان ممن لقي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الطريق إلىٰ مكة مَخْرَمَة بن نَوفل، وابنا عم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وعبد الله بن أبي أمية، فأرادوا الدخول علىٰ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأعرض عنهما، وذلك لما كان يلقاه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منهما من شدة الأذىٰ والهَجْو، فكلَّمته أم سلمة فيهما، فقالت: لا يكن ابن عمك، وابن عمتك أشقىٰ الناس بك.

وقال عليٌّ لأبي سفيان بن الحارث: ائت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قِبل وجهه، وقل له ما قال إخوة يوسف ليوسف: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾﴾ [يوسف:٩١].

ففعل ذلك أبو سفيان، فقال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف:٩٢]، فأنشده أبو سفيان أبياتا، فضرب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صدره، وقال: «**أنت طردتني كل مُطرَّد**»، ثم حسن إسلامه بعد ذلك، وما رفع رأسه إلىٰ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منذ أسلم حياء منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحبه، وكان يقول: أرجو أن يكون خلَفا من حمزة، ولما حضرت أبا سفيان بن الحارث الوفاة قال: لا تبكوا عليَّ، فوالله ما نطقت بخطيئة منذ أسلمت.

وفي طريق رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى مكة تُوفي مُغَفَّل بن عبد نَهْم المُزني رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ولما بلغ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُرَاع الغَميم، وهو واد بين مكة والمدينة دعا بقَدَح من ماء فرفعه حتىٰ نظر إليه الناس، ثم شرب، فقيل له بعد ذلك: إن بعض الناس قد صام، فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أولئك العصاة، أولئك العصاة**»، ثم مضىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ نزل مَرَّ الظهران عشاءً، وهو واد يقع الآن غرب المملكة العربية السعودية، ويسمىٰ بوادي فاطمة.

وكان مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عشرة آلاف، ولم يتخلف عنه أحد من المهاجرين والأنصار، وعمَّىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الأخبار عن قريش، فلم يأتهم خبرٌ عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يدرون ما هو فاعل، فكانوا علىٰ وَجل، وخوف.

وكان أبو سفيان يخرج يتحسس الأخبار كل ليلة، فخرج ذات ليلة هو، وحكيم بن حِزام، وبُدَيل بن ورقاء يتحسسون الأخبار، وينظرون هل يجدون خبرا؟.

ولما نزل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمرِّ الظهران أمر الجيش فأوقدوا النيران، فأُوقدت عشرة آلاف نار، وجعل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ الحرس عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فركب العباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بغلة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البيضاء، فخرج يبحث عن أحد من قريش حتىٰ يخبرهم بمكان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ليخرجوا إليه فيطلبون منه الأمان، وذلك قبل أن يدخلها عليهم عَنوة، فبينما هو يبحث عن أَحد إذ سمع أبا سفيان، وبُدَيل بن وَرْقاء يتحدثان، فلما أتاهم قال: ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الناس، وَاصَبَاحَ قريشٍ والله.

وقوله: «وا صباح»: هذه كلمة يقولها المستغيث.

فقال أبو سفيان: فما الحيلة فداك أبي وأمي؟ قال العباس: اركب هذه البغلة ورائي حتىٰ آتي بك رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأستأمنه لك، فركب خلف العباس، وأتيا معه صاحباه حكيم بن حزام، وبديل بن ورقاء حتىٰ قدما علىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فلما رآه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟**»، فقال له أبو سفيان: بأبي أنت وأمي ما أحلَمك وأكرَمك وأوصلَك، لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنىٰ شيء بعد.

فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ويحك يا أبا سفيان ألم يأنِ لك أن تعلم أني رسول الله؟**».

قال له أبو سفيان: بأبي أنت وأمي ما أحَلمك وأكرمَك وأوصلك، أما هذه والله فإن في النفس منها حتىٰ الآن شيئًا.

فقال له العباس: ويحك أسلم، واشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله.

فأسلم أبو سفيان، وشهد شهادة الحق، وأسلم معه صاحباه حكيم بن حزام، وبُديل بن ورقاء، فقال العباس: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يُحب الفخر فاجعل له شيئًا.

فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أَغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دَخل المسجد الحرام فهو آمن**».

ثم ذهب أبو سفيان إلىٰ أهل مكة يحذِّرهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأصحابه.

سؤال الدرس

متىٰ أسلم العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الثالث والثلاثون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المبارك، وهذا هو الدرس الثالث والثلاثون من دروس السيرة النبوية من كتاب «**إسعاد البرية في السيرة النبوية**»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ بعض أحداث السنة الثامنة من الهجرة، ومنها: دخول رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة فاتحا منصورا مؤيَّدا، وإقامة النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة تسعة عشر يوما يقصر الصلاة.

هذا مجمل الأحداث، وإليكم التفصيل:

لازلنا في رمضان من السنة الثامنة من الهجرة، والنبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسير بالجيش الإسلامي نحو مكة، فلما اقترب صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مكة دخلها من أعلاها، وضُربت هنالك له قُبة، وأمَرَ الزبير بن العوام أن يدخل مع بعض الناس من كُدَي، وأمَّر سعد بن عُبادة أن يدخل مع بعض الناس من كَدَاء، وأمَّر صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خالد بن الوليد أن يدخل من أَسفل مكة، وقال صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لخالد: «**إن عَرض لكم أحد من قريش فاحصدوهم حَصدا حتىٰ تُوافوني علىٰ الصفا**»، وتجمع بعض سفهاء قريش؛ ليقاتلوا المسلمين، فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد ناوشوهم شيئًا من القتال، فقُتل اثنان من المسلمين، وذلك لأنهم سلكَا طريقا غير طريقه، وأُصيب

من المشركين حينئذ نحو اثني عشر رجلا، وجمعت قريش جموعا من قبائل شتىٰ وقالوا: نقدم هؤلاء، فإن كان لقريش شيء كنا معهم، وإن أُصيبوا أعطينا الذي سُئِلنا، أي إن أُصيبوا بمكروه دفعنا الدية لهم.

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا أبا هريرة**»، فقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لبيك رسول الله وسعديك، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اهتف لي بالأنصار، ولا يأتيني إلا أنصاري**»، فجاؤوا، فأحاطوا برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال لهم: «**أترون إلىٰ أوباشَ قريش، وأتباعهم؟**»، أوباش: أي جموع من قبائل شتىٰ.

ثم أشار صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيدية إحداهم علىٰ الأخرىٰ، وقال: «**احصدوهم حصدا حتىٰ توافوني بالصفا**»، ثم نهض رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمهاجرون، والأنصار بين يديه وخلفه وحوله حتىٰ دخل المسجد، فأقبل إلىٰ الحجر الأسود فاستلمه، ثم طاف بالبيت وفي يده قوس، وحول البيت وعليه ستون وثلاثمائة صنم فجعل يطعنها بالقوس، ويقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء:٨١]، ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾ [سبأ:٤٩]، والأصنام تتساقط علىٰ وجوهها، وكان طوافه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ راحلته، ولم يكن محرِما يومئذ، فاقتصر علىٰ الطواف.

ولما أكمل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طوافه بالبيت دعا عثمان بن طلحة فأخذ منهم مفتاح الكعبة، فأمر بها ففُتحت فدخلها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فرأىٰ فيها الصور، ورأىٰ فيها صورة إبراهيم وإسماعيل يستقسمان بالأزلام، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قاتلهم الله** -أي لعنهم الله-، **والله ما استقسما بها قط**»، أي ما استقسم إبراهيم، وإسماعيل بالأزلام قط.

ثم أغلق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه باب الكعبة ومعه أسامة، وبلال رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فصلىٰ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ داخلها، ثم فتح الباب، وأخذ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعِضَادَتي باب الكعبة، وقريش تحته قد ملأت المسجد صفوفا ينتظرون ماذا يصنع بهم؟

فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده، ونصر عبده**

وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مَأْثُرَة، أو مال، أو دم يُدَّعىٰ، فهو موضوع تحت قدمي هاتين إلا سَدَانة البيت، وسِقاية الحاج».

ومعنى قوله: «مأثُرة»: أي خصلة محمودة تتوارث.

ومعنى قوله: «تحت قدمي»: أي باطل.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نَخوة الجاهلية، وتعاظمها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب**».

ومعنى قوله: «نخوة الجاهلية»: أي كبر، وعُجب الجاهلية.

ثم تلا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحُجُرات:١٣].

ثم قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا معشر قريش ما ترون أني فاعلٌ بكم؟**».

قالوا: خيرا، أخ كريم، وابن أخ كريم.

فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته:** ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ﴾[يوسف:٩٢] **اذهبوا فأنتم الطلقاء**».

ثم أعطى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لعثمان بن طلحة** مفتاح الكعبة، وأمر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلالا أن يصعد فيؤذن فوق الكعبة، وكان أشراف قريش جالسين بِفِناء الكعبة، فقال عَتَّاب بن أَسيد: لقد أكرم الله أَسيدا ألا يكون سمع هذا فيسمع منه ما يغيظه، فقال الحارث بن هشام: أما والله لو أعلم أنه حق لاتبعته، فقال أبو سفيان: أما والله لا أقول شيئًا، لو تكلمت لأخبرتْ عني هذه الحصىٰ.

فخرج عليهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال لهم: «**قد علمتُ الذي قلتم**»، ثم ذكر لهم ما قالوه، فقال الحارث، وعتاب: نشهد أنك رسول الله، والله ما اطلع علىٰ هذا أحد كان معنا.

ثم دخل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **دار أم هانئٍ فاغتسل** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وصلى ثماني ركعات.**

ولما استقر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **في مكة أمر بقتل جماعة من المشركين** وإن وُجدوا تحت أستار الكعبة، فمنهم من قتل، ومنهم من أُخذ له الأمان من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأسلم، وحسن إسلامه.

ولما كان الغد من يوم الفتح قام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **في الناس خطيبًا،** فحمد الله، وأثنىٰ عليه ومجَّده بما هو أهله، ثم قال: «**يا أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض، فهي حرام بحرمة الله إلىٰ يوم القيامة، فلا يحل لأمرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دما، أو يَعْضُد بها شجرة**»، أي لا يحل لأحد أن يقتل بمكة أحدا، ولا يحل لأحد أن يقطع بمكة شجرا.

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فإن أحد ترخَّص لقتال رسول الله** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فقولوا: إن الله أذن لرسوله، ولم يأذن لكم، وإنما حلَّت لي ساعة من نهار، وقد عَادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهدِ الغائب**».

وخافت الأنصار من بقاءِ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **في مكةَ،** وعدم رجوعه المدينة، وتحدَّثوا بذلك فيما بينهم، فنزل الوحي علىٰ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبره بما تحدثت به الأنصار، فأخبرهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما قالوا، ثم قال لهم: «**أَنا محمد عبد الله ورسوله هاجرتُ إلىٰ الله وإليكم، فالمحيا محياكم والممات مماتكم**».

قالوا: والله ما قلنا إلا ضَنًّا بالله ورسوله، أي لا نريد أن يشاركنا في رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحد.

فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فإن اللهَ، ورسوله يصدِّقانكم، ويَعذرَانِكم**».

وأقام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة بعد فتحها تسعةَ عشر يوما يصلي ركعتين، وأمر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذه الأيام تميم الخزاعي فكسر الأصنامَ حول الحَرم، وأرسل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سراياه إلىٰ الأوثان التي كانت حول الكعبة فكُسِّرت كلها، ونادىٰ مناديه بمكة: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنما إلا كَسَره**».

فهذه هي غزوة فتح مكة، وهي المعركة الفاصلة، والفتح الأعظم الذي قضىٰ

علىٰ كيان الوثنية قضاء باتا، وقد كان صلح الحُديبية مُقدمة، وتوطئة بين يدي هذا الفتح العظيم، ولذلك سمىٰ الله عَزَّوَجَلَّ صلح الحديبية فتحا في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ١﴾ [الفتح:١].

سؤال الدرس

كم يوما أقام رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بمكة؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الرابع والثلاثون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المبارك، وهذا هو الدرس الرابع والثلاثون من دروس السيرة النبوية من كتاب «**إسعاد البرية في السيرة النبوية**»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ بعض أحداث السنة الثامنة من الهجرة، ومنها: سرية خالد بن الوليد لهدم العُزَّىٰ، وسرية عمرو بن العاص لهدم سِوَاع وسرية سعد بن زيد الأشهلي لهدم مَنَاة، وسرية خالد بن الوليد إلىٰ بني جَذِيمة، وغزوة حُنين.

هذا مجمل الأحداث، وإليكم التفصيل:

لازلنا في السنة الثامنة من الهجرة، ولازال رسول الله ﷺ بمكة، ففي أثناء إقامة رسول الله ﷺ بمكة بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلىٰ العزىٰ؛ ليهدمها، وكانت أعظم أصنام قريش وكِنانة كلها، فخرج خالد بن الوليد رضي الله عنه ومعه ثلاثون فارسا من أصحابه فهدموها.

وبعث رسول الله ﷺ عَمرو بن العاص إلى سواع صنم هُذيل؛ ليهدمه، فخرج إليه عمرو رضي الله عنه فهدمه.

وبعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد الأشهلي إلى صنم مناة، فخرج سعد رضي الله عنه ومعه عشرون فارسا فهدموها.

وفي شهر شوال من السنة الثامنة من الهجرة لما رجع خالد بن الوليد من هدم العُزى بعثه إلىٰ بني جَذِيمة، وأمره أن يدعو الناس إلىٰ الإسلام، ولم يبعثه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مقاتلا، فخرج رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ومعه ثلاثمائة وخمسين رجلا، فلما انتهىٰ إليهم خالد دعاهم إلىٰ الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، فجعلوا يقولون: صبأنا، صبأنا، فجعل خالد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقتل منهم، ويأسر، ودفع إلىٰ كل رجل معه أسيرا، فلما كان في السَّحر نادىٰ خالد من كان معه أسير فليضرب عنقه بالسيف، فقتلت بنو سليم من كان في أيديهم، وأما المهاجرون والأنصار فتركوا من بأيديهم، قال ابن عمر: والله لا أقتل أسيري، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره، فلما قدموا علىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبروه بما فعل خالد، فرفع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يده، فقال: «**اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد، اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد**».

ثم دعا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقال له: «**يا علي اخرج إلىٰ هؤلاء القوم فانظر في أمرهم، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك**»، وأعطاه مالا؛ ليدفعه إليهم دية لهم.

ولما منَّ الله عَزَّوَجَلَّ على رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى المؤمنين بفتح مكة اجتمعت قبائل عدة بقيادة مالك بن عوف لمحاربة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والقضاء علىٰ الإسلام، واصطحبوا معهم أموالهم ونساءهم وأبناءهم، فلما نزلوا بأوطاس أتىٰ دُرَيد بن الصِّمة وكان شيخا كبيرا ليس فيه شيء إلا رأيه، ومعرفته بالحرب، فأشار علىٰ مالك بن عوف أن يَرد الأموال والنساء والأبناء، وكره مالك أن يكون لدُرَيد في هذه الحرب ذِكر، أو رأي، فقال: والله لا أفعل ذلك، أنك قد كَبرت وكبر عقلك، ثم قال لجيوشه: والله لتُطِيعُنَّني يَا مَعْشَرَ هَوَازِنَ، أَو لأتَّكِئَنَّ علىٰ هذا السيف حتىٰ يخرج من ظهري، فقالوا: أطعناك، ثم قال مالك للناس: إذا رأيتموهم شدوا عليهم شَدَّة رجل واحد.

ولما سمع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمسير المشركين إليه بعث إليهم عبد الله بن أبي حَدْرد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ ليأتيه بخبرهم، ولما استيقن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخبر خرج

ﷺ يوم السبت في السادس من شوال، ومعه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين فتح الله بهم مكة فكانوا اثني عشر ألفا.

واستخلف النبي ﷺ علىٰ مكة عتَّاب بن أسيد، فلما رأىٰ الناس كثرة الجيش قال بعضهم: لن نُغلب اليوم من قِلة، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾[التوبة:٢٥].

ولما اقترب الجيش الإسلامي من حُنين في الظلام قبل طلوع الصبح نزلوا في واد من أودية تِهامة، وقد سبقهم جيش هَوازن إلىٰ واد حنين، فكمنوا لهم في شِعابه وجوانبه ومضايقه، وقد تهيؤوا، وأعدوا للمسلمين، وبينما المسلمون يقتربون إذ بكتائب هوازن شدوا عليهم شدة رجل واحد، وفر المسلمون راجعين لا يلوي أحد علىٰ أحد، فلما رأىٰ رسول الله ﷺ حال المسلمين انحاز ذات اليمين، ثم قال: «**أين أيها الناس؟ هلموا إليَّ، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله، فلا شيء**»، أي لا شيء عظيم يستحق الفرار، وإنما بقي مع رسول الله ﷺ نفر من المهاجرين، والأنصار، وأهل بيته ﷺ منهم: أبو بكر، وعمر، وعلي، والعباس، وأبو سفيان بن الحارث، وابنه، والفضل بن العباس، والربيعة بن الحارث، وأسامة بن زيد، وأيمن بن عُبيد.

فلما نادىٰ رسول الله ﷺ أين أيها الناس؟ لم يرجع أحد، فقال النبي ﷺ: «**يا عباس اصرخ: يا معشر الأنصار، يا معشر أصحاب السَّمُرة**».

وقوله: «أصحاب السمرة»: أي الشجرة التي بايعوا تحتها بيعة الرضوان، ومعناه نادِ أهل بيعة الرضوان يوم الحديبية.

فلما صرخ العباس بأعلىٰ صوته، أين أصحاب السَّمُرة؟ رجعوا مسرعين إلىٰ رسول الله ﷺ، وأجابوا لبيك لبيك، فاقتتلوا والكفار، ثم نظر رسول الله ﷺ وهو علىٰ بغلته إلىٰ قتالهم، فقال ﷺ: «**هذا حين حَمِيَ الوطيس، اللهم نزِّل نصرك**».

وقوله: «حمي الوطيس»: كناية عن اشتداد الحرب.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب**»، ثم نزل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن البغلة، ثم قبض قَبضة من التراب، ثم استقبل بها وجوه الكفار، فقال: «**شاهت الوجوه، انهزموا ورب الكعبة، انهزموا ورب الكعبة**»، فما خلق الله عَزَّوَجَلَّ منهم إنسان إلا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة التي قبضها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فولوا مدبرين، فهزمهم الله عَزَّوَجَلَّ، وفرَّ المشركون حتىٰ أتوا الطائف، وعسكر بعضهم بأوطاس.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [التوبة:٢٥:٢٧].

سؤال الدرس

كم كان عدد الجيش الإسلامي في غزوة حُنين؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الخامس والثلاثون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المبارك، وهذا هو الدرس الخامس والثلاثون من دروس السيرة النبوية من كتاب «إسعاد البرية في السيرة النبوية»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ بعض أحداث السنة الثامنة من الهجرة، ومنها: سرية أوطاس بقيادة أبي عامر الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وسرية الطُّفيل بن عمرو الدَّوسي لهدم الصنم ذِي الكفين، وأول قصاص في الإسلام، وغزوة الطائف، وقدوم وفد هَوَازن علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتَقْسيم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لغنائم حُنين، ومجيء الشيماء أخت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الرضاعة أسيرة.

هذا مجمل الأحداث، وإليكم التفصيل:

لما فرغ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس، فلقي دُريد بن الصمة فقُتل دريدٌ، وهزم الله أصحاب دريد، فأدرك أبو عامر من الناس بعضَ من انهزم، فناوشوه القتال فرُمي أبو عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسهم فقُتل، واستخلف أبا موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم رجع أبو موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالناس إلىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأخبره بما حدث، فدعا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بماء، فتوضأ، ثم رفع يديه، فقال: «**اللهم اغفر لعُبيدٍ أبي عامر، اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس**».

ولما افتتح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُنينا، وأراد المسير إلى الطائف بعث الطُّفيل بن عمرو إلى الصنم ذي الكَفَّين؛ ليهدمه، فخرج رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سريعا إلىٰ قومه فهدم ذا الكَفَّين، وجعل يدخل النار في وجهه ويحرقه، وكان يقول:

يــا ذا الكَفَّــين لســتُ مــن عُبــادكا ... مِيلادُنــا أقــدمُ مِــن مِــيلادِكا

إنـي حششـتُ النـــار في فـــؤادِكا

ثم رجع إلىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومعه أربعمائة من قومه، فوافوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالطائف، وذلك بعد مَقْدَمه بأربعة أيام.

وفي طريق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لحصار الطائف مر ببُحْرة الرُّغاء فابتنىٰ بها مسجدا، فصلىٰ فيه قبل وصوله إلىٰ الطائف.

ولما نزل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومئذ ببُحْرة الرُّغاء أُتي إليه برجل من بني ليث قتل رجلا من هُذيل، فاختصموا عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدفع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الليثي إلىٰ الهذليين، فضربوا عنقه، فكان أول قصاص في الإسلام.

ولما خرج صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حُنَين يريد الطائف قدم خالدُ بنُ الوليد، ومعه ألف رجل علىٰ مُقَدِّمة الجيش، وذلك ليستطلع له العدو.

ولما انهزمت ثقيف من أوطاس دخلت حصنهم، وهو حصن الطائف، ثم وضعوا عليه المجانيق، وأدخلوا فيه الرُّماة، وأدخلوا فيه من الزاد، وغيره من جميع ما يصلحهم لسنة، وأغلقوا عليهم أبواب مدينتهم وتهيؤا للقتال، وظل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محاصرا لهم ثمانية عشر يوما.

وأثناء الحصار نادى منادي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أيما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر، فخرج منهم بضعة عشر رجلا منهم أبو بَكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فأعتقهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي أواخر شهر شوال لمَّا طال الانتظار في حصار الطائف رفع رسول الله

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحصار عنهم، ثم رجع صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ الجِعْرَانة، فقدم عليه وفود هَوازن قد أسلموا فرد عليهم أسراهم، وقد استجاب الله عَزَّ وَجَلَّ دعوته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما قال: «**اللهم اهدِ ثقيفا، وائتِ بهم**»، وذلك عند رفعه لحصار الطائف.

وفي شهر ذي القَعْدة من السنة الثامنة من الهجرة فرّق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الغنائم، وأعطىٰ المؤلفة قلوبهم كثيرا -والمؤلفة قلوبُهم: أناس حديثو عهد بالإسلام يُعطون-؛ لتقوية إيمانهم، ولم يعطِ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المؤمنين شيئًا، فقال ذُو الخُويصرة: ويلكَ يا رسول الله اعدلْ، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ويلكَ، ومن يعدل إذا لم أعدل؟ قد خبتَ وخسرتَ إن لم أكنْ أعدل**».

فقال عمر: يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**دعه فإن له أصحابا يحقِر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم** -أي لا يفقهون معناه- **يمرقون من الدين كما يَمرُق السهم من الرمية**»، أي يخرجون من الإسلام دون أن يستفيدوا منه شيئًا.

ولما أعطى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أعطى من تلك العطايا المؤلفة قلوبهم من قريش، وقبائل العرب، ولم يُعطِ الأنصار شيئًا حزنوا في أنفسهم؛ إذ لم يصبهم ما أصاب الناس من العطايا حتىٰ كثرت فيهم القالة حتىٰ قال قائلهم: لقي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قومه، فأمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سعد بن عُبادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن يجمع له الأنصار في حظيرة.

فلما اجتمعوا أتاهم النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال خُطبته المشهورة: «**يا معشر الأنصار مقالةٌ بلغتني عنكم، وَجِدة وجدتموها عليَّ في أنفسكم** -جدة، أي عتاب- **يا معشر الأنصار ألم أجدْكُم ضُلَّالا فهداكم الله بي؟، وكنتم متفرقين فألَّفكم الله بي؟، وعالة فأغناكم الله بي؟**»، قالوا: بل الله ورسوله أَمَنُّ، وأفضل، كلما قال شيئًا قالوا: الله ورسوله أَمَنُّ.

فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما يمنعكم أن تُجيبوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ».

قالوا: وبماذا نجيبك يا رسول الله؟ ولله ولرسوله المَنُّ والفَضل.

فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أما والله لو شئتم لقلتم فلصدَقتم وصُدِّقتم، أتيتنا مكذَّبا فصدقناك، ومخذولا فنصرناك، وطريدا فأويناك، وعائلا فأغنيناك، أوجدتُم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لُعَاعة من الدنيا فألَّفتُ بها قوما؛ ليسلموا، ووكَلتكم إلىٰ إسلامكم، أترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ رحالكم؟ فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار، ولو سلك الناس واديا وشِعبا وسلكت الأنصار واديًا وشعبًا، لسلكت وادي الأنصار وشِعْبها، الأنصار شعار، والناس دِثار، أنكم سترون بعدي أَثَرة فاصبروا حتىٰ تلقوني علىٰ الحوض، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار**».

فبكىٰ الأنصار حتىٰ ابتلت لحاهم بالدموع، وقالوا: رضينا برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَسْمًا وحَظا، ثم انصرف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتفرقوا.

وكان من سَبْي حُنين الشيماء بنت الحارث أخت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الرضاعة، وقالت للمسلمين: تعلمون والله إني لأخت صاحبكم من الرضاعة، تعني النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلم يصدقوها حتىٰ أتوا بها إلىٰ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما جيء بها إلىٰ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عرَفها، وأمر بردِّها إلىٰ قومها.

وفي شهر ذي القعدة من السنة الثامنة من الهجرة لما انتهىٰ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من توزيع الغنائم في الجِعْرَانة ذهب إلىٰ مكة محرما بعمرة، ثم رجع صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ المدينة.

❁❁❁

سؤال الدرس

كم ظل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محاصرا الطائف؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس السادس والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المبارك، وهذا هو الدرس السادس والثلاثون من دروس السيرة النبوية من كتاب «**إسعاد البرية في السيرة النبوية**»، وفي هذا الدرس نتعرَّف سويًّا علىٰ ما تبقىٰ من أحداث السنة الثامنة من الهجرة، ومنها: سرية قيس بن سعد بن عُبادة إلىٰ صُدَاء، ومجيء وفد صُدَاء إلىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وزواج رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من فاطمة بنت الضحَّاك الكِلابيَّة، ومولد إبراهيم ابن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومولد أُمامة بنت زينب بنت رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعمل مِنبر رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسوَدْة أم المؤمنين تهب يومها لعائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وعتَّاب بن أَسِيد أمير مكة يحج بالناس، وإسلام كعب بن زُهير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ووفاة زينب بنت رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومبعث عمرو بن العاص إلىٰ جَيفَر وعَمرو ابني الجُلَنْدَىٰ، وغلاء السعر علىٰ عهد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونزول سورة العصر علىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومجيء وفدي ثَعلبة وثُمَالة والحُدَّان إلىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هذا مجمل الأحداث، وإليكم التفصيل:

لما انصرف رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **من الجِعْرَانة** بعث قيس بن سعد بن عُبادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلىٰ صُداء ناحية اليمن، وأمره أن يدخل صداء، فلما قدم عليهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خرج

رجل منهم سريعا إلىٰ المدينة يريد رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما التقىٰ بالنبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال له: جئتُك وافدا علىٰ من ورائي، فاردد الجيش، أي جيش قيس ابن سعد بن عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال: وأنا لك بقومي، أي آتيك بقومي، فردهم رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقدم منهم بعد ذلك علىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خمسة عشر رجلا، فأسلموا، وبايعوا رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ مَن ورائهم من قومهم، ورجعوا إلىٰ بلادهم، فانتشر فيهم الإسلام، فوافَىٰ النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مائةُ رجل منهم في حجة الودَاع.

وفي شهر ذي القَعدة من السنة الثامنة من الهجرة تزوج رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاطمة بنت الضحَّاك الكِلابي، فلما دخلت علىٰ النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالت: أعوذ بالله منك، فقال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لقد عُذْتِ بعظيم، الحقي بأهلك**»، فكانت تلقط البعرة وتقول: أنا الشقية؛ لأجل أنها قالت هذا الكلام للنبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي شهر ذي الحجة من السنة الثامنة من الهجرة ولدت مارية القبطية إبراهيم ابن رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدفعه رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ أُم بُردة بنت المنذِر، فكانت ترضعه، وكانت تسكن في أطراف المدينة، وكان رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأتي أُم بردة، ويؤتىٰ بإبراهيم فيقبِّله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم يرجع.

وولدت في السنة الثامنة من الهجرة زينب بنت رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمامة بنت أبي العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي وهو حاملها، فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها.

وكان مسجد رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مسقوفا على جذوع من نخل، فكان النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا خطب يوم الجمعة يقوم علىٰ جذع شجرة، أو نخلة منها، فقالت امرأة من الأنصار: يا رسول الله، ألا نجعل لك مِنبرا؟ فشاور النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسلمين في ذلك، فرأوا أن يتخذه، فأرسل رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ امرأة من الأنصار يقول لها: مُري غلامك النجار أن يعمل لي أعوادا أجلس عليهن إذا كلمتُ الناس.

ولما عُمِل المنبر لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأراد أن يخطب عليه يوم الجمعة صاحت النخلة التي كان يخطب عليها صياح الصبي، ثم نزل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المنبر، فضمها إليه فكانت تَئِن أنين الصبي الذي يسكَّن، فكانت تبكي على ما كانت تسمع من الذِّكر عندها.

ولما كَبِرَت سَودةُ بنتُ زَمْعة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا جعلت يومها من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعائشة، قالت: يا رسول الله قد وهبتُ يومي وليلتي منك لعائشة، فكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقسم لعائشة يومين يومها، ويوم سودة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وقد فعلتْ ذلك رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ابتغاءَ رضا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي شهر ذي الحجة من السنة الثامنة من الهجرة حج بالناس عَتَّاب بن أَسيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أمير مكة.

وكان كعب بن زُهير من الشعراء الذين كانوا يهجون رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُقتل، وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أمر بقتل كل من كان يهجوه، ويؤذيه، فكتب كعب بن زهير قصيدته المشهورة التي يمدح فيها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم خرج حتى قدم المدينة، فقام إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى جلس إليه، فوضع يده في يد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يعرفه، فقال: يا رسول الله إن كعب بن زُهير قد جاء ليستأمن منك تائبا مسلما، فهل أنت قابلٌ منه إن أنا جئتك به؟ فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نعم، فقال كعب: أنا يا رسول الله كعب بن زُهير، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله دَعني وَعدو الله أضرب عنقه، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**دعه عنك، فإنه قد جاء تائبا نازعا عما كان عليه**»، فقال كعب قصيدته المشهورة التي أولها:

بانت سعادُ فقلبي اليومَ مَتبولُ ... مُتيَّم إثرُها لم يُفدَ مَكْبولُ

وفي السنة الثامنة من الهجرة تُوفيت زينب بنت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للنساء: «**اغسلنها وترا ثلاثا، أو خمسا، أو أكثر من ذلك إن رَأيتُنَّ**

ذلك بماء وسِدر، ابدأن بميامنها، ومواضع الوضوء منها، واجْعلنَ في الآخرة كافورا، فإذا غَسلتُنَّها فأعلمنني»، قالت أُمْ عطية: فضفرنَا شعرها ثلاثةَ قرون، ولما فرغنا أَعلمناه، فأعطانا إزاره، وقال: «**أَشْعِرنَها إياه**»، أي اجعلنه شعارا لها.

والشّعار: هو الثوب الذي يلي الجسد.

في السنة الثامنة من الهجرة بعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمرو بن العاص إلى جَيفَر، وعمرو ابني الجُلَندَى؛ ليدعوهما إلىٰ الإسلام، وكتب معه إليهما كتابا وختمة، فأسلما، وصدَّقا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأصاب الناس في السنة الثامنة من الهجرة مجاعة، فقالوا: يا رسول الله غلا السعر فَسَعِّر لنا، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله هو المُسعِّر، القابض، الباسط، الرازق، وإني لأرجو أن ألقىٰ الله، وليس أحد منكم يُطالبني بمظلمة في دم، ولا مال**».

ولما تم فتح مكة، ودانت للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قريشٌ عرفتَ العرب أنهم لا طاقة لهم بحرب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدخلوا في دين الله أفواجا، فنزل قول الله تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ [سورة:النصر].

أي فاحمد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ ما أظهر من دينك، واستغفره إنه كان توابا.

قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: ما رأيتُ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منذ نزلت عليه هذه السورة يُصلي صلاة إلا دعا، أو قال فيها: «**سبحانك ربِّي وبحمدك، اللهم اغفر لي**».

وقدم على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد مَقدمه من الجِعْرانة أربعة نفر من بني ثعلبة، وقالوا: نحن رسل مَن خلفنا من قومنا، ونحن وهم مقرُّون بالإسلام، فأمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم بضيافة، وأقاموا أياما، ثم رَجعوا إلىٰ بلادهم.

وقدِم أيضًا على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفد ثُمَالَةَ، والحُدَّانِ، فأسلموا، وبايعوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ قومهم، وكتب لهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتابا بما فرض عليهم من الصدقة في أموالهم.

أسئلة الدرس

السؤال الأول: متىٰ ولدت مارية إبراهيم ابن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

السؤال الثاني: متىٰ توفيت زينب بنت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟، وماذا قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للنساء عند تغسيلها؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس السابع والثلاثون

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المبارك، وهذا هو الدرس السابع والثلاثون من دروس السيرة النبوية من كتاب «إسعاد البرية في السيرة النبوية»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ بعض أحداث السنة التاسعة من الهجرة، ومنها: سرية عُيَينة بن حِصن رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلىٰ بني تميم، ومبعث عبد الله بن عَوْسَجة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلىٰ بني حارثة بن عمرو يدعوهم إلىٰ الإسلام، وسرية قُطْبة بن عامر إلىٰ خَثْعم، وقدوم وفد عُذْرة علىٰ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وسرية الضحَّاك بن سفيان الكِلابي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلىٰ بني كِلاب بالقُرُطَاء، وقدوم وفد بَلِيٍّ علىٰ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وسرية علقمة بن مُجزِّز المُدْلِجي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلىٰ الأحباش بجَدة، وسرية علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلىٰ الفُلس صنم طَيِّئٍ، وسرية عكاشة بن محصن رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلىٰ الجَنَاب، وقدوم وفد كِنانة علىٰ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

هذا مجمل الأحداث، وإليكم التفصيل:

في شهر الله المحرم من السنة التاسعة من الهجرة بعث رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عُيَينة بن حِصن الفَزَاري إلى بني تميم، ومعه خمسون فارسا من العرب، فهجم عليهم في الصحراء، فلما رأوهم ولَّوا مدبرين، فأسروا منهم أحد عشر رجلا، وإحدىٰ عشرة

امرأة، وثلاثين صبيا، فجلبوهم إلىٰ المدينة، فأمر بهم رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُحبَسوا في دار رَمْلَة بنت الحارث، ثم قدم جماعة من رؤساء بني تميم علىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما وقفوا علىٰ باب النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نادوا: يا محمد، اخرج إلينا، فخرج رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأقام بلال الصلاة، وتعلقوا برسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكلمونه، فوقف صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معهم، ثم صلىٰ الظهر، ثم جلس صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معهم في صَحن المسجد فقدموا خطيبهم عُطَاردَ بن الحَاجب فتكلم وخطب، فأمر رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثابت بن قيس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن يجيبه، فأجابه، فقام الزِّبْرِقَان بن بدر فقال شعرا، فأمر رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حسان بن ثابت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن يجيبه، فأجابه، فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله قال الأقرع بن حَابس: إن هذا الرجل لمُؤَتَّىٰ له -أي موفَّق-؛ لخطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، ولأصواتهم أحلىٰ من أصواتنا، فلما فرغ القوم أسلموا، وأعطاهم النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جوائز وعطايا، ورد عليهم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأسرىٰ، والسبي، ونزل فيهم قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ [الحُجُرات:٤-٥].

وفي شهر صفر من السنة التاسعة من الهجرة بعث رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **عبد الله بن عَوْسَجة** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلىٰ بني حارثة ابن عمرو يدعوهم إلىٰ الإسلام، فأخذوا صحيفة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فغسلوها ورقَّعوا بها أسفل دلوهم، وأبوا أن يجيبوه، فدعا عليهم رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قائلا: «**ما لهم! ذهب الله بعقولهم**»، وقد استجاب الله عَزَّ وَجَلَّ دعاء نبيه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فصاروا أهل سَفَهٍ، وأهل رِعْدة وعجلة في كلامهم، وكلام مختلَط لا يُفهم.

وفي شهر صفر أيضًا من السنة التاسعة من الهجرة بعث رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قُطْبَة بن عامر** في عشرين رجلا إلىٰ حَيٍّ من خثعم، وأمره صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يَشُنَّ الغارة عليهم فخرجوا علىٰ عشرة أبعرة يتناوبون عليها، فلما التقوا بهم قاتلوا قتالا

شديدا حتىٰ كثر الجرحىٰ في الفريقين جميعا، وساقوا النَّعَم والشاء والنساء الىٰ المدينة، فاجتمع بنو خثعم وركبوا في أثرهم، فأرسل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليهم سيلا عظيما حال بينهم وبين المسلمين، فساقوا النعَم والشاء، والسبي، وهم ينظرون لا يستطيعون أن يعبروا إليهم حتىٰ غابوا عنهم.

وفي صفر أيضًا من السنة التاسعة من الهجرة قدم على رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفد عُذرة، وهم اثنا عشر رجلا، فلما رأوا النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيَّوه بتحية الجاهلية، فقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من القوم؟ فأخبروه أنهم من بني عُذْرَة، فقال لهم النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مرحبًا بكم، وأهلا**»، فأسلموا، وبشرهم رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بفتح الشام، ثم أعطاهم النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عطايا، ثم انصرفوا إلىٰ بلادهم.

وفي شهر ربيع الأول من السنة التاسعة من الهجرة بعث رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جيشا إلى القُرَطاء، وأمَّر عليه الضحاك بن سُفيان الكِلابي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فلما التقوا بالمشركين دعوهم إلىٰ الإسلام فلم يستجيبوا، فقاتلوهم فهزموهم، ثم رجَعوا إلىٰ المدينة.

وفي شهر ربيع الأول من السنة التاسعة من الهجرة قدم وَفد بَلِيٍّ علىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأسلموا، وقال لهم رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الحمد لله الذي هداكم للإسلام؛ فكل من مات علىٰ غير الإسلام فهو في النار**»، فلما أرادوا أن ينصرفوا ويرجعوا إلىٰ بلادهم، أمر لهم النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعطايا، ثم رجعوا إلىٰ بلادهم.

وفي شهر ربيع الآخر من السنة التاسعة من الهجرة بلغ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ناسا من الحبشة يريدون النيل من المسلمين، فبعث إليهم رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلْقمة بن مُجَزِّز ومعه ثلاثمائة رجل، فلما خاض إليهم البحر هربوا منه، ثم رجعوا إلىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي شهر ربيع الآخر من السنة التاسعة من الهجرة بعث رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ومعه وخمسون ومائة رجل لهدم الفُلْس صنم طَيِّءٍ، فشنوا

الغارة علىٰ مَحِلَّة آل حاتم مع الفجر فهدموا الفُلس، وملؤوا أيديهم من السبي والنعم والشاء، وكان في السبي أخت عَدي بن حاتم، وهرب عدي إلىٰ الشام.

وفي شهر ربيع الآخر بعث رسول الله ﷺ عُكَّاشة بن مِحصن رضي الله عنه إلىٰ الجَنَاب أرض عُذرة، وبلي.

وفي السنة التاسعة من الهجرة قدم على رسول الله ﷺ واثلة بن الأسقع الليثي، فبايع رسول الله ﷺ، ثم رجع إلىٰ أهله ودعاهم وأخبرهم عن رسول الله ﷺ، فقال له أبوه: والله لا أكلمك كلمة أبدا، ولما سمعت أخته كلامه أسلمت، ثم خرج إلىٰ رسول الله ﷺ فوجده قد سار إلىٰ تبوك.

سؤال الدرس

تكلم بإجمال عن سرية عُيَينة بن حِصن رضي الله عنه إلىٰ بني تميم؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الثامن والثلاثون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المبارك، وهذا هو الدرس الثامن والثلاثون من دروس السيرة النبوية من كتاب «**إسعاد البرية في السيرة النبوية**»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ بعض أحداث السنة التاسعة من الهجرة، ومنها: مبعث طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ بيت سويلم اليهودي؛ ليُحرِّقه علىٰ من فيه من المنافقين، وغزوة تبوك.

هذا مجمل الأحداث، وإليكم التفصيل:

بلغ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ناسا من المنافقين يجتمعون في بيت سويلم اليهودي، وذلك لتثبيط الناس عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ لا يخرجوا معه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة تبوك، فبعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهم طلحة بن عبيد الله في نفر من أصحابه، وأمره أن يحرِّق عليهم بيت سويلم، ففعل طلحة، فهرب من في البيت.

وكانت غزوة تبوك في زمن عُسرة من الناس وجَدْب من البلاد، وحين طابت الثمار والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم، ويكرهون خروجهم علىٰ تلك الحال، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قلما يخرج في غزوة إلا كنَّىٰ عنها بغيرها -أي لا يذكر

للناس أنه يريد مكان كذا وكذا، وإنما كان يُكنِّي بغيرها- إلا في غزوة تبوك فإنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر الناس أنه سيسير إليها، وذلك لبُعد المسير، وشدة الزمان، وهذه هي آخر غزوة غزاها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد بلغ رسولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الروم قد جمعت جموعا كثيرة بالشام، وأن هِرَقْل قد أعطىٰ جنده أجرة سنة، وجاءت معه قبائل من العرب، وقدموا مقدماتهم إلىٰ البلقاء، ثم أمر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناس بالتجهز للخروج، وحضَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهل الغنىٰ علىٰ النفقة في سبيل الله، فأنفق أناس، وأنفق عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ نفقة عظيمة لم يُنفق أحد مثلها، فقد جاء عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بألف دينار، فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما ضرَّ عثمانَ ما عمل بعد اليوم، ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم**»، قالها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرتين، أي لم يضر عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذنب الذي عمل سابقا، ولاحقا بعد عمله اليوم، وجاء أبو موسىٰ وأصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ إلىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليحملهم فوجدوه غضبان، فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**والله لا أحملكم، وما عندي ما أحملكم عليه**»، ثم أُتي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإبل فحملهم عليها.

وجاء البكاؤون وهم سبعة يريدون من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يحملهم عليه، فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا أجد ما أحملكم عليه**»، فتولوا، وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون، فأنزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قوله: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [التوبة:٩٢].

وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض: لا تخرجوا في الحر، فأنزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قوله: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾ [التوبة:٨١].

وجاء المعذِّرُون ليُؤذَن لهم في التخلف عن الخروج، فلم يعذرهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتخلف نفر من المؤمنين منهم كعب بن مالك، وهلال بن أُمية،

ومُرَارة بن الربيع، ونزل قول الله تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ لِيُؤۡذَنَ لَهُمۡ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٩٠﴾ [التوبة:٩٠].

واستخلف رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المدينة محمد بن مَسْلَمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وخلَّف صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليًّا علىٰ أهله: الصبيان، والنساء، فقال عليٌّ: أَتُخَلِّفُني في الصبيان، والنساء؟ فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ألا ترضىٰ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسىٰ؟ إلا إنه ليس نبي بعدي**».

وخرج رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومعه ثلاثون ألفا من الناس، وكانت الخيل عشرة آلاف فرس، ولما مر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في طريقه إلىٰ تبوك بالحِجر بديار ثمود وضع ثوبه علىٰ وجهه، واستعجل راحلته في المسير، ثم قال: «**لا تدخلوا علىٰ هؤلاء القوم الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم؛ أن يصيبكم مثل ما أصابهم**»، أي حتىٰ لا يصيبكم مثل ما أصابهم من العذاب.

ونزل الناس علىٰ الحِجر، وهي أرض ثمود، فاستَقَوا من أبارها، وعجَنوا به العجين، فأمرهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُريقوا ما استَقَوا من بئرها، ويُعلف الإبل العَجين، وأمرهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يستقوا من البئر التي كانت تَرِدِها الناقة.

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تشربوا من مائها شيئًا، ولا تتوضؤوا منه للصلاة، وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الإبل، ولا تأكلوا منه شيئًا، ولا يَخرُجَنَّ أحد منكم إلا ومعه صاحب له**»، ففعل الناس إلا أن رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لقضاء حاجته، وخرج الآخر في طلب بعيره، فأما الذي خرج لحاجته فإنه صُرع في الموضع الذي تغوَّط فيه.

وأما الذي خرج في طلب بعيره، فقد قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سَتَهب عليكم الليلة ريح شديدة فلا يقم فيها أحد منكم فمن كان له بعير فليَشُدَّ عِقَاله**»، أي رباطه، فهبت ريحٌ شديدة، فقام رجل فحملته الريح حتىٰ ألقته بجبل طَيِّيء، وأخبر

بذلك رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «**ألَمْ أَنْهَكُم ألا يخرج أحد منكم إلا ومعه صاحبه**»، ثم دعا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للذي صُرع فَشُفِي، وأما الآخر فأهدته طَيِّيء لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قدِم المدينة.

ثم مضىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجعل يتخلف عنه الرجل، فيقولون: تخلف فلان، فيقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**دَعوه، فإن يكن فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يكن غير ذلك فقد أراحكم الله منه**».

وأصبح المسلمون، ولا ماء معهم، فشكوا ذلك إلىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدعا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأرسل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سحابةً، فأمطرت حتىٰ ارتوىٰ الناس، واحتملوا حاجتهم من الماء.

وقد اجتمع رهط من المنافقين، فقال بعضهم لبعض تخويفا، وترهيبا للمؤمنين: أتحسَبُون قتال بني الأصفر كقتال العرب بعضهم لبعض؟ والله لكأنا بكم غدا مُقَرَّنين في الحبال، **ويريدون بقولهم: «بني الأصفر»**: الروم.

فقال مُخَشِّن بن حُمَيِّر، وكان معهم: والله لوددتُ أني أقاضىٰ علىٰ أن يضرب كل منا مائة جلدة، ولا ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه.

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمار بن ياسر: «**أدرك القوم فإنهم قد احترقوا، فسلهم عما قالوا، فإن أنكروا فقل: لم قلتم كذا وكذا**»، فانطلق إليهم عمَّارٌ فقال لهم ذلك، فأتوا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعتذرون إليه، فقال أحدهم: كنا نخوض ونلعب، فأنزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [التوبة:٦٥]، وعفا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن مُخَشِّن.

وعَسْكَر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجيش الإسلامي بتبوك، وهو مستعدٌ للقاء العدو، وقام صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المسلمين خطيبا، فخطب خُطبة بليغة، وحضَّ علىٰ خيري الدنيا والآخرة، وبشَّر وأبشر، وحذر وأنذر حتىٰ رفع معنوياتهم، وجبر فيها ما كان من نقص وخلل.

وأما الرومان وحلفاؤهم لما سمعوا بزحف رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أخذهم

الرعب فلم يجترئوا علىٰ التقدم، واللقاء بل تفرقوا في البلاد في داخل حدودهم، وحصل بذلك المسلمون علىٰ مكاسب سياسية بما لم يكونوا يحصلون عليه لو وقع اصطدام بين الجيشين.

❁❁❁

سؤال الدرس

ما هي آخر غزوة غزاها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس التاسع والثلاثون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المبارك، وهذا هو الدرس التاسع والثلاثون من دروس السيرة النبوية من كتاب «إسعاد البرية في السيرة النبوية»، وفي هذا الدرس نتعرف علىٰ بعض أحداث السنة التاسعة من الهجرة ومنها: مجيء يُحَنَّة بن رُؤْبة لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومصالحته علىٰ الجزية، ومصالحة أهل جَرْباء وأَذْرُح للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ الجزية، وخالد بن الوليد يأسر أُكَيدَر ملك دُومة، وموت ذي البِجَادَين، ومحاولة خاسرة من المنافقين لقتل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتحريق مسجد الضِّرار.

هذا مجمل الأحداث، وإليكم التفصيل:

لازلنا في شهر رجب من السنة التاسعة من الهجرة، ولما انتهى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إلى تبوك أتاه يُحنَّة بن رُؤبة،** وكان ملك أَيلَة -وأيلة: بلدة تقع في الأردن حاليا-، فصالح رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأعطاه الجزية.

وأتى إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أهل جرباء، وأهل أَذْرُح،** وهما بلدتان تقعان في الأردن حاليا، فأعطوا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الجزية، وكتب لهم كتابا فظل عندهم.

وبعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في تبوك خالد بن الوليد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى أُكَيدَر دُومة، وكان مَلِكا نصرانيا علىٰ كِندة، وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لخالد: «**إنك ستجده يصيد البقر**»، فلما اقترب خالد من الحصن وجد أُكيدر يصيد البقر، كما ذكر له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأخذه أسيرا، ثم إن خالدا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قدم بأُكَيدر علىٰ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فحَقَن له دَمه، وصالحه علىٰ الجزية، ثم خَلَّىٰ سبيله، فرجع إلىٰ قريته، وقد أهدىٰ أُكَيدر للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُبَّة من سُندس، فجعل المسلمون يلمسونها بأيديهم، ويتعجبون منه، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**والذي نفس محمد بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا**».

وفي غزوة تبوك صلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاة الفجر خلف عبد الرحمن ابن عوف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وأدرك معه الركعة الثانية منها، وذلك أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذهب يتوضأ، ومعه المغيرة بن شُعبة فتأخر علىٰ الناس، فأقيمت الصلاة، فتقدم عبدالرحمن بن عوف، فلما سلم الناس أعظموا ما وقع، فقال لهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أحسنتم، وأصبتم**».

وبينما رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة تبوك مات عبد الله ذو البِجَادَين، فتولىٰ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأبو بكر، وعمر تغسيله، ودفنه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونزل في قبره، وقال: «**اللهم إني أمسيتُ راضيا عنه فارضَ عنه**».

وفي مرجع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من تبوك إلى المدينة أراد جماعة من المنافقين قتل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأطلعه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ ما قصدوه، ففَشلت خُطتهم.

وكان جماعة من المنافقين بنوا مسجدا في موضع قريب من المدينة، فأتوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو يتجهز إلىٰ تبوك، فقالوا: يا رسول الله، إنا قد بنينا مسجدا لذي العِلَّة، والحاجة، والليلة المطيرة، والليلة الشاتية، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إني علىٰ جَناح سفر، وحال شُغل، ولو أنا قدمنا إن شاء الله لأتيناكم، فصلينا لكم فيه**»، فلما كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذي أَوان وهو راجع من تبوك أتاه خبر المسجد، فدعا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مالك بن الدُّخْشُم، وَمَعْنَ

ابن عَدي، فقال: «**انطلقا إلىٰ هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه، وحرِّقاه**»، فذهبا مسرعين فحرَّقاه، وهدَماه، وتفرق عنه المنافقون.

ونزل قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ١٠٨ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٩﴾ [التوبة:١٠٧-١٠٩].

ولما اقترب النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المدينة، قال: «**هذه طابةُ** -طابة من أسماء المدينة، ومعناه: الطَّيِّبة- **وهذا أحدٌ جبل يحبُّنا، ونحبه**»، واستقبله النساء والصبيان، وهم يقولون:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع   وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

ثنيات الوداع: موضع من ناحية الشام.

وقد أقام صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتبوك عشرين ليلة يقصر الصلاة.

أسئلة الدرس

السؤال الأول: لماذا صلىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاة الفجر خلف عبدالرحمن بن عوف؟ وفي أي غزوة كانت؟

السؤال الثاني: لماذا حرَّق رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مسجد الضرار؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الأربعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المبارك، وهذا هو الدرس الأربعون من دروس السيرة النبوية من كتاب «**إسعاد البرية في السيرة النبوية**»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ بعض أحداث السنة التاسعة من الهجرة، ومنها: قصة تَخلُّف كعب بن مالك وصاحبيه عن الخروج إلىٰ غزوة تبوك.

في شهر رجب من السنة التاسعة من الهجرة خرج رسول الله ﷺ إلى غزوة تَبُوك، وتخلف عنه جماعة من المؤمنين منهم كعب بن مالك، ومُرَارة بن الربيع، وهلال بن أُمية، ويقصُّ علينا كَعْب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قصة تخلفه عن غزوة تبوك، فيقول: لم أتخلَّف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك غير أني كنت تخلَّفت في غزوة بدر -يعني لم يخرج مع رسول الله ﷺ في غزوة بدر- ولم يعاتب رسول الله ﷺ أحدا تخلف عنها، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش -يعني النبي ﷺ بغزوة بدر في بادئ الأمر ما خرج لأجل القتال، وإنما خرج لكي يأخذ عير قريش، لذلك لم يخرج معه بعض المؤمنين- قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حتىٰ جمع الله بينهم، وبين عدوهم علىٰ غير ميعاد، أي جمع الله عَزَّوَجَلَّ بين المسلمين والمشركين علىٰ غير ميعاد للقتال.

ثم قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ولقد شهدت مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة العَقَبة حين تواثقنا علىٰ الإسلام، أي حين تعاهدنا علىٰ الإسلام، وهذا كان قبل هجرة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ المدينة، وفي هذه البيعة بايع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأنصار علىٰ الإسلام علىٰ أن يؤووه، وينصروه.

ثم قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان من خبري أني لم أكن قط أقوىٰ، ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغَزَاة، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتىٰ جمعتهما في تلك الغزوة، ولم يكن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يريد غزوة إلا ورَّىٰ بغيرها، حتىٰ كانت تلك الغزوة، يعني كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أراد أن يخرج إلىٰ غزوة، كان يواري، كان لا يذكر أنه يريد مكان كذا وكذا إلا في هذه الغزوة ذكرها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه، لبعد المكان، وشدة الحر، وكان كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في هذه الغزوة يمتلك المال، والراحلة التي يغزو عليها.

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: غزاها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حر شديد، واستقبل سفرا بعيدا ومَفَازا، وعدوا كثيرا، فجلَّىٰ للمسلمين أمرهم؛ ليتأهبوا أُهْبَة غزوهم، فأخبرهم بوجهِهِ الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثير ولا يجمعهم كتاب الحافظ، أي ليسوا مُدَوَّنين في كتاب.

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظنَّ سيخفىٰ له ما لم ينزل فيه وحي الله، وغزا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تلكَ الغزوة حين طابت الثمار والظلال، وتجهَّز رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمون معه، فطفِقت أغدو؛ لكي أتجهز معهم فأرجع، ولم أقض شيئًا، فأقول في نفسي: أنا قادر عليه، فلم يزل يتمادىٰ بي حتىٰ اشتد بالناس الجد، يعني جعل يتمادىٰ، ويسوِّف بالتجهيز حتىٰ تجهز الناس جميعا.

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فأصبح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمون معه، ولم أقضِ من جَهَازي شيئًا، فقلت: أتجهَّز بعده بيوم أو يومين، ثم ألحقهم، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز -يعني بعد أن خرجوا من المدينة أردت أن أتجهز- فرجعت، ولم أقض

شيئًا، ثم غدوت، ثم رجعت، ولم أقض شيئًا، فلم يزل بي حتىٰ أسرعوا وتفارق الغزو، وهممت أن أرتحل فأدركهم، وليتني فعلت، فلم يُقدَّر لي ذلك.

وهنا فائدة: وهي ينبغي لمن أراد أن يعمل عملا صالحا ألا يسوِّف فيه، ومن أراد أن يتوب لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فعليه أن يتوب في تلك اللحظة، ولا يسوِّف؛ لأن التسويف يأتي بتسويف، ثم تسويف، ثم تسويف، ثم الندم بعد ذلك.

قال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: فكنت إذا خرجت في الناسِ بعد خروج رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فطفتُ فيهم أحزنني أني لا أرىٰ إلا رجلا مغموصًا عليه النفاق، أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء، يعني لم يجد أحدا في المدينة إلا أحد رجلين: رجلا منافقا، أو رجلا ضعيفا.

قال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: ولم يذكرني رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حتىٰ بلغ تبوك، فقال، وهو جالس في القوم بتبوك: ما فعل كعب؟ فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه بُرداه، ونظره في عِطْفه، أي منعه من الخروج إعجابه بنفسه، ولباسه.

والبُرد: هو الكساء، **والعِطْف:** هو الجَانب.

فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يا رسول الله والله ما علمنا عليه إلا خيرا، فسكت رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

قال كعب: فلما بلغني أنه توجَّه قافلا -أي حين علم بمرجع رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلىٰ المدينة- حضرني همي، وطَفِقت أتذكَّر الكذب، وأقول: بماذا أخرج من سخطه غدا، واستعنت بذلك علىٰ كل ذي رأي من أهلي، فلما قيل: إن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قد أظل قادما زاح عني الباطل، وعرَفت أني لن أخرج منه أبدا بشيء فيه كذب، فأجمعت صدقه، أي عزم علىٰ أن يصدق رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وألا يكذب عليه.

قال: وأصبح رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قادما، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين -هذه سنة وهي عند الرجوع من السفر يستحب الذهاب إلىٰ

المسجد، وصلاة ركعتين- ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المُخَلِّفون -أي الذين تخلفوا عن الخروج للغزوة- فطفقوا يعتذرون إليه، ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلا، فقَبل منهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علانيتهم، وبايعهم واستغفر لهم، ووَكَل سرائرهم إلىٰ الله، فجئتُه فلما سلمت عليه، فتبسم تبسُّم المغضَب، ثم قال: «**تعال**»، فجئت أمشي حتىٰ جلست بين يديه، فقال لي: «**ما خلَّفَك؟ ألم تكنْ قد ابتعتَ ظهرك**»، أي اشتريت راحلتك.

فقال كعب: بلىٰ إني والله لو جلستُ عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنْ سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أُعطيتُ جدلا، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كَذب ترضىٰ به عني ليوشكَنَّ الله أن يسخطك عليَّ، ولئن حدثتك حديثَ صدق تَجدُ علي فيه -أي تغضب علي فيه-، إني لأرجو فيه عفو الله، لا والله ما كان لي من عذر، والله ما كنتُ قط أقوىٰ، ولا أيسرَ مني حين تخلَّفتُ عنك، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أمَّا هذا فقد صدق، فقم حتىٰ يقضي الله فيك**».

فقام كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقام خلفه بعض بني سَلِمة، فقالوا له: والله ما علمناك أنك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا، ولقد عجزتَ ألا تكون اعتذرت إلىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما اعتذر إليه المتخلِّفون، قد كان يكفيك ذنبك استغفارُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لك.

يقول كعب: فوالله ما زالوا يؤنِّبونَني حتىٰ أردت أن أرجع فأكذب نفسي، ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟قالوا: نعم، رجلان، قالا مثلما قلت، فقيل لهما مثل ما قيل لك، فقلت: من هما؟ قالوا: مُرَارة بن الربيع، وهلال بن أُمية، فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيهما أُسوة -أي قدوة-، فمضيت حين ذكروهما لي، ونهىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس، وتغيروا لنا، حتىٰ تنكَّرُت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف، أي لم يكلمهم الناس حتىٰ ظن أنه في أرض غير الأرض التي عاش عليها.

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فلبثنا علىٰ ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا، وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أَشبَّ القوم وأَجْلَدهم، أي كنت أقواهم وأكثرهم شبابا.

قال: فكنت أَخرج، فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأَطُوف في الأسواق، ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأسلِّم عليه، وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرَّك شفتيه برد السلام عليَّ أم لا؟ ثم أصلي قريبا منه فأسارقه النظر -أي أنظر إليه خِلسة-، فإذا أقبلت علىٰ صلاتي أقبل إليَّ، وإذا التفت نحوه أعرض عني، حتىٰ إذا طال علي ذلك من جَفوة الناس -أي من إعراض ومقاطعة الناس- مشيت حتىٰ تسوَّرت جدار حائط أبي قتادة -أي صعِد علىٰ سور دار أبي قتادة- وهو ابن عمي، وأحب الناس إليَّ، فسلمت عليه، فوالله ما رد عليَّ السلام، فقلت: يا أبا قتادة أَنشدك بالله -أي أسالك بالله- هل تعلمني أُحب الله ورسوله؟ فسكتَ، فعدتُ له فناشدته، فسكت، فعدت له فناشدته، فقال: الله ورسوله أعلم.

قال كعب: ففاضت عينايَ، وتوليت حتىٰ تسوَّرت الجدار، فبين أنا أمشي بسوق المدينة إذا نِبْطِي من أنباط أهل الشأْم ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل علىٰ كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له حتىٰ إذا جاءني دفع إليَّ كتابا من مَلِك غَسَّان، فإذا فيه: أما بعد، فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان، ولا مضيعة، فالحق بنا نواسِك، أي ائتنا حتىٰ نواسيك في مصيبتك.

فقلت لما قرأتها: وهذا والله أيضًا من البلاء، فتيممتُ بها التَّنُّور فسجرته بها، أي وضعت الكتاب في الفرن.

قال: حتىٰ إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأتيني، فقال: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمرك أن تعتزل امرأتك، أي لا تجامعها.

فقال: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا، بل اعتزلها، ولا تقربها، وأرسل إلىٰ صاحِبيَّ مثل ذلك، فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فتكوني عندهم حتىٰ يقضي الله في هذا الأمر.

فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالت: يا رسول الله، إن

هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه؟ قال: «**لا، ولكن لا يَقربُك**»، قالت: إنه والله ما به حركة إلىٰ شيء، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلىٰ يومه هذا.

فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في امرأتك كما أذن لأمرأة هلال بن أمية أن تخدُمه، فقلت: والله لا استأذن فيها رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وما يُدريني ما يقول رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ إذا استأذنته فيها، وأنا رجل شَاب.

قال كعب: فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتىٰ كملَت لنا خمسون ليلة من حين نهىٰ رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ عن كلامنا، فلما صليت صلاة الفجر صُبحَ خمسين ليلة، وأنا علىٰ ظهر بيت من بيوتنا، فبين أنا جالس علىٰ الحال التي ذكر الله كما في قوله: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨﴾ [التوبة:١١٨]، قد ضاقت عليَّ نفسي، وضاقت عليَّ الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ علىٰ جبل سَلْع بأعلىٰ صوته: يا كعب بن مالك أبشر، فخررت ساجدا، وعرفت أن قد جاء فرج، وآذن رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بتوبة الله علينا حين صلىٰ صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قِبَل صاحبيَّ مبشِّرون، وركض إلي رجل فرس، وسعىٰ ساع من أسلم، فأوفىٰ علىٰ الجبل، وكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يُبشِّرني نزعت له ثوبي، وكسوته إياهما ببشراه، والله ما أملك غيرهما يومئذ.

واستعرت ثوبين فلبستهما، وانطلقت إلىٰ رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، فيتلقاني الناس فوجا فوجا يهنُّوني بالتوبة يقولون: لتهنَك توبة الله عليك، حتىٰ دخلت المسجد، فإذا رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ جالس حوله الناس، فقام إليَّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتىٰ صافحني، وهنَّاني.

فلما سلَّمت علىٰ رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال وهو يبرق وجهه من السرور: «**أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك**».

فقال كعب: أمِن عندك يا رسول الله، أم من عند الله؟

قال: «**لا، بل من عند الله**»، وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا سُرَّ استنار وجهه حتىٰ كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه، فلما جلستُ بين يديه قلت: يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صَدقَة إلىٰ الله، وإلىٰ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أي أتصدق بمالي كله.

فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أمسك عليك بعض مالِك فهو خير لك**»، قلت: فإني أُمسك سهمي الذي بخيبر يا رسول الله، إن الله إنما نجاني بالصدق، وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقا ما بقيت.

قال كعب: فوالله ما أعلم أحدا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرتُ ذلك لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحسن مما أبلاني، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ يومي هذا كذبا، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت، وأنزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[التوبة:١١٧-١١٩].

❁❁❁

سؤال الدرس

لماذا لم يخرج كعب بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة تبوك؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الحادي والأربعون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المبارك، وهذا هو الدرس الحادي والأربعون من دروس السيرة النبوية من كتاب «إسعاد البرية في السيرة النبوية»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ بعض أحداث السنة التاسعة من الهجرة، ومنها: سرية خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ خَثْعم، وصلاة الغائب علىٰ النَّجَاشي، وإسلام عُرْوة بن مسعود الثقفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقدُوم وفد ثقيف علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومَبْعث أبي سفيان والمغيرةِ بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ لهدم اللات، وتأمير عثمان بن أبي العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ الطائف، وقدوم رسول ملوك حِمْير علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وموت رأس المنافقين عبد الله بن أُبَي بن سلول، وحج أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالناس، ومبعث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ الحج؛ ليقرأ علىٰ الناس سورة بَراءة، ووفاة أم كُلثوم بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ووفاة سُهيل ابن البيضاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هذا مجمل الأحداث، وإليكم التفصيل:

لا زلنا في السنة التاسعة من الهجرة، ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرسل خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى ناس من خَثْعم، فاعتصموا بالسجود، فقتلهم خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأعطاهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نصف الدِّية، ثم قال: «**أنا بريء من كل مسلم أقام مع**

المشركين لا تَرَأَىٰ نَارَهُمَا»، أي لا يتجاور المسلم، والمشرك بل يجب أن يتباعد عن منزلة بحيث لو أوقد نارا لم يَرَهَا.

وفي رجب من السنة التاسعة من الهجرة نعى رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَصْحَمَة النجاشي حاكم الحبشة في اليوم الذي مات فيه، وخرج صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلىٰ المصلىٰ فصف بهم، وكبَّر عليه أربع تكبيرات، وقال: «**استغفروا لأخيكم**».

ولما قدم رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ المدينة من غزوة تبوك، أتاه عروة بن مسعود الثقفي حتىٰ أدركه قبل أن يصلَ إلىٰ المدينة، فأسلم، وسأل رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يرجع إلىٰ الطائف يدعو قومه إلىٰ الإسلام، فقال له رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إنهم قاتلوك**»، وعرَف رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن فيهم نخوة الامتناع الذي كان منهم، فقال عروة: يا رسول الله، أنا أَحبُّ إليهم من أبكارهم، وكان فيهم محبَّبا مطاعًا، فخرج يدعو قومه إلىٰ الإسلام رجاء ألا يخالفوه، فلما أشرف لهم علىٰ غرفة له، وقد دعاهم إلىٰ الإسلام، وأظهر لهم دينه رَموه بالنبل من كل وجه، فأصابه سهم فقتله، فقيل لعروة: ما ترىٰ في دمك؟ قال: كرامة أكرمني الله بها، وشهادة ساقها الله إليَّ، فليس فيَّ إلا ما في الشهداء الذين قُتلوا مع رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قبل أن يرتحل عنكم، فادفنوني معهم، فدفنوه معهم، فقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إن مثله في قومه لكمثل صاحب يس في قومه**».

وأقامت ثقيف بعد مقتل عروة أشهرا، ثم إنهم ائتمروا فيما بينهم، ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب، فبايعوا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأسلموا، وأجمعوا أن يرسلوا إلىٰ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ستة منهم، فلما قدِم الستة نفر علىٰ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان خالدُ بن سعيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ هو الذي يمشي بينهم، وبين رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، حتىٰ اكتتبوا كتابهم، وكانوا لا يطعمون طعاما يأتيهم من عند رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حتىٰ يأكل منه خالدٌ حتىٰ أسلموا، وفرغوا من كتابهم، وسألوا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يدَعَ لهم الطاغية اللَّات لا يهدمها ثلاث سنين، فأبىٰ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلا أن يبعثَ أبا سفيان بن حَرْب، والمغيرة بن شُعبة فيهدماها.

فلما فرغ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منهم، وتوجهوا إلىٰ بلادهم راجعين بعث رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا سفيان بن حرب، والمغيرة بن شُعبة لهدم الطاغية اللات، فخرج رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فهدماها.

وأمَّر رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ الطائف عثمان بن أبي العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وكان من أصغرهم سِنًّا، فقال له: «**أُمَّ قومَك**»، ثم قال له: «**مَن أمَّ قومه فليخفِّف؛ فإن فيهم الكبير، والمريض، والضعيف، وذا الحاجة، وإذا صلىٰ أحدكم وحده فليصل كيف شاء**»، وقد أمره صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنه كان أحرصهم علىٰ التفقه في الإسلام، وتعلم القرآن.

وقدم على رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شهر رمضان من السنة التاسعة من الهجرة رسول ملوك حِمير بكتابهم وإسلامهم، فأمر بلالا أن ينزله، ويُكرمه، ويضيفه، وكتب صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهم كتابا.

وفي شهر ذي القَعدة من السنة التاسعة من الهجرة مات رأس المنافقين عبدالله بن أُبي بن سلول، فلما مات جاء ابنه عبد الله إلىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فسأله أن يعطيَه قميصه؛ لكي يكفِّن فيه أباه، فأعطاه النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قميصه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ليصلي عليه، فأخذ عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بثوب رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال له: يا رسول الله أَتُصلي عليه، وقد نهاك الله أن تصلي عليه؟ وقد قال يوم كذا وكذا كذا وكذا؛ يذكِّر النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما قال عبد الله بن أُبي، فلما أكثر عمر علىٰ النبي تبسم رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: «**إنما خيَّرني الله، فقال:** ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ﴾»، ثم قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لو أعلم أني إن زدتُ علىٰ السبعين يغفر له لزدتُ عليها**».

فقال عمر: إنه منافق، فصلىٰ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم انصرف، فلم يمكث إلا يسيرا حتىٰ نزل قول الله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [التوبة:٨٤:٨٥].

وفي شهر ذي الحجة من السنة التاسعة من الهجرة بعث رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا بكر أميرا على الحج، وذلك ليقيم للمسلمين حجهم، فخرج أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في ثلاثمائة رجل من المدينة، وبعث معه رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعشرين بَدَنة، وساق أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خمس بَدَنات.

وبعث أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أبا هريرة في تلك الحَجَّة في مؤذِّنين يوم النحر يُؤذِّنون بمنىٰ: ألا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان.

ثم نزلت على رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سورة براءة، وذلك في نقض ما بين رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبين المشركين من العهد الذي كانوا عليه فيما بينه، وبينهم: ألا يصد عن البيت أحد جاءه، ولا يخاف أحد في الشهر الحرام، فقيل له: يا رسول الله لو بعثت بها إلىٰ أبا بكر؟ فقال: لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي، ثم دعا عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال له: «**اخرج بهذه القصة من صدر براءة، وأذِّن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنىٰ: أنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان، ومن كان له عند رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عهد فهو إلىٰ مُدَّته**»، فخرج عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ ناقة رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ أدرك أبا بكر بالطريق، فلما رآه أبو بكر بالطريق قال: أأمير أم مأمور؟ فقال علي: بل مأمور بعثني رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقرأ علىٰ الناس براءة، وأنبذ إلىٰ كل ذي عهد عهده، ثم مضيا، فأقام أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للناس الحج، والعرب إذ ذاك في تلك السنة يحجون علىٰ ما كانوا عليه في الجاهلية، حتىٰ إذا كان يوم النحر قام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأذَّن في الناس بالذي أمره به رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأجَّل الناس أربعة أشهر من يوم أذَّن فيهم؛ ليرجع كل قوم إلىٰ بلادهم، ثم لا عهد لمشرك، ولا ذمة إلا أحد كان له عند رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عهد إلىٰ مدة، فهو إلىٰ مدته، وأذَّن مع أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومن معه من أهل منىٰ يوم النحر: لَا يَحُجُّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ.

وفي السنة التاسعة من الهجرة توفيت أم كلثوم بنت رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وهي زوجة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فغسلتها أسماء بنت عُمَيس، وصفية بنت عبد المطلب، فلما جيء بها عند القبر ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالس علىٰ القبر، فإذا بعَينَيه تدمعان، فقال: «**هل منكم رجل لم يقارِفِ الليلة؟**» أي لم يجامع أهله الليلة، فقال أبو طلحة: أنا، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فانْزِل**»، فنزل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قبرها، فقبرها.

وتوفي أيضًا في السنة التاسعة من الهجرة سُهيل ابن البيضاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان أسلم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمكة، وهاجر إلىٰ أرض الحبشة، ثم عاد إلىٰ مكة لما انتشر الإسلام فيها، فأقام مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ هاجر إلىٰ المدينة، فجمع الهجرتين، ثم شهد بدرا، وغيرها، وصلىٰ عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المسجد.

سؤال الدرس

لماذا أمَّر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ الطائف عثمان بن أبي العاص؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الثاني والأربعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المبارك، وهذا هو الدرس الثاني والأربعون من دروس السيرة النبوية من كتاب «**إسعاد البرية في السيرة النبوية**»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ ما تبقىٰ من أحداث السنة التاسعة من الهجرة، ومنها: مقتل ملك الفرس، وإرسال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُمَّاله لجمع الصدقات، وإسلام ضِمَام بن ثَعْلبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومقدم وفد بني أسد، ووفد الدَّارِيين من لخم، ووفد بَهْراء، ووفد بني البكَّاءِ، ووفد بني فَزَارة، ووفد ثعلبة بن مُنْقذ، ووفد سعد هُذَيم، ووفد مُرَّة، ووفد كِلاب، ووفد تُجِيب علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤلِي من نسائه شهرا، وعمير العَجْلاني يلاعن امرأته، ومبعث علي بن أبي طالب، وخالد ابن سعيد بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إلىٰ اليمن.

هذا مجمل الأحداث، وإليكم التفصيل:

في السنة التاسعة من الهجرة قُتل كسرى ملك الفرس، فملَّكوا ابنته بُورانَ عليهم مكانه، وذلك لأنه لم يخلِّف أخا يتولىٰ المُلك خلفه، فكرهوا خروج الملك عن بنت كِسرىٰ فملَّكُوها عليهم، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنِ استخلفوا؟**»، فقالوا: ابنته بُوران، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لن يُفْلح قوم ولَّوا أمرهم امرأة**»، ثم ضعف سلطان فارس، واضمحل أمرهم، فسقط سلطانهم.

وبعث رسول الله امراءَه، وعماله لجمع الصدقات من كل البلدان التي دخلها الإسلام، وبعث بنو سعدِ بن بكر إلىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلا منهم يقال له: ضِمام ابن ثَعْلبة، فدخل المسجد علىٰ جمل، فأناخه في المسجد، ثم عقله -أي ربطه-، ورسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متكئ بين أصحابه، فأقبل ضمام حتىٰ وقف علىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أصحابه، فقال: أيكم محمد؟ فقالوا: هذا الرجل الأبيض المتكئ، فقال له ضمام: يا بن عبد المطلب، فقال له النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قد أجبتك**»، أي سمعتك.

فقال ضمام: إني سائلك فمشدِّد عليك في المسألة فلا تجد عليَّ في نفسك، أي لا تغضب علي.

فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سل عمَّا بدا لك**».

فقال ضمام: أسألك بربك ورب من قبلك آلله أرسلك إلىٰ الناس كلهم؟

فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم نعم**».

فقال ضمام: أَنشدك بالله آلله أمرك أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟

فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم نَعم**».

فقال ضمام: أنشدك بالله آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة؟

فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم نَعم**».

فقال ضِمام: أنشدُك بالله آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا، فتقسمها علىٰ فقرائنا؟

فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم نعم**».

فقال ضِمَام: آمنتُ بما جئتَ به، وأنا رسول من ورائي من قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر، فانصرف وهو يقول: والله لا أزيد علىٰ هذا، ولا أنقص، أي علىٰ ما ذكر للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي فرائض الإسلام.

فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**أفلح إن صدق**»، أي فاز بمقصوده من الخير إن وفَىٰ بما التزم.

ثم خرج ضمام حتىٰ قدِم علىٰ قومه، فاجتمعوا إليه، فكان أول ما تكلم به أن قال: بئستِ اللات والعزىٰ، قالوا: مه يا ضِمام اتقِ البَرَص، اتق الجُذام، اتق الجنون، فقال: ويلكم إنهما والله لا يضرَّان، ولا ينفعان، -أي هذه الأصنام لا تضر، ولا تنفع- إن الله قد بعث رسولا، وأنزل عليه كتابا استنقذكم به مما كنتم فيه، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به وما نهاكم عنه، فما أمسىٰ من ذلك اليوم في حَيِّه رجل، ولا امرأة إلا مسلما.

قال عبد الله بن عباس: فما سمعنا بوافدِ قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقدم على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السنة التاسعة من الهجرة عدةُ وفود، فأسلموا، وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعطيهم جوائزَ وعطايا، ثم يَرجعون إلىٰ بلادهم، ومن هؤلاء وفد بني أسد، وكانوا عشرة رهط، ووفد الداريين من لَخْم، وكانوا عشرة نفر، ووفد بَهراء، وكانوا ثلاثة عشر رجلا، ووفدُ بني البَكَّاء، وكانوا ثلاثة نفر، ووفد بني فَزَارة، وكانوا بضعة عشر رجلا، ووفد ثعلبة بن مُنْقذ، ووفد سعد هُذَيم، ووفد مُرَّة، وكانوا ثلاثة عشر رجلا، ووفد كِلاب، وكانوا ثلاثةَ عشر رجلا، ووفد تُجِيب، وكانوا ثلاثةَ عشرَ رجلا.

وفي السنة التاسعة من الهجرة أقسم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على نسائه ألا يدخل عليهنَّ شهرا من شدة غضبه عليهن، فاعتزلهُنَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسعا وعشرين ليلة في غرفة له، وكان سبب غضبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منهن أن عائشة، وحفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أفشتا سرًّا أسرَّه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهن، ولأن نساءه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طلَبنَ منه زيادة النفقة ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس معه، فلما مَضتْ تسع وعشرون ليلة دخل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فبدأ بها، فقالت له عائشة: إنك أقسمتَ ألا تدخل علينا شهرا، وإنا اصبحنا لتسع وعشرين ليلة أَعُدُّها عدًّا، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الشهر تسع وعشرون، وكان ذلك الشهر تَسعًا وعشرين**».

فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ آية التخيير، وهي قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ

تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ [الأحزاب:٢٨]، فبدأ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بعائشة أول امرأة، فقال: «**يا عائشة، إني أريد أن أعرض عليك أمرا، أُحِب ألا تعجلي فيه حتىٰ تستشيري أبويك**».

قالت: وما هو يا رسول الله؟ فتلا عليها الآية.

فقالت عائشة: أفيك يا رسول الله أستشير أبوي؟ أَعلم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقِك، بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة، وأسألك ألا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت، ثم خيَّر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ نساءه جميعا، فقُلن مثل ما قالت عائشةُ.

وجاء في السنة التاسعة من الهجرة عُوَيمرٌ العَجْلاني رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ العاصمَ بن عدي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، فقال له: يا عاصم، أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا -يعني يزني بها-، أيقتله، فتقتلونه، أم كيف يفعل؟ سل لي يا عاصم عن ذلك رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، فسأل عاصم عن ذلك رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، فكرِه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ذلك، فلما رجع عاصم إلىٰ أهله جاء عويمر، فقال: يا عاصم، ماذا قال لك رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ؟ فقال عاصم: لم تأتني بخير، قد كره رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ المسألة التي سألته عنها؛ لأجل أن فيها إشاعة للفاحشة.

فقال عويمر: والله لا أنتهي حتىٰ أسأله عنها، فأقبل عويمر حتىٰ أتىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وسط الناس، فقال: يا رسول الله: أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا، أيقتله فتقتلونه؟ أم كيف يفعل؟

فنزل قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ [النور:٦-٨].

فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**قد أنزل الله فيك، وفي صاحبتك** -أي زوجتك-، **فاذهب فائتِ بها**»، فتلاعنا عند رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، فلما فرغا قال عويمر: كذبت عليها يا رسول الله إنأمسكتها -أي إن ظلت زوجتي فأنا كاذب عليها-، فطلقها ثلاثا قبل أن يأمره رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، فكانت تلك سُنَّة المتلاعِنين.

وهذا يسمىٰ بحكم اللعان: إذا رأىٰ الرجل زوجته تزني جاز له أن يلاعنها، أي أن يحلف بالله خمسة أيمان أنها فعلت الفاحشة، وهي تحلف خمسة أيمان أنها لم تفعل، أما إن أقرَّت فيقام عليها حد الزنا، وكذلك إن لم تحلف يقام عليها حد الزنا؛ لأنها تكون بذلك مُقِرَّة علىٰ نفسها.

وفي السنة التاسعة من الهجرة وجَّه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علي بن أبي طالب، وخالد بن سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إلى اليمن، وقال لهما: إذا اجتمعتما فعليٌّ الأمير، وإذا افترقتما فكل واحد منكما أمير، فاجتمعا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وبلغ ذلك عمرو بن معدِي كَرِب فأقبل في جماعة من قومه، فلما اقترب منهم قال: دَعوني حتىٰ آتي هؤلاء القوم فإني لم أُسَمَّ لأحد قط إلا هابني -أي إذا سمع أحد اسمي خاف مني، وهرب-، فلما اقترب منهما نادىٰ: أنا أبو ثور، أنا عمرو بن معدِي كَرِب، فأسرع إليه عليٌّ، وخالدٌ كل واحد منهما يقول لصاحبه: خلِّني وإياه، ويفديه بأبيه وأمه، فقال عمرو لما سمع قولهما: العرب تفزع مني وأُراني لهؤلاء جَزَرا، أي مُعَدًّا للذبح، فانصرف عنهما.

❁❁❁

أسئلة الدرس

ماذا قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما علم أن الفرس ملَّكُوا بوران ابنة كسرىٰ المُلك؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الثالث والأربعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المبارك، وهذا هو الدرس الثالث والأربعون من دروس السيرة النبوية من كتاب «**إسعاد البرية في السيرة النبوية**»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ بعض أحداث السنة العاشرة من الهجرة، ومنها: سرية خالد ابن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ بني الحارث بن كعب، وقدوم وفد الحارث بن كعب علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإسلام عَدِي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقدوم وَفد خَوْلان علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقدوم وفد غَامد علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واعتكافُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رمضان عشرين يوما، وعرض جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ القرآن علىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرَّتين، وقدوم وفد غَسَّان علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسرية علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ اليمن، وإسلام جرير بن عبد الله البَجَلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وسرية علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ اليمن للمرة الثانية، وقدوم وفود سَلَامان، وقُشَير بن كعب، والرَّهَويين علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هذا مجمل الأحداث، وإليكم التفصيل:

في شهر ربيع الأول من السنة العاشرة من الهجرة بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **خالد بن الوليد** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ بني الحارث بن كعب بنجران، وأمره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن

يدعوهم إلىٰ الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثا، فإن استجابوا فاقبل منهم، وإن لم يفعلوا فقاتلهم، فخرج خالد حتىٰ قدم عليهم، فبعث أصحابه يدعون في كل وجه إلىٰ الإسلام، ويقولون: أيها الناس، أسلموا تسلموا، فأسلم الناس، فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام، وكتاب الله، وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم كتب خالد بن الوليد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتابا يُخبره بما فعل، فأجابه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكتاب أن يبشِّرهم، وينذِرهم، وأن يأتيه ومعه وفدُهم، فلما رجع خالد إلىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقبل معه وفد بنو الحارث بن كعب، ثم رجعوا إلىٰ قومهم بعد ذلك، وبعث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهم عَمرو بن حزم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ ليفقههم في الدين، ويعلمهم السُّنَّة، ومعالم الإسلام، ويأخذ منهم صدقاتهم، وكتب له كتابا عهد إليه فيه عهده، وأمره فيه بأمره.

ولما هدم علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **الفُلْسَ صَنَم طَيِّءٍ** كان في السَبي أخت عدي بن حاتم، وهرب عدي بن حاتم حتىٰ لحق بالشام، وكان علىٰ النصرانية، فلما رجع عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلىٰ المدينة جاءت أخت عَدِي إلىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخذت من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأَمان لأخيها عدي، ثم خرجت إلىٰ الشام تريد أخاها عدي بن حاتم.

ويقص علينا عدي بن حاتم قصة قدومه علىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيقول: لما بلغني خروج رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كرهتُ خروجه كراهة شديدة، فخرجت حتىٰ وقعت ناحية الروم حتىٰ قدمت علىٰ قيصر، فكرهت مكاني ذلك أشد من كراهِيَّتي لخروجه، فقلت: والله لولا أتيت هذا الرجل، فإن كان كاذبا لم يَضُرَّني، وإن كان صادقا علمت، فقدمت فأتيته، فلما قدمت قال الناس: عدي بن حاتم، عدي بن حاتم، قال عدي: فدخلت علىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال لي: «**يا عدي بن حاتم، أسلم تسلم**»، قالها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له ثلاث مرات.

فقال عدي: إني علىٰ دين.

فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنا أعلم بدينك منك**».

فقال عدي: أنت أعلم بديني مني؟

فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نعم، ألست من الرَّكُوسية، وأنت تأكل مِرْبَاع قومك؟**».

والرَّكُوسية: هم قوم لهم دِين بين دين النصارىٰ، والصابئين، والمِرْباع: هو ربع الغنيمة كان الأمير يأخذها قبل قسمتها علىٰ الجيش.

فقال عدي: بلىٰ.

فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فإن هذا لا يحل لك في دينك**».

قال عدي: فلم يَعدُ أن قالها فتواضعت لها.

فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أمَا إني أعلم ما الذي يمنعك من الإسلام، تقول: إنما اتبعه ضعفة الناس، ومن لا قوة لهم، وقد رمتهم العرب، أَتعرف الحِيْرَة؟**».

قال عدي: لم أرها، وقد سمعت بها.

فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فوالذي نفسي بيده لَيُتِمَّنَّ الله هذا الأمر حتىٰ تخرج الظَّعِينة من الحِيرَة** -والظعينة: هي المرأة المسافرة- **حتىٰ تطوف بالبيت في غير جِوار أحد** -أي من غير أن تأخذ أمانا، وعهدا من أحد- **وَلَيَفْتَحَنَّ كُنوز كِسرىٰ بن هُرْمُز**».

فقال عدي: كِسرىٰ بن هُرمُز؟

فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نعم، كِسرىٰ بن هُرْمُز، ولَيُبْذَلَنَّ المال حتىٰ لا يقبله أحد**»، وأسلم عدي، واستعمله رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ صدقات قومه.

وقدم على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شهر شعبان من السنة العاشرة من الهجرة وفد خَوْلان، وكانوا عشرة نفر، فأسلموا، ثم رجعوا إلىٰ بلادهم بعد أن أعطاهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جوائز، وعطايا، فلما رجعوا إلىٰ بلادهم هدموا صَنمهم، وحرَّمُوا ما حرَّم عليهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأحلُّوا ما أَحلَّ لهم.

وفي شهر رمضان من السنة العاشرة من الهجرة قدم وفد غَامد علىٰ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكانوا عشرة نفر، فأسلموا، وكتب لهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كتابًا فيه شرائعُ الإسلام، ثم رجعوا إلىٰ بلادهم بعد أن أعطاهُم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جوائز، وعطايا.

وكان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذي قُبِضَ فيه اعتكف عشرين يوما، وكان جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يَعرض علىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرآنَ كل عام مرة، فلمَّا اقترب أجلُ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عرضَ عليه القرآن مرتين في العام الذي قُبِضَ فيه.

وفي شهر رمضان من السنة العاشرة من الهجرةِ قدم وفد غسَّان علىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكانوا ثلاثة نَفَر، فأسلموا، ثم رجعوا إلىٰ قومهم بعد أن أعطاهم النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جوائز وعطايا، فلما رجعوا إلىٰ بلادهم دَعَوا قومهم إلىٰ الإسلام، فلم يستجيبوا لهم، فكتموا إسلامهم حتىٰ مات منهم رجلان مسلِمَينِ، وأدرك واحد منهم عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عام اليَرْمُوك، فلقي أبا عُبيدة فخبَّره بإسلامه، فكان يُكرمه.

وفي شهر رمضان من السنة العاشرة من الهجرة بعث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خالد بن الوليد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلى أهل اليمن؛ يدعوهم إلىٰ الإسلام، فأقاموا ستة أشهر يدعوهم إلىٰ الإسلام، فلم يجيبوه، فبعث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأمره أن يرد خالدًا إلا من أحب أن يبقىٰ مع عليٍّ، فليبقَ معه، فلما اقترب علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ومن معه من القوم خرجوا إليه، فصلىٰ علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بأصحابه، ثم صفَّهم صفًّا واحدا، ثم تقدم عليٌّ، وقرأ عليهم كتاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأسلمت هَمْدَان جميعا، فكتب عليٌّ إلىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإسلامهم، فلما قرأ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكتاب خرَّ ساجدا، ثم رفع رأسه، فقال: «**السلام علىٰ هَمْدَان، السلام علىٰ هَمْدَان**».

وقدم على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شهر رمضان من السنة العاشرة من الهجرة جَرير بن عبد الله البَجَلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فبسط له رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رداءه، وقال: «**إذا جاءكم كريمُ قوم فأكرموه**»، فبايع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ «**إقام**

الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم»، ثم بعثه رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ الصنم ذي الخَلَصَة، فهدمها.

وبعث رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شهر رمضان من السنة العاشرة من الهجرة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للمرة الثانية، وقال له صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**امضِ، ولا تلتفت، فإذا نزلتَ بساحتهم فَلَا تُقَاتِلْهُمْ حتىٰ يقاتلوك**»، فخرج في ثلاثمائة فارس، فلما لقي جمعهم دعاهم إلىٰ الإسلام، فأبوا، ورَمَوا بالنَّبْل والحجارة، فحَمِل عليهم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأصحابه، فقتل منهم عشرين رجلا، وتفرقوا، وانهزموا، ثم دعاهم عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ الإسلام، فأجابوه، وبايعه نفر من رؤسائهم علىٰ الإسلام وقالوا: هذه صدقاتنا، فخذ منها حق الله، وأقام فيهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُقرئهم القرآن، ويعلمهم الشرائع، وكتب إلىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتابا يخبره الخبر، فأمره رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يوافيَه الموسِمَ في الحج، فانصرف عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ راجعا.

وفي السنة العاشرة من الهجرة قدم على رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عدة وفود، منها: وفد سَلَامان، ووفد قُشَير بن كعب، ووفد الرَّهَوِيِّين كلهم أسلموا، ثم رجعوا إلىٰ بلادهم بعد أن أعطاهم النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جوائز، وعطايا.

سؤال الدرس

ماذا قال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند مَقدم جرير بن عبد الله البَجَلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الرابع والأربعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المبارك، وهذا هو الدرس الرابع والأربعون من دروس السيرة النبوية من كتاب «**إسعادُ البرية في السيرة النبوية**»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ بعض أحداث السنة العاشرة من الهجرة، ومنها: حجة الوداع، ونزول قول الله تعالىٰ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة:٣]، وموت سعد بن خَوْلَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في الأَسْرِ بمكة، ومُسيلِمَة، والأسود العنسي يَدَّعيان النبوة، وقدوم وفد الأزد علىٰ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وقدوم وَفْد زُبيد علىٰ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وإسلام فَرْوَة بن مُسَيك المرادي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

هذا مجمل الأحداث، وإليكم التفصيل:

ظل رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تسع سنين لم يحج، ثم أمر المنادي أن يؤذن في الناس أنه حاج في هذا العام، فقدم المدينة بشر كثير كلهم يريد أن يأْتَم برسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ويعمل مثل عمله في الحج، فخرجوا مع رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في الخامس والعشرين من ذي القَعدة حتىٰ أَتَوا ذا الحُليفة، فنزل صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بها فصلىٰ العصر ركعتين، ثم بات صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بها، وصلىٰ المغرب والعشاء والصبح والظهر، فولدت أسماء بنت عُمَيس زوجة أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ محمد بن أبي بكر،

فأرسلت إلىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كيف أصنع؟ فقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**اغتسلي، واسْتَثْفِري بثوب وأحرمي**».

ومعنىٰ قوله: «واستثفري»: أي ضعي خِرقة عريضة علىٰ محل الدم.

ومعنىٰ قوله: «وأحرمي»: أي بالنية، والتلبية.

فصلىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ركعتين في مسجد ذي الحليفة، ثم ركب صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ناقته والناس حوله إلىٰ مد البصر من راكب، وماش، من أمامه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن يساره، ورسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينهم ينزل عليه القرآن، فرفع النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صوته بالتوحيد قائلا: «**لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمدَ والنعمة لك والملك، لا شريك لك**»، ولزم النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تلبيته والناس لا ينوون إلا الحج، ولا يعرفون العمرة في أشهر الحج، حتىٰ إذا أتوا البيت مع النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأربع ليال خَلَون من ذي الحجة، فاستلم النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحجر الأسود، وقبَّله، فرَمل صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثا، ومشىٰ أربعا، ومعنىٰ الرَّمَل: الإسراع في المشي مع تَقَارب الخطىٰ.

ثم ذهب النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن طاف بالبيت سبعا إلىٰ مقام إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقرأ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة:١٢٥]، فجعل المقام بينه، وبين البيت، فقرأ في الركعة الأولىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١]، وفي الركعة الثانية: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون:١]، ثم رجع صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ الحَجر الأسود، فاستلمه ثم خرج من باب الصفا إلىٰ الصفا، فلما اقترب من الصفا قرأ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ۝١٥٨﴾ [البقرة:١٥٨]، وقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أبدأُ بما بدأ الله به**»، أي في قوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾، فبدأ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصفا، فصعِد عليه حتىٰ رأىٰ البيت فاستقبل القبلة، فوحَّد الله، وكبَّره، وقال: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له له المُلك وله الحمد، وهو علىٰ كل**

شيء قدير، لا إله إلا الله وحده أَنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»، كررها النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ثلاثَ مرات، ودعا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ثم نزل إلىٰ المروة حتىٰ بلغها، ثم رجع إلىٰ الصفا، فعل ذلك سبعة أشواط من مروة إلىٰ الصفا شوط، ومن الصفا إلىٰ المروة شوط.

وقال صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في آخر طوافه علىٰ المروة: «**لو أني استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ لم أَسُق الهَدْي، وجعلتها عمرة، فمن كان منكم ليس معه هديٌ فليَحِلَّ، وليجعلها عمرة**»، أي لو ظهر لي هذا الرأي الذي رأيته الآن لأمرتكم به في أول الأمر، وهو أن تُحرموا بالعمرة، ثم تُحلوا منها، ثم تُحرموا بالحج.

فقام سُراقة بن مالك بن جُعْشُم، فقال: يا رسول الله، ألِعَامنا هذا أم لأبدٍ؟ أي الإتيان بالعمرة في أشهر الحج، أو مع الحج يختص هذه السنة؟ أم هو يجوز إلىٰ يوم القيامة؟، فشبك النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أصابعه واحدة في الأخرىٰ، وقال: «**دخلَتِ العمرة في الحج، دخلت العمرة في الحج، لا، بل لأبدِ أبدٍ**»، أي يجوز العمرة في أشهر الحج إلىٰ يوم القيامة.

وقدم على النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عليٌّ من اليمن ببُدن النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، والبدن: جمع بدنة، وهي الناقة، والمراد هنا: ما يتقرب بذبحه من الإبل، فوجد فاطمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا ممن حَلَّ، ولبستْ ثِيَابًا صَبِيغًا، واكتحلت، فأنكر ذلك عليها، فقالت: إن أبي أمرني بهذا، فقال عليٌّ: فذهبت إلىٰ رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ محرِّشا علىٰ فاطمة للذي صنعتُ، مستفتيا لرسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فيما ذكَرتْ عنه، فأخبرته أني أنكرتُ ذلك عليها، فقال صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**صدقتْ، صدقتْ، ماذا قلتَ حين فرضتَ الحج؟**» فقال علي: قلت: اللهم إني أُهِلُّ بما أَهَل به رسولك، فقال النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**فإني معي الهَدْي فلا تَحل**»، أي لا تحل من العمرة.

فكان عدد الهدي الذي قدم به علي من اليمن، والذي أتىٰ به النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مائة، فحلَّ الناس كلهم، وقصَّروا -أي قصَّروا شعورهم، وبهذا تنتهي أعمال العمرة- إلا النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ومن كان معه هَدْي لم يَحِل.

فلما كان يوم التروية وهو اليوم الثامن من ذي الحجة توجهوا إلىٰ منىٰ فأهلوا بالحج، وركب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فصلىٰ بها: الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، والفجر، ثم مكث صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قليلا حتىٰ طلعت الشمس، وأمر بخيمة تُضْرَب له بنَمِرة، فسار رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المَشْعَر الحرام، وذلك لأن قريشا كانت في الجاهلية تقف عند المشعر الحرام، وهو جبلٌ في المزدلفة، فجاوز رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المزدلفة حتىٰ أتىٰ عرفة، فوجد الخيمة قد ضُربت له بنَمِرة، فنزل بها حتىٰ إذا زالت الشمس عن كَبِد السماء، أمر بالقصواء، فوُضع له عليها الرَّحل -والقصواء: هي ناقة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فأتىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وادي عُرَنَة فخطب الناس، وقال: «**إن دماءكم، وأموالكم حرام عليكم كحُرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قَدميَّ موضوع** -أي لاغٍ، وباطل-، **ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث، كان مسترضِعا في بني سعد فقتلته هذيل** - مسترضعا: أي كان لابنه امرأة ترضعه-**وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربانَا، ربا عباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله، فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله** -أي بعهد الله-، **واستحللتم فروجهن بكلمة الله** -أي بقوله تعالىٰ: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء:٣]-، **ولكم عليهن ألا يُوطِئْن فُرُشكم أحدا تكرهونه** -أي لا يأذَنَّ لأحد تكرهونه في دخول بيوتكم، والجلوس في منازلكم-، **فإن فَعلن ذلك، فاضربوهن ضربا غير مبرِّح** -أي إن أَذِنَّ لأحد تكرهونه في دخول بيوتكم، فاضربوهن ضربًا غير شديد -**ولهنَّ عليكم رزقهن، وكسوتهن بالمعروف** -أي ما تعارف الناس عليه-، **وقد تركتُ فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله، وأنتم تُسَائَلون عني فما أنتم قائلون**»، أي تسألون يوم القيامة عن تبليغي، فقالوا: نشهد أنك قد بلغتَ، وأديتَ، ونصحتَ، أي أديت الأمانة، فرفع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إصبعه السبابة إلىٰ السماء ويشير بها إلىٰ الناس: «**اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد**»، ثم أذَّن، ثم أقام، فصلىٰ الظهر، ثم أقام، فصلىٰ

العصر، ولم يصلِّ بينهما شيئًا، أي جمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين الظهر، والعصر جمعَ تقديم، ولم يصلِّ السنة بينهما.

ثم ركب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ أتىٰ عَرفة، واستقبل القبلة، فلم يزل واقفا حتىٰ غربت الشمس، وذهبت الصُّفْرة قليلا حتىٰ غاب قرص الشمس، وأردف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خلفه.

وبينما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واقفًا بعَرفَات بعد غروب الشمس نزل عليه قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

ثم ارتحل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من عرفة إلىٰ المزْدَلِفة، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشير بيده اليمنىٰ: «**أيها الناس السكينةَ، السكينةَ**»، فلما انتهىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ المزدلفة صلىٰ بها المغرب، والعشاء بأذان واحد وإقامتين، ولم يصلِّ بينهما شيئًا من النوافل، ثم اضطجع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المزدلفة حتىٰ طلع الفجر، وصلىٰ الفجر حين تبين له الصبح بأذان، وإقامة.

ثم ركب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ناقته القصواء حتىٰ أتىٰ المَشْعَر الحرام، فاستقبل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القبلة، فدعا الله، وكبَّره، وهلله، ووحَّده، فلم يزل واقفا حتىٰ أضاء الفجر جدا، فمضىٰ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أن تطلع الشمس، وأردف الفضل بن عباس حتىٰ أتىٰ بطن مُحسِّر، وهذا موضع بين مزدلفة ومنىٰ، فأسرع فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم سلك الطريق الوسطىٰ التي تخرج علىٰ الجَمرة الكبرىٰ، حتىٰ أتىٰ الجمرة فرماها بسبع حصيات، يكبِّر مع كل حصاة منها مثل حصىٰ الخَذْف، أي صغيرة، ثم انصرف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ موضع النحر، فنحر ثلاثة وستين بيده، ثم أعطىٰ عليًّا، فنحر ما بقي من المائة، وأشركه في هَديه، أي أعطاه بعض الهَدْي؛ لَينحَر عن نفسه.

ثم أمر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كل بَدنة بِقِطعة لحم فجُعلت في إناء فطُبخت، فأكل من لحمها وشرب من مَرقها، ثم ركب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ناقته حتىٰ أتىٰ الكعبة، فطاف

طواف الإفاضة، ثم صلىٰ بمكة الظهر، فأتىٰ بني عبد المطلب يَسقون علىٰ زمزم، فقال: «**انزعوا بني عبد المطلب فلولا أن يَغلبكم الناس علىٰ سقايتكم لنزعتُ معكم**»، فناولوه دلوا فشرب منه.

ثم رجع صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إلىٰ منىٰ من يومه ذلك فبات بها،** فلما أصبح صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انتظر زوال الشمس، فلما زالت الشمس مشىٰ من رحله إلىٰ الجمار، ولم يركب، فبدأ بالجمرة الأولىٰ التي تلي مسجد الخَيْف فرماها صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسبع حصيات واحدة بعد واحدة، يقول مع كل حصاة: «**الله أكبر**»، ثم تقدم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ الجمرة أمامها، فقام مستقبلا القبلة، ثم رفع يديه ودعا دعاء طويلا بِقدر سورة البقرة، ثم أَتىٰ إلىٰ الجَمرة الوسطىٰ فرماها كذلك، ثم انحدر ذاتَ اليسار مما يلي الوادي، فوقف مستقبلَ القبلة رافعا يديه يدعو قريبا من وقوفه الأول، ثم أتىٰ الجمرة الثالثة، وهي جمرة العقبة، فجعل البيت عن يساره، ومنىٰ عن يمينه فرماها بسبع حصيات، فلما أَكمل الرمي رجع من فَوْرِه، ولم يقف عندها، أي دعا النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد الجمرة الأولىٰ، والثانية، أما الثالثة فلم يقف عندها، ولم يدعُ.

ولم يتعجل النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في يومين بل تأخر حتىٰ أكمل الرمي في أيام التشريق الثلاثة، ثم صلىٰ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء عند المُحَصَّب، ثم نهض صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ مكة فطاف للوداع في السَّحَر، ولم يرمُل في هذا الطواف، ثم ارتحل صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ راجعا إلىٰ المدينة.

ومات في حجة الوداع سعد بن خَوْلَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وكان ممن شهد بدرا، وحزن عليه النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه مات بمكة؛ لأنه كان يكره صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يموت في الأرض التي هاجر منها.

وبينا رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **نائم أُوتي بخزائن الأرض،** فوُضِع في يده سُواران من ذهب -سواران: مثنىٰ سِوار، وهو ما يوضع في اليد من الحُلي-، فكبُر، وعظُم عليه، وكَرِهَهما، فأوحىٰ الله إليه أن ينفُخْهما، فنفخهما فذهبا، فأوَّلَهما صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كذَّابين يخرجان: أحدهما العَنْسِي، والآخر مُسْيلِمة الكذاب.

وقدم على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السنة العاشرة من الهجرة وفد الأزدِ بقيادة صُرد بن عبد الله الأزْدي، وكانوا بضعة عشر رجلا، فأسلموا، فقال لهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مرحبًا بكم أحسنَ الناس وجوها، وأصدَقه لقاء، وأطيبَه كلاما، وأعظمَه أمانا، أنتم مني، وأنا منكم**».

وقدم أيضًا على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السنة العاشرة من الهجرة وفد زُبَيد بقيادة عمر بن معدي كَرِب الزبيدي، وكانوا عشرة نفر، فأسلموا، ثم رجعوا إلىٰ بلادهم بعد أن أعطاهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عطايا، وجوائز.

وقدم فَروة بن مُسيك المرادي على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مفارقا لملوك كِندة، ومتابعا للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنزل علىٰ سعد بن عُبادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وكان يتعلم القرآن وفرائض الإسلام وشرائعه، ثم رجع إلىٰ بلاده، واستعمله النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ قبائل مُراد، وزُبيد، ومَذْحِج، وأعطاه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جوائز وعطايا.

وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقات، وكتب له كتابا فيه فرائض الصدقة، ولم يزل علىٰ الصدقة حتىٰ تُوفي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❁❁❁

سؤال الدرس

ماذا قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لوفد الأزد؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الخامس والأربعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المبارك، وهذا هو الدرس الخامس والأربعون من دروس السيرة النبوية من كتاب «**إسعاد البرية في السيرة النبوية**»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ ما تبقىٰ من أحداث السنة العاشرة من الهجرة، ومنها: قدوم وفد عَبد القَيس علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القَدْمة الثانية، وقدوم وفد بني حَنيفة علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفيهم مُسيلِمة الكذاب، ومحاولة خاسرة للغدر برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقدوم وفد طَيِّيءٍ علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقدوم وَبَر بن يُحَنِّس علىٰ الأبناء باليمن يدعوهم إلىٰ الإسلام، وإسلام باذَان ملك اليمن، وقدوم وفد كِنْدة علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقدوم وفد مُحارِب علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونزول آية الاستئذان علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وموت إبراهيم ابن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكسوف الشمس يوم موت إبراهيم ابن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإسلام أَمير من أمراء الروم، وقدوم وفد عَنْس علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقدوم وفد الصَّدِف علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومبعث أبي موسىٰ الأشعري ومعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إلىٰ اليمن، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرسل سرية إلىٰ رِعية السُّحَيمي، وقدوم وفد بُجَيلة علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هذا مجمل الأحداث، وإليكم التفصيل:

في السنة العاشرة من الهجرة قدم وفد عبد القيس للمرة الثانية على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكانوا أربعين رجلا، فقال لهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما لي أرىٰ ألوانكم تغيَّرت؟**»؛ لأنهم قدموا عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبلَ ذلك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان معهم في هذه المرة الجَارود بن المُعَلَّىٰ وكان نصرانيا، فأسلم، وأسلم أصحابه معه، ثم رجعوا إلىٰ بلادهم.

وقَدم على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **في السَّنَة العاشرة من الهجرة وفدٌ كثيرٌ من بَني حنيفة،** وكان فيهم مُسيلِمة الكذَّاب، فجعل مُسَيلِمة يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته، فأقبل إليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومعه ثابت بن قيس بن شَمَّاس وفي يد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قطعة جَريد حتىٰ وقف علىٰ مسيلِمة في أصحابه، فقال: «**لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتُكَها، ولن تَعدو أمر الله فيك، ولإن أَدْبرت ليعقِرنَّك الله، أي ليقتلنَّك، وإني لأراك الذي أريتَ فيك ما رأيت**»، أي في مَنَامي، ثم قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وهذا ثابت بن قيس، وسيُجِيبك عني**»، ثم انصرف عنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فلما رجع وفد بني حنيفة إلىٰ بلادهم ارتد مسيلِمة الكذاب، وادَّعىٰ النبوة، وقال: إني قد أُشْرِكت في النبوة معه، ثم جعل يسجع لهم الأساجيع، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن: لقد أنعم الله علىٰ الحُبلىٰ، أخرج منها نَسمة تسعىٰ من بين صِفَاق وَحَشَىٰ، وأَحلَّ مُسَيلِمة لأتباعه الخمر، والزنىٰ، ووضع عنهم الصلاة، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه نبي، فاجتمعت معه بنو حَنيفة علىٰ ذلك.

وقدم على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وفد بني عامر،** وفيهم: عامر بن الطُّفَيل، وأَرْبَد بن قيس، وجَبَّار بن سَلمىٰ، وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم، فقدم عامِر بن الطفيل علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يريد الغَدر به، وقد قال له قومه: يا عامر إن الناس قد أسلموا فأسلِم، فقال عامر: والله كنتُ آليتُ ألا أنتهي حتىٰ تتبع العرب

عَقِبي، -معنىٰ قوله: آليت، أي حلفت- فأنا أتبع عَقِب هذا الفتىٰ من قريش -أي أنا حلفت أن تتبعني العرب، فتريدون أن أتبع هذا الفتىٰ من قريش؟-.

ثم قال لأربد: إذا قدمنا علىٰ الرجل فإني سأشغل عنك وجهه، فإذا فعلت ذلك فاقتله بالسيف، فلما قدموا علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال عامر بن الطُّفيل: يا محمد خَالِني، أي انفرد بي حتىٰ أتحدث معك وَحدك، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا والله حتىٰ تؤمِنَ بالله وحده**»، فقال عامر: يا محمد خالني، وجعل يكلم رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وينتظر من أَرْبد ما كان أمره به، فجعل أربد لا يرد شيئًا، فلما رأىٰ عامر ما يصنع أربد قال: يا محمد خالني، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا حتىٰ تؤمِنَ بالله وحده لا شريك له**»، فلما أبىٰ عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: أما والله لأملأنَّها عليكَ خيلا ورجالا، فلما ولىٰ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم اكفني عامر بن الطُّفيل**».

فلما خرجوا من عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال عامر لأربد: ويلكَ يا أربد، أين ما كنت أمرتُك به؟ والله ما كان علىٰ ظهر الأرض رجل هو أخوف عندي علىٰ نفسي منك، وأيمُ الله لا أخافك بعد اليوم أبدا، فقال أربد: لا أبا لك، لا تعجل علي، والله ما هممت بالذي أمرتني به من أمره إلا دخلتَ بيني وبين الرجل حتىٰ ما أرىٰ غيرك، أفأضربك بالسيف؟ يعني كلما أراد أن يغدر برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل شخصُ عامر في شخص رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ إنه لا يستطيع أن يميز بينهما.

وخرج عامر، وأربد راجعين إلىٰ بلادهم حتىٰ إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله علىٰ عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه، فقتله الله، فلما قدم أَرْبَد علىٰ قومه أتاه الناس، فقالوا: ما وراءك يا أربد؟ فقال لهم: لا شيء، والله لقد دعانا إلىٰ عبادة شيء لوددتُ أنه عندي الآن فأرميه بالنبل حتىٰ أقتله، فخرج بعد مقالته بيوم، فأرسل الله تعالىٰ عليه صاعقة فأحرقته.

وفي السنة العاشرة من الهجرة قدم على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفد طيّءٍ،

وفيهم زيد الخيل، وهو سيدهم، فعرض عليهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإسلام فأسلموا، ثم سمىٰ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زيد الخيل بزيد الخير، ثم رجع مع قومه إلىٰ بلاده، فمات أثناء الطريق بالحمَّىٰ.

وكان وَبَر بن يُحنِّس من الأبناء الذين كانوا باليمن، والأبناء هم كل من ولد باليمن من أبناء الفرس وليس بعربي، فأسلم وَبَر، فلما رجع من عند النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ الأبناء باليمن نزل علىٰ بناتِ النعمان بن بُزُرْجَ فأسلمنْ، وبعث إلىٰ فيروز بن الدَّيْلَمِيِّ فأسلم، وإلىٰ مَرْكَبود فأسلم، وكان باذانُ من الأبناء الذين كانوا باليمن فأسلم، وبعث بإسلامه إلىٰ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأَمَّره رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ أهل اليمن كلِّها بعد موت كِسرىٰ، فهو أول أمير في الإسلام علىٰ اليمن.

وقدم على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفد كِندة، وكانوا ثمانين رجلا، وكان فيهم الأشعث بن قيس، فلما دخلوا علىٰ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مسجده أسلموا، ثم رجعوا إلىٰ بلادهم بعد أن أعطاهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جوائز، وعطايا.

وقدم على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفد محارِب، وكانوا عشرة نفر، فأسلموا، ثم رجعوا إلىٰ بلادهم بعد أن أعطاهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جوائز، وهدايا.

وكان في بداية الإسلام ليس لبيوت المسلمين ستور، فربما دخل الخادم، أو الولد، أو يتيمة الرجل، أو الرجل علىٰ أهله، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٨﴾ [النور:٥٨].

ففي هذه الآية الكريمة أمر الله عَزَّوَجَلَّ المؤمنين أن يستأذنهم خَدَمهم مما ملكت أيمانهم، وهم الإماء، والعبيد، وأطفالهم الذين لم يبلغوا الحلم منهم في ثلاثة أحوال:

الأولى: من قبل صلاة الفجر.

الثانية: في وقت القيلولة.

الثالثة: من بعد صلاة العشاء.

وفي السنة العاشرة من الهجرة تُوفي إبراهيم ابن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو ابن ثمانية عشر شهرا، فلم يصلِّ عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن إبراهيم ابني، وإنه مات في الثَّدي** -أي في سن الرَّضاع-، **وإن له لظِئرَين** -أي مُرْضِعَتَين- **تُكْملان رضاعه في الجنة**».

وفي هذا اليوم الذي مات فيه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ كَسفت الشمس، فقال الناس: كَسَفت الشمس لموت إبراهيم، فقام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فصلىٰ بالناس صلاة الكسوف، فانصرف صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الصلاة، وقد رجعت الشمس، ثم خطب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الناسِ، قائلا: «**يا أيها الناسُ، إنما الشمسُ، والقمر آيتان من آيات الله، وإنهما لا ينكسفان لموت أحد من الناس، فإذا رأيتم شيئًا من ذلك فصلوا حتىٰ تنجلي، ما من شيء تُوعدونه إلا قد رأيته في صلاتي هذه، لقد جِيء بالنار وذلكم حين رأيتموني تأخَّرت** -أي في صلاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - **مخافة أن يصيبني من لَفَحِها** -أي من حرها- **ثم جيء بالجنة، وذلكم حين رأيتموني تقدمت حتىٰ قمت في مقامي، ولقد مددت يدي، وأنا أريد أن أتناول من ثمرها؛ لتنظروا إليه، ثم بدا لي ألا أفعل، ما من شيء تُوعدونه إلا وقد رأيتُه في صلاتي**».

وفي السنة العاشرة من الهجرة أسلم أمير من أمراء الروم وهو فَرْوَة بن عمرو الجُذَامي، وأرسل إلىٰ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخبره بإسلامه، فعلم الروم به، فأخذوه، وقتلوه.

وقدم على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السنة العاشرة من الهجرة وفد عَنْس، فلما التقوا بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسلموا، ثم رجعوا إلىٰ بلادهم بعد أن أعطاهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جوائز، وعطايا.

وقدم أيضًا على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وفد الصَّدِف**، وكانوا بضعة عشر رجلا، فأسلموا، ثم رجعوا إلىٰ بلادهم.

وفي السنة العاشرة من الهجرة بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أبا موسى الأشعري، ومعاذ بن جبل** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **إلى اليمن**، وذلك ليدعوا الناس إلىٰ الإسلام، وبعث كل واحد منهما علىٰ إقليم، وكانت اليمن حينئذ إقليمين، وقال لهما صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يسِّرا ولا تعسِّرا، وبشِّرا ولا تنفِّرا، وتطاوعا ولا تختلفا**»، وقد أسلم عامة أهل اليمن طوعا من غير قتال.

وفي السنة العاشرة من الهجرة كتب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إلى رِعْية السُّحَيمِي** كتابا في جِلد أحمر، فأخذ كتاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرقَّع به دَلوه، فبعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سرية إلىٰ رِعْية السُّحيمي، ثم قدم رعية علىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة، فبايع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأسلم.

وقدم أيضًا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **في السنة العاشرة من الهجرة وفد بُجَيلة**، وكانوا مائة وخمسين رجلا، وفيهم جرير بن عبد الله البَجلي، فأسلموا، وبايعوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❁❁❁

سؤال الدرس

كم كان عمر إبراهيم ابن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما تُوفي؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس السادس والأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المبارك، وهذا هو الدرس السادس والأربعون من دروس السيرة النبوية من كتاب «**إسعاد البرية في السيرة النبوية**»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ بعض أحداث السنة الحادية عشرة من الهجرة، ومنها: ظهور الأسود العنسي الكذاب باليمن، وادعاؤه النبوة، وقدوم وَفْد النَّخَعِ علىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومبعث أسامة بن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ علىٰ سرية لغزو الشام، وخروج رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جوف الليل؛ ليستغفر لأهل البَقيع كالمودِّع لهم، وبَدأ المرض برسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واستئذان رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نساءَه أن يُمرَّض في بيت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وقبل وفاة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخمس يَخْطُب في الناس فَيُبيِّن فضل أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ويوصي بالأنصار خيرا، ويحذِّر من اتخاذ القبور مساجد، والرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمر أبا بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن يُصلي بالناس، والرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي بالناس جَالسا قُبيل وفاته، ومَقْتل الأسود العَنْسي الكذاب.

هذا مجمل الأحداث، وإليكم التفصيل:

ادعى الأسود العنسي النبوة، واجتمع معه سبعمائة مقاتل، وكتب إلىٰ عمال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يردوا عليه ما أخذوه، ثم توجَّه إلىٰ نَجران، فاستولىٰ عليها، ثم

قَصد إلىٰ صنعاء، فخرَج إليه شهر بن باذَانَ فتقاتلا، فغلبه الأسود وقتله، واحتل صنعاء، وتزوج امرأة شَهر بن باذَان، وهي ابنة عم فيروز الدَّيلمي، وكانت امرأة مؤمنة بالله ورسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد تَرك عمال رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أماكنهم باليمن بعد أن استولىٰ الأَسود العنسي عليها كلها، وبعث رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتابه مع بْنِ وَبَر يُحَنِّسَ حين بلغه خبر الأسود العنسي يأمر المسلمين الذين هناك بمقاتلة الأسود العنسي، فقام معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بتبليغ هذا الكتاب إلىٰ عمال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن قدر عليه من الناس.

وكان آخر من قدم من الوفود على رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفد النَّخَع، قدموا عليه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من اليمن للنصف من المحرَّم، وكانوا مائتي رجل، وكانوا قد بايعوا معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ باليمن علىٰ الإسلام.

وفي شهر صفر من السنة الحادية عشر من الهجرة أمَّر رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأَمره أن يُغير علىٰ ساحل الروم بالشام، فخرج معه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خِيار الصحابة ومعه عُمرُ، فطعن الناس في تأمير أسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فخطب رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «**إن ناسا طعنوا في تأمير أسامة، كما طعنوا في تأمير أبيه، وإنه لخَليق للإمارة** -أي لجدير، ومستحق-، **وإن كان لأحب الناس إليَّ من بعد أبيه، وإني لأرجو أن يكون من صالحيكم فاستوصوا به خيرا**».

ومرض رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجعل يقول في نفسه: «**أَنْفذوا جيش أسامة، أنفذوا جيش أسامة**»، فسار أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتىٰ بلغ الجُرف، فأرسلت إليه امرأته: لا تعجل؛ فإن رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مريض، فلم يبرح حتىٰ قُبض صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي شهر صفر من السنة الحاديةَ عشر من الهجرة قال رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمولاه أَبي مُوَيهِبَة في جوف الليل: «**يا أبا مُوَيْهِبة، إني قد أُمرت أن أستغفر لأهل البقيع، فانطلق معي**»، أي أمرني ربي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن أطلب المغفرة لأهل البقيع من الموتىٰ، فانطلق معه، فلما وقف بين القبور قال صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**السلام عليكم يا أهل**

المقابر لِيَهْنِ لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح فيه الناس، لو تعلمون ما نجاكم الله منه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع أولها آخرها، الآخرة شر من الأولىٰ»، ثم أقبل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ أبي مُوَيهبة، فقال: «**يا أبىٰ مويهبة، إني قد أوتيت مفاتح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة، وخُيِّرت بين ذلك وبين لقاء ربي** عَزَّ وَجَلَّ، **والجنة**»، فقال أبو مويهبة: بأبي وأمي، فخذ مفاتيح الدنيا، والخُلد فيها، ثم الجنة، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا والله يا أبا مويهبة لقد اخترتُ لقاء ربي والجنة**»، ثم استغفر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأهل البقيع، ثم انصرف.

ولما رجع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من زيارته لأهل البقيع أحس بوجع حين أصبح، ووجد عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهي تجد صُدَاعا في رأسها وهي تقول: وا رأساه، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بل أنا يا عائشة وا رأساه**»، ثم قال: «**ما ضَرَّكِ لو مت قبلي، فقمت عليك فغسلتُك، وكفنتُك، وصليتُ عليك، ودفنتُك**».

وثقُل علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المرض، واشتد به وجعه، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**أين أنا غدا؟، أين أنا غدا؟**»، أي في بيت من مِن زوجاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يريد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يكون يوم عائشة، فاستأذن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أزواجَه أن يُمرَّض في بيت عائشة فأذِنَّ له، فخرج صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ بيت عائشة وهو بين عباس بن عبد المطلب، وبين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تخطُّ رجلاه في الأرض.

وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا مرِض نَفث علىٰ نفسه بالمعوِّذات، ومسح عنه بيده، فلما اشتكىٰ وجعه الذي توفي فيه جعلت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَنفِث عن نفسه بالمعوذات التي كان يَنْفِثُ، وتمسح بيدِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه.

ودخل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيت عائشة ليمرَّض فيه، فلما اشتد المرض جعل يطرح خميصة له علىٰ وجهه، -والخَميصة: هي الثوب-، فإذا اغتم -أي شعر بشدة الحرارة- كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك: «**لعنةُ الله علىٰ اليهود والنصارىٰ**

اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، يحذِّر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثل ما صنعوا.

وفي يوم الأربعاء قبل أن يموت صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخمس اشتد به وجعه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هريقوا عليَّ من سبع قِرَب** -أي صبوا علي الماء من سبع قِرَب- **لم تُحْلَل أَوْكِيَتُهُنَّ** -والوكاء: هو الرباط الذي تُربط به القربة- **لعلي أعهد إلىٰ الناس**»، أي أُوصي إلىٰ الناس، فأجلسوه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قسط لحفصة زوجه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم صبوا عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من تلك القِرب حتىٰ طَفِق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشير بيده أن قد فَعَلْتُن، فخرج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد عصب علىٰ رأسه حاشية بُرْد-أي لَفَّ رأسه بطرف كِساء-، فصلىٰ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصعِد المنبر، ولم يَصعدْه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد ذلك اليوم، فَحِمد الله، وأثنىٰ عليه، ثم قال: «**أُوصيكم بالأنصار؛ فإنهم كَرِشِي وَعَيْبَتي** -أي بطانتي وخاصتي- **وقد قَضَوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم** -أي دخول الجنة-، **فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك، إن عبدا خيره الله بين أن يؤتيه من زَهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده، فاختار ما عنده**»، ومعنىٰ زهرة الدنيا، أي نعيمها.

فبكىٰ أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقال: فديناك بآبائنا وأمهاتنا، فعجب الناس له، وقالوا: انظروا إلىٰ هذا الشيخ يخبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا، وبين ما عنده، وهو يقول: فديناك بآبائنا وأمهاتنا، فعرفوا بعد ذلك أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو المخيَّر، وكان أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أعلمهم به.

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن من أَمَّن الناس عليَّ في صحبته وماله أبا بكر، إني أبرأُ إلىٰ الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله تعالىٰ قد اتخذني خليلا، كما اتخذ إبراهيم خليلا، ولو كنت متخذا خليلا من أمتي لاتخذت أبا بكر إلا خُلة الإسلام**»، أي ليس بيني، وبينه خلة، ولكن أخوة الإسلام ومودته.

ثم دخل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيت عائشة، وصلىٰ بالناس يوم الخميس الفجر،

والظهر، والعصر، والمغرب، واشتد علىٰ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المرض عند صلاة العشاء، فلم يستطع الخروج للصلاة، فقال: «**أصلىٰ الناس؟**»، فقالو: لا، هم ينتظرونك، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ضعوا لي ماء في المِخْضَب**»، أي في الطست، فاغتسل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذهب ليقوم، فأُغمي عليه، ثم أفاق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم قال: «**أصلىٰ الناس؟**»، فقالوا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله، فقعد فاغتسل، ثم ذهب ليقوم، فأُغمي عليه، ثم أفاق، فقال: «**أصلىٰ الناس؟**»، فقالوا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله، فقال: ضَعوا لي ماء المخضب، فقَعَد فاغتسل، ثم ذهب ليقوم، فأغمي عليه، ثم أفاق، فقال: «**أصلىٰ الناس؟**»، فقالوا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله، والناس عكوف في المسجد ينتظرون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لصلاة العشاء، فأرسل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بأن يصلي بالناس، فأتاه رسول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمرك أن تصلي بالناس، فقال أبو بكر، وكان رجلا رقيقا: يا عمر صلِّ بالناس، فقال له عمر: أنت أحق بذلك، فصلىٰ أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ تلك الأيام.

ثم إن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجد من نفسه نشاطا في يوم السبت، أو الأحد، فخرج بين العباس، وعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا لصلاة الظهر، وأبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُصلِّي بالناس، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر، فأومأ إليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بألا يتأخر، وقال: «**أَجْلِساني إلىٰ جنبه**»، فأجلساه إلىٰ جنب أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فجعل أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُصلي، وهو يأتَمُّ بصلاة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والناس بصلاة أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاعدٌ.

ولما عظمت فتنة الأسود العنسي اتفق المسلمون في اليمن على قتله، فذهب فيروز الديلمي إلىٰ امرأة الأسود وهي ابنة عمه، فقالت: إنه ليس من الدار بيت إلا والحرس محيطون به غير هذا البيت، فإذا أمسيتم، فانقُبُوا عليه من دون الحرس، وإني سأضع في البيت سراجا وسلاحا -السراج هو المصباح-، ثم جاء فيروز وأصحابه،

فنقبوا ذلك البيت ووجدوا الأسود العنسي علىٰ فراش من حرير وهو نائم، فأخذ فيروزُ برأسه فدقَّ عنقه، ووضع ركبتيه في ظهره حتىٰ قتله، ثم خرج إلىٰ أصحابه لِيُخبرهم، فدخلوا عليه فاحتزوا رأسه، فخَار كأشد خُوار ثور سُمع قط، فابتدره الحرس، فقالوا: ما هذا؟ ما هذا؟ فقالت المرأة: النبي يُوحىٰ إليه.

وفي الصباح نادىٰ المنادي بالأذان: أشهد أن محمدا رسول الله وأن عَبْهَلة كذاب -عَبْهَلة: اسم الأسود العنسي-، وألقىٰ إليهم رأسه فانهزم أصحابه، وتبعهم الناس يأخذونهم، ويرصدونهم في كل طريق ويأسرونهم، وظهر الإسلام وأهله، وتراجع نواب رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ أعمالهم.

ونزل الوحي علىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذه الليلة التي قُتل فيها الأسود العَنْسي يخبره بمقتله، فقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه: «**قُتل العَنسي البارحة، قَتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين**»، قيل: من؟ قال: «**فيروز، فازَ فيروز**».

أسئلة الدرس

السؤال الأول: ما هو آخر وفد قدم علىٰ رسول الله؟

السؤال الثاني: بماذا أوصىٰ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه في خطبته الأخيرة؟

السؤال الثالث: من الذي قَتل الأسود العنسي؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس السابع والأربعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المبارك، وهذا هو الدرس السابع والأربعون من دروس السيرة النبوية من كتاب «إسعاد البرية في السيرة النبوية»، وفي هذا الدرس نتعرَّف سويًّا علىٰ ما تبقىٰ من أحداث السنة الحاديةَ عشر من الهجرة، ومنها: وفاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومبايعة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالخلافة، ودفن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ووفاة فاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هذا مجمل الأحداث، وإليكم التفصيل:

بينما المسلمون في صلاة الفجر من يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول من السنة الحادية عشرة من الهجرة، وأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يصلي بهم كشف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ستر حجرته لعائشة، فنظر إليهم وهم في صفوف الصلاة وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف -أي مضيء مستنير كورقة المصحف-، ثم تبسم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يضحك، فرجع أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ عقبيه؛ ليقف في الصف، وظن أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يريد أن يخرج إلىٰ الصلاة، وهمَّ المسلمون أن يخرجوا من صلاتهم فرحا برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأشار إليهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيده أن أَتِموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأرخىٰ الستر، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

لعائشة: «**يا عائشة ما أزال أجد ألَم الطعام الذي أكلتُ بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أَبْهري من ذلك السُّم**»، أي شعر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسُمِّ الشاة المسمومة التي أكلها يوم خيبر.

ودعا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ، فقالت: وا كرب أباه، فقال لها: «**ليس علىٰ أبيك كَرب بعد اليوم**»، وسارَّها بشيء فبكت، ثم دعاها فسارَّها بشيء صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فضحكت، فسألوها عن ذلك فقالت: سارَّني النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه يقبض في وجعه الذي تُوفي فيه فبكيت، ثم سارَّني فأخبرني أني أول أهله يتبعه فضحكت، وأوصىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسلمين بالمحافظة علىٰ الصلاة، فقال: «**الصلاةَ، الصلاةَ** -أي الزموا الصلاة واهتموا بها-، **وما مَلَكت أيمانُكم**»، أي أدوا زكاة أموالكم، وأَدُّوا حقوقَ عبيدكم، وإمائكم.

ودخل عبد الرحمن بن أبي بكر علىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبيد عبد الرحمن سواك، وعائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مسنِدة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فرأته ينظر إليه، وعرفت أنه يُحب السواك، فقالت: آخذه لك؟، فأشار صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برأسه أن نعم، فتناولته، فاشتد عليه الوجع، وقالت: أُليِّنه لك؟، فأشار برأسه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نعم، فلينته، فأمرَّه علىٰ أسنانه، وبين يديه عُلْبة فيها ماء، فجعل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه، ويقول: «**لا إله إلا الله، إن للموت سكرات**»، ورأسه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ فخذ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فأُغمي عليه، فلما أفاق ارتفع بصره نحو سقف البيت، ورفع يده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النساء:٦٩]، **اللهم اغفر لي وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلىٰ، أللهم في الرفيق الأعلىٰ**»، أي ألحقني، وأدخلني جملة الرفقاء الذين خصصتهم بالمكانة الرفيعة في أعلىٰ الجنان.

فما زال يكررها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ قُبض ورأسه بين حَنَك عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وصدرها، فلما مات صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ: يا أبتاه أجاب ربا دعاه، يا

أبتاه مَن جَنةُ الفردوس مأواه، يا أبتاه إلىٰ جبريل ننعاه.

ولما علم الناس بموت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قام عمر يقول: والله ما مات رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليبعثنَّه الله، فَليقطعن أيدي رجال وأرجلهم، فأقبل أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ علىٰ فرسه من مسكنه بالسُّنْح حتىٰ نزل -السنح: موضع في أطراف المدينة-، فدخل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ المسجد، فلم يكلم الناس حتىٰ دخل علىٰ عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فذهب إلىٰ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو مسجَّىٰ ببرد حِبَرة، فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبَّله، ثم بكىٰ، قال: بأبي أنت يا نبي الله، لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كُتبت عليك فقد مُتها.

وقوله: «لا يجمع الله عليك موتتين»: أي لا تحيا بعد ذلك في الدنيا، ثم تموت، وقال هذا ردا علىٰ من قال: إنه لم يمت، وسيبعث، ويقطِّع أيدي رجال، وأرجلهم.

ثم خرج أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فقال: أيها الحالف -أي القائل: إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما مات- علىٰ رِسْلِك -أي تمهَّل-، فلما تكلم أبو بكر جلس عمر، فحمد الله أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأثنىٰ عليه، وقال: ألا من كان يعبد محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزُّمَر:٣٠]، وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران:١٤٤]، فبكىٰ الناس بكاء شديدا.

قال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعَقِرتُ حتىٰ ما تَقلني رِجْلَاي، أي سقطت علىٰ الأرض، حتىٰ لم أستطع أن أقف.

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: وحتَّىٰ أهويت إلىٰ الأرض حين سمعته تلاها علمت أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد مات.

وقال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: والله لكَأنَّ الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتىٰ تلاها أبو بكر، فتلقَّاها منه الناس كلهم، فما أسمعُ بشرا من الناس إلا يتلوها.

وفي اليوم الذي توفي فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **اجتمع المسلمون في سَقيفة بني سَاعدة،** واستقر رأيهم علىٰ مبايعة أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالخلافة.

وفي يوم الثلاثاء الثالث عشر من ربيع الأول من السنة الحادية عشر من الهجرة أرادوا غَسل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقالوا: والله ما ندري أنجرد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ثيابه كما نجرد موتانا؟ أم نغسله وعليه ثيابه؟، فلما اختلفوا ألقىٰ الله عليهم النوم، ثم كلمهم مكلِّم من ناحية البيت لا يدرون من هو: أنِ اغسلوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعليه ثيابه، وقاموا إلىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فغسَّلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص، ويدلِّكونه بالقميص دون أيديهم.

وقد غَسَّل النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليٌّ، والعباس، والفضل بن العباس، وقُثَم بن العباس، وأسامة بن زيد، وشُقْران مولىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأَسنده عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ صدره، وكان العباس، والفَضل، وقُثم يقلِّبون معه، وكان أسامة، وشقران مولاه هما اللذان يَصبان الماء عليه، وعليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يغسِّله، وهو يقول: بأبي أنت وأمي ما أطيبك حيا وميتا.

ولما فرغوا من غُسل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **كفنوه** في ثلاثة أثواب يمانية بِيض سَحُولِية من كُرْسُف، ليس فيها قميص، ولا عمامة.

ومعنىٰ يمانية: أي مصنوعة باليمن، **وسَحُولِية:** نِسبة إلىٰ السَّحول، وهو ما تُبيَّض به الثياب، **والكُرسف:** هو القطن.

فلما فرغوا من تجهيز رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يوم الثلاثاء** وضعوه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سريره في بيته، لم يدروا أين يقبرونه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ قال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لن يقبر نبي إلا حيث يموت**»، فأخَّروا فراشه، وحفر له أبو طلحة تحت فراشه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم دخل الناس علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلون عليه جماعات، دخل الرجال حتىٰ إذا فرغوا دخلت النساء، حتىٰ إذا فرغ النساء أُدخل الصبيان، ولم يَؤُم الناس علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحد.

ثم دُفن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وسَط الليل من ليلة الأربعاء، وقد نزل في قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علي، والفضل، وقُثم، وشُقران مولىٰ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فلما دُفن صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ: يا أنس، أطابت أنفسكم أن تحثوا علىٰ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التراب؟، وعاشت رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ستة أشهر، فلما توفيت دفنها زوجها عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وصلىٰ عليها.

وقد بُعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو ابن أربعين سَنة، فمكث في مكة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة عشر سنين، ثم قبضه الله عَزَّ وَجَلَّ إليه، وقد تم له ثلاث وستون سنة صلىٰ الله عليه صلاة دائمة ما دامت السموات والأرض.

❁❁❁

أسئلة الدرس

السؤال الأول: في أي يوم مات رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

السؤال الثاني: من الذي قام بتغسيل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

السؤال الثالث: أين دفن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟، ولماذا؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الثامن والأربعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الجمع الطيب المبارك، وهذا هو الدرس الثامن والأربعون والأخير من دروس السيرة النبوية من كتاب «**إسعاد البرية في السيرة النبوية**»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ عدد غزوات الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعدد السرايا التي بعثها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعدد أمرائه، وكُتَّابه، ورسله إلىٰ ملوك الأرض، والوفود التي وَفدت عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومُؤذني الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأمهات المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ، وسَرارِي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأولاده، وأعمامه، وعماته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هذا مجمل الدرس، وإليكم التفصيل:

لقد غزا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنفسه الشريفة سبعا وعشرين غزوة، أولها غزوة الأبواء في صفر من السنة الثانية من الهجرة، وآخرها غزوة تبوك في رجب من السنة التاسعة من الهجرة.

وأرسل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اثنتين وسبعين سَرِيَّة، أولها سرية حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ سِيف البحر في رمضان من السنة الأولىٰ من الهجرة، وآخرها سرية أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إلىٰ البلقاء بالشام في صفر من السنة الحادية عشرة من الهجرة.

وعدد الأمراء الذين ولَّاهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ البلدان ستة عشر أميرا.

وعدد الكُتَّاب الذين كتبوا للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثمانية وثلاثون كاتبا.

وعدد رسله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذين أرسلهم إلىٰ ملوك الأرض ثمانية وأربعون رسولا.

وعدد الوفود التي وفدت علىٰ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اثنان ومائة وفد.

وأذَّن للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أربعةُ مؤذِّنين:

الأول: بلالُ بنُ رباح رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهو أول من أذَّن لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الثاني: عمرو بن أمِّ مَكتوم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وكان يؤذِّن لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة.

الثالث: سعد القَرَظ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقد جعله النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤذنا بمسجد قُبَاء، فلما مات رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وترك بلال الأذان نقله أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلىٰ مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الرابع: أبو محذورة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

أما أمهات المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ فهن إحدى عشر:

الأولى: خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، تزوجها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل البعثة وعمره خمس وعشرون سنة وعمرها أربعون سنة، وتوفيت في حياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السنة العاشرة للبعثة.

الثانية: عائشة بنت أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، عقد عليها في شهر شوال سنة عشر من البعثة، وبنىٰ بها في شهر شوال من السنة الأولىٰ من الهجرة، وتوفي عنها وهي بنت ثمانِ عشر سنة، وماتت بعده في شهر رمضان سنة سبع وخمسين من الهجرة.

الثالثة: سَوْدَة بنت زمعة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، تزوجها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شهر شوال سنة عشر من البعثة بعد وفاة خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وماتت سنة خمس وخمسين من الهجرة.

الرابعة: حفصة بنت عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، تزوجها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شهر شعبان من السنة الثالثة من الهجرة، وماتت سنة خمس وأربعين من الهجرة.

الخامسة: زينب بنت خزيمة أم المساكين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، تزوجها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شهر رمضان من السنة الثالثة للهجرة، وماتت بعد زواجها بشهور، فصلىٰ عليها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودفنها.

السادسة: زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، تزوجها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السنة الثالثة من الهجرة، وماتت سنة عشرين من الهجرة.

السابعة: أم سلمة هند بنت أبي أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، تزوجها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شوال سنة أربع من الهجرة، وتُوفيت سنة اثنتين وستين من الهجرة، وهي آخر أمهات المؤمنين موتا.

الثامنة: جويرية بنت الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، تزوجها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سنة خمس من الهجرة، وتُوفيت سنة خمسين من الهجرة.

التاسعة: أم حبيبة بنت أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، تزوجها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي بالحبشة سنة سبع من الهجرة، وتُوفيت سنة أربع وأربعين من الهجرة.

العاشرة: صفية بنت حُيَي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهي من نسل نبي الله هارون بن عمران عَلَيْهِ السَّلَامُ، تزوجها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سنة سبع من الهجرة، وتُوفيت سنة خمسين من الهجرة.

الحادية عشر: ميمونة بنت الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، تزوجها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شهر ذي القَعدة سنة سَبع، وتُوفيت سنة إحدىٰ وخمسين من الهجرة.

وأما سَرَاري النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهما سُرِّيَّتان:

والسُّرِّية: هي الأَمة المملوكة التي يتخذها سيدها للجماع.

الأولى: ريحانة بنت زيد بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، كانت من سبي بني قُريظة، فأسلمت، فتسرىٰ بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شهر المحرَّم سنة ست، وتُوفيت بعد مرجعه من حَجة الوداع سنة عشر من الهجرة.

الثانية: مارية القِبطية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أهداها له المقوقِس صاحب الأسكندرية،

فأسلمت، فتسرىٰ بها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سنة سبع، وولدت له إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتوفيت سنة ستة عشر من الهجرة.

وأما أولاد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهم سبعة، وأول أولاده مولدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القاسم وبه كان يُكْنىٰ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومات طفلا، ثم زينب، ثم رقية، وأم كلثوم، وفاطمة، ثم وُلد له عبد الله بعد النبوة، ويلقَّب بالطيِّب والطاهر، ثم وُلد له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إبراهيم بالمدينة، وفاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فهي أفضل بناته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ الإطلاق.

وكل أولاده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا إلا إبراهيم فإنه من مَاريَة القِبطية رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، ومات إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في شهر ربيع الأول سنة عشر، وهو ابن ثمانية عشر شهرا.

وكل أولاد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ماتوا قبله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ظلت بعده ستة أشهر، فماتت في رمضان سنة إحدىٰ عشرة، وهي ابنة تسع وعشرين سنة.

أما أعمامه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهم أحد عشر: حمزة، والعباس، وأبو طالب، وأبو لَهب، والزبير، وعبد الكعبة، والمقوِّم، وضِرار، وقُثَم، والمغيرة، والغَيدَاق، ولم يسلم منهم إلا حمزة، والعباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وأما عماته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهُنَّ ست، وهُنَّ صفية، وعاتكة، وبَرة، وأروىٰ، وأُميمة، وأم حكيم البيضاء، أسلم منهن صفية، واختلف العلماء في إسلام عَاتكة، وأروىٰ.

❁❁❁

أسئلة الدرس

السؤال الأول: كم عدد الغزوات التي غزاها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

السؤال الثاني: من هم مؤذنو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

السؤال الثالث: من هنَّ أمهات المؤمنين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُنَّ؟

السؤال الرابع: من هم أولاد النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؟

وبهذا نكون انتهينا بفضل الله تعالىٰ من دراسة كتاب «**إسعاد البرية في السيرة النبوية**».

هذا، وصلِّ اللَّهُمَّ وسلم وبارك على نبينا محمد،

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الفهـرس

المختصر في وصف المصطفى ﷺ (١)

تأليف

خالد بن محمود الجهني

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

كلمة افتتاح دورة أخلاق وأوصاف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فإنني أُرحب اليوم بكل المشاركين والمشاركات في هذه الدورة المباركة دورة «**أخلاق، وأوصاف النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »

في هذه الدورة ستتعرف إن شاء الله تعالىٰ علىٰ أخلاق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأوصافه الخَلقية، والخُلُقية.

من ذلك صفة وجهه، وشعره، وعينيه، وفمه، وذراعيه، وساقيه، وقدميه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكيف كان يتكلم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

وكيف كان يضحك، ويمازح، ويلبس، ويجلس، ويأكل، ويشرب، ويتعطر، وينام، ويستيقظ، ويقرأ القرآن، ويتعامل مع الناس صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

وكذلك سنتعرف علىٰ بعض خصائص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي اختصها الله عَزَّوَجَلَّ به دون سائر الخلق.

والهدف من هذه الدورة:

- أن نقتدي برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- وأن ننشر هديه، وأخلاقه، وأوصافه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين الناس جميعا.

فإن من علامة محبة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نقتدي به في أقواله، وأفعاله.

لذلك لما ادعىٰ قوم المحبة علىٰ عهد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ امتحنهم الله عَزَّوَجَلَّ بقوله: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١].

أي إن كنتم صدقا، وحقا تحبون الله فاتبعوني فيما أقول لكم، فإن فعلتم ذلك أحبكم الله.

فالذي يحب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حقًّا هو من يتبع سنته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولكي نخرج من هذه الدورة بالاستفادة المثلى علينا أن نلتزم بعدة أمور:

الأول: سماع الدروس الصوتية التي سنرسلها إليكم جيدا.

الثاني: قراءة القدر المشروح من الكتاب قراءة جيدة.

الثالث: الإجابة عن الأسئلة التي سنطرحها في نهاية كل درس؛ لأن الاختبار النهائي سيأتي من هذه الأسئلة.

الرابع: العمل بما تعلمناه، فإن الغاية من العلم العمل، وليس العلم، فإننا نتعلم لكي نعمل، وليس لكي نعلم فقط.

لذلك قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**العلم ما نَفع ليس العلم ما حُفظ**».

الخامس: نشر ما تعلمناه، فإن البدع تنتشر إذا تخاذل أهل الحق عن نشر السنة، كما أن البدعة تموت إذا انتشرت السُّنة.

وفي فضل نشر العلم **يقول الإمام ابن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**لا أعلم بعد النبوة أفضل من نشر العلم**».

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**من أحب ألا ينقطع عمله بعد موته فلينشر العلم**».

فكلما تعلمنا شيئًا ينبغي لنا أن ننشره، فإن أجر نشر العلم لا ينقطع أبدا.

السادس: سلوا الله عَزَّوَجَلَّ أن يعلمكم ما ينفعكم في الدنيا والآخرة، فإن التوفيق بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والموفَّق من وفقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لطاعته.

هذا، وأسأل الله عَزَّوَجَلَّ لي ولكم الجنة، وما قرب إليها من قول وعمل.

كما أسأله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن يغفر لنا ولكم خطأنا، وعمدنا، وأن يرزقنا وإياكم الإخلاص في القول والعمل، وأن يثبِّت قلوبنا علىٰ دينه إلىٰ أن نلقاه.

هذا، وصلِّ اللّٰهُمَّ وسلم وبارك على نبينا محمد،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

خالد الجهني

الحلقة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الإخوة الفضلاء، وأيتها الأخوات الفضليات في هذه الدورة المباركة، وهذه هي الحلقة الأولى من حلْقَات «**الدر المجتبى في وصف المصطفى** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ».

وفيها سنتعرف إن شاء الله تعالى على أوصاف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخَلقية وهي:

١- وصف طوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢- ووصف لونه.

٣- ووصف أعضائه.

٤- ووصف رأسه.

٥- ووصف شعره.

٦- ووصف شيبه.

٧- ووصف وجهه.

٨- ووصف عينيه.

٩- ووصف فمه.

١٠- ووصف لحيته.

١١- ووصف مَنْكِبيه.

١٢- ووصف ذراعيه.

١٣- ووصف يديه.

١٤- ووصف ساقيه.

١٥- ووصف قدميه.

١٦- ووصف مشيه.

١٧- ووصف ظهره.

١٨- ووصف التفاته.

١٩- ووصف رائحته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢٠- ووصف خاتم النبوة.

الأول: وصف طول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

هل كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طويلا، أو قصيرا؟

كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَربُوعا.

أي معتدل الطول، **ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير.**

يعني لم يكن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طويلا جدا، ولم يكن قصيرا، بل كان بين بين.

الثاني: وصف لون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ما هو لون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَزهر اللون.

أي أبيض مُشرَب بحمرة.

ولم يكن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأبيض الأمهق.

أي لم يكن لونه شديد البياض، كلَون الحجارة البيضاء.

ولم يكن بالآدم.

يعني لم يكن شديد السمرة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنما كان أبيض مُشرب بحمرة.

وكان يُرى بياض إبطيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند سجوده، ودعائه.

يعني لم يكن تحت إبطيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شعر، فكان مثَل لون جسده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إما خِلقة، وإما لدوام نتفه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهما فلا يُبقي فيهما شعر.

الثالث: وصف أعضاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضخم الكَرَاديس.

أي عظيم الأعضاء.

والكردوس: هو كل عظمين التقيا في مفصل مثل المنكبين، والركبتين، والوَرِكين، وكانت العرب قديما تمدح بمثل هذا، وتذم صغير الأعضاء.

الرابع: وصف رأس رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضخم الرأس.

أي عظيم الرأس، وهذا ممدوح عند العرب، وذلك لدلالته علىٰ عظمة صاحبه، وإشارته إلىٰ كمال رياسته وسيادته.

الخامس: وصف شعر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حسن الشعر، وكان شديد سواد الشعر.

وكان شعره إلى أنصافِ أُذُنيه، وكان يبلغ شحمة أذنه.

الشحمة: هي ما لان من أسفل الأذن.

وكان له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شعر فوق الجُمَّة، ودون الوَفْرة.

والجمة: ما سقط من المَنْكِبين.

والوفرة: ما وصل إلىٰ شحمة الأذن.

يعني كان شعره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما بين المنكبين، وشحمة الأذن.

وكان شعره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس بالجعد القَطَط، ولا بالسَّبْط.

يعني لم يكن شديد جعودة الشعر، ولم يكن شديد نعومة الشعر، بل كان بين بين.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسدل شعره، ثم فرَق بعد.

يعني كان يتركه بدون ضم، ثم فرق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من منتصف شعره، فكان يجعل شعره شقين: شقًّا أيمن، وشقًّا أيسر.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له أربع غدائر.

أي كان يضفِّر شعره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أربعَ ضفائر.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طويل المَسْرُبَة.

المَسْرُبَة: هي الشعر الدقيق الذي يأخذ من الصدر إلىٰ السُّرة.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحب التَّيمُن ما استطاع في شأنه كله، في طهوره، وترجله، وتنعله.

يعني النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يحب أن يبدأ باليمين في وُضوئه، وغُسْلِه، وتسريحه شعره، وعند لُبس النعل.

السادس: وصف شَيْب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شعره قليل من الشيب، وإنما كان البياض في عَنْفَقَتِهِ، وفي الصُّدْغَيْن، وفي الرأس نُبَذ.

يعني الشيب كان في عنفقته، **والعنفقة**: هي الشعر الذي ينبت تحت الشفة السفلىٰ، وفوق الذَّقن.

وكان في صُدغيه بياض.

والصدغان: مثنىٰ صدغ وهو ما بين الأذن، والعين.

وكان في رأسه نُبذ.

أي شعرات بيضاء متفرقة.

وكان إذا ادَّهن لم يتبين، وإذا شعِث رأسه تبيَّن.

أي كان إذا وضع الدُّهن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شعره لم يظهر الشيب، وإذا شعث رأسه، أي تفرق شعر رأسه ظهر الشيب.

وهذا يدل علىٰ أن الشعرات البيضاء كانت قليلة في شعره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وتُوفي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وليس في رأسه، ولحيته عشرون شعرةً بيضاء.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخضب شعره.

أي بالحناء.

السابع: وصف وجه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحسن الناس وجهًا، وأحسنَه خَلقًا.

وكان وجهه مليحًا أبيضَ مثل القمر.

أي في الحسن، والجمال، والاستدارة.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جميل دوائر الوجه.

أي كان حسن أطراف الوجه.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا سُرَّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُفاضَّ الجبين.

أي واسع الجبين.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسِيل الخَدين.

أي مستوِ الخدين غير مرتفع الوَجْنتين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الثامن: وصف عيني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طويلَ شَق العين، عظيم العينين.

أي واسع العينين.

مُشْرب العين بحمرة.

وكان أسود الحَدَقة.

الحدقة: السواد المستدير وسط العين.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَدِبَ الأشفار.

الأشفار: شعر الأجفان، والمعنىٰ كان شعر أجفانه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طويلا.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكحل العينين.

أي شديد سواد أجفان عينيه.

وكانت تنام عيناه، ولا ينام قلبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكتحل بالإثمِدِ ثلاثا في كل عين كلَّ ليلةٍ قبل أن ينام.

أي كان يضع الكُحْل الأسود في عينيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاث مراتٍ في كل عينٍ كلَّ ليلة قبل أن ينام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

التاسع: وصف فم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عظيمَ الفم.

أي واسع الفم، والعرب كانت تمدح بذلك، وتَذم بصغر الفم.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حسن الثغر.

الثغر: هو مُقَدَّمُ الأسنان، يعني كان مُقَدَّمُ أسنانه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جميلا.

العاشر: وصف لحية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيرَ شعر اللحية، قد ملأت لحيتُه من هذه إلى هذه حتى كادت تملأ نحرَه.

أي كانت لحيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عريضة تملأ ما بين أذنيه، وكانت لحيته أيضًا طويلة تملأ نحره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والنحر: هو موضع العِقد من الصدر.

وكان ﷺ أسود اللحية.

وكان ﷺ في لحيته شعرات بيض.

وكان ﷺ في عَنْفَقَتِه شعرات بيض.

وكان ﷺ يُصَفِّر لحيته بالوَرْسِ، والزعفران.

أي كان يطَيِّبُها ﷺ بالطيب.

والوَرْس، والزعفران: من النبات طيب الرائحة.

وقيل: كان يَخْضِبُ لحيته ﷺ بالورْس، والزعفران.

الحادي عشر: وصف مَنْكِبَيْ رسول الله ﷺ

كان ﷺ بعيد ما بين المنكبين.

أي عريض أعلىٰ الظهر ﷺ.

والمنكِبان: مثنىٰ منكِب، وهو ملتقىٰ العَضُدِ بالكتف.

الثاني عشر: وصف ذراعيه ﷺ

كان ﷺ شَبْحَ الذراعين.

أي كان طويل الذراعين، وقيل: كان عريض الذراعين ﷺ.

الثالث عشر: وصف يدي رسول الله ﷺ

كانت يده ﷺ أبردَ من الثلج، وأطيبَ رائحةً من المِسك.

وكان ﷺ شَثْنَ الكفين.

أي كانت كفَّاه ﷺ تميل إلىٰ الغِلَظِ والقِصَر، ويُحمد ذلك في الرجال؛ لأنه أشد لقبضهم، وأدل علىٰ قوتهم، ويُذم في النساء، وذلك لفوات المطلوب منهن وهو الرعاية، والمراد غِلظُ العضو في الخِلقة لا في خشونة الجلد.

وكانت كفُّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ألينَ من الحريرِ، والديباج.

والديباج: نوع من الحرير.

الرابع عشر: وصف ساقَي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ

كانت لساقيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وبيصًا، وبياضًا.

والوبيص: هو البريق.

أي كانت ساقاه تبرقان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

الخامس عشر: وصف قَدَمَي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ

كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ شَثْن القدمين.

أي كانت قدماه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ تميلُ إلىٰ الغِلَظ والقِصَر، ويحمد هذا في الرجال؛ لأنه يدل علىٰ قوتهم.

وكان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ضخم القدمين.

وكان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يطأ بقدمه جميعًا ليس له أَخْمُص.

والأخْمص: هو ما دخل من باطن القدم، فلم يُصِب الأرض عند المشي.

أي كانت قدماه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ مستويةً من الأسفل.

وكان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قليل لحم العقِب.

والعقب: هو مؤخرة القدم.

وكان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يُرى بريق قدميه.

أي لمعان قدميه.

السادس عشر: وصف مَشي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ

كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ إذا مشى تكفَّأ تكفُّؤًا كأنما ينحط من صَبَب.

أي كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمشي مشيًا قويا يرفع رجليه من الأرض رفعا تامًا، لا كمن يمشي اختيالًا، ويقارب خطاه تنعما.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا مشى مشى مُجْتَمِعًا ليس فيه كَسَل.

أي كان يمشي مشيا قويا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غير مسترخٍ في المشي.

ولم يكن أحدٌ أسرع في مشيه من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كأنما الأرض تُطوى له.

أي كانت الأرض تُجمع له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تهوينًا عليه، وتسهيلًا لأمره.

السابع عشر: وصف ظهر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كان ظهرُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كأنه سبيكةُ فضة.

والسبيكة: هي القطعة المَذُوبة، والمراد تشبيهه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالقطعة من الفضة في البياض، والصفاء.

الثامن عشر: وصف التفات رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا التفتَ التفتَ جميعا.

أي كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يلوي عنقه يَمنةً، ولا يَسرةً إذا نظر إلىٰ الشيء، ولكن كان يُقْبِل جميعا، أو يُدْبِرُ جميعًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

التاسع عشر: وصف رائحة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كانت رائحته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أطيب من المسك، والعنبر.

والمسك، والعنبر: من أنواع الطِّيب.

وكأن عَرَقَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللؤلؤ.

قال العلماء: «**هذه رائحة ذاتية منبعثة من جسمه الشريف** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وليست صادرةً عن الطيب الذي يتطيب به** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

العشرون: وصف خاتم النبوة

كان خاتم النبوة شعرات بين كَتِفي رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثلَ بَيضَة الحمامة.

أي في القَدْر، والصورة وليس في اللون.

وخاتم النبوةِ من علامات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي كان أهل الكتاب يعرفونه بها.

❁❁❁

أسئلة الحلقة

السؤال الأول: اذكر بإجمال وصف طول، ولون، وأعضاء، ورأس، وشعر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

السؤال الثاني: تكلم بإجمال عن وصف وجهِ، وعينيْ، وفمِ، ولحيةِ، ومنكبيْ، وذراعي، ويديْ، وساقيْ، وقدميْ، رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

السؤال الثالث: كيف كان يمشي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ وكيف كان يلتفت؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحلقة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الإخوة الفضلاء، وأيتها الأخوات الفضليات في هذه الدورة المباركة، وهذه هي الحلقة الثانية من حلْقَات «**الدر المجتبى في وصف المصطفى** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

وفي هذه الحلقة سنتعرف إن شاء الله تعالىٰ علىٰ بعض أوصاف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخُلُقية، وهي:

١- وصف حيائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢- ووصف كلامه.

٣- ووصف إنشاده للشعر.

٤- ووصف ضَحِكه.

٥- ووصف مِزاحه.

٦- ووصف شجاعته.

٧- ووصف لباسه.

٨- ووصف ألوان لباسه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٩- ووصف ما كان يقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند لُبس ثيابه.

١٠- ووصف خَاتمه.

١١- ووصفُ نعله، وخُفه.

١٢- ووصف سيفه.

١٣- ووصف جلسته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الأول: وصف حياء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشد حياء من العذراء في خِدرها.

والعذراء: هي البِكر، وسميت بذلك؛ لأن عَذْرتها باقية، والعَذْرة هي جلدة البكارة.

والخِدر: هو الستر، وكان الخِدر يُجعل للبنت البِكر في جَنب البيت، فتمكث فيه.

والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان أشد حياء من هذه المرأة العذراء، وكان قديما يُضرب المثل بالبنت البكر في الحياء، لذلك قيل: كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشد حياء من العذراء في خِدرها.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا كره شيئًا عرَف في وجهه.

أي تغير وجهه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولم يكن صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يواجه أحدًا بما يكرهه، وإنما كان أصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يعرفون كراهته للشيء بتغير وجهه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الثاني: وصف كلام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا حدَّث الناس حديثا لو عَدَّهُ العادُّ لأحصاه.

يعني لو عدَّ أحد المستمعين لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلماتِ حديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاستطاع أن يعدَّها، وذلك لقلة كلماته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولم يكن صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسرُد الحديث سردا.

يعني ما كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتكلم بسرعة، وإنما كان يتكلم بتؤدة، وبُطئ.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا؛ حتى تفهم عنه.

والمراد بالكلمة هنا: الجملة.

الثالث: وصف إنشاد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للشعر

كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتمثل بشعر ابن رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويقول: «ويأتيك بالأخبار من لم تُزوِّدِ».

ومعنى: «يتمثل»: أي ينشر.

ومعنى: «من لم تزوِّد»: أي من لم تزوده بالزاد، والزاد هو طعام يُتخذ للسفر.

وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يردد هذا الكلام، وما كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يؤلِّف الشعر، إنما كان يقوله عن غيره.

وقد دمِيَتْ إصبعُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعض المغازي، فقال:

هلْ أنتِ إلا إصبَعٌ دَميتِ ... وفي سبيل الله ما لاقيتِ

ومعنى: «دَميت»: أي جُرِحت، وخرج منها الدم.

هذا البيت الذي كان يقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو من شعر ابن رَواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «أصدقُ كلمةٍ قالها الشاعرُ كلمة لبيد: ألا كل شيءٍ ما خلا اللّهَ باطلٌ».

ولبيد هذا من شعراء الجاهلية.

ومعنى قوله: «ألا كل شيءٍ ما خلا الله باطلٌ»: أي كل شيء من أمور الدنيا التي لا تؤول إلىٰ طاعةِ الله، ولا تُقَرِّبُ منه فهي باطلٌ قابل للفناء والزوال، وأما ما قَرب من الله تعالىٰ فليس بباطل.

وكان أصحابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتناشدون الشعر، ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت، فربما يتبسم معهم.

يعني كان يسمع صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما يقولون من أشعار.

وقال الشريد بن سُوَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **رَدِفْتُ رسول الله** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يوما** -أي كنتُ وراءه على دابة- **فقال: «هل معك من شعر أُمَيَّةَ بن أبي الصَّلت شيء؟»** -وأُمَيَّة هذا شاعر من شعراء الجاهلية- **قال: قلت: نعم، قال: «هِيهْ»** -يعني أَخبرني بشيء منه- **قال: فأنشدته بيتًا، فقال: «هِيهْ»، ثم أنشدته بيتًا، فقال: هِيهْ، حتى أنشدته مائةَ بيت.**

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يضع لحسَّان مِنبرًا في المسجد يقوم عليه قائمًا يُنافِحُ عن رسول الله** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أي يدافع عنه- **ويقول** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما يُفاخر، أو يُنَافح عن رسول الله** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**».**

أي أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يؤيد حسان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ما دام يدافع عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو يفاخر؛ لأجل مكانته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكان يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لحسان: «اهْجُ المشركين فإن جبريلَ معك».**

أي اذكر مساوئ المشركين دفاعًا عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الرابع: وصف ضَحِك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أكثر الناس تبسمًا.**

أي كان يتبسم كثيرًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تبسُّمُك في وجه أخيك صدقة**».

يعني كلما تبسم الواحد منا في وجه أخيه المسلم، كُتِبَت له صدقة، كذلك المرأة إذا تبسمت في وجه أختها المسلمة كُتِبَت لها صدقة.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إذا ضحك، لم يضحك حتى تُرى منه لهواتُه، إنما كان يتبسم.**

يعني ما كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يضحك حتى ترى لهواته، واللهوات: جمع لُهاة، وهي اللحمة المتعلقة في أعلى الحنك، وترى عند الضحك الشديد.

وكان ﷺ إذا ضحك بدت نواجذه.

النواجذ: هي الأسنان التي تظهر عند الضحك، وهي الأنياب.

وما رأى ﷺ أحدًا من أصحابه إلا تبسم في وجهه.

هذا من السُّنة إذا رأيت أخاك المسلم فتبسم في وجهه.

وكان ﷺ لا يقوم من مُصَلَّاه الذي يصلي فيه الصبح حتى تَطلُع الشمس.

أي كان النبي ﷺ إذا صلىٰ الفجر جلس في مصلاه الذي صلىٰ فيه يذكر الله عَزَّ وَجَلَّ حتىٰ تطلع الشمس، فإذا طلعت قام.

وكان أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يتحدثون، فيأخذون في أمر الجاهلية، يذكرون ما حدث معهم في الجاهلية قبل الإسلام، فيضحكون، ويتبسم ﷺ.

الخامس: وصف مزاح رسول الله ﷺ

كان النبي ﷺ يقول لأنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يا ذا الأُذنين».

يعني يا صاحب الأُذنين، وكل إنسانٍ له أذنان، وكان النبي ﷺ يقول ذلك لأنس مُداعبةً.

وقال بعض أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: يا رسول الله إنك تداعبنا -أي تمازحنا- **قال: «إني لا أقول إلا حقا».**

أي لا أتكلم بكلامٍ كذِب.

وقال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنْ كان النبي ﷺ ليخالطنا -أي يلاطفنا بالمزاح- **حتى يقول لأخٍ لي صغير: «يا أبا عُمَير ما فعل النُغَير؟».**

والنُّغير: تصغير نُغر، وهو طائر يُشْبِهُ العصفور، كان أخو أنسٍ يلعب به، فمات فدخل عليه النبي ﷺ ذات يومٍ فرآه حزينًا، فقال: «**ما شأْنُه؟**» فقال: مات نُغْرُه، فقال ﷺ هذا الحديث.

وأتى النبي ﷺ زاهرًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يومًا وهو يبيع متاعه في السوق، وكان

النبي ﷺ **يحبه، وكان رجلًا دميما** -أي قبيح الصورة- **فاحتضنه** ﷺ **من خلفه، وجعل النبي** ﷺ **يقول: «من يشتري العبد؟»، فقال: يا رسول الله إذن والله تجدني كاسدا** -أي رخيصًا لا ثمن لي-، **فقال النبي** ﷺ: **«لكن عند الله أنت غال».**

وقد فعل ﷺ هذا مع زاهر مداعبةً له.

وأتت عجوزٌ إلى النبي ﷺ **فقالت: يا رسول الله ادعُ الله أن يدخلني الجنة، فقال: «يا أم فلان، إن الجنة لا تدخلها عجوز»، فولّت تبكي.**

لأن هذه المرأة فهمت من كلام النبي ﷺ أنها لا تدخل الجنة، فبكت.

فقال ﷺ: **«أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾ [الواقعة:٣٥-٣٧]».**

ومعنى قوله: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾﴾: أي أعددناهن في النشأة الآخرة بعدما كنَّ عجائز صِرْنَ أبكارا.

ومعنى قوله: ﴿عُرُبًا﴾: أي بعد الثُّيوبةِ عُدنَ أبكارًا عربًا، أي متحببات إلىٰ أزواجهن بالحلاوة والظَّرَافة.

ومعنى قوله: ﴿أَتْرَابًا﴾: أي في سنٍ واحدة، وهي ثلاثٌ وثلاثون سنة.

وأنبه هنا إلىٰ خطأٍ يقع فيه بعض الناس، وهو التكلم بكلامٍ كذب لإضحاك الناس، قد حذر النبي ﷺ من هذا، فقال ﷺ: **«ويلٌ للذي يحدِّثُ فيكذب؛ لِيُضْحِكَ به القومَ ويلٌ له، ويلٌ له».**

السادس: وصف شجاعة رسول الله ﷺ

كان رسول الله ﷺ **أشجع الناس.**

ولقد فَزِعَ أهل المدينةِ فانطلق ناسٌ قِبَلَ الصوت فتلقَّاهم رسول الله ﷺ **راجعا، وقد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرس لأبي لطلحة** رضي الله عنه

عُرْي -أي ليس عليه سُرج- **في عنقه** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **السيف، وهو يقول: «لم تُراعوا، لم تُراعوا»**، أي لن يضرَّكم شيء.

قال أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **وجدناه بحرا.**

أي وجدنا الفرس سريعا جدا.

السابع: وصف لِباس رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كان أحب الثياب إليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **القميص.**

والقميص يسميه العامة الآن بالجلابيَّة.

وكان كُمُّ قميصه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إلى الرسغ.**

والرسغ: ما بين الساعدِ، والكف.

وكان قميصه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لَمُطلقُ الأزرار.**

أي كان جيب قميصه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مفتوحًا بدون أزرار، بحيث يمكن إدخال اليد فيه من غير كُلفة.

والجيب هو فتحة في القميص تُدخل الرأس منها، والمعنىٰ قميصه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن فيه أزرار عند صدره.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يتوشَّح بثوب قِطْرِي.**

ومعنى «يتوشح»: يلقيه علىٰ عاتقيه.

والثوب القِطْرِيْ: نوع من الثياب فيه حُمرة، وله خطوط فيها بعض الخشونة.

ولبس صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **في غزوة أُحُد درعين.**

والدرع: ما يُلبسُ للحرب؛ ليقِيَ ضربات السيوف.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يضع في الحرب على رأسه مِغْفرا.**

والمِغفر: مثل الخوذة، يوضع علىٰ الرأس؛ ليقي الرأس من ضربات السيوف، ونحوها.

الثامن: وصف ألوان لباس رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كان أحب الثياب إليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحِبَرة.

الحِبَرة: هي الثياب المخطَّطة.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يلبس حُلة حمراء حِبَرة.

يعني كان يلبس صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثوبًا أحمر مخطَّطا، ولم تكن هذه الحُلة حمراء بَحْتا.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يلبس بُردين أخضرين.

أي كان يلبس ثوبين مصبوغين باللون الأخضر.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يلبس أسمال مُلَيَّتين.

أي كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يلبس مِلاءتين باليتين.

المِلاءة: ما يُوضع علىٰ السرير الآن.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يلبس مِرطًا مرحَّلًا من شعر أسود.

يعني كان يلبس صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كساءً عليه صورة الرِّحال.

الرحال: هذه التي توضع علىٰ الإبل، وهذا الكساء منسوج من الشعر.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يلبس جُبَّةً شامية ضيقة الكُمين.

الجُبَّة: كساء يلبس فوق الثياب.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يلبس عمامة سوداء، وكان يُرْخي طرفيها بين كتفيه.

وتوفي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إزارٍ غليظٍ مما يصنع باليمن، وكساءٍ مُلَبَّد.

والإزار: ما يلبس في الجزء الأسفل من الجسد، ويقوم مقامه الآن السروال.

ومعنى: «كساء ملبَّد»: أي ثوب مرقَّع.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «البسوا من ثيابكم البياض» أي الثياب البيضاء، لماذا؟ قال: **«فإنها من خير ثيابِكم، وكفِّنوا فيها موتاكم».**

قال العلماء: يُستحبُ لُبس الثياب البيضاء لهذا الحديث، ويستحب أيضًا تكفين الميت في ثياب بيضاء.

التاسع: وصف ما كان يقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند لُبس ثيابه

كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا استجدَّ ثوبًا -أي لبس ثوبًا جديدًا- **سمَّاه باسمه** -إما قميصًا، أو عمامة- **ثم يقول: «اللَّهُمَّ لك الحمد أنت كَسَوْتَنِهْ، أسألُكَ من خيرِهِ، وخيرِ ما صُنِعَ له، وأعوذُ بِك من شرِهِ، وشرِ ما صُنِع له».**

أي كان يقول إذا كان الثوب قميصًا: اللهم لك الحمد أنت كسوتني هذا القميص، أو يقول: هذا السروال إن كان الثوب سروالًا، أسألك من خيره وخير ما صُنِع له، وأعوذُ بِك من شرهِ وشرِ ما صُنِع له.

ومعنى قوله: «أسألك من خيره، وخير ما صُنِع له»: أي أسألك استعماله في الطاعة، والعبادة؛ ليكون عونًا له عليها.

ومعنى قوله: «وأعوذ بك من شره، وشر ما صُنِع له»: أي أعوذُ بك أن أستعمله في المعصية، ومخالفة أمرك يا الله.

العاشر: وصف خاتم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كان خاتم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من فضة، وكان فصه حبشيًّا.

حبشيا: أي حجرًا حبشيا مما يؤتىٰ من الحبشة، والحبشة الآن هي إثيوبيا.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجعله مما يلي بطن كفه.

أي يجعل فص الخاتم من ناحية بطن كفِّه، وليس من ناحية ظهر كفه.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يلبس خاتمه في خِنصر يده اليمنى تارة، وخنصر يده اليسرى تارة.

والخنصر: هو أصغر أصابع اليد.

وكان نقش الخاتم ثلاثة أسطر: «محمدٌ» سطر، «رسولُ» سطر، «اللهِ» سطر.

وهنا فائدة:

وهي أن خاتم رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان مكتوبا عليه «محمدٌ رسولُ الله»، **محمدٌ** في السطر الأعلىٰ، **ورسولُ** في السطر الأوسط، **واللهِ** في السطر الثالث والأخير، أما قول بعض الشيوخ: إن كتابته كانت من أسفل إلىٰ فوق يعني لفظ الجلالة في السطر الأعلىٰ، ثم رسول في السطر الثاني، ثم محمد في السطر الثالث، فهذا لا دليل عليه بل جاء في روايةٍ: «**أن محمدًا سطر، والسطر الثاني رسول، والسطر الثالث الله**».

يعني الخاتم المنتشر الآن المكتوب عليه «محمد رسول الله» الله في السطر الأعلىٰ، ورسول في السطر الثاني، ومحمد في السطر الأسفل الثالث، هذا خطأ غير صحيح.

الصحيح أن محمد في السطر الأول، ورسول في السطر الثاني، والله في السطر الثالث، كما ذكر ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب «**فتح الباري**».

الحادي عشر: وصف نعل وخُف رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كان رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يلبس نعلين جَرْداوين لهما قِبَالان.

ومعنى: «**جرداوين**»: أي باليين، قديمين لا شعر عليهما.

ومعنى: «**لهما قبالان**»: أي لكل نعل زمامان يُجعلان بين أصابع الرجلين الوسطىٰ والتي تليها، والقِبال هو زمام النعل، وهو السير الذي يكون بين الأصبعين، ويسمىٰ الآن بالشبشب، أعزكم الله.

وكان صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يلبس نعلين مخصوفتين.

أي مرقَّعَتين.

وكان صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يلبس خفين أسودين سَاذَجين أهداهما إليه النجاشي.

ومعنى: «**سَاذَجين**»: أي سادَة لا يخالطهما غير السواد.

وكان صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يلبس النعال السِّبتية.

أي المصنوعة من الجلد، وليس فيها شعر.

الثاني عشر: وصف سيف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كانت نعل سيف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من فضة.

نعل السيف: تكون في أسفله.

وكانت قبيعة سيفه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من فضة.

قبيعة السيف: هي قبضة السيف التي يمسك بها، وهي تكون علىٰ رأس قائم السيف.

وما بين النعل، والقبيعة حِلقُ فضة.

الثالث عشر: وصف جلسة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقعد القُرْفُصاء مُتخشِّعا في جلسته.

أي كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجلس علىٰ أليَتيه، ويلصق بطنه علىٰ فخديه، ويدير يديه علىٰ ساقيه بحيث يقبضهما ببعضيهما.

وقيل: القُرْفُصاء: هو أن يجلس علىٰ ركبتيه متكئا، ويُلصق بطنه بفخديه، ويضع كفيه تحت إبطيه.

ومعنى قوله: «متخشّعا في جلسته»: أي متواضعا.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجلس مُحتبيًا بيده.

أي جامعا ظهره، وساقيه بشيء يشدهما.

وقيل: هو أن يقعد علىٰ مَقعدته، وينصب ساقيه، ويدير عليهما ذراعيه، ويديه.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتكئ على وسادة من آدم حشوها ليف على يساره.

الوسادة: هي المخدَّة.

والآدم: هو الجلد.

يعني هذه الوسادة من جلد فيها ليف من الداخل بدلا من القطن، والإسفنج ليف النخل.

وكان ﷺ يستلقي في المسجد على ظهره واضعا إحدى رجليه على الأخرى.

يعني كان ينصب رجلا ويضع الأخرىٰ عليها، أو كان يمدُّ رجلا، ويضع فوقها الأخرىٰ بحيث لا تظهر عورته ﷺ.

أسئلة الحلقة

السؤال الأول: اذكر بإجمال صفة كلام، وضحك، ومزاح، وشجاعة رسول الله ﷺ.

السؤال الثاني: ماذا كان يلبس رسول الله ﷺ؟ وما هي ألوان لباسه ﷺ؟

السؤال الثالث: ماذا كان يقول ﷺ عند لبس ثيابه؟

السؤال الرابع: ما صفة نعل، وخف، وجلسة رسول الله ﷺ؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحلقة الثالثة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الإخوة المؤمنون، وأيتها الأخوات المؤمنات في هذه الدورة المباركة، وهذه هي الحلقة الثالثة من «**الدُّر المجتبى في وصف المصطفى** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

وفي هذه الحلقة نتعرف إن شاء الله تعالىٰ علىٰ بعض أوصاف النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخُلُقية، وهي:

١٤- وصف كيفية أكله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

١٥- ووصف طعامه.

١٦- وفاكهته.

١٧- وما كان يقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل وبعد الأكل.

١٨- ووصف شرابه.

١٩- وكيفية شرابه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢٠- ووصف جوعه.

٢١- وتعطره.

٢٢- ونومه.

٢٣- وفراشه.

٢٤- واستيقاظه.

٢٥- وقيامه لليل.

٢٦- وتطوعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الرابع عشر: وصف كيفية أكل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأكل بثلاثة أصابع، وهي الإبهام، والسباحة، والوسطىٰ.

فالأكل بثلاثة أصابع سُنَّة، فلا يضم إليها الرابعة، والخامسة إلا لعذر كأن يكون الطعام مَرَقا، أو غيره.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا فرغ من طعامه لَعَق أصابعه الثلاثة قبل أن يمسحها.

ومعنى: «لعق»: أي لحس، فهذه سُنة.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمر بلعق الأصابع والصحفة، أي الطبق، أو الإناء الذي يؤكل فيه.

ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنكم لا تدرون في أي طعامه البركة**».

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأكل مقعيًا.

أي جالسًا علىٰ أليته ناصبًا ساقيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأكل محتفِزًا أكلًا ذريعًا للحاجة.

أي كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأكل مستعجلًا غير متمكِّن علىٰ الأرض، وذلك لانشغاله بأمور أخرىٰ، وكان يُسرع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأكل؛ ليقضي حاجته منه، ويرد الجَوعة، ثم يذهب في ذلك الشغل.

وما عاب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طعامًا قط إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إذا وقعتْ لقمة أحدكم فليأخذها، فليُمِط ما كان بها من أذى، وليأكلها».

«**يمط**»: يعني يُزِل.

يعني يستحب أكل اللقمة الساقطة إن لم تتلوث بنجاسة، أما إن كانت تلوثت بنجاسة فحينئذ لا تؤكل، فإن كان فيها تراب أو نحوه أُزيل هذا التراب، وأُكلت.

قال: «**ولا يدعها للشيطان**»: أي لا يتركها للشيطان، «**ولا يمسح يده بالمنديل حتى يَلعق أصابعه**».

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يأكل متكئًا، وما أكل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على سُكْرُجَة قط.

السُكرُجَة: هي إناء صغير يوضع فيه المشهِّيات، كالسَّلَطة، والفُجل، والجرجير، ونحو هذا.

قال العلماء: تركه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأكل في السُّكْرجة إما لكونها لم تكن تصنع عندهم إذ ذاك، أو استصغارا لها؛ لأن عادتهم الاجتماع علىٰ الأكل، أو لأنها كانت تُعد لوضع الأشياء التي تعين علىٰ الهضم، ولم يكونوا غالبا يشبعون، فلم يكن لهم حاجة بالهضم.

يعني لا حرج أن يأكل المسلم علىٰ سُكْرجة، وإنما لم يأكل عليها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لعدم وجودها غالبا في زمانه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وما أكل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على خِوَانٍ قط.

الخوان: هو مائدة مرتفعة علىٰ الأرض يسمىٰ الآن بالطاولة، أو المنضدة، أو السُّفْرة، وإنما كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأكل علىٰ السُّفَر.

والسُّفَر: جمع سُفرة، وهي جلد مستدير حوله حِلَق من حديد يضم به، ويعلق، ويفرش علىٰ الأرض عند الأكل مثل المفرش حاليا.

والسُّفْرة: هنا بخلاف السفرة التي في عرف الناس اليوم، فالسفرة علىٰ عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت مثل المفرَش عندنا الآن، أما السفرة الآن هي الطاولة، أو المنضدة التي يُجلس عليها بالكَراسي.

الخامس عشر: وصف طعام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحب الدُّبَّاء.

والدباء: هو القَرْع.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعجبه الذِّراع.

أي ذراع الشاة.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعجبه الثُّفْل.

والثُّفْل: هو ما بقي في آخر الإناء من طعام، وقيل: ما يلتصقُ بالقِدر.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتتبع الدباءَ من حَوَالَي الصحفة.

أي من جوانب الطبق، أو الإناء الذي يؤكل فيه.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفعل هذا؛ لأجل أنه لا يتقذره أحد، بل كان أصحابه يتبركون بآثاره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وإنما نهىٰ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث آخر عن الأكل من جميع جوانب الصحفة؛ لئلا يُتَقذر منه.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأكل الدَّجاج.

وقُرب إليه جَنبٌ مشوي فأكل منه.

الجنب: هو ضلع الشاة.

وأكل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أصحابه شِواءً في المسجد.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبيت الليالي المتتابعة طاويًا، وأهله لا يجدون عَشَاء.

يعني كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبيت الليالي جائعا وأهله، وهم زوجاته لا يجدون شيئًا يأكلونه في العشاء.

وكان أكثر خبزهم خبز الشعير، وما شبع آل محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منذ قدم المدينة من طعام البر ثلاث ليال تباعًا حتى قُبض.

يعني لم يَشبع آل محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم زوجاته منذ أن هاجر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ المدينة من طعام البُر، وهو القمح ثلاث ليال تباعا، أي متتالية حتىٰ مات صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وما خُبِز له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرَقَّقٌ قط.

والمرقَّق هو خبز رقيق.

وما أكل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّقيَّ من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله.

والنقي: هو الدقيق الأبيض الخالص.

وما كان يجد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الدَّقَلِ ما يملأ به بطنه.

أي ما كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجدُ من رديء التمر ما يملأ به بطنه.

وسأل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهله أُدُمًا، فقالوا: ما عندنا إلا خَل، فدعا به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجعل يأكل به ويقول: «نِعْمَ الأُدُم الخل، نِعْم الأُدْم الخل».

يعني يمدحه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «كلوا الزيت -أي زيت الزيتون- **وادَّهِنوا به** -أي ادهنوا به أجسادكم، وشعوركم- **فإنه من شجرة مباركة».**

وأولم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين بنى بزينب بنت جَحش، فأشبع الناس خبزا، ولحمًا.

وأولم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين بنى بصفية بنت حُيَي بِحَيس.

«**بنى**»: يعني دخل بها.

والحيس: هو تمر يُنزع نواه، ويُدق مع جُبن مجفَّف ويعجنان بالسمن، ثم يدلك باليد حتىٰ يبقىٰ كالثريد، وربما جُعل معه دقيق، يعني الحيس هذا تمر مخلوط بجُبن مُجَفف، أو دقيق.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يدخر شيئًا لغد.

أي كان لا يدخر شيئًا لنفسه لليوم التالي.

وما أمسى عند آل محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صاع بُر، ولا صاع حَب، وإن عنده لتسع نسوة.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحبس لأهله قوتَ سنتِهم.

أي كان يدخر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لزوجاته ما يكفيهم سنة من ثمر النخل، فلولا زوجاته ما ادَّخر شيئًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لعُرْوَة: «ابنَ أختي إن كنا لننظر إلى الهلال، ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين، وما أُوقدتْ في أبيات رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نار».

يعني ما كانوا يطبخون شيئًا من اللحم، وغيره.

قال عروة: يا خالة؛ ما كان يعيشكم؟

عروة هو ابن أسماء أخت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قالت: «الأسودان: التمر، والماء إلا أنه قد كان لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جيران من الأنصار كانت لهم منائح».

المنائح: جمع منيحة، وهي البهيمة التي تحلب، كانوا قديما يعطونها لبعضهم يشربون لبنها، ثم تُرد إلىٰ صاحبها بعد ذلك.

«وكانوا يمنحون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ألبانها فيسقينا».

السادس عشر: وصف فاكهة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأكل الرُّطب بالقِثَّاء.

والرطب: هو ثمر النخل قبل أن يصير تمرًا.

والقِثاء: هو الخيار، أو العَجُّور، أو الفَقُّوس.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأكل البطيخ بالرُّطب، ويقول: «نكسر حر هذا بِبَرد هذا، وبَرد هذا بحَرِّ هذا».

يعني البطيخ فيه برودة، والرُّطب فيه حرارة، فكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجمع بينهما حتىٰ يذهب حر الرُّطب، ببَرد البِطيخ.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يجمع في الأكل بين الرطب، والخِربِز.**

والخِربز: بطيخ أصفر.

وكان الناس إذا رأوا أول الثمر جاؤوا به إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فإذا أخذه رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال: «اللّٰهُمَّ بارك لنا في ثمرنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مُدِّنا، اللّٰهُمَّ إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك، وإني عبدك ونبيك، وإنه دعاك لمكة، وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه»، ثم يدعو** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أصغر وليد له فيعطيه ذلك الثمر.**

السابع عشر: وصف ما كان يقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل وبعد الأكل

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لصبي: «يا غلام، سم الله** -أي قل: بسم الله- **وكُل بيمينك** -أي كل بيدك اليمنىٰ- **وكل ممَّا يليك»**، أي من أمامك.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لمن لم يذكر الله في أول طعامه: «إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى، فإن نسي أن يذكر اسم الله تعالى في أوله فليقل: «بسم الله أولَه وآخره».**

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إذا انتهى من طعامه قال: «الحمد لله كثيرا طيبا مباركا فيه غير مَكْفِيٍّ، ولا مُودَّعٍ، ولا مُستغنىً عنه ربَّنا».**

ومعنى: «طيبا»: أي خالصا، و**«مباركا»**: أي كثير البركة، والبركة هي الزيادة.

ومعنى: «غير مَكْفي»: أي ما أكلناه ليس كافيا عما بعده، بل نعمك يا ربنا مستمرة علينا لا تنقطع طول أعمارنا.

ومعنى قوله: «ولا مُوَدَّع»: أي ليس هذا الطعام آخر طعامنا.

ومعنى قوله: «ولا مستغنى عنه»: أي لا نستطيع أن نستغني عن هذا الطعام.

وكان ﷺ يقول: «من أكل طعاما، ثم قال: الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حولٍ مني، ولا قوة غُفر له ما تقدم من ذنبه».

الثامن عشر: وصف شَراب رسول الله ﷺ

كان رسول الله ﷺ يحب الحلواء، والعسل.

أي كان يحب ﷺ كل شيء حلو.

وكان أحب الشراب إلى رسول الله ﷺ الحلو البارد.

وكان له ﷺ قَدَح يشرب فيه، فانكسر فاتخذ مكان الشَّعب -أي الكسر- **سِلسلة من فضة.**

أي لَحَمه ﷺ بالفضة.

التاسع عشر: وصف كيفية شراب رسول الله ﷺ

كان رسول الله ﷺ يشرب قائما وقاعدا، وإنما كان يشرب قائما للحاجة.

وزجر ﷺ عن الشرب قائما.

وكان ﷺ يشرب من فِيِّ قِربة معلَّقة قائمًا.

«**من فِي قِرْبة**»: أي فم قربة، وكان يشرب منها قائما للحاجة؛ لعله ﷺ لم يجد إناء يشرب فيه.

ونهى ﷺ أن يُشرب من فِي السقاء.

أي من فم القِدر.

وكان ﷺ يتنفس في الإناء ثلاثا.

أي إذا شرب ﷺ أخرج نفَسه، ونفخ خارج الإناء ثلاث مرات، وليس المراد التنفس داخل الإناء.

ونهى ﷺ أن يُتنفس في الإناء، أو يُنفخ فيه.

قال العلماء: يُكره النفخ في الشراب، وإن كان ساخنا.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يشرب بيمينه.**

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يقول: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأَكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشَّرْبة فيحمده عليها».**

العشرون: وصف جُوع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **خرج رسول** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **ذات يوم، أو ذات ليلة، فإذا هو بأبي بكر، وعمر، فقال: «ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟».**

قالا: الجوع يا رسول الله.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«وأنا، والذي نفسي بيده لأخرجَني الذي أخرجكما، قوموا».**

يعني أخرجني الجوع كما أخرجكم.

فقاموا معه، فأتى رجل من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته المرأةُ، قالت: مرحبًا، وأهلا.

فقال لها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أين فلان؟».**

قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء.

أي يأتي لنا بالماء العذْب.

قال: إذ جاء الأنصاري، فنظر إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وصاحِبيه، ثم قال: الحمد لله ما أحدٌ اليوم أكرم أضيافا مني، فانطلق فجاءهم بعِذْقٍ فيه بُسْرٌ، وتمرٌ، ورُطبٌ.**

العذق: هو الغصن، غصن النخل، **والبُسْر**: هو المتلوِّن من ثمر النخل.

فقال لهم: كلوا من هذه، وأخذ المدية، أي السكين.

فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إياك والحلوبَ».**

أي احذر ذبح الشاة الحلوب ذات اللبن.

فذبح لهم الأنصاري، فأكلوا من الشاة، ومن ذلك العذق، وشربوا، فلما أن شبعوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «والذي نفسي بيده لتُسئلن عن هذا النعيم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم».

قال العلماء: في هذا استحباب المبادرة إلىٰ الضيف بما تيسر، وإكرامه بعده بطعام كما فعل هذا الرجل الأنصاري.

الحادي والعشرون: وصف تعطر رسول الله ﷺ

كان للنبي ﷺ سُكَّةٌ يتطيب منها.

السُّكَّة: نوع من الطيب.

وكان ﷺ لا يرد الطيب.

أي إذا أُهدِيَ إليه الطيب كان لا يرده ﷺ.

وقال ﷺ: «من عُرض عليه رَيحان فلا يرده»، والريحان: نبات طيب الريح **«فإنه خفيف المَحمِل طيب الريح».**

وقال ﷺ: «طيب الرجال ما ظهر ريحه، وخفي لونه، وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه».

يعني طيب الرجال، كماء الورد، والمسك، والعنبر، أما طيب النساء، كالزعفران، والحناء، وإن كانت المرأة عند زوجها جاز لها أن تتطيب له بما شاءت، أما إن خرجت من بيتها فلا تضع الطيب.

الثاني والعشرون: وصف نوم رسول الله ﷺ

كان رسول الله ﷺ إذا آوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما -النفث: نفخ مع شيء من البزاق- **فقرأ فيهما** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق:١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾

[الناس:١] -أي كان يقرأ هذه السور الثلاثة في كفيه- **ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه، ووجهه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات.**

يعني يقرأ في كفيه السور الثلاثة، ثم يمسح، ثم يقرأ، ثم يمسح، ثم يقرأ، ثم يمسح، يفعل ذلك ثلاث مرات، كل مرة يجمع كفيه وينفث فيهما ويقرأ ويمسح، يبدأ برأسه، ووجهه، وما أقبل من جسده.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يقول عند نومه: «الحمد لله الذي أطعمنا، وسقانا، وكفانا، وآوانا، فكم ممن لا كافي له، ولا مُؤوِي»** أي لا راحم، ولا عاطف عليه، **ثم يضطجع** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **على شقه الأيمن، ثم يقول: «اللّٰهُمَّ أسلمتُ نفسي إليك، ووجهتُ وجهي إليك، وفوضتُ أمري إليك، وألجأتُ ظهري إليك، رغبةً ورهبةً إليك** -رغبة في ثوابك، ورهبة من عذابك-، **لا ملجأ، ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت».**

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«من قالهن، ثم مات من ليلته مات على الفِطرة».**

أي مات علىٰ الإسلام.

ثم يضع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يده اليمنى تحت خدّه الأيمن، ثم يقول: «اللّٰهُمَّ باسمك أموتُ، وأحيا»، ويقول: «ربي قني عذابك يوم تبعثُ عبادك».**

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إذا اضطجع نام حتى نفخ** -أي خرج نَفَسٌ من أنفه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - **فإذا أتاه بلال فآذنه بالصلاة** -أي أعلمه بوقت الصلاة- **قام فصلى ولم يتوضأ،** وهذا خاص بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: **يا رسول الله أتنام قبل أن تُوتِر؟ فقال: «يا عائشة إن عينيَّ تنامان، ولا ينام قلبي».**

الثالث والعشرون: وصف فراش رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

إنما كان فراش رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **الذي ينام عليه أَدَما، حشوهُ ليف.**

أي كان جلدا مدبوغا فيه من ليفِ النخل.

وكان ﷺ يضطجع على رمال حصير ليس بينه، وبينه فِراش.

الرمال: حصير منسوج من سَعَف النخل.

وكان يتكئ ﷺ على وسادة من أَدَم حشوها ليف.

الليف: هو قشر النخل.

الرابع والعشرون: وصف استيقاظ رسول الله ﷺ

كان رسول الله ﷺ إذا استيقظ من الليل جلس يمسح النوم عن وجهه بيده.

يعني يمسح أثر النوم بيده عن وجهه.

ويقول: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا، وإليه النشور».

ثم يقرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران من الآية التسعين بعد المائة إلى آخر السورة، ثم يقوم إلى شَنٍّ معلقة -أي قِربة معلقة في البيت- فيتوضأ، فيحسن وضوءه، ثم يقوم يصلي ﷺ.

الخامس والعشرون: وصف قيام ليل رسول الله ﷺ

كان رسول الله ﷺ يقوم ليصلي الليل حتى ترم قدماه -أي حتىٰ تتورم قدماه- فقالت عائشة: يا رسول الله أتصنع هذا، وقد غُفر لك ما تقدم من ذنبك، وما تأخر؟ فقال ﷺ: «أفلا أكون عبدا شكورا؟».

أي أكثر من العبادة.

وكان ﷺ ينام أول الليل، ويقوم آخره فيصلي إحدى عشرة ركعة، يسلم بين كل ركعتين، ويوتر بواحدة، ثم إن كانت له حاجة إلى أهله قضى حاجته -أي إن أراد أن يجامع أهله جامعهن- ثم يرجع إلى فراشه، فإذا أذن المؤذن وثب -أي قام- فإن كان به حاجة اغتسل -أي كان به أثر جنابة اغتسل- وإن لم يكن جُنبا توضأ وضوء الرجل للصلاة، وصلى ركعتين خفيفتين، ثم

اضطجع على شقه الأيمن حتى يجيء المؤذن فيُؤْذِنه فيخرج.

أي يُعلِمه بقرب الإقامة فيخرج صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قام من الليل ليصلي افتتح صلاته بركعتين خفيفتين.

وما كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يزيد في رمضان، ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة يصلى أربعة، فلا تَسلْ عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعة -أي مثنىٰ مثنىٰ- فلا تسل عن حسنهن، وطولهن، ثم يصلي ثلاثا.

ولم يصلِّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاة الليل قاعدا قط حتى كان قبل وفاته بعام، فكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلى قاعدا، فيقرأ وهو جالس، فإن بقي من قراءته نحو من ثلاثين أو أربعين آيه قام فقرأها وهو قائم، ثم يركع، ثم يسجد يفعل في الركعة الثانية مثل ذلك.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها.

أي كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرتل السورة حتىٰ تصير أطول من السورة التي هي أطول منها.

وقام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة بآية من القرآن يرددها، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي ليلًا طويلًا قائمًا، وليلًا طويلًا قاعدًا، وكان إذا قرأ قائمًا ركع قائمًا، وإذا قرأ قاعدًا ركع قاعدًا.

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: صليت مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة فلم يزل قائمًا حتى هممتُ بأمر سوء، قيل: وما هممت؟ قال: هممت أن أقعد وأذرَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا فاتته الصلاة من الليل من وجع -أي مرض، أو غيره- صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة.

السادس والعشرون: وصف تطوع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصلاة

كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي في بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قبل الظهر أربعا،

ثم يخرج فيصلي بالناس، ثم يدخل فيصلي ركعتين، وكان يصلي بالناس المغرب، ثم يدخل فيصلي ركعتين، ويصلي بالناس العشاء، ويدخل بيت عائشة فيصلي ركعتين، وكان إذا طلع الفجرُ صلى ركعتين.

أي كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي السنن في البيت.

وكان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي قبل العصر أربعًا يفصل بين كل ركعتين بالتسليم على الملائكة المقرَّبين والنبيين والمرسلين، ومن تبعهم من المؤمنين والمسلمين.

أي كان يقول التشهد بعد كل ركعتين.

وكان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي الضحى أربعًا، ويزيد ما شاء الله.

وكان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي الضحى ستَّ ركعات.

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ابنَ آدم صلِّ لي أربع ركعات من أول النهار أكفِك آخره».

يعني من صلىٰ الضحىٰ أربعًا، ركعتين ركعتين كفاه الله عَزَّ وَجَلَّ هَم وغم هذا اليوم.

❁❁❁

أسئلة الحلقة

السؤال الأول: اذكر بإجمال صفة طعام، وفاكهة، وشراب، وتعطر، ونوم، وفراش، واستيقاظ، وقيام رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

السؤال الثاني: ما كان يقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل، وبعد الأكل؟

السؤال الثالث: أين كان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي النوافل؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحلقة الرابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الإخوة، والأخوات في هذه الدورة المباركة، وهذه هي الحلقة الرابعة من حلْقَات «**الدر المجتبي في وصف المصطفى** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، وفي هذه الحلقة نتعرف علىٰ بعض أوصاف النبي الخُلُقية وهي:

٢٧- وصف تطوع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصلاة في البيت.

٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢- ووصف صدقة، وصوم، وقراءة، وبكاء، وتواضع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣٣- ووصف تعامل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع الناس.

هذا المُجمل، وإليكم التفصيل:

السابع والعشرون: وصف تطوع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصلاة في البيت

كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصلي في بيت عائشة قبلَ الظهر أربعا، ثم يخرج فيصلي بالناس، ثم يدخل فيصلي ركعتين، وهما سنة الظهر البعدية، **وكان يصلي بالناس المغرب، ثم يدخل فيصلي ركعتين، ويصلي بالناس العشاء، ويدخل بيت عائشة فيصلي ركعتين، وكان إذا طلع الفجرُ صلى ركعتين.**

وسأل عبد الله بن سعدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أيُّما أفضل، الصلاة في بيتي، أم الصلاة في المسجد؟

فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ألا ترى إلى بيتي ما أقربه إلى المسجد؟ -وكان بيت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ملاصقا للمسجد- **فلأن أصلي في بيتي أحب إليَّ من أن أصلي في المسجد إلا أن تكون صلاةً مكتوبة».**

يعني يصلي كل السنن في البيت إلا الصلوات المكتوبات، فيصليها في المسجد، هذا فيه أن صلاة السنة في البيت أفضل من صلاتها في المسجد.

الثامن والعشرون: وصف صدقة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجودَ الناس.

يعني كان أكثر الناس جُودًا، وكرمًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لو كان لي مثل أُحُد ذهبا ما يَسرُّني إلا أن يمر عليَّ ثلاث وعندي منه شيء إلا شيئًا أُرْصِدُهُ لِدَيْن».

يعني لو كان عند النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثلُ جبل أحد ذهبا لأنفقه قبل أن تمر عليه ثلاث ليال، ولم يترك منه شيئًا إلا ما يحفظه لقضاء دَين عليه.

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لو كان لي عددُ هذه العِضاهِ نَعَمًا لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلا، ولا كذوبًا، ولا جَبانًا».

والعِضاه: هي كل شجرٍ عظيمٍ له شوك، **والنَّعَم**: هي الإبل.

وهذا مثال ضربه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للكثرة، يعني لو كان عنده من الإبل الكثير لقسمها بين أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

وسأل رجل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غنما بين جبلين فأعطاه إياه، فأتى الرجل قومه، فقال: أيْ قوم أسلموا؛ فوالله إن محمدًا ليعطي عطاءً ما يخاف الفقر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

التاسع والعشرون: وصف صوم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ما صام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شهرًا كاملًا قطُّ غيرَ رمضان.

وكان يصوم حتى يقول القائل: لا والله لا يُفْطِر، ويُفطِر إذا أفطر حتى يقول القائل: لا والله لا يصوم.

يعني كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتابع الصيام حتىٰ يظن الناس أنه لا يفطر، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتابع الفطر حتىٰ يظن الناس أنه لا يصوم.

ولم يكن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الشهر من السنة أكثر صيامًا منه في شعبان.

يعني كان أكثر ما يصوم في شهر شعبان.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصوم من غُرَّة كل شهر ثلاثة أيام.

يعني كان يصوم ثلاثة أيام من كل شهر هجري.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصوم من كل شهر ثلاثة أيام، ولم يكن يبالي من أيِّ أيام الشهر يصوم.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَحَرَّى صوم الاثنين، والخميس.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «تُعْرض الأعمال يوم الاثنين والخميس -أي علىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- **فأُحب أن يُعرض عملي وأنا صائم».**

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصوم يوم عاشوراء -وهو العاشر من شهر الله المحرَّم- **فلما قدِم المدينة صام، وأمر بصيامه، فلمَّا فُرِض رمضان ترك يوم عاشوراء، فمن شاء صامه، ومن شاء تركه.**

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صيام يوم عرفةَ أحتسب على الله أن يُكَفِّرَ السَّنة التي قبله، والسنة التي بعده».

أي أرجو من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يمحوَ ذنوب سنتين سنةً قادمة، وسنةً ماضية، والمراد بالذنوب هنا: الصغائر، أما كبائر الذنوب فتحتاج إلىٰ توبةٍ خاصة.

وقال صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«صيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله».**

وقال صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرَّم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل».**

أي أفضل صيام النافلة بعد صيام الفرض، وهو رمضان الصيام في شهر الله المحرَّم.

وأفضل النوافل بعد صلاة الفريضة صلاة الليل.

وهنا فائدة: وهي أن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يُكثر من الصوم في شعبان أكثر من المحرَّم.

قال العلماء: لعله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما علم فضلَ المحرَّم في آخر حياته، ولعله كان يَعرض فيه أعذار من سفر، أو مرض، أو غيرهما، لذلك ما كان يصوم في المحرم مثل ما كان يصوم في شعبان.

الثلاثون: وصف قراءة رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كانت قراءة الرسول صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **للقرآن مَدًّا** -يعني كان يمد حروف المد- **فإذا قرأ:** ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ **يَمُد بـ** ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ يعني يقول: بِسْمِ اللاااه، **ويَمُد بـ** ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾، **ويمد بـ** ﴿الرَّحِيمِ﴾ يعني يقول: بِسْمِ اللاااهِ الرَّحْماااانِ الرَّحِيييمِ.

وكان صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يُقَطِّعُ قراءته آيةً آية.**

يعني كان يقف علىٰ رؤوس الأي، يقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ويقف، ويقرأ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ويقف، ويقرأ ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ويقف، ويقرأ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، وهكذا.

يعني ما كان يصل الآيات بعضها ببعض، وإنما كان يقف علىٰ رؤوس الآي.

وقرأ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يوم فتح مكة سورة الفتح فَرَجَّعَ فيها آآآ ثلاث مرات.**

يعني كان يُشْبِع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المد في موضعه.

وكانت قراءة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على قدر ما يَسمعه مَن في الحجرة، وهو في البيت.

أي كان يسمعه من يكون معه في الحجرة.

وسُئلت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كيف كانت قراءة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ أكان يُسِرُّ بالقراءة أم يجهر؟

قالت: كل ذلك كان يفعل، ربما أسَرَّ، وربما جهر.

يعني في بعض الأحيان كان يُسرُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالقراءة، وفي بعضها كان يرفع صوته.

وقالت أم هانئٍ بنت أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كنتُ أسمع قراءة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالليل وأنا على عريشي».

العريش: ما يُسْتظَلُّ به، والمراد أنها كانت تسمع قراءة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يصلي بالليل، وهي علىٰ سقف بيتها.

الحادي والثلاثون: وصف بكاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي، وفي صدره أزيز الرَّحى من البكاء.

أزيز الرحى: هو صوت الطاحون، يعني ما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبكي بصوت مرتفع، وإنما كان يبكي بصوت منخفض.

وجعل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْفُخُ في سجوده من الركعة الثانية من صلاة الكسوف ويبكي، ويقول: «لم تَعِدْنِي هذا وأنا فيهم، لم تَعِدْنِي هذا ونحن نستغفرك».

أي خشيَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يكون هذا عذابًا سُلِّط علىٰ أمته، فيقول: لم تعدني هذا يا الله وأنا فيهم، لم تعدني أن ينزل العذاب في أمتي وأنا فيهم، لم تعدني هذا ونحن نستغفرك، وهذا فيه أن الاستغفار يرفع العقوبة.

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: قال لي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقرأ عليَّ القرآن»، قال: فقلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أُنزِل؟ قال: «إني أشتهي أن أسمعه من غيري».

يعني كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحب أن يسمع القرآن من غيره.

قال: فقرأت النساء حتى بلغتُ، -أي قرأ من أول سورة النساء حتىٰ بلغ- **قولهُ تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾** [النساء:٤١]، **قال: رفعت رأسي، أو غمزني رجل إلى جنبي، فرفعت رأسي فرأيت دموعه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسيل.**

وقَبَّل صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عثمان بن مَظْعُونٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهو ميت وهو يبكي.

وجلس صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ قبر ابنته وعيناه تدمعان.

ودمعت عيناه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند موت ابنه إبراهيم، فقال: «تدمعُ العين، ويحزنُ القلب، ولا نقول إلا ما يرضي ربَنا، والله يا إبراهيمُ إنَّا بك لمَحزُونون».

الثاني والثلاثون: وصف تواضع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يأنف -أي لا يستكبِر- **أن يمشيَ مع الأرملةِ، والمسكين فيقضِيَ له الحاجة.**

أي كان يمشي مع الأرملة فيقضي حاجتها، ويمشي مع المسكين فيقضي حاجته.

وكان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَشرًا من البشر يَفلي ثوبه، ويَحلُبُ شاته، ويَخدُم نفسه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومعنى: «يَفلي ثوبه»: أي ينظر في ثوبه هل فيه شيء مما يؤذي كالقُمَّلِ، والبَرغوث.

وحج الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على رَحلٍ رَث -أي رحل بالٍ- **وقطيفةٍ تساوي أربعة دراهم، أو لا تساوي، ثم قال: «اللَّهُمَّ حجةٌ لا رياءَ فيها، ولا سُمعة».**

يعني اللهم اجعلها حجةً خالصةً لك.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُدعى إلى خبز الشَعير، والإهالة السَّنِخَةِ فيُجيب.

الإهالة: هي كل شيء من الأدهان مما يؤكل، والسَّنخة هي المتغيرة الريح.

يعني كان يُدعىٰ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ دُهنٍ متغير الريح فيُجيب.

ولم يكن شخصٌ أحب إلى الصحابة من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا؛ لما يعلمون من كراهيته لذلك.

يعني كان لا يحب أن يقوم أحدٌ له عند دخوله المجلس.

وجاء صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جابرًا يعوده ليس براكبٍ بغلٍ، ولا بِرْذَون.

يعني النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذهب لعيادة جابر، وكان مريضًا ليس براكبٍ بغلٍ، ولا بِرذون، **والبِرْذَوْن**: نوعٌ من الخيل.

وَأُتِيَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بصبي يرضع فبال في حَجْرِهِ فدعى بماءٍ فصبهُ عليه.

وقال: «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لو دُعيت إلى كُراعٍ لأجبتُ**».

والكُراع: هو ما دون الكعب، ومُسْتَدَقُّ الساق، وهو شيء حقير.

قال: «**لو أُهْدِيَ إليَّ كُراع لقبلت**».

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تُطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله».

وقال يوسف بن عبد الله بن سلَام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «سمَّاني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوسفَ، وأقعدني في حجره، ومسح على رأسي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ».

هذا من تواضعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الثالث والثلاثون: وصف تعامل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع الناس

كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحسن الناس، وما سُئل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئًا قطُّ، فقال: «لا».

يعني إذا سأله سائلٌ أن يُعْطِيَهُ شيئًا ما كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول له: «**لا**»، فإن كان عنده أعطاه، وإلَّا سكت.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقبل الهدية، ويُثِيب عليها.

أي يُكافئُ عليها.

ولم يكن صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاحشًا، ولا مُتَفَحِّشًا.

وكان يقول: «إن من خياركم أحسَنُكم أخلاقا».

وما ضربَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئًا قطُّ بيده، ولا امرأةً، ولا خادِمًا إلا أن يجاهد في سبيل الله.

وما نِيل منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيءٌ قطُ فينتقم من صاحبه إلا أن يُنْتهك شيءٌ من محارم الله فينتقِم لله عَزَّ وَجَلَّ.

وما انتقم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لنفسه إلّا أن تُنتهك حرمة لله فينتقم لله بها.

وما خُيِّر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أمرين إلا أخذَ أيسرهما ما لم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه.

وبال أعرابيٌ في المسجد فقام إليه بعض القوم، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دعوه، ولا تُزْرِموه»، أي لا تقطعوا عليه بوله، فلمَّا فرغ دُعى بدلو من ماءٍ فصبَّه عليه.

واستأذن رجل على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «ائذنوا له، بئس أخو العشيرة»، أو قال: «بئس ابنُ العشيرة»، فلما دخل أَلان له الكلام، فقالت عائشة: يا رسول الله قُلْتَ الذي قلت، ثم ألنْتَ له الكلام.

قال: «أي عائشة، إنَّ شرَّ الناسِ من تركه الناس أو وَدَعَهُ الناسُ اتقاء فُحْشِه».

قال أنسٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «خدمتُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عشر سنين، والله ما قال لي: أُفًّا قط، ولا قال لي لشيء: «لما فعلتَ كذا»، ولا «هلَّا فعلتَ كذا».

وقال عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقبل بوجهه وحديثه على أشرِّ القوم يتألَّفُهُم بذلك، فكان يُقبل بوجهه وحديثه عليَّ حتى ظننت أنِّي خير القوم، فقلت: يا رسول الله أنا خيرٌ، أو أبو بكر؟

قال: «أبو بكر».

فقلت: يا رسول الله أنا خيرٌ، أو عمر؟

فقال: «عمر».

فقلت يا رسول الله أنا خير، أو عثمان؟

قال: «عثمان».

كلُّ هذا؛ لأجل أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يعامله معاملةً حسنةً جدًا حتىٰ ظن أنه أحب الناس إلىٰ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال عمرٌو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فلما سألت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فصدقني، فلوددتُ أنِّي لم أكن سألته.

❁❁❁

أسئلة الحلقة

السؤال الأول: اذكر بإجمالٍ وصف قراءة، وبكاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

السؤال الثاني: كيف كان يتعامل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع الناس؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحلقة الخامسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الإخوة، والأخوات في هذه الدورة المباركة، وهذه هي الحلقة الخامسة من حلْقَات «**الدر المجتبي في وصف المصطفى** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، وفي هذه الحلقة نتعرف إن شاء الله تعالىٰ علىٰ باقي أوصاف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخُلُقية وهي:

٣٤- وصف حجامة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣٥- وذكر أسماء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣٦، ٣٧، ٣٨- ووصف عمر، ووفاة، وميراث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣٩- ورؤيا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام.

هذا المجمل، وإليكم التفصيل:

الرابع والثلاثون: وصف حجامة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

احتجم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حجَمه أبو طَيبَة، فأمر له بصاعين من طعام، وكلم أهله فوضعوا عنه من خراجه.

وقال: «إن أفضل ما تداويتم به الحجامة».

كان أبو طيبة عبدًا، وكان عليه أن يأتي كل يوم بمبلغ من المال، هذا يسمىٰ بالخراج، فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلم أهله أن يضعوا عنه شيئًا من خراجه.

يعني مثلا: لو كان دينارا يجعلوه نصف دينار، ولو كان الخراج دينارين يجعلوه دينارا، وهكذا.

واحتجم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثًا في الأخدعين، وعلى الكاهل.

والأخدعان: عرقان في جانبي العنق.

والكاهل: ما بين الكتفين، وهو مقدم الظهر.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعطي الحجَّام أَجره.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحتجم لسبع عشر، وتسعَ عشر، وإحدى وعشرين.

أي في هذه الأيام الثلاثة من كل شهر هجري كان يحتجم فيها وهي سبعَ عشرة، وتسعَ عشرة، وإحدىٰ وعشرون.

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن احتجم لسبع عشر، وتسع عشر، وإحدى وعشرين كان شفاءً من كل داء».

أي من كل داء سببه غلبةُ الدم.

الخامس والثلاثون: ذكر أسماء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أنا محمدٌ، وأنا أحمدُ، وأنا الماحي الذي يُمحى بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على عقبي، وأنا العاقب».

والعاقب: هو الذي ليس بعده نبي.

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أنا محمد، وأنا أحمد، والمقفِّي -المقفي: يعني الذي ليس بعده نبي- **والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة».**

ومعنى قوله: «نبي التوبة، ونبي الرحمة»: أي أنه جاء بالتوبة لأمته، وبالتراحم أكثر من أي نبي آخر.

وقد سماه الله عَزَّ وَجَلَّ رؤوفًا رحيمًا.

السادس والثلاثون: وصف عُمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو ابن أربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ثم أُمر بالهجرة فهاجر إلى المدينة فمكث بها عشر سنين، ثم توفي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو ابن ثلاث وستين.

وأجمع أهل العلم على أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعثه الله جَلَّ جَلَالُهُ على رأس أربعين سنة من عمره.

واتفق أهل العلم على أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقام بالمدينة بعد الهجرة عشر سنين، وبمكة قبل النبوة أربعين سنة.

واختلف العلماء في قدْر إقامته في مكة بعد النبوة، والصحيح أنها ثلاثَ عشرة سنة، فيكون عمره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثًا وستين سنة.

السابع والثلاثون: وصف وفاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

بينما المسلمون في صلاة الفجر من يوم الاثنين، وأبو بكر يصلي بهم كشف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتر حجرة عائشة فنظر إليهم وهم في صفوف الصلاة وهو قائم كأن وجهه وَرَقة مُصْحَف.

وهذا كناية عن الجمال البارع، وحسن البَشَرة، وصفاء الوجه.

ثم تبسم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يضحك، فرجع أبو بكر على عقبيه؛ ليقف في الصف، وظن أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يريد أن يخرج إلى الصلاة، وهَمَّ المسلمون أن يخرجوا من صلاتهم فرحا برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأشار إليهم بيده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أتموا صلاتَكم، ثم دخل الحجرة، وأرخى السِّتر.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أَبهري من ذلك السم».

والمراد بالطعام هو الشاة المسمومة التي أهدتها إليه اليهودية، فأكل منها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعطل الله عَزَّ وَجَلَّ مفعول السم إلىٰ هذا الوقت يوم وفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومعنى قوله: «فهذا أوان وجدت»: أي شعرت.

ومعنى قوله: «انقطاع أبهري»: الأبْهَر هو عرق مرتبط بالقلب إذ انقطع مات الإنسان.

ودعا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ، فقالت: واكربَ أباه.

أي أندُب ما يصيب أبي من هَمٍّ، وغم.

فقال لها: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم»، وسارَّها بشيء فبكت، ثم دعاها فسارَّها بشيء آخر فضحكت، فسألوها عن ذلك، فقالت: سارَّني النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه يقبض في وَجعه الذي تُوفِّي فيه فبكيت، ثم سارَّني فأخبرني بأني أول أهله يتبعه فضحكت.

وأوصى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسلمين بالمحافظة على الصلاة فقال: «الصلاةَ الصلاةَ -أي الزموها، ولا تضيعوها- وما ملكتْ أيمانُكم» أي أدوا زكاة أموالكم، ولا تتهاونوا فيها.

ودخل عليه عبد الرحمن بن أبي بكر، وفي يده سواك، وعائشة مسنِدَة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فرأته ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك، فقالت: آخذه لك؟

فأشار برأسه «أن نعم»، فتناولته فاشتد عليه الوجع، وقالت: أُلينه لك؟

فأشار برأسه «أن نعم»، فليَّنته، فأمره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبين يديه عُلبة فيها ماء، فجعل صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدخل يديه في الماء فيمسح به وجهه ويقول: «لا إله إلا الله إن للموت سكرات»، ورأسه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على فخذِ عائشة فغُشي عليه، فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت -أي نظر إلىٰ أعلىٰ- ورفع يده، وقال: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النساء:٦٩]، اللّٰهُمَّ اغفر لي، وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى، اللّٰهُمَّ في الرفيق الأعلى، اللّٰهُمَّ في الرفيق الأعلى، اللّٰهُمَّ في الرفيق الأعلى، فما زال يكررها حتى قبض، ومالت يده صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورأسه بين حَنَك عائشة، وصدرها.

فلما مات صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ: يا أَبتاه أجاب ربًّا دعاه، يا أبتاه مَن جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه.

ولما علم الناس بموت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قام عمر يقول: والله ما مات رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليبعثنَّه الله، فليقطعنَّ أيدي رجال وأرجلهم.

يعني يقطعن أيدي، وأرجل من زعم أنه مات صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فأقبل أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على فرسه من مسكنه بالسُّنح حتى نزل على المسجد، فلم يكلِّم الناس حتى دخل على عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فتيمم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أي ذهب إلىٰ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهو مسجَّى ببرد حَبِرة -أي مغطَّىٰ بثوب مخطَّط- فكشف عن وجهه، ثم أكب عليه فقبَّله، ثم بكى، فقال: بأبي أنت يا نبي الله لا يجمع الله عليك موتتين.

أي لا تحيا بعد ذلك في الدنيا، ثم تموت.

قال: أما الموتة التي كُتبت عليك فقد مُتَّها، ثم خرج، فقال: أيها الحالف - يقصد عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما مات-، على رِسْلِك-أي لا تستعجل في الحلف- فلما تكلم أبو بكر جلس عمر فحمد الله أبو بكر، وأثنى عليه، وقال: ألا من كان يعبد محمدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنَّ محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت.

وقال: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الزُّمَر:٣٠]، وقال: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٤٤]، فبكى الناس بكاءً شديدا.

قال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: والله ما هو إلا أن سمعتُ أبا بكر تلاها فعقِرت حتى ما تُقِلُّني رجلاي -أي انهارت قواه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حتىٰ لم يستطع أن يقف علىٰ رجليه- وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها علمت أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد مات.

وقال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: والله لكأنَّ الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشرًا من الناس إلا يتلوها.

ثم أقبل الناس على جَهاز رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى يغسلوه، وكان هذا يوم الثلاثاء لما بويع أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالخلافة، ولما أرادوا تغسيل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالوا: والله ما ندري أنجرِّد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ثيابه كما نجرد موتانا، أم نغسِّله وعليه ثيابه؟

فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النومَ حتى ما منهم رجل إلا وذَقنه في صدره.

يعني مالت رؤوسهم علىٰ صدورهم من أجل النوم.

ثم كلمهم مكلِّم من ناحية البيت لا يدرون مَن هو «أن غسِّلوا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعليه ثيابه».

فقاموا إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فغسلوه، وعليه قميصه، يصبون الماء فوق القميص، ويدلكونه بالقميص دون أيديهم.

يعني لا تصل أيديهم إلىٰ جسد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد غسَّله علي، والعباس، والفضل بن العباس، وقُثَم بن العباس، وأسامة بن زيد، وشُقْران مولى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأسنده عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلى صدره، وكان العباس، والفضل، وقُثَم يقلِّبونه معه، وكان أسامة وشُقران هما اللذان يصبَّان الماء عليه، وعليٌّ يغسِّله، وهو يقول: بأبي أنت، وأمي ما أطيبَك حيًّا وميتا.

ولما فرغوا من تغسيله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كفنوه في ثلاثة أثواب يَمنية بيض سَحُولية من كُرْسف ليس فيهن قميص، ولا عمامة.

أي كفنوه في ثلاثة أثواب من صُنع اليمن لونها بيضاء، ومصنوعة من القطن ليس فيها قميص -قميص ما يُلبس- ولا عمامة.

ولما فرغوا من جَهاز رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الثلاثاء، وُضع صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سريره في بيته، ولم يَدروا أين يقبرونه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ حتى قال أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «لن يُقبرَ نبي إلا حيث يموت».

أي لن يُدفنَ نبي إلا مكانَ موته.

فأخروا فراشه، وحفر له أبو طلحة تحت فراشه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ثم دخل الناس على رسول الله** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يصلون عليه جماعات، دخل الرجال حتى إذا فرغوا، أُدخل النساء، حتى إذا فرغ النساء، أُدخل الصبيان، ولم يؤم الناس على رسول الله** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أحد، ودُفن** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **في وسط الليل من ليلة الأربعاء، وقد نَزل في قبره** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **عليٌّ، والفضل بن العباس، وقُثَم بن العباس، وشُقران مولى رسول الله** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فلما دفن صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قالت فاطمة** عَلَيْهَا السَّلَامُ**: يا أنسُ أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **التراب؟**

أي كيف طابت، ورضيت نفوسكم مع حبكم الشديد له أن تحثوا عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التراب؟

الثامن والثلاثون: وصف ميراث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ما ترك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **دينارًا، ولا درهمًا، ولا شاةً، ولا بعيرا، ولا عبدا، ولا أَمة إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها، وسلاحَه، وأرضًا جعلها لابن السبيل صدقة.**

أي موقوفة علىٰ المسافرين الذين لم يبقَ لديهم من النفقة ما يبلغهم مقصودهم.

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لا يَقتسم ورَثتي دينارا ولا درهما، ما تركت بعد نفقة نسائي ومُؤنة عاملي فهو صدقة».**

ومعنى قوله: «مؤنة عاملي»: أي نفقة عُمالي من ناظر علىٰ وقف، أو أجير، أو وكيل.

وأرسلت فاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مما أفاء الله عليه بالمدينة، وفَدَك، وما بقي من خُمسِ خيبر.**

أي تريد من الغنائم التي غنمها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقال أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: إن رسول الله** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال: «لا نورَث، ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **في هذا المال».**

يعني مالَ الله ليس لهم أن يزيدوا علىٰ المأكل.

قال أبو بكر: وإني والله لا أغير شيء من صدقة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأبى أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يدفع إلى فاطمة شيئًا.

التاسع والثلاثون: رؤيا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من رآني في المنام فقد رآني؛ فإن الشيطان لا يتمثَّل في صورتي».

يعني من رأىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حقا في المنام فقد رآه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ حقيقته؛ لأن الشيطان لا يستطيع أن يتمثَّل في صورة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال رجل لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إني رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النوم.

فقال ابن عباس: فإن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول: «إن الشيطان لا يستطيع أن يتشبه بي، فمن رآني في النوم فقد رآني»، فهل تستطيع أن تنعتَ لنا هذا الرجل الذي رأيت؟

قال: نعم رأيت رجلا بين الرجلين جسمُه ولحمه، أسمر إلى البياض، حسن المضحَك، أكحل العينين، جميل دوائر الوجه، قد ملأت لحيته من هذه إلى هذه حتى كادت تملأ نحره.

فقال ابن عباس: لو رأيتَه في اليقظة ما استطعت أن تنعته فوق هذا.

يعني من زعم أنه رأىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقال له: صف الذي رأيت، فإن وصفه بصفاته الحقيقية فقد رآه حقًّا، وإن وصفه بغير صفاته الحقيقية فلم يره، وإنما هو شيطان.

❁❁❁

أسئلة الحلقة

السؤال الأول: ما ميراث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

السؤال الثاني: تكلم بإجمال عن رؤيا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام.

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحلقة السادسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الإخوة الفضلاء، وأيتها الأخوات الفضليات في هذه الدورة المباركة، وهذه هي الحلقة السادسة من حلْقَات **«الدُّر المجتبى في وصف المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»**، وفي هذه الحلقة نتعرف إن شاء الله تعالى على بعض خصائص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي اختصه الله عَزَّ وَجَلَّ بها دون سائر الأنبياء والمرسلين وهي:

١- عموم رسالته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢- ورسالته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتمة.

٣- ونداؤه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بوصف النبوة، والرسالة.

٤- وتحريم ندائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باسمه.

٥- وإعطاؤه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جوامع الكلم.

٦- و النصر بالرعب.

٧- وكتابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محفوظ.

٨- وإعطاؤه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشفاعة يوم القيامة.

هذا المجمل، وإليكم التفصيل:

الأول: عموم رسالته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أرسل الله عَزَّوَجَلَّ كل نبي إلى قومه خاصة، وأما نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأرسله إلى الجن، والإنس كافة.

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [سبأ:٢٨].

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف:١٥٨].

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فُضلت على الأنبياء بست: أُعطيت جوامع الكلم، ونُصرت بالرعب مسيرة شهر**».

أي يقذف الله الخوف في قلوب أعدائي، وبيني وبينهم مسيرة شهر.

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وأحلَّت لي الغنائم**- أي التي يغنمها المسلمون عند انتصارهم علىٰ الكفار- **ولم تحلّ لأحد قبلي** -يعني الغنائم لم تكن حلالًا علىٰ الأمم السابقة- **وجُعلت لي الأرض طهورًا ومسجدًا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلِّ**- يعني يجوز أن تصلي في أي مكان إن كان طاهرًا- **وكان النبي** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يُبعث إلى قومه خاصة، وبُعثت إلى الخلق كافة، وخُتم بي النبيون**».

الثاني: رسالته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتمة

اختص الله عَزَّوَجَلَّ نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه جعل رسالته خاتَمة لكل الرسالات.

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[الأحزاب:٤٠].

أي ولكنه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخاتم النبين الذي ختم النبوة فطَبع عليها، فلا تُفتح لأحد بعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ قيام الساعة، يعني لا يُرسَل نبيٌّ بعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنه سيكون في أمتي كذَّابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي**».

والمراد بالثلاثين: من كثُر أتباعه، وعظُمت فتنته، وليس المراد كل من ادَّعىٰ النبوة.

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وأنا خاتم النبيين لا نبيَّ بعدي**».

فمن ادعىٰ النبوة بعد النبيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو كافر بإجماع أهل العلم.

الثالث: نداؤه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بوصف النبوة والرسالة

لم ينادِ الله عَزَّوَجَلَّ نبينا صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باسمه في القرآن الكريم، وإنما خاطبه بوصف النبوة والرسالة، وذلك تشريفًا له صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما بقية الأنبياء فخاطبهم الله عَزَّوَجَلَّ بأسمائهم.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ [المائدة:٤١].

وقال تعالي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال:٦٤].

وقال تعالي مخاطبا آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥].

وقال تعالي مخاطبا نوحا عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا﴾ [هود:٤٨].

وقال تعالى مخاطبا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف:١٤٤].

وقال تعالى مخاطبا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآ﴾ [الصافات:١٠٤:١٠٥].

فانظر كيف نادى النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بوصف النبوة تارة، وبوصف الرسالة تارة؟

وكيف نادى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بقية الأنبياء بأسمائهم؟

ولما ذكر ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ اسمه للتعريف قرنه بالرسالة.

فقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ﴾ [آل عمران:١٤٤] ذكر اسمه مقرونا بوصف الرسالة، وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح:٢٩].

ولما ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نبينا صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ذكر إبراهيم باسمه، وذكر نبينا صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باللقب.

فقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾، ولم يقل: ومحمد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل قال: ﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾.

وهذا كما قلت: فيه تشريف، وتوقير للنبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الرابع: تحريم ندائه باسمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

مما اختص الله عَزَّ وَجَلَّ به نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه حرم على الأمة نداءه باسمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخلاف سائر الأنبياء، فإن أممهم كانت تخاطبهم بأسمائهم.

قال تعالى حكاية عن قوم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [الأعراف:١٣٤].

وقال تعالى حكاية عن قوم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:١١٢].

وقال تعالى لهذه الأمة: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور:٦٣].

أي لا تسموه إذ دعوتموه، فتقول: يا محمد، ولا تقولوا: يا بن عبد الله، ولكن شرِّفوه، فقولوا: يا نبي الله، يا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الخامس: إعطاؤه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جوامع الكلم

فلقد بعث الله عَزَّ وَجَلَّ نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بجوامع الكلم، واختصر له الحديث اختصارا، وفاق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العرب في فصاحته وبلاغته، فكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتكلم بالقول الموجَز القليل اللفظ الكثير المعنى.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فُضلت على الأنبياء بست -وذكر منها- أُعطيت جوامع الكلم».

السادس: النصر بالرعب

اختص الله عَزَّ وَجَلَّ نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه ينصره بالرعب، والخوف، والفزع يلقيه في قلوب أعدائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا كان بينه، وبينهم مسيرة شهر، فلا يستطيعون أن يُلاقوه.

وإنما جعل ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الغاية شهرا؛ لأنه لم يكن بين بلده وبين أحد من أعدائه أكثر منه، وهذه الخصوصية حاصلة له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الإطلاق حتى لو كان وحده بغير عسكر.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُعطيت خمسا لم يُعطهن أحدٌ قبلي -وذكر منها- نُصرت بالرعب مسيرةَ شهر».

وهنا قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُعطيت خمسا»، وفي الحديث الآخر: «فُضلت على الأنبياء بست».

قال العلماء: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُعطيت خمسا» في بادئ الأمر، فأخبر بالسادسة، فقال: «فُضلت على الأنبياء بست»، فلا تعارض بين هذا، وهذا.

السابع: كتابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محفوظ

هذا مما اختص به الله عَزَّ وَجَلَّ نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه حفظ كتابه من التبديل، والتحريف، والتغيير.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحِجر:٩].

أي وإنَّا للقرآن لحافظون من أي يُزاد فيه باطل مما ليس منه، أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه، وحدوده، وفرائضه.

الثامن: إعطاؤه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشفاعةَ يوم القيامة

هذا مما اختص الله عَزَّ وَجَلَّ به نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه أعطاه الشفاعة في بدء الحساب يوم القيامة، فالناس يوم القيامة يذهبون إلى آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم يذهبون إلى نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم يذهبون إلى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم يذهبون إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم يذهبون إلى عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يطلبون منهم الشفاعة في بدء الحساب يوم القيامة، فكلهم يقولوا: لست لها، لست لها إلى أن يأتوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيشفع فيهم.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُعطيت خَمسا لم يعطهن أحد قبلي -وذكر منها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأُعطيت الشفاعة».

وفي حديث الشفاعة الطويل: أن الناس يأتون آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فيطلبون منه الشفاعة، فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن

يغضب بعده مثله، وإنه قد نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح.

فيأتون نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ فيطلبون منه الشفاعة، فيقول نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم.

فيأتون إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيطلبون منه الشفاعة، فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإني قد كنت كذَبت ثلاث كذبات -وهذا فيما يظهر للناس، وبالنسبة لفهم السامعين، وهي ليست كذبا في حقيقة الأمر، وذلك لأجل أنها من المعاريض، أي أراد شيئًا خلاف ما يفهم السامع- ثم يقول: نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى.

فيأتون موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فيطلبون منه الشفاعة، فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلتُ نفسا لم أومَر بقتلها نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى عيسى ابن مريم.

فيأتون عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيطلبون منه الشفاعة، فيقول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنبا، نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد.

فيذهبون إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيقولون: يا محمد أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك، وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟

فينطلق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيأتي تحت العرش، فيقع ساجدا لربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ثم يفتح الله عليه من المحامد، وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحد قبله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك، سَلْ تُعطَه، واشفع تُشفَّع.

فيرفع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأسه، فيقول: «أمتي يا رب، أمتي يا رب، أمتي يا رب».

فيقال: يا محمد أَدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثم قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين -أي جانبي الباب- من مصاريع الجنة كما بين مكة، وحمير، -أو قال:- كما بين مكة، وبُصرى».

ومن الشفاعات التي يُعطاها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة دون غيره من الأنبياء والصالحين: الشفاعة في استفتاح باب الجنة.

كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعا».

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فيقول: محمد، فيقول: بك أمرت، لا أفتح لأحد قبلك».

يعني أمرني ربي ألا أفتح الجنة إلا لك.

ومن الشفاعات أيضًا التي اختص الله عَزَّ وَجَلَّ بها الله نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب.

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يدخل الجنة من أمتي زُمرة هي سبعون ألفا تُضيء وجوههم إضاءة القمر»، فقام عُكاشة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يرفع كِساء عليه، فقال: ادعُ الله لي يا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يجعلني منهم، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللّهُمَّ اجعله منهم».

ومن الشفاعات أيضًا التي اختص بها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: شفاعته في تخفيف العذاب عمن كان يستحقه، كشفاعته في عمه أبي طالب.

كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما سأله العباس: ما أغنيتَ عن عمك؟ فإنه كان يحوطك، ويغضب لك -يعني كان يدافع عنك، ويغضب لأجلك- قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هو في ضحضاح من نار -يعني خُفف عنه شيء من العذاب- ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار».

أسئلة الحلقة

السؤال الأول: ما معنىٰ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُصر بالرعب؟

السؤال الثاني: ما معنىٰ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُعطي جوامع الكلم؟

السؤال الثالث: ما حكم من ادعىٰ النبوة بعد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحلقة السابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الإخوة الفضلاء، وأيتها الأخوات الفضليات في هذه الدورة المباركة، وهذه هي الحلقة السابعة من حلْقَات «**الدر المجتبى في وصف المصطفى** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، وفي هذه الحلقة نتعرف إن شاء الله تعالىٰ علىٰ ما تبقىٰ من خصائص النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي:

٩- أمته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيرُ الأمم.

١٠- وحِل الغنائم له، ولأمته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

١١- وجُعلت له، ولأمته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأرضُ مسجدًا، وطهورا.

١٢- وعدم مؤاخذة أمته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالخطأ، والنسيان، وما استكرهوا عليه.

١٣- وعدم الهلاك العام لأمته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

١٤- ولا تجتمع أمته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ ضلاله.

١٥- وأُمته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأتون يوم القيامة غرًّا محجَّلين من آثار الوضوء.

١٦- وأمته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشهدون علىٰ الناس يوم القيامة.

١٧- وأول من يجتاز الصراط يوم القيامة هو النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأمته.

١٨- وأول من يدخل الجنة هو النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأمته.

١٩- وأمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثر أهل الجنة.

هذا المجمل، وإليكم التفصيل:

التاسع: أمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير الأمم

كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨].

وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ بماذا يا رب؟ ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أنتم تُتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا، وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ».

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُعطيتُ أربعًا لم يعطهن أحدٌ من أنبياء الله -وذكر منها- وجُعِلَتْ أمتي خيرَ الأمم».

العاشر: حِلُ الغنائمِ له ولأمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

مما اختص الله عَزَّوَجَلَّ به نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنه أحل له، ولأمته الغنائم التي يغنمونها عند انتصارهم على الكفار، وهذا بخلاف الأمم السابقة، فلم تكن الغنائم حلالًا لهم، وإنما كان يجب عليهم إحراقها بالنار حتى يتقبلها الله منهم.

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي -وذكر منها- وَأُحِلَّتْ لِي الغَنَائمُ، وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي».

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لم تحل الغنائم لأحد سُود الرؤوس من قبلكم -أي من بني آدم- كانت تنزل نارًا من السماء فتأكلها»، فلما كان يوم بدر وقعوا في الغنائم من قبل أن تحل لهم -يعني أخذوها- فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ قوله: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنفال:٦٨].

يعني لولا أن الله أحلها لكم لعذبكم عذابًا عظيمًا.

الحادي عشر: جُعلت له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولأمته الأرض مسجداً وطهورا

يعني يجوز للمسلم أن يصلي في أي مكان من الأرض إلا إذا كان مكانًا نجسًا، ويجوز له أن يتيمم بأي تراب إلا إذا كان نجسًا بخلاف الأمم السابقة، فقد جعل الله لهم أماكن محددة للصلاة لا يتجاوزوها، كالكنائس، والبِيَع.

والكنائس أماكن صلاة النصارىٰ، والبِيَع أماكن صلاة اليهود.

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي** -وذكر منها- **وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورا، فأيُّما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلِّ**».

الثاني عشر:

عدم مؤاخذة أمته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالخطأ، والنسيان، وما استُكرِهوا عليه

مما اختص الله عَزَّ وَجَلَّ **به أُمة نبينا** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أنه رفع عنهم المؤاخذة بالخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه.**

يعني لو فعل مسلم شيئًا خطأً لم يأثم، وكذلك لو فعل شيئًا نسيانًا، أو مُكرَهًا.

وذلك لقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله قد تجاوز عن أمتي الخطأ، والنسيان، وما استكرهوا عليه**».

فمن أكل، أو شرب في نهار رمضان ناسيًا لم يأثم.

كذلك من شرب خمرًا يظنه ماءً لم يأثم.

كذلك من نسي ففعل شيئًا محرَّمًا لم يأثم.

كذلك من أُكرِهَ علىٰ فعل شيء محرَّم كشرب خمرٍ، أو الفطرِ في نهار رمضان لم يأثم.

ولكن إذا كان الخطأ متعلقًا بحقِّ الغير فإن فيه الدِّيَةُ، أو الضمانُ، ولا إثم فيه.

يعني من اعتدىٰ علىٰ أحد خطأً فإنه لا يأثم، ولكن عليه الدية، والضمان.

مثاله: من قتل مسلمًا خطأً، فإنه لا يأثم، ولكن عليه الدية.

وكذلك من أتلف جهازًا لغيره خطأ، أو نسيانًا فإنه لا يأثم، ولكنه عليه الضمان، وهو قيمة هذا الشيء الذي أتلفه.

الثالث عشر: عدم الهلاك العام لأمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

لو اجتمع العالم بأسره على أن يستأصلوا أمة الإسلام ما استطاعوا.

لماذا؟

لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تكفل بحفظ هذه الأمة.

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ زوى لِيَ الْأَرْضَ** -أي جمع لي الأرض- **فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا**».

هذه معجزة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه أُخبر أن الإسلام سيصل إلىٰ مغارب الأرض، وقد وصل، وذلك في عهد الدولة الأموية والعباسية، فقد وصل الإسلام إلىٰ أسبانيا، والبرتغال، وفرنسا، وما بعدها.

وإسبانيا والبرتغال كانتا قديما تسميا بالأندلس، هذه البلاد ظلت تحت حكم الإسلام تسعة قرون.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَأُعْطِيتُ الْكَنزَيْنِ الْأَحْمَرَ، وَالْأَبْيَضَ** -أي الذهب والفضة- **وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَن لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ** -أي أن لا يهلكهم بقحطٍ، وجَدْبٍ يعمهم كلهم- **وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِن سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ** -أي جماعتهم- **وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَد** -يعني لا بد أن يقع- **وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِن سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُم** -يعني المسلمون يهلكون بعضهم بعضا، وهذا ما يحدث، الهزيمة تأتي من الداخل، ليست من الخارج- **وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِم مَنْ بِأَقْطَارِهَا** -أي لو اجتمع العالم بأسره علىٰ أمة الإسلام أن يستأصلوها ما استطاعوا، وإنما تأتي الهزيمة من المسلمين أنفسهم-، **حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا** -أي

بعض المسلمين يُهلِك البعض الآخر- **وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا»**، أي يتخذ بعضُ المسلمينَ بعضَ المسلمين سَبايا.

الرابع عشر: لا تجتمع أمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ضلالة

يعني لو اجتمعت أمة الإسلام أو علماء المسلمين على شيء، فإنه يكون حقًّا، لا يكون ضلالًا.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إن الله لا يَجمَعُ أمتي على ضلالة، ويَدُ اللهِ مع الجماعة».**

وهذا فيه حِجِّيَّةُ الإجماع، وهو إجماعُ علماءِ المسلمينَ علىٰ أمر من أمور الدين.

الخامس عشر: أمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأتون يوم القيامة غُراًّ محجّلين من آثار الوضوء

أي يأتون يوم القيامة بعَلامة يعرفهم بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وهي كونُهم غُرًّا مُحَجَّلِين.**

وغُرًّا: جمع أَغَرُّ، أي ذو غُرَّة، والغُرة هي التي تكون في جبهة الفرس، أي في جباهِهِم بياض.

والتَّحجِيلُ: بياض في يدي الفرس ورجليها، أي في أيدي المسلمين بياض، وكذا في أرجلهم.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إنَّ أمتي يُدعَوْنَ يَومَ القيامةِ غرًّا محجلين من آثار الوضوء».**

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ترد عليَّ أمتي الحوض، وأنا أذود الناس عنه** -يعني أمنع غير أمتي عن الحوض- **كما يذود الرجلُ إبِلَ الرجلِ عن إبِلِهِ»، قالوا: يا نبي الله أتعرفنا؟**

قال: «نعم، لكُمْ سِيمَا -أي علامة- **ليست لأحد غيركم، تردون عليَّ غرًّا مُحَجَّلينَ من آثار الوضوء».**

يعني أعرفكم بعلامة، وهي أنكم تأتون غرًّا محجَّلين، وذلك من آثار الوضوء.

السادس عشر: أمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشهدون على الناس يوم القيامة

مما اختص الله عَزَّ وَجَلَّ به أمة نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنه جعلهم في منزلة العدول من الحكَّام، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ إذا حكم يوم القيامة بين العباد فجحدت الأمم بتبليغ الرسالة أحضر الله عَزَّ وَجَلَّ أُمة نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيشهدون على الناس بأنَّ رسلهم أبلغتهم.

قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الرجل، ويَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الثَّلَاثَةُ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ وَأَقَلُّ، فيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ قَوْمَكَ؟

فَيَقُولُ: نَعَم، فَيُدْعَى قَوْمُهُ.

فَيُقَالُ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟

فَيَقُولُونَ: لَا.

فَيُقَالُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟

فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ، وَأُمَّتُهُ،

فَتُدْعَى أُمَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

فَيُقَالُ: هَلْ بَلَّغَ هَذَا؟

فَيَقُولُونَ: نَعَمْ.

فَيَقُولُ: وَمَا عِلْمُكُمْ بِذَلِكَ؟ -أي كيف عرفتم ذلك؟-

فَيَقُولُونَ: أَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغُوا فَصَدَّقْنَاهُ».

يعني النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر أن جميع الرسل بلَّغوا قومهم، فنحن صدَّقنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك.

«قَالَ: فَذَلِكُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣]».

السابع عشر: أول من يجتاز الصراط النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمته

كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أنا وأمتي أَوَّلَ مَنْ يجيزُها».

والصراط: جَسر يضرب علىٰ ظهر جهنم أدق من الشعرة وأحدُّ من السيف، يمر عليه الناس يوم القيامة.

الثامن عشر: أول من يدخل الجنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمته

كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَحْنُ الْآخِرُونَ -أي في المجيء في الدنيا-، الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، بَيْدَ أَنَّهُمْ -أي غير أنهم- أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ، فَاخْتَلَفُوا -أي اختلفوا في الكتاب، أي في التوراة والإنجيل-، فَهَدَانَا اللهُ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ، فَهَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ، هَدَانَا اللهُ لَهُ -يعني يَوْمَ الْجُمُعَةِ- فَالْيَوْمَ لَنَا -أي يوم الجمعة عيد للمسلمين-، وَغَدًا لِلْيَهُودِ، -أي يوم السبت عيد لليهود-، وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَى -أي يوم الأحد عيد للنصارىٰ-».

التاسع عشر: أمته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثر أهل الجنة

كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه: «أترضون أن تكونوا رُبع أهل الجنة؟»

قالوا: بلى.

قال: «أفلم ترضوا أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟»

قالوا: بلى.

قال: «فوالذي نفس محمد بيده، إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة».

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ ومِائَةُ صَفٍّ، ثَمَانُونَ مِنْهَا من هَذِهِ الأُمَّةِ، وأربعون من سائر الأمم».

قال العلماء: هذا دليل على أنهم يكونون ثُلثي أهل الجنة، فيكون النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر أولا بحديث الشطر -أي أن أمته نصف أهل الجنة- **ثم تفضل الله عَزَّ وَجَلَّ بالزيادة، فأعلم بحديث الصفوف، فأخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد ذلك.**

❁❁❁

أسئلة الحلقة

السؤال الأول: ما الدليل علىٰ أن أمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير الأمم؟

السؤال الثاني: ما معنىٰ أن الأرض جُعلت للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولأمته مسجدًا وطَهورا؟

السؤال الثالث: من أول من يجتاز الصراط، ومَن أول من يدخل الجنة؟

السؤال الرابع: كيف تَشهد أمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ الناس يوم القيامة؟

وبهذا نكون انتهينا بفضل الله تعالىٰ من هذا الكتاب «**الدُّر المجتبىٰ في وصف المصطفىٰ**».

فأسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعل عملنا كله خالصًا لوجهه الكريم، وأن يغفر لنا ذنوبنا، وتقصيرنا، وخطأنا وعمدنا، وأن يثبِّت قلوبنا علىٰ دينه إلىٰ أن نلقاه؛ فإن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء، وكان أكثر دعاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا مقلب القلوب ثبِّت قلبي علىٰ دينك**».

هذا، وصل اللَّهُمَّ وسلم وبارك على نبينا محمد،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الفهـرس

مبادئ علم النحو

تأليف

خالد بن محمود الجهني

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

كلمة افتتاح دورة النحو للمبتدئين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله المحمود بكل لسان، المعبود في كل زمان، الذي اصطفىٰ اللغة العربية من بين اللغات كافة؛ لتكون لغةً لكتابه العظيم، والصلاة والسلام علىٰ أفصح من نطق بالضاد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، وبعد،

أيها الإخوة والأخوات مرحبًا بكم جميعا في هذه الدورة العلمية المباركة، وأسأل الله العظيم أن يجعلها فاتحة خير علينا وعليكم، وإنني أحمد الله ربي علىٰ أن يسَّر لنا هذا السبيل، أعني سبيل طالب العلم الشرعي، ومن العلوم الشرعية التي ينبغي لطلاب العلم أن يهتموا بها علوم اللغة العربية لا سيما علم النحو، فهو علم يتوقف عليه فهم القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة فهما صحيحا.

وقد قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**علىٰ كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده، حتىٰ يشهد به أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، ويتلو به كتاب الله، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير، وأُمر به من التسبيح، والتشهد، وغير ذلك**».

أيها الإخوة والأخوات في هذه الدورة العلمية المباركة سندرس إن شاء الله تعالىٰ كتاب «**المختصر في النحو**»، هذا الكتاب كتاب سهل ميسور، من درسه دراسة جيدة استطاع أن يفهم قدرا كبيرا من كتاب ربه، وسنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما يمكِّن للدارس من التحدث بلغة عربية صحيحة بعيدة عن الزلل والخطأ، كما يسهِّل علىٰ

الدارس حفظ القرآن والسنة النبوية؛ لأنك إذا عرفت الفاعل من المفعول، والمبتدأ والخبر إلىٰ غير ذلك من قواعد النحو فهمتَ الكلام فهما جيدا، ومن ثَم حفظته حفظا جيدا.

أيها الإخوة والأخوات أودُّ أن أضع بين أيديكم الطريقة المثلىٰ للاستفادة من هذه الدورة:

الأول: اسمعوا الدروس التي سنرسلها إليكم جيدا.

الثاني: اقرؤوا القدر المشروح من الكتاب قراءة جيدة، ومن استطاع أن يلخصه في كراس، أو نحوه فليفعل.

الثالث: أجيبوا عن التدريبات التي تكون في نهاية كل درس في الكتاب، هذه التدريبات للتدريب فقط، أما الأسئلة التي تكون في نهاية كل درس نرسله إليكم فأجيبوا عنها، واحتفظوا بالأجوبة، واحفظوها جيدا؛ لأن الاختبار النهائي سيأتي من هذه الأسئلة فقط.

يعني عندنا نوعان من الأسئلة: أسئلة موجودة في الكتاب، وأسئلة موجودة في نهاية كل درس سنرسله إليكم، الاختبار سيأتي من الأسئلة التي تكون في نهاية كل درس سنرسله إليكم، أما الأسئلة التي تكون في نهاية كل درس في الكتاب فهذه للتدريب يُفضَّل الإجابة عنها.

الرابع: تطبيق القواعد التي تدرسونها في هذه الدورة؛ لأن علم النحو يغلب عليه الجانب التطبيقي كعلم التجويد.

ولكي تتمكنوا من تقويم ألسنتكم اقرؤوا كل يوم صفحتين، أو أكثر بصوت مرتفع من كتاب مشكول، وليكن مثلا صحيح الإمام البخاري، أو غيره من الكتب المضبوطة بالشكل، واستمروا علىٰ ذلك زمانا، وسوف ترون نتيجة مبهرة إن شاء الله تعالىٰ.

الخامس: سلوا الله أن يعلمكم العلم النافع، وأن يرزقكم الإخلاص في القول والعمل؛ فإن الموفق من وفقه الله للخير، وإن المخذول من صرف الله عَزَّوَجَلَّ عنه الخير.

هذا، وأسأل الله لي ولكم الفوز في الدارين، كما أسأله أن يرزقنا وإياكم العمل بما نعلم، كما أسأله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يغفر لنا ولكم وآبائنا وأمهاتنا ذنوبنا وتقصيرنا.

هذا، وصل اللَّهُمَّ وسلم وبارك على نبينا محمد،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فضيلة الشيخ الدكتور

خالد الجهني

الدرس الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الإخوة، والأخوات في هذه الدورة العلمية المباركة، وهذا هو الدرس الأول من دروس النحو من كتاب «المختصر في النحو»، وفي هذا الدرس نتعرف إن شاء الله تعالىٰ علىٰ ما جاء في التمهيد، وهو مبادئ علم النحو، وأهمية دراسة علم النحو.

أما **مبادئ علم النحو**، فقد جمعها الصبان في أبيات شعرية، وهي قوله:

إنَّ مبادي كل فنٍّ عشرهْ ... الحدُّ والموضوعُ ثمَّ الثمرهْ

نسبةٌ وفضلهُ والواضعْ ... والاسمُ الاستمدادُ حكمُ الشارعْ

مسائلٌ والبعضُ بالبعض اكتفى ... ومن دَرى الجميعَ حازَ الشَّرفَا

هذه هي المبادئ العشرة التي ينبغي لطالب العلم أن يتعلمها إذا أراد أن يدرس أيَّ علم دراسة تأصيلية.

أما المبدأ الأول: فهو حد علم النحو، أي تعريفه.

النحو في اللغة له عدة معانٍ:

الأول: الشَّبه، والمِثل، يقال: زيد نحو عمرو، أي شبهه، ومِثله.

ويطلق النحو علىٰ المقدار، والكمية، تقول مثلا: اشتريت نحو كيلو عسل، أي مقدار كيلو عسل.

ويطلق النحو علىٰ الجهة، تقول مثلا: سافرت نحو مكة، أي جهة مكة.

وقد عرَّف النُّحاة النحو بقولهم: هو العلم بالقواعد التي يعرف بها أحوال أواخر الكلمات العربية في حال تركيبها إعرابا، وبناءً.

ومن هذا التعريف يتضح، ويتبين **المبدأ الثاني:** وهو موضوع علم النحو.

موضوع علم النحو هو الكلمات العربية من حيث اختلاف الأحوال الداخلة عليها في حال تركيبها.

أي علم النحو يهتم بأواخر الكلمات العربية في حال ركيبها في جمل مفيدة، وهذا بخلاف علم الصرف، علم الصرف موضوعه بِنية الكلمة، يهتم ببنية الكلمة، أما علم النحو فيهتم بالحرف الأخير.

أما المبدأ الثالث: فهو الثمرة المرجوة، والفائدة من تعلم علم النحو، لماذا نتعلم علم النحو؟

من الثمرات المرجوة من تعلم علم النحو: فهم القرآن الكريم، والحديث النبوي فهما صحيحا، الذي درس النحو يستطيع أن يميز بين الفاعل، والمفعول بخلاف الذي لا يعرف الفرق بين الفاعل والمفعول، وغير ذلك من مسائل النحو، ومن ثَم لا يفهم من الذي فعل؟ ومن الذي فُعل به؟

كذلك من الثمرات، والفوائد المرجوة من تعلم علم النحو: إدراك إعجاز القرآن الكريم، والوقوف علىٰ أسراره.

كذلك من الثمرات: صيانة اللسان عن خطأ النطق، واليد عن خطأ الكتابة، والعقل عن خطأ الفهم، والجوارح عن خطأ العمل، لا تتكلمُ كلمة خطأ، ولا تكتب كلمة خطأ، ولا تفهم كلمة خطأ، ولا تعمل عملا خطأ، هذا إن تعلَّمت علم النحو.

أما المبدأ الرابع: فهو نسبة علم النحو.

علم النحو ينسب إلىٰ العلوم العربية، كعلوم البلاغة، وعلم العَروض، والأدب، ونحو ذلك.

أما المبدأ الخامس: فهو فضل علم النحو.

علم النحو فضله عظيم، لماذا؟ لأن به يميز الكلام الصحيح من سقيمه، وهو أداة أساسية لفهم كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وكلام رسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أما المبدأ السادس: فهو واضع علم النحو.

علم النحو وضعه أبو الأسود الدُّؤَلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والسبب في ذلك: أن أبا الأسود دخل علىٰ ابنته يوما، فقالت له: يا أبتِ، ما أشدُّ حر، فظنها تسأل، وتقول: أيّ زمان الحر أشد؟ فأجابها قائلا: شهر صفر.

فقالت: يا أبتِ، إنما أخبرتك، ولم أسألك، يعني هي تريد أن تتعجَّب، ولا تسأل، وكان الأولىٰ لها أن تقول: ما أشدَّ الحر، هذا أسلوب تعجب، أما قولها: ما أشدُّ الحر؟ فهذا أسلوب استفهام، فذهب أبو الأسود إلىٰ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقال له: يا أمير المؤمنين ذهبت لغة العرب لما خالطت العجم، وأوشك إن تطاول عليها زمان أن تضمحل -أي تندثر-، فقال له: وما ذاك؟ فأخبره خبر ابنته -أخطأت في النحو-، فأمره علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن يضع علم النحو، وأملىٰ عليه: الكلام كله لا يخرج عن اسم، وفعل، وحرف جاء لمعنىٰ، ثم رسم أصول علم النحو كلها، فنقلها النحويون، وفرَّعوها.

ومن هذه القصة يتضح أن السبب في وضع علم النحو هو الخوف من ضياع اللغة العربية، ومن ثَم عَدم فهم كلام ربنا عَزَّوَجَلَّ، وكلام نبينا صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أما المبدأ السابع: فهو اسم علم النحو.

من أسماء علم النحو: علم الإعراب، وقواعد الإعراب.

أما المبدأ الثامن: فهو استمداد علم النحو.

علم النحو يستمد قواعده من ثلاثة مصادر:

الأول: القرآن الكريم.

الثاني: السنة النبوية.

الثالث: فصيح كلام العرب.

أما المبدأ التاسع: فهو حكم تعلم، وتعليم علم النحو.

قال العلماء: تعلم، وتعليم علم النحو فرض كفاية إذا قام به من يكفي سقط عن الباقين.

أما المبدأ العاشر والأخير: فهو مسائل علم النحو.

من المسائل التي يبحث فيها علم النحو: رفع الفاعل، والمبتدأ، والخبر، ونصب المفعول، والحال، والظرف، وجر المضاف إليه وما بعد حروف الجر، وجزم الفعل المضارع، إلىٰ غير ذلك من مسائل علم النحو التي سنتناولها إن شاء الله تعالىٰ في هذه الدورة المباركة.

أما أهمية دراسة علم النحو، فتظهر في أقوال السلف رحمهم الله تعالىٰ، فها هو أمير المؤمنين عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يأمرنا قائلا: «**تعلموا النحو كما تعَلّمون السنن، والفرائض**».

وكان عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يضرب ولده علىٰ اللحن، أي الخطأ في النحو.

وقال مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ: «**لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب**».

وقال الخليل رَحِمَهُ اللَّهُ: «**لحن أيوب السِّخْتِياني، فقال: أستغفر اللهُ**».

هذا يدلك علىٰ أن السلف كان يستعظمون الخطأ في النحو.

وقال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**من تبحَّر في النحو اهتدىٰ إلىٰ جميع العلوم**».

وقال ابن الصلاح رَحِمَهُ اللَّهُ: «**حق علىٰ طالب الحديث أن يتعلم من النحو، واللغة ما يتخلص به من شَين اللحن، والتحريفِ، ومَعَرَّتِهِما**».

وقال ابن خلدون رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «علم النحو هو العلم الأهمُ المقدمُ من علوم اللغة؛ إذ به تتبين أصول المقاصد بالدلالة، فيعرف الفعل من المفعول، والمبتدأ من الخبر، ولولاه لجُهِلَ أصلُ الإفادة».

سؤال الدرس

ضع علامة صح أمام العبارة الصحيحة، وعلامة خطأ أمام العبارة الخاطئة:

الأولى: ينسب علم النحو إلىٰ العلوم العربية.

الثانية: واضع أصول علم النحو هو أبو الأسود الدؤلي.

الثالثة: حكم تعلم علم النحو، وتعليمه فرض عين.

الرابعة: علم النحو هو العلم بالقواعد التي يعرف بها أحوال أواخر الكلمات العربية في حال تركيبها إعرابا، وبناءً.

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الإخوة المؤمنون، وأيتها الأخوات المؤمنات في هذه الدورة العلمية المباركة، وهذا هو الدرس الثاني من دروس النحو من كتاب «المختصر في النحو»، وفي هذا الدرس نتعرف إن شاء الله تعالىٰ علىٰ تعريف الكلام عند النحويين، وأنواع الكلمة، وأنواع الفعل.

قال المصنف عفا الله عنه:

«علم النحو

وفيه بابان:

الباب الأول: الكلام.

الباب الثاني: البناء، والإعراب».

ثم شرع في بيان الباب الأول، فقال:

«الباب الأول: الكلام

وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: تعريف الكلام.

الفصل الثاني: أنواع الكلمة.

الفصل الثالث: أنواع الفعل.

الفصل الرابع: علامات الأسماء، والأفعال، والحروف.

الفصل الخامس: النكرة، والمعرفة».

ثم شرع في تفصيل ذلك، فقال:

الفصل الأول: تعريف الكلام

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: ما هو الكلام عند النَّحْويين؟

أي ما تعريف الكلام عند النحويين؟ لأننا عرفنا أن موضوع علم النحو هو أواخر الكلمات العربية في حال تركيبها، فالآن نريد أن نعرف ما هو الكلام الذي هو موضوع علم النحو؟

الكلام عند النحويين هو ما تركَّب من كلمتين، أو أكثر، وأفاد فائدة يحسُن السكوت عليها.

ومثال ذلك: تقول: زيد مجتهد، والحديقة جميلة، وصعِد الخطيب علىٰ المنبر.

إذا تأملتَ هذه الأمثلة، وجدتَ أن كل مثال يشتمل علىٰ أجزاء، كل جزء من هذه الأجزاء لا يفيد فائدة يحسن السكوت عليها، فمثلا قلت: زيد مجتهد، «**زيد**» فقط جزء، وهذا الجزء لا يفيد فائدة يحسن السكوت عليها، كذلك «**مجتهد**» جزء، لا يحسن السكوت علىٰ هذا الجزء، يعني لا يفيد فائدة يحسن السكوت عليها.

كذلك الحديقة جميلة، «**الحديقة**» جزء، و«**جميلة**» جزء، وكل جزء لا يحسن السكوت عليه.

كذلك صعِد الخطيب علىٰ المنبر، «**صعد**» جزء، و«**الخطيب**» جزء، و«**علىٰ**» جزء، و«**المنبر**» جزء، فكل جزء من هذه الأجزاء لا يسمىٰ كلاما عند النحويين، لماذا؟ لأنه لا يفيد فائدة يحسن السكوت عليها.

أما إذا تأملت كل مثال علىٰ حدة: زيد مجتهد، الحديقة جميلة، صعِد الخطيب علىٰ المنبر.

كل مثال من هذه الأمثلة يفيد فائدة يحسن السكوت عليها؛ لذلك يسمىٰ كلامًا عند النحويين.

إذن كل كلام يفيد فائدة تامة يحسن السكوت عليها يسمىٰ كلاما عند النحويين.

أما إذا تكلمتُ بكلام، ولم تستفِد منه فائدة يحسن السكوت عليها فهذا لا يسمىٰ كلاما عند النحويين، مثلا إذا قلت لك: إذا أشرقت الشمس، فهذا لا يسمىٰ كلاما عند النحويين؛ لأنه لا يفيد فائدة يحسن السكوت عليها.

وهنا فائدة: قد يتركب الكلام من كلمتين إحداهما ظاهرة، والأخرىٰ مستترة.

مثال: أقول لك: **اقرأ**، هذه ليست كلمة واحدة وإنما كلمتان: إحداهما ظاهرة، وهي **اقرأ**، والأخرىٰ مستترة، وهي **أنت**.

إذن الكلام عند النحويين قد يتركب من كلمتين: إحداهما ظاهرة، والأخرىٰ مستترة.

ثم قال المصنف عفا الله عنه:

المسألة الثانية: هل الكلمة الواحدة تسمى كلاما عند النحويين؟

الكلمة الواحدة لا تسمىٰ كلاما عند النحويين، لماذا؟ لأنها لا تفيد فائدة يحسن السكوت عليها كما تقدم، ولكن إذا كان الكلام مقدَّرا، فهنا تسمىٰ الكلمة كلاما عند النحويين، كما ذكرت لك فيما مضىٰ.

مثلا: كلمة **جاء**، لا تسمىٰ كلاما عند النحويين، متىٰ تسمىٰ كلاما؟ إذا كان الكلام مقدَّرا، يعني مثلا أقول: ماذا فعل زيد؟ فتقول: جاء، يوجد كلام مقدر، أصل الكلام: جاء زيد، فهذا يسمىٰ كلاما عند النحويين.

كذلك كلمة: **قلم** لا تسمىٰ كلاما عند النحويين إلا إذا كان الكلام مقدَّرا، إذا

قلت: **قلم**، ولم يسبق هذا كلام، ولا يلحقه كلام، فهذا لا يسمىٰ كلاما عند النحويين، أما إذا قلت لك: ماذا اشتريت؟ تقول: قلما، فهنا يوجد كلام مقدَّر، فهذا يسمىٰ كلاما عند النحويين، وأصل الكلام: اشتريتُ قلما.

إذن الكلام النحوي هو كلام يشتمل علىٰ فائدة يحسن السكوت عليها، تقول: جلس الأمير، رأيت أسدًا، المسلمون مجتهدون.

أما الكلام غير النحوي فهو لا يشتمل علىٰ فائدة يحسن السكوت عليها، تقول: إن جاء، وتسكت، فهذا ليس كلاما عند النحويين، وإن كان يسمىٰ كلاما عند غيرهم، تقول: فعل، وتسكت، فهذا لا يسمىٰ كلاما عند النحويين، أو تقول: كان الجو، وتسكت، فهذا لا يسمىٰ كلاما عند النحويين.

ثم قال المصنف عفا الله عنه:

الفصل الثاني: أنواع الكلمة

وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: ما هي أنواع الكلمة؟

الكلمة ثلاثة أنواع:

إما أن تكون اسما.

وإما أن تكون فعلًا.

وإما أن تكون حرفًا.

طيب ما معنىٰ الاسم؟، وما معنىٰ الفعل؟، وما معنىٰ الحرف؟ هذا سنتعرف عليه في المسائل التالية إن شاء الله.

المسألة الثانية: ما هو الاسم؟

الاسم: هو كل كلمة دلت علىٰ معنىٰ في نفسها، ولم تقترن بزمن، يعني الاسم كلمة تدل علىٰ معنىٰ في نفسها، ولا تقترن بزمن.

ومن الأمثلة على ذلك: محمد، أسد، أرض، بيت، مال، شجر.

فكل هذه الكلمات تدل علىٰ معنىٰ في نفسها، ولم تقترن بزمن، يعني لا تفيد حدوث هذه الكلمة في زمن، إما في الماضي، أو المضارع، أو المستقبل.

وهنا فائدة: كل كلمة تدل علىٰ إنسان، أو حيوان، أو نبات، أو جماد، أو مكان فهي اسم.

المسألة الثالثة: ما هو الفعل؟

الفعل: هو كل كلمة دلت معنىٰ في نفسها، واقترنت بزمن.

من هذا التعريف يتضح الفرق بين الاسم، والفعل، قلنا في الاسم: هو كل كلمة دلت علىٰ معنىٰ في نفسها، ولم تقترن بزمن.

أما الفعل: فهو كل كلمة دلت علىٰ معنىٰ في نفسها، واقترنت بزمن.

ومن الأمثلة على الفعل: حَفِظَ، جَلَسَ، يَحفَظُ، يَجلِسُ، احفَظْ، اجلِسْ، فكل هذه الكلمات دلت علىٰ معنىٰ في نفسها، واقترنت بزمن.

فمثلا: حَفِظَ، دلت علىٰ معنىٰ الحفظ، واقترنت بزمن، وهو زمن حدوثها وهو الماضي قبل زمن التكلم.

وكلمة: يَحْفَظُ، دلت معنىٰ الحفظ، واقترنت بزمن، زمن الحدوث وهو الحال، يحفظ الآن.

كلمة: احْفَظْ دلت علىٰ معنىٰ الحفظ، واقترنت بزمن وهو المستقبل.

المسألة الرابعة: ما هو الحرف؟

الحرف: هو كل كلمة دلت علىٰ معنىٰ في غيرها.

وبعض العلماء عرَّف الحرف بقوله: هو كل كلمة ليست اسما، ولا فعلا؛ لأن الكلام عندنا إما أن يكون اسما، وإما أن يكون فعلا، وإما أن يكون حرفا، فإذا لم يكن اسما، ولا فعلا فهو الحرف.

ومن الأمثلة على الحرف: في، مِن، علىٰ، لكن، إلىٰ، عن، سوف.

فكل هذه الكلمات لا تدل علىٰ معنىٰ في نفسها إلا إذا اقترنت بغيرها.

تقول مثلا: نظرتُ في المصحفِ.

في: حرف جر لا يفيد فائدة إلا إذا اقترن بكلمة أخرىٰ، نظرت في المصحف، فهنا في أفادت معنىٰ **الظرفية**.

تقول مثلا: جلستُ علىٰ الكرسي.

على: حرف لا يفيد فائدة إلا إذا اقترن بكلمة أخرىٰ، جلستُ علىٰ الكُرسي أفاد معنىٰ **الفوقية**.

تقول مثلا: سافرت إلىٰ مكة.

إلى: حرف لم يُفد فائدة إلا إذا اقترن بغيره، سافرت إلىٰ مكة أفاد معنىٰ **الانتهاء**.

إذن الحروف لا تفيد فائدة إلا إذا اقترنت بغيرها.

إذن عرفنا أنواع الكلمة وهي ثلاثة: الاسم، والفعل، والحرف وعرفنا تعريف كل نوع من هذه الأنواع الثلاثة.

وعرفنا الفرق بين الاسم، والفعل: الاسم لا يقترن بزمن، والفعل يقترن بزمن.

ثم قال المصنف عفا الله عنه:

الفصل الثالث: أنواع الفعل

وفيه أربع مسائل.

عرفنا في الفصل السابق أنواع الكلمة وهي ثلاثة: اسم، وفعل، وحرف، وفي هذا الفصل نتعرف علىٰ أنواع الفعل.

المسألة الأولى: ما هي أنواع الفعل؟

ينقسم الفعل ثلاثة أنواع:

الأول: ماضٍ.

الثاني: مضارع.

الثالث: الأمر.

يعني الفعل إما أن يكون ماضيا، وإما أن يكون مضارعا، وإما أن يكون أمرا.

ثم شرع في بيان كل نوع من هذه الأنواع الثلاثة، فقال:

المسألة الثانية: عرِّف الفعل الماضي، واذكر أمثلة عليه.

الفعل الماضي: هو ما دل على حدث وقع قبل زمن التكلم.

يعني الفعل الماضي يكون حدوثه قبل زمن التكلم.

مثلًا أقول: توضأتُ، صليتُ، صمتُ، حفظتُ، نمتُ، أكلتُ، شربتُ، استغفرتُ، ندمتُ.

فكل هذه الكلمات أفعال ماضية، لماذا؟ لأنها وقعت قبل أن أتكلم.

المسألة الثالثة: عرف الفعل المضارع، واذكر أمثلة عليه.

الفعل المضارع: هو ما يدل علىٰ حدث يقع أثناء زمن التكلم، أو بعده.

يقول مثلا: أكتبُ، نكتبُ، يكتبُ، تكتبُ، أتوبُ، نتوبُ، يتوبُ، تتوبُ، أصلِّي، نصلّي، يصلّي، تصلّي، أنامُ، نَنامُ، ينامُ، تنامُ، فكل هذه الكلمات مضارعة، لماذا؟ لأنها تدل علىٰ حدث يقع أثناء زمن التكلم.

أكتبُ: أنا الآن أكتب، ما زلت أكتب، نكتبُ كذلك، نكتب جميعا، يكتبُ فلان، تكتبُ فلانة.

فهذا كله يدل علىٰ حدث يقع أثناء زمن التكلم، لذلك كل هذه الكلمات من الفعل المضارع.

هنا فائدة: وهي أنه لا بد أن يبدأ الفعل المضارع بحرف من حروف كلمة «**أنيت**» الألف، والنون، والياء، والتاء، ولا يكون أحدها من أصل الكلمة، فإن كان الحرف من أصل الكلمة لم تكن فعلا مضارعا، يعني الألف، والنون، والياء، والتاء لابد أن تكون زائدة، فإن كانت من أصل الكلمة فحينئذ لا تكون فعلا مضارعا.

ومن الأمثلة على ذلك: أَمَرَ، ونَفَذَ، ويَبِسَ، وتَعِبَ.

فكل هذه الأفعال ليست مضارعة؛ لماذا؟ لأن أول كل حرف -وإن كان من حروف كلمة أنيت- أصل في الكلمة.

«**أمر**»: الهمزة أصل في الكلمة، «**نفذ**»: النون أصل في الكلمة، «**يبس**»: الياء أصل في الكلمة، «**تعب**»: التاء أصل في الكلمة؛ لذلك ليست من الأفعال المضارعة.

ثم قال المصنف عفا الله عنه:

المسألة الرابعة: عرِّف فعل الأمر، واذكر أمثلة عليه.

فعل الأمر: هو ما يدل علىٰ حدث يُطلَبُ حصولُه بعد زمن التكلم، إذا طلبتُ منك شيئًا، فهذا يسمىٰ بفعل الأمر.

ومن ذلك أقول: توضّأْ، اشرَبْ، انتبِهْ، استَغفِرْ، صُمْ، تَكلَّمْ، تَصدَّقْ.

فكل هذه تسمىٰ فعل أمر، لماذا؟ لأنها تدل علىٰ حدث يُطلب حصوله بعد زمن التكلم.

إذن الأفعال ثلاثة: ماضٍ، ومضارع، وأمر.

الماضي: يدل علىٰ حدث وقع قبل زمن التكلم.

والمضارع: يدل علىٰ حدث يقع أثناء زمن التكلم، أو بعده.

والأمر: يدل علىٰ حدث يُطلب حصوله بعد زمن التكلم.

❁❁❁

أسئلة الدرس

السؤال الأول: اذكر مثالين علىٰ الكلام النَّحْوي، ومثالين علىٰ الكلام غير النحوي.

السؤال الثاني: بين نوع كل كلمة من الكلمات الآتية، مع بيان السبب: محمد- جلس - إلىٰ- رأىٰ- يأكل- في- سافر.

السؤال الثالث: استخرج الأسماء، والأفعال، والحروف من الجمل الآتية:

الأولى: إنَّ النّحوَ سَهلٌ.

الثانية: كتبَ الولدُ الواجبَ في ورقةٍ.

الثالثة: رضِيَ اللهُ عن الصحابةِ.

السؤال الرابع: بين نوع كل فعل من الأفعال الآتية:

تكلمَ- اتَّقِ- ذَهَبَ- ستتقدَّمُ- تَعالْ-يشرَب- كَتَبَ- اكتُبْ- يَسْعَدُ- صَلِّ.

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الثالث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الإخوة المؤمنون، وأيتها الأخوات المؤمنات في هذه الدورة العلمية المباركة، وهذا هو الدرس الثالث من دروس النحو من كتاب «المختصر في النحو»، وفي هذا الدرس نتعرف إن شاء الله تعالىٰ علىٰ علامات الاسم، والفعل، والحرف، والنكرة، والمعرفة.

قال المصنف عفا الله عنه:

الفصل الرابع: علامات الاسم والفعل والحرف

وفيه ثلاث مسائل.

عرفنا فيما مضىٰ أن الكلمة ثلاثة أنواع: اسم، وفعل، وحرف، وفي هذا الفصل نتعرف إن شاء الله تعالىٰ علىٰ العلامات التي تميز كلا من الاسم، والفعل، والحرف.

المسالة الأولى: كيف يُعرف الاسم؟

أي ما هي العلامات التي تميز الاسم عن الفعل، والحرف؟ متىٰ وجدنا علامة منها عرفنا أن هذه الكلمة اسم.

كل كلمة تقبل علامة من العلامات الآتية فهي اسم.

انتبه جيدا إلىٰ هذه العلامات، متىٰ وجدت علامة منها في كلمة فإنها تدل علىٰ أن هذه الكلمة اسم.

العلامة الأولى: دخول الألف واللام.

الألف واللام لا يدخلان إلا علىٰ الاسم فقط، **ومن ذلك**: العلم، والصبر، والإنسان، والحمد، والنبات، فكل هذه الكلمات أسماء؛ لدخول الألف واللام عليها.

واذا حاولنا إدخال الألف واللام علىٰ الفعل، أو الحرف لم نستطع أن نقول في كلمة **جاء**: الجاء، أو ذهب: الذهب، أو في: الفي، أو هل: الهل، هذا لا يمكن.

إذن أول علامة تدل علىٰ أن هذه الكلمة اسم هي الألف واللام.

العلامة الثانية: دخول حروف الجر.

حروف الجر لا تدخل إلا علىٰ الأسماء فقط، متىٰ وجدت كلمة قبلها حرف جر فاعلم أن هذه الكلمة اسم.

ومن ذلك: مررت بزيد، ووقفت علىٰ كرسي، وجئتُ من مصر.

فكلمة **زيد**، وكلمة **كرسي**، وكلمة **مصر**، أسماء، لماذا؟ لدخول حرف الجر علىٰ كل كلمة منها.

وحروف الجر لا تدخل علىٰ الأفعال، ولا تدخل علىٰ الحروف، لا تقول: علىٰ كتب، ولا تقول: علىٰ عن، لا يمكن هذا، لماذا؟ لأن حرف الجر لا يدخل إلا علىٰ الأسماء فقط.

العلامة الثالثة: النداء.

حرف النداء لا يدخل إلا علىٰ الاسم، لذلك متىٰ وجدتَ كلمة قبلها حرف نداء، فاعلم أن هذه الكلمة اسم.

ومن الأمثلة على ذلك: يا إبراهيم، يا خديجة، يا رب.

فكلمة **إبراهيم**، وكلمة **خديجة**، وكلمة **رب**، أسماء، لماذا؟ لدخول حرف النداء علىٰ كل كلمة منها.

وحرف النداء لا يدخل علىٰ الحرف والفعل، لا تقول: يا ذهب، أو: يا انتصر، أو: يا عن، إلىٰ آخر ذلك.

العلامة الرابعة: التنوين.

متىٰ وجدت كلمة منونة، فاعلم أنها اسم، **والتنوين** هو نون ساكنة تلحق آخر الاسم لفظًا، وتفارقه خطًّا.

تقول: محمدٌ، أسدٌ، عقيدةٌ، شجرةٌ، نباتٌ.

فكل هذه الكلمات أسماء، لماذا؟ لأنها نُوِّنت علىٰ الحرف الأخير منها تنوين، والتنوين لا يدخل علىٰ الأفعال، ولا الحروف.

العلامة الخامسة: الجر بالإضافة.

تقول مثلا: بيت عمرٍو، حديقة زيدٍ.

فكل من عمرو، وزيد أسماء، لماذا؟ لأنهما مجروران بالإضافة، **فعمرو** أُضيف إلىٰ بيت، **وزيد** أُضيف إلىٰ حديقة.

إذن علامات الاسم خمسة: دخول الألف واللام، ودخول حروف الجر، والنداء، والتنوين، والجر بالإضافة، متىٰ وجدت علامة من هذه العلامات الخمس في كلمة فاعلم أنها اسم، هذه العلامات لا تدخل علىٰ الأفعال، ولا تدخل علىٰ الحروف، إنما تختص فقط بالأسماء.

المسالة الثانية: كيف يُعرف الفعل؟

ما هي العلامات التي يعرف بها الفعل؟ هذه العلامات لا تدخل إلا علىٰ الفعل فقط، يعني لا تصلح للأسماء، ولا تصلح للحروف.

كل كلمة تقبل علامة من العلامات الآتية فهي فعل:

العلامة الأولى: قد.

تقول: قد جاء المسافر، وتقول: قد ينجح المهمل.

فكلمة **جاء** فعل، لماذا؟ لدخول قد عليها، كذلك كلمة **ينجح** فعل؛ لدخول قد عليها.

و«**قد**» علامة خاصة بالفعل، لا تدخل علىٰ الأسماء، لا يمكن أن تقول: قد محمد، أو: قد شجرة أو: قد هل، أو: قد في.

العلامة الثانية: السين.

السين لا تدخل إلا علىٰ الأفعال، متىٰ وجدت حرف السين الزائد فاعلم أن هذه الكلمة فعل.

مثال ذلك: سنحفظ القرآن، ستنتشر السنة.

فكل من **نحفظ**، **وتنتشر** فعل؛ لدخول السين عليها.

العلامة الثالثة: سوف.

سوف لا تدخل إلا علىٰ الأفعال، تقول مثلا: سوف أسافر، سوف أحفظ السنة، فكل من **أسافر**، **وأحفظ** فعل، لماذا؟ لدخول سوف عليه.

العلامة الرابعة: تاء التأنيث الساكنة.

تقول: جلست هند، نامت صفية، فكل من **جلس**، **ونام** فعل، لماذا؟ لدخول تاء التأنيث الساكنة عليه.

العلامة الخامسة: الدلالة على الطلب مع قبول ياء المخاطبة، أو نون التوكيد.

ومن الأمثلة على ذلك: اقرأ، اجتهد، اشربْ، تأملْ.

فكل هذه الكلمات أفعال، لماذا؟ لأنها تدل علىٰ الطلب.

كلمة **اقرأ** تدل علىٰ طلب القراءة، وكلمة **اجتهد** تدل علىٰ طلب الاجتهاد، وكلمة **اشرب** تدل علىٰ طلب الشرب، وكلمة **تأمل** تدل علىٰ طلب التأمل.

وكل كلمة من هذه الكلمات تقبل ياء المخاطبة، أو نون التوكيد، تقول: اقرئي، اجتهدي، اشربي، تأملي، فكل كلمة من هذه الكلمات دخلت عليها ياء المخاطبة.

وتقول: اقرأَنَّ، اجتهدَنَّ، اشرَبَنَّ، تأملَنَّ، فكل كلمة من هذه الكلمات قبلت نون التوكيد، لذلك كل كلمة دلت علىٰ الطلب مع قبول ياء المخاطبة، أو نون التوكيد فهي فعل.

وعلى هذا يمكن تقسيم علامات الأفعال أربعة أقسام:

القسم الأول: ما يخص الفعل المضارع، وهو دخول السين، وسوف.

فالسين، وسوف لا تدخلان إلا علىٰ الفعل المضارع فقط.

القسم الثاني: ما يخص الفعل الماضي، وهو دخول تاء التأنيث الساكنة.

فتاء التأنيث الساكنة لا تدخل إلا علىٰ الفعل الماضي فقط.

القسم الثالث: ما يخص فعل الأمر، وهو الدلالة علىٰ الطلب مع قبول ياء المخاطبة، أو نون التوكيد.

القسم الرابع: ما يشترك فيه الفعل المضارع، والفعل الماضي، وهو دخول **قد**.

المسألة الثالثة: كيف يُعرف الحرف؟

يعرف الحرف بعدم قبوله علامةً من علامات الاسم، والفعل المتقدمة.

يعني الحرف لا يقبل علامة من علامات الاسم، ولا يقبل علامة من علامات الفعل.

ومن الأمثلة على ذلك: هل، وعلىٰ، ورُبَّ، وحتىٰ، وعن.

فكل هذه الكلمات حروف؛ لأنها لا تقبل علامة من علامات الاسم، ولا تقبل علامة من علامات الفعل.

ثم قال المصنف عفا الله عنه:

الفصل الخامس: النكرة والمعرفة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: النكرة.

المبحث الثاني: المعرفة.

المبحث الأول: النكرة

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: ما هي النكرة؟

النكرة هي الاسم الذي لا يدل على شيء معين، بل يصح إطلاقه على كل واحد من أفراد جنسه على سبيل البدل.

يعني النكرة اسم، هذا الاسم لا يدل علىٰ شيء معين، بل يمكن أن يطلق علىٰ كل واحد من أفراد الجنس علىٰ سبيل البدل.

تقول مثلا: كتاب، كلمة **كتاب** لا تدل علىٰ كتاب معين، فيمكن إطلاقها علىٰ كل كتاب، لذلك فهي نكرة.

كذلك كلمة رجل نكرة؛ لأنها لا تدل علىٰ رجل معين، بل يمكن إطلاقها علىٰ كل رجل.

كذلك كلمة **شجرة**، وكلمة **قلم**، كلمة **أستاذ**، هذه الكلمات كلها نكرات، لماذا؟ لأنها لا تدل علىٰ شيء معين، بل يمكن إطلاقها علىٰ كل واحد من جنس هذه الكلمة.

المسألة الثانية: بِمَ تُعرف النكرة؟

تعرف النكرة بصحة دخول الألف واللام عليها، وإذا دخلت عليها الألف واللام صارت معرفة.

مثال ذلك: كلمة **غلام** نكرة، لماذا؟ لأنه يمكن دخول الألف واللام عليه، تقول: **الغلام**، الغلام معرفة؛ لدخول الألف واللام عليها.

كذلك **امرأة** نكرة، لماذا؟ لأنه يمكن دخول الألف واللام عليها **المرأة**، وإذا دخلت الألف واللام عليها صارت معرفة.

كذلك **شجرة** إذا دخلت عليها الألف واللام صارت الشجرة.

كذلك **حيوان** تصير الحيوان، **بيت** تصير البيت.

ثم قال المصنف عفا الله عنه:

المبحث الثاني: المعرفة

وفيه مسألة واحدة: ما هي المعرفة؟ وما هي أقسامها؟

المعرفة هي الاسم الذي يدل على شيء معين، وأقسامها ستة:

القسم الأول: الضمائر، وهي ما دلت علىٰ متكلِّم، أو مُخاطَب، أو غائب.

إذن أول قسم من أقسام المعرفة: الضمائر، والضمائر ثلاثة أنواع: **إما أن تدل على متكلم**، تقول: أنا، نحن، أنا للمفرد، ونحن للجماعة.

وإما أن تدل على المخاطب، تقول: أنت، أنت، أنتما، أنتم، أنتنَّ.

وإما أن تدل على غائب، تقول: هو، هي، هما، هم، هُنَّ.

هذه كلها ضمائر، وهي من المعرفة.

القسم الثاني: الأعلام، كأسماء الأشخاص، وأسماء البلدان، زيد، عمرو، خديجة، محمد، مكة، مصر، اليمن، سوريا، تركيا، السعودية، المغرب، تونس، كل هذه من المعرفة؛ لأنها أعلام.

القسم الثالث: أسماء الإشارة، ومنها: هذا، هذه، هذان، هاتان، هؤلاء.

القسم الرابع: الأسماء الموصولة، ومنها: الذي، التي، اللذان، اللتان، الذين، اللائي فكل هذه من المعرفة.

القسم الخامس: المقترن بالألف واللام، أيُّ كلمة اقترنت بالألف واللام فهي معرفة مثل: الرجل، الكتاب، الشجرة، الصلاة، البر، العقوق، الصدق.

القسم السادس: ما أضيف إلى واحد من الأقسام الخمسة السابقة.

- **كأن تضيف كلمة إلى ضمير**، فهذه الكلمة تصير معرفة، مثل: كتابك، بيتكم، فكل من كتابك وبيتك معرفة، لماذا؟ لأنها أضيفت إلىٰ **ضمير.**

- **وكأن تضيف الكلمة إلى عَلَم**، تقول: كتاب محمد، بيت سعد، فكل من كلمة **كتاب**، و**بيت** معرفة، لماذا؟ لأنها أضيفت إلىٰ عَلَم.

- كذلك كأن تقول: كتاب هذا الطالب، بيت هؤلاء الرجال، فكل من **كتاب**، و**بيت** معرفة؛ لأنها **أضيفت إلى اسم إشارة**.

- وكأن تقول: كتاب الذي اجتهد، فكلمة **كتاب** معرفة **أضيفت إلى اسم موصول**.

- وكأن تقول: كتاب الطالبِ، كلمة **كتاب** هذه معرفة، لماذا؟ لأنها **أضيفت إلى كلمة معرَّفة بالألف واللام**.

❁❁❁

أسئلة الدرس

السؤال الأول: اذكر علامات كلا مما يأتي، مع ذكر أمثلة علىٰ ما تقول:

الأول: الاسم.

الثاني: الفعل.

السؤال الثاني: استخرج الأسماء، والأفعال، والحروف من الجمل الآتية، مبينًا علامة كل منها:

١- قال تعالىٰ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

٢- قال تعالىٰ: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزُّخرُف:٧٧].

السؤال الثالث: بيّن نوع كل كلمة مما يأتي من حيث النكرة والمعرفة، ثم بين علامتها.

الأولى: شجرة- الكتاب- خديجة- هؤلاء- أنتم- أولادنا- سيارة.

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الإخوة المؤمنون، وأيتها الأخوات المؤمنات في هذه الدورة العلمية المباركة، وهذا هو الدرس الرابع من دروس النحو من كتاب «المختصر في النحو»، وفي هذا الدرس نتعرف إن شاء الله تعالىٰ علىٰ تعريف البناء، والإعراب.

قال المصنف عفا الله عنه:

الباب الثاني: البناء والإعراب

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: تعريف البناء، والإعراب.

الفصل الثاني: أحوال البناء.

الفصل الثالث: أحوال الإعراب.

ثم شرع المصنف عفا الله عنه في تفصيل ذلك، فقال:

الفصل الأول: تعريف البناء والإعراب

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: عرِّف البناء، مع ذكر أمثلة عليه.

البناء: هو أن يلزم آخرَ الكلمة حالٌ واحدة في جميع التراكيب كالضم، أو الفتح، أو الكسر، أو السكون.

يعني كل كلمة لا يتغير آخرها مطلقا مهما تغير موضعها في الجملة فإنها مبنية، وإما أن يكون آخر الكلمة مضمومًا، وإما أن يكون مفتوحًا، وإما أن يكون مكسورًا، وإما أن يكون ساكنًا، وهذه **تسمىٰ بأحوال البناء**.

والكلمات المبنية: هي بعض الأسماء، يعني الأسماء منها مُعْرَب، ومنها مبني، وجميع الحروف، فلا يوجد حرف معرَب إطلاقا.

وجميع الأفعال الماضية، كل فعل ماضٍ فهو مبني.

كذلك أفعال الأمر، لا يوجد فعل أمر معرَب.

كذلك الأفعال المضارعة المنتهية بنون التوكيد، أو نون النسوة، أما غير ذلك من الأفعال المضارعة فهو **مُعرَب**.

يعني نستطيع أن نقول: جميع الحروف، وجميع أفعال الأمر، وجميع الأفعال الماضية مبنية.

وكذلك: بعض الأسماء، والأفعال المضارعة المنتهية بنون التوكيد، أو نون النسوة.

ومن الأسماء المبنية: الضمائر، كل الضمائر مبنية: أنا، هو، تاء الفاعل.

وكذلك: أسماء الإشارة، كل أسماء الإشارة مبني ما عدا هذين، وهاتين، فإنهما مُعربان.

كذلك: كل الأسماء الموصولة مبنية ما عدا اللذين، واللتين.

كذلك: كل أسماء الاستفهام مبنية ما عدا أي.

ومن الحروف المبنية: في، وإلىٰ، وعن، ولعل.

ومن الأفعال الماضية المبنية: أكلَ، وشربَ، وحفظَ، وجلسَ، فهذه كلها مبنية علىٰ الفتح.

ومن أفعال الأمر المبنية: اكتبْ، انظرْ، افعلْ، اقرأْ، فكل هذه الكلمات مبنية علىٰ السكون.

ومن الأفعال المضارعة المبنية: يتتصرَنْ، ويقرأْنَ، فكلمة **ينتصرَنْ** انتهت بنون التوكيد، لذلك فهي فعل مضارع مبني، وكلمة **يقرأْنَ** انتهت بنون النسوة، لذلك فهي فعل مضارع مبني.

المسألة الثانية: ما هي الأسماء المبنية؟

الأصل في الأسماء أنها مُعربة إلا أنه يوجد بعض الأسماء مبنية.

أسماء الإشارة كلها مبنية ما عدا هذين، وهاتين.

مثال: هذا، هذه، هؤلاء، كل هذا مبني.

والأسماء الموصولة كلها مبنية ما عدا اللذَيْنِ، واللتَيْنِ.

مثال: الذي، التي، الذِين، كل هذا مبني.

وكذلك كل أسماء الاستفهام مبنية ما عدا أي.

مثال: كيف، أين، وهل.

كذلك كل أسماء الشرط مبنية ما عدا أي.

مثال: مَن، ما، متىٰ، أين، فكل هذه الأسماء مبنية.

كذلك جميع الضمائر مبنية.

مثال: أنا، هو، نحن، هُم.

فكل كلمة من هذه الكلمات المبنية يلزم آخرها حال واحدة، إما الضم، وإما الفتح، وإما الكسر، وإما السكون.

المسألة الثالثة: عرِّف الإعراب مع ذكر أمثلة عليه.

الإعراب: هو أن يتغير حال آخر الكلمة حسب موقعها في الجملة: رفعًا، ونصبًا، وجرًّا، وجزمًا.

يعني الكلمة التي يتغير آخرها حسب موقعها في الجملة، هذه تسمىٰ معرَبة، إما أن تكون مرفوعة، وإما أن تكون منصوبة، وإما أن تكون مجرورة، وإما أن تكون مجزومة، وهذه تسمىٰ أحوال الإعراب.

وأحوال الإعراب ثلاثة أنواع:

الأول: ما تشترك فيه الأفعال والأسماء، وهو الرفع، والنصب.

فالأسماء قد ترفع وقد تنصب، وكذلك الأفعال.

النوع الثاني: ما يخص الأسماء، وهو الجر.

القسم الثالث: ما يخص الأفعال، وهو الجزم.

فلا يوجد عندنا اسم مجزوم، الجزم خاص بالأفعال فقط.

والكلمات المعربة هي غالب الأسماء، وجميع الأفعال المضارعة إلا إذا اتصلت بها نون التوكيد، أو نون النسوة.

يعني أكثر الأسماء مُعرب، وجميع الأفعال المضارعة معربة إلا في حالين فقط إلا إذا اتصل الفعل المضارع بنون التوكيد يصير مبنيًا، كذلك إذا اتصل بنون النسوة يصير مبنيًّا.

تقول مثلا: جاء زيدٌ، رأيت زيدًا، مررت بزيدٍ، فكلمة زيد مُعربة، لماذا؟ لأنها رُفعت مرة، ونُصبت مرة، وجُرت مرة، وذلك لاختلاف العوامل الداخلة عليها.

كذلك تقول: يسافرُ زيدٌ، لن يسافرَ زيدٌ، لم يسافرْ زيدٌ، فكلمة يسافر كلمة معربة، لماذا؟ لأنها جاءت مرة مرفوعة، ومرة منصوبة، ومرة مجزومة، وذلك لاختلاف العوامل الداخلة عليها.

وهنا فائدة: وهي أن الإعراب قد يكون لفظًا، وقد يكون تقديرًا.

أما الإعراب اللفظي: فهو ما لا يمنع من النطق به مانع كما تقدم في الأمثلة السابقة.

تقول: جاءَ زيدٌ، نطقتَ هنا بالإعراب، بالضم.

رأيتُ زيدًا، يسافرُ زيدٌ، لن يسافرَ زيدٌ.

فكل هذه الكلمات معربة إعرابًا لفظيًا، وذلك لظهور الحركة.

أما الإعراب التقديري، فهو ما يمنع من النطق به مانع، يعني الحركة لا تُنطق.

والمانع ثلاثة أنواع: إما أن يكون تعذُرًا وإما أن يكون استثقالًا، وإما أن يكون مناسبةً.

والتعذر يكون إذا انتهت الكلمة بالألف المقصورة.

مثل: الفتىٰ، المصطفىٰ.

فمثلا: جاء الفتىٰ، رأيت الفتىٰ، مررت بالفتىٰ، فهنا لم تظهر الحركة وهي الضمة، أو الكسرة، أو الفتح، هذا يسمىٰ بالإعراب التقديري من الإعراب، حين الإعراب تقول: فاعل مرفوع بالضمة المُقدرة منعَ من ظهورِها التَّعَذُّرُ، أو تقول: مفعول به منصوب بالفتحة المقدرة منع من ظهورها التعذر، أو تقول: اسم مجرور بالكسرة المقدرة منع من ظهورها التعذر.

أما الاستثقال فيكون إذا انتهت الكلمة بالياء المنقوصة.

مثل: الداعي، القاضي، وهنا تظهر الفتحة فقط، أما الضمة والكسرة فلا تظهر.

تقول: جاء القاضِي، لا تقول: جاء القاضيُ.

تقول: ذهبتُ إلىٰ القاضِي، لا تظهر الكسرة.

تقول: أبصرتُ القاضِيَ، هنا ظهرت الفتحة.

وحين إعراب كلمة **القاضي** إذا كانت مرفوعة تقول: فاعل مرفوع بالضمة المقدرة منع من ظهورها الاستثقال.

وإذا أردت أن تُعربها إذا كانت مجرورة تقول: اسم مجرور بالكسرة المقدرة منع من ظهورها الاستثقال.

أما المناسبة فتكون إذا انتهت الكلمة بياء المتكلم.

تقول مثلا: جلسَ ولدِي، سافرتُ مع ولدِي، أعطيتُ ولدِي الكتابَ، فهنا الحركة مقدرة لم تظهر.

حين الإعراب تقول: ولدي: فاعل مرفوع بالضمة المقدرة منع من ظهورها المناسبة.

وتقول في حال النصب: مفعول به منصوب بالفتحة المقدرة منع من ظهورها المناسبة.

وعند الجر تقول: اسم مجرور بالكسرة المقدرة منع من ظهورها المناسبة.

خلاصة ذلك: أن الإعراب نوعان: إعراب لفظي، وإعراب تقديري.

الإعراب اللفظي: هو الذي لا يمنع من النطق به مانع.

أما الإعراب التقديري: فهو ما يمنع من النطق به مانع، والمانع كما ذكرت لكم إما أن يكون تعذرًا، وإما أن يكون استثقالًا، وإما أن يكون مناسبةً، وفي حال الاستثقال تظهر الفتحة فقط.

هذا الدرس لكي تتقنوه: اسمعوه أكثر من مرة، واقرؤوا الجزء المشروح من الكتاب جيدا، مع إجابة التدريبات الموجودة في الكتاب سيصير سهلا مفهوما إن شاء الله تعالىٰ.

❁❁❁

أسئلة الدرس

السؤال الأول: افرُقْ بين الإعراب، والبناء من حيث التعريف، والأنواع، والأحوال.

السؤال الثاني: بيِّن المعرب، والمبني في قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتىٰ تخرج من تحت أظفاره**».

السؤال الثالث: اذكر المانع من النطق بالحركة في كل مما يأتي:

كتابِي، مصطفَىٰ، مرتضَىٰ، رضا، بيتِي، يرجو، عمّي، يقضِي، القاضِي.

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الخامس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الإخوة المؤمنون، وأيتها الأخوات المؤمنات في هذه الدورة العلمية المباركة، وهذا هو الدرس الخامس من دروس النحو من كتاب «**المختصر في النحو**»، وفي هذا الدرس نتعرف إن شاء الله تعالىٰ علىٰ أحوال البناء.

قال المصنف عفا الله عنه:

الفصل الثاني: أحوال البناء

وفيه خمس مسائل:

المسألة الأولى: ما هي أحوال بناء الأسماء؟

عرفنا قبل ذلك أن الأسماء منها مبنيٌّ، ومنها معرب، وعرفنا أن أحوال البناء أربعة، وهي الفتح، والضم، والكسر، والسكون.

وبناء الأسماء له أربعة أحوال:

الحال الأولى: البناء علىٰ الفتح.

ومن ذلك: كيفَ، هُوَ، الذينَ، الآنَ، فهذه الكلمات كلها مبنية علىٰ الفتح.

وعرفنا أن البناء هو أن يلزم آخرَ الكلمة حالٌ واحدة.

أما الحال الثانية: فهي البناء علىٰ الضم.

ومن ذلك: تاء الفاعل، تقول: أكلتُ، شربتُ، نمتُ، صليتُ، فالتاء هنا مضمومة دائمًا.

ومن ذلك أيضًا: نحنُ، حَيْثُ، فكل هذه الكلمات مبنية علىٰ الضم دائما.

وأما الحال الثالثة: فهي البناء علىٰ الكسر.

ومن ذلك: هؤلاءِ، وهذِهِ.

وأما الحال الرابعة: فهي البناء علىٰ السكون.

ومن ذلك: همْ، الذي، مَنْ، فكل هذه الكلمات مبنية علىٰ السكون.

المسألة الثانية: ما هي أحوال بناء الفعل الماضي؟

عرفنا قبل ذلك أن الفعل الماضي مبني دائما.

بناء الفعل الماضي له ثلاثة أحوال:

الحال الأولى: يُبنىٰ علىٰ الفتح إذا لم يتصل به شيء.

يعني الفعل الماضي يكون مبنيا علىٰ الفتح إذا لم يتصل بآخره شيء.

مثال ذلك تقول: جاءَ زيدٌ، هنا **جاءَ** فعل ماضٍ مبني علىٰ الفتح.

تقول أيضًا: ذهبَ عمروٌ.

ذهب: فعل ماضٍ مبني علىٰ الفتح.

وذلك لعدم اتصالهما بشيء، وهذا هو الأصل بالفعل الماضي أن يبنىٰ علىٰ الفتح.

الحال الثانية: يبنىٰ الفعل الماضي علىٰ الضم إذا اتصلت به واو الجماعة.

تقول: المسلمونَ اجتهدُوا، فهنا الفعل الماضي مبني علىٰ الضم، اجتهد آخرها ضم، اجتهدُوا.

كذلك تقول: الطلابُ نجحُوا، هنا الفعل **نجح** مبني علىٰ الضم.

وذلك لاتصالهما بواو الجماعة، وواو الجماعة هنا تعرب ضميرًا مبنيًا علىٰ السكون في محل رفع فاعل.

أما الحال الثالثة لبناء الفعل الماضي فهي البناء علىٰ السكون.

وذلك إذا اتصلت به التاء المتحركة، أو نون النسوة، أو نا الفاعلين.

ومن الأمثلة على ذلك:

تقول: حفظتُ القرآن.

وتقول: حفظتَ القرآن.

وتقول: حفظتِ القران.

فهنا في هذه الأمثلة الثلاثة الفعل الماضي مبني علىٰ السكون؛ لاتصاله بالتاء المتحركة.

ومن الأمثلة أيضًا: تقول: النساءُ حَفظْنَ القرآن، فهنا الفعل الماضي مبني علىٰ السكون؛ لاتصاله بنون النسوة.

وتقول أيضًا: حفظْنَا القرآن، فهنا الفعل الماضي مبني علىٰ السكون لاتصاله بـ «نا» الفاعلين.

وهذه الزيادات المتصلة، وهي التاء المتحركة، ونون النسوة، ونا الفاعلين، تعرب ضميرا مبنيا في محل رفع فاعل.

إذن الفعل الماضي الأصل فيه أنه يبنىٰ علىٰ الفتح إذا لم يتصل به شيء، ويبنىٰ علىٰ الضم إذا اتصلت به واو الجماعة، ويبنىٰ علىٰ السكون إذا اتصلت به التاء المتحركة، أو نون النسوة، أو نا الفاعلين.

ثم قال المصنف عفا الله عنه:

المسألة الثالثة: ما هي أحوال بناء فعل الأمر؟

عرفنا قبل ذلك أن فعل الأمر مبني دائمًا.

بناء فعل الأمر له أربعة أحوال:

الحال الأولى: يُبنىٰ علىٰ السكون إذا اتصلت به نون النسوة، وإذا كان صحيحَ الآخر، ولم يتصلْ به شيء.

ومثال ذلك: تقول: اقرأْنَ دروسَكُنَّ، فهنا فعل الأمر مبني علىٰ السكون؛ لاتصاله بنون النسوة.

وتقول أيضًا: اقرَأْ دروسَكَ، هنا فعل الأمر مبني علىٰ السكون؛ لأنه صحيح الآخر، ولم يتصل به شيء.

والصحيح الآخر: هو ما لم ينتهِ بحرف علة، وحروف العلة ثلاثة وهي الواو، والألف، والياء، الكلمة التي تنتهي بحرف من هذه الحروف الثلاثة: الواو، والألف، والياء تسمىٰ كلمة معتلة.

أما إذا لم تنتهِ بحرف من هذه الحروف الثلاثة، فتسمىٰ كلمة صحيحة.

الحال الثاني: يبنىٰ فعل الأمر علىٰ الفتح إذا اتصلت به نون التوكيد.

تقول: جَاهِدَنَّ في سبيل الله، فهنا فعل الأمر مبني علىٰ الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد.

كذلك تقول: حافظَنَّ علىٰ آداب النوم، هنا فعل الأمر مبني علىٰ الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد.

وهنا فائدة: وهي أن نون التوكيد نوعان: ثقيلة، وخفيفة.

أما الثقيلة: فهي المشددة، تقول: اكتُبَنَّ.

أما الخفيفة: فهي المخففة، تقول: اكتُبَنْ.

أما الحال الثالثة: فهي أن فعل الأمر يُبنىٰ علىٰ حذف النون إذا اتصلت به ألف الاثنين، أو واو الجماعة، أو ياء المخاطبة.

تقول: تعامَلَا برفق، تعامَلُوا برفق، تعامَلِي برفق.

فهنا الفعل في هذه الأمثلة الثلاثة مبني علىٰ حذف النون، وذلك لاتصاله

بألف الاثنين في المثال الأول، وبواو الجماعة في المثال الثاني، وياء المخاطبة في المثال الثالث.

أما الحال الرابعة: فهي أن فعل الأمر يبنىٰ علىٰ حذف حرف العلة إذا كان معتل الآخر.

تقول مثلًا: ادْعُ ربك، صَلِّ علىٰ النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فهنا فعل الأمر مبني علىٰ حذف حرف العلة، وذلك لأنه معتل الآخر.

صَلِّ: أصلها **صَلِّي**، آخرها ياء، فحذفت الياء؛ لأنه فعل أمر.

كذلك **ادْعُ:** أصلها **ادْعُو** بالواو، حُذفت الواو؛ لأنه فعل أمر.

كذلك: تقول: تَحَرَّ الصدق، أصلها **تحرىٰ** بالياء لكنها حذفت؛ لأنه معتل الآخر.

إذن فعل الأمر يبنى على السكون: إذا اتصلت به نون النسوة، وإذا كان صحيح الآخر، ولم يتصل به شيء، ويبنىٰ علىٰ الفتح إذا اتصلت به نون التوكيد، ويبنىٰ علىٰ حذف النون إذا اتصلت به ألف الاثنين، أو واو الجماعة، أو ياء المخاطبة، ويبنىٰ علىٰ حذف حرف العلة إذا كان معتل الآخر، يعني إذا كان آخره حرف علة.

ثم قال المصنف عفا الله عنه:

المسألة الرابعة: ما هي أحوال بناء الفعل المضارع؟

عرفنا قبل ذلك أن الفعل المضارع الأصل فيه الإعراب، ويبنىٰ في حالين فقط، وهما إذا اتصلت به نون التوكيد، وإذا اتصلت به نون النسوة.

تقول: لَنَحفَظَنَّ القرآن.

وتقول: يَحفَظْنَ القرآن.

فهنا الفعل المضارع مبني؛ لاتصاله بنون التوكيد في المثال الأول، ولاتصاله بنون النسوة في المثال الثاني.

ثم قال المصنف عفا الله عنه:

المسألة الخامسة: ما هي أحوال بناء الحروف؟

عرفنا قبل ذلك أن الحروف كلها مبنية، وبناء الحروف له أربعة أحوال:

الحال الأولى: البناء على الفتح، ومن ذلك: لَعَلَّ، ثُمَّ، واو العطف.

الحال الثانية: البناء على الضم، ومن ذلك: مُنذُ.

الحال الثالثة: البناء على الكِسر، ومن ذلك: لام الجر، ولام التعليل.

الحال الرابعة: البناء على السكون، ومن ذلك: هلْ، وقدْ.

تقول: حرف مبني علىٰ الفتح، أو الضم، أو الكسر، أو السكون.

سؤال الدرس

اذكر أحوال بناء الكلمات الآتية، وسبب بنائها إن وجد:

جاءَ، هؤلاءِ، كيفَ، جاؤُوا، جلستْ، جلستَ، جلستُ، اشرَبْ، تعلّمُوا، تعَلّمْنَ، تعَلَّمَنَّ، يحفظن، يحفَظْنَ، عَلَىٰ، أنَا.

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس السادس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الإخوة المؤمنون، وأيتها الأخوات المؤمنات في هذه الدورة العلمية المباركة، وهذا هو الدرس السادس من دروس النحو من كتاب «المختصر في النحو»، وفي هذا الدرس نتعرف إن شاء الله تعالىٰ علىٰ رفع، ونصب الفعل المضارع.

قال المصنف عفا الله عنه:

الفصل الثالث: أحوال الإعراب

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أحوال إعراب الفعل المضارع.

المبحث الثاني: أحوال إعراب الأسماء.

المبحث الأول: أحوال إعراب الفعل المضارع

وفيه ست مسائل:

المسألة الأولى: ما هي أحوال إعراب الفعل المضارع؟

عرفنا قبل ذلك أن الفعل المضارع الأصل فيه الإعراب إلا في حالين، وهما: إذا اتصلت به نون التوكيد، وإذا اتصلت به نون النسوة.

أحوال إعراب الفعل المضارع ثلاثة:

الحال الأولى: الرفع: إذا لم يُسبق بأداة من أدوات النصب، أو الجزم.

الحال الثانية: النصب: إذا سُبق بأداة من أدوات النصب.

الحال الثالثة: الجزم: إذا سُبق بأداة من أدوات الجزم.

يعني الفعل المضارع: يكون مرفوعا إذا لم يسبق بأداة من أدوات النصب، أو الجزم، ويكون منصوبًا إذا سُبق بأداة من أدوات النصب، ويكون مجزومًا إذا سبق بأداة من أدوات الجزم.

المسألة الثانية: بِمَ يرفع الفعل المضارع؟

يرفع الفعل المضارع بثلاث علامات:

العلامة الأولى: الضمة الظاهرة إذا كان صحيح الآخر.

يعني الفعل المضارع إذا كان صحيح الآخر، فإنه يُرفع بالضمة الظاهرة.

تقول: يقومُ زيدٌ الليلَ، هنا الفعل **يقومُ** فعل مضارع مرفوع بالضمة الظاهرة، وذلك؛ لأنه لم يتقدمه ناصب، ولا جازم، ولأن الحرف الأخير صحيح غير معتل.

تقول أيضًا: يدرسُ عمرٌو الفقهَ.

الفعل **يدرسُ:** فعل مضارع مرفوع بالضمة الظاهرة، وذلك؛ لأنه لم يتقدمه ناصب، ولا جازم، ولأن الحرف الأخير فيه صحيح غير معتل.

العلامة الثانية: الضمة المقدرة إذا كان معتل الآخر.

مثال تقول: يقضِي القاضِي بالحَقِّ.

هنا الفعل المضارع **يقضِي:** مرفوع بالضمة المقدرة، منع من ظهورها الثقل.

تقول أيضًا: يدعُو المسلمُ ربَّهُ.

يدعُو: فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدرة، منع من ظهورها الثقل.

تقول أيضًا: يرضَى المؤمنُ بقضاءِ ربِّهِ.

يرضَى: فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدرة، منع من ظهورها التعذر.

العلامة الثالثة: ثبوت النون إذا اتصلت به ضمير تثنية، أو ضمير جمع، أو ضمير المؤنثة المخاطبة.

تقول: الطالِبَان يُشاركانِ في المسابقةِ.

والطالبتَانِ تُشاركان في المسابقةِ.

هنا الفعل المضارع مرفوع بثبوت النون؛ لاتصاله بضمير التثنية، يشاركان، وتُشاركان.

وتقول: الطلابُ يُشاركون في المسابقة.

وتقول: أنتم تُشاركون في المسابقة.

هنا الفعل المضارع مرفوع بثبوت النون؛ لاتصاله بضمير الجمع.

وتقول أيضًا: أنتِ تُشاركينَ في المسابقة.

هنا الفعل المضارع مرفوع بثبوت النون؛ لاتصاله بضمير المؤنثة المخاطبة، وهذه الأفعال تسمىٰ بالأمثلة، أو الأفعال الخمسة.

تقول: يقومان، تقومان، يقومون، تقومون، تقومين.

وتقول: يحفظان، تحفظان، يحفظون، تحفظون، تحفظين.

وتقول: يُصلِّيان، تُصلِّيان، يُصلُّون، تُصلُّون، تُصلِّين.

فكل هذه الأفعال تعرب فعلا مضارعا مرفوعا بثبوت النون؛ لأنها من الأفعال الخمسة، والضمير وهو ألف الاثنين، أو واو الجماعة، أو ياء المخاطبة يعرب ضميرا مبنيا علىٰ السكون في محل رفع فاعل.

إذن الفعل المضارع يرفع بالضمة الظاهرة، أو الضمة المقدرة، أو بثبوت النون.

يرفع بالضمة الظاهرة إذا كان صحيح الآخر، ويرفع بالضمة المقدرة إذا كان معتل الآخر، ويرفع بثبوت النون إذا كان من الأفعال أو الأمثلة الخمسة، وهذا كله إذا لم يتقدمه ناصب، ولا جازم.

ثم قال المصنف عفا الله عنه:

المسألة الثالثة: بِمَ ينصب الفعل المضارع؟

ينصب الفعل المضارع بثلاث علامات:

العلامة الأولى: الفتحة الظاهرة: إذا كان صحيح الآخر، أو معتل الآخر بالياء، أو الواو.

تقول: لن ينجحَ المهملُ.

ينجحَ: فعل مضارع منصوب بالفتحة.

تقول أيضًا: لن يقضيَ القاضي بالباطل.

يقضيَ: فعل مضارع منصوب بالفتحة.

وتقول: لن ندعوَ إلا الله.

ندعوَ: فعل مضارع منصوب بالفتحة.

وتم نصب الفعل المضارع في هذه الأمثلة الثلاثة؛ لأنه تقدمه ناصب كما سيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله.

العلامة الثانية: الفتحة المقدرة: إذا كان معتل الآخر بالألف.

ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:١٢٠].

كلمة **ترضَى:** فعل مضارع منصوب بالفتحة المقدرة، وذلك؛ لأنه معتل الآخر بالألف، ونصب هنا الفعل المضارع؛ لأجل أنه تقدمه ناصب.

العلامة الثالثة: حذف النون: إذا كان من الأفعال الخمسة.

تقول مثلا: لن يأكلا من طعام ضار.

ولن تأكلا من طعام ضار.

ولن يأكلوا من طعام ضار.

ولن تأكلوا من طعام ضار.

ولن تأكلي من طعام ضار.

فهنا الفعل المضارع في هذه الأمثلة الخمسة منصوب بحذف النون، وذلك؛ لأنه من الأفعال أو الأمثلة الخمسة، ونُصِبَ؛ لأجل أن تقدمه ناصب.

ثم قال المصنف عفا الله عنه:

المسألة الرابعة: ما هي أدوات نصب الفعل المضارع؟

ينصب الفعل المضارع بسبع أدوات، وهي: أن، لن، كي، إذن، لام التعليل، حتى، لام الجحود.

هذه الأدوات السبعة متىٰ وجدت واحدة منها قبل الفعل المضارع فاعلم أنه منصوب.

ومن الأمثلة على ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور:٢٢].

فهنا الفعل المضارع يغفرَ منصوب بالفتحة الظاهرة؛ لأنه تقدمه ناصب.

ومن ذلك أيضًا: قوله تعالىٰ: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ [البقرة:٧٥].

يؤمنوا: فعل مضارع منصوب بحذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، ولأنه تقدمه ناصب وهو «أنْ».

ومن الأمثلة أيضًا: علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ [البقرة:٦١].

فهنا الفعل المضارع **نصبر** منصوب بالفتحة الظاهرة؛ لأجل أنه تقدمه ناصب.

ومن الأمثلة أيضًا: علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ [الحج:٥].

فالفعل المضارع هنا **يعلم** منصوب بالفتحة الظاهرة؛ لأجل أنه تقدمه حرف ناصب وهو كي.

ومن الأمثلة أيضًا على ذلك: أن تقول: إذَنْ أُكرِمَكَ، لمن قال لك: سآتيك غدا.

فهنا الفعل المضارع **أكرِمَكَ** منصوب بالفتحة الظاهرة؛ لأجل أنه تقدمه ناصب، وهو إذن، و**الكاف:** يعرب ضميرًا مبنيا علىٰ الفتح في محل نصب مفعول به.

ومن الأمثلة أيضًا على ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [الفتح:٥].

فالفعل المضارع هنا **لِيُدخِلَ** منصوب بالفتحة الظاهرة؛ لأنه سبق بناصب، وهو لام التعليل.

ومن الأمثلة أيضًا على ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾ [البقرة:١٠٩].

فهنا الفعل المضارع **يأتِيَ** منصوب بالفتحة الظاهرة؛ لأنه سبق بناصب وهو «**حتىٰ**».

ومن الأمثلة أيضًا على ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ﴾ [النساء:١٣٧].

فهنا الفعل المضارع **يغفرَ** منصوب بالفتحة الظاهرة؛ لأنه سُبق بناصب، وهو لام الجحود.

❁❁❁

أسئلة الدرس

السؤال الأول: متىٰ يرفع الفعل المضارع؟ مع ذكر مثالين علىٰ ما تقول.

السؤال الثاني: متىٰ ينصب الفعل المضارع؟ مع ذكر أمثلة علىٰ ما تقول.

السؤال الثالث: استخرج من الجمل الآتية الأفعال المضارعة، وبيِّن نوعها:

الأولى: أريدُ أنْ أحفظَ القرآنَ.

الثانية: لن أتركَ نقابي.

الثالثة: يأمرُ المسلمُ بالمعروفِ.

الرابعة: سأعتَمِرُ هذا العامِ.

السؤال الرابع: أعرب الجمل الآتية:

الأولى: لن يتكلمَ الطالب.

الثانية: يفعلُ المؤمنُ الخيرَ.

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس السابع

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الإخوة المؤمنون، وأيتها الأخوات المؤمنات في هذه الدورة العلمية المباركة، وهذا هو الدرس السابع من دروس النحو من كتاب «**المختصر في النحو**»، وفي هذا الدرس نتعرف إن شاء الله تعالىٰ علىٰ جزم الفعل المضارع.

عرفنا في الدرس السابق أن الفعل المضارع يرفع، وينصب، ويجزم، يُرفع إذا لم يسبق بناصب، ولا جازم، ويُنصب إذا سُبق بأداة من أدوات النصب، ويُجزم إذا سُبق بأداة من أدوات الجزم.

قال المصنف عفا الله عنه:

المسألة الخامسة: بِمَ يجزم الفعل المضارع؟

يجزم الفعل المضارع بثلاث علامات:

العلامة الأولى: السكون: إذا كان صحيح الآخر.

ومن ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ﴾ [المائدة:٢٧].

هنا الفعل المضارع **يُتقبلْ** مجزوم بالسكون؛ لأنه سبق بأداة من أدوات الجزم، وهي «**لم**».

العلامة الثانية: حذف حرف العلة: إذا كان معتل الآخر.

ومن ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة:١٨].

هنا الفعل المضارع يخشَ مجزوم بحذف حرف العلة، وذلك؛ لأنه سُبق بأداة جزم، وهي «**لم**».

العلامة الثالثة: حذف النون: إذا كان من الأفعال الخمسة.

وعرفنا في الدرس السابق أن الأفعال الخمسة، أو الأمثلة الخمسة هي يفعلان، تفعلان، يفعلون، تفعلون، تفعلين.

فهنا الفعل المضارع يُجزم بحذف النون إذا كان من الأفعال الخمسة.

تقول: لَمْ يأكلا الطعام، لَمْ تأكلا الطعام، لَمْ يأكلوا الطعام، لَمْ تأكلوا الطعام، لَمْ تأكلي الطعام.

فهنا الأفعال المضارعة كلها مجزومة بحذف النون، وذلك؛ لأنها سبقت بأداة جزم.

ثم قال المصنف عفا الله عنه:

المسألة السادسة: ما هي أدوات جزم الفعل المضارع؟

يُجزم الفعل المضارع بثماني عشرة أداة، وهي: لم، ولمّا، وألم، وألمّا، ولام الطلب، ولا الطلبية، وإنْ، ومَن، وما، وأي ومتى، وأين، وأيانَ، وأنَّى، وحيثما، وكيفما، وإذْ ما، ومهما.

هذه هي الأدوات التي تجزم الفعل المضارع، متىٰ وجدت أداة من هذه الأدوات قبل الفعل المضارع، فاعلم أنه مجزوم.

وهنا فائدة: وهي الفرق بين «لمْ»، و«لمّا».

أن **لم** لا تفيد حدوث الفعل في المستقبل، يعني إذا قلت: لَمْ ألعب يعني لا ألعب في المستقبل.

أما **لمّا** فإنها تفيد حدوث الفعل في المستقبل، فإذا قلت: لَمَّا أحفظ يعني سأحفظ في المستقبل.

وأدوات الجزم هذه تنقسم إلى قسمين: منها أدوات تجزم فعلا واحدا، ومنها أدوات تجزم فعلين.

أما الأدوات التي تجزم فعلًا واحدًا، فهي ستة: لم، ولمّا، وألم، وألمّا، ولام الطلب، ولا الطلبية، وهذه حروف بإجماع النحويين.

ومن الأمثلة على ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ﴾ [البقرة:٢٤٩].

يطعمْه: فعل مضارع مجزوم بالسكون؛ لأنه سُبق بأداة جزم «**لم**»، والهاء ضمير مبني علىٰ الضم في محل نصب مفعول به، والفاعل ضمير مستتر جوازا تقديره «**هو**».

ومن الأمثلة على ذلك: أيضًا قوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟﴾ [الحُجُرات:١٤].

تؤمنوا فعل مضارع مجزوم بحذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، ولأنه سبق بأداة جزم «**لم**»، والواو ضمير مبني علىٰ السكون في محل رفع فاعل.

والأداة **لم** تعرب حرف نفي وجزم مبنيًا علىٰ السكون لا محل له من الإعراب.

ومن الأمثلة على ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾ [آل عمران:١٤٢].

فالفعل المضارع هنا **يعلم** مجزوم بالسكون المقدر، منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة التخلص من التقاء الساكنين، وجُزم؛ لأنه سبق بأداة جزم «لمّا».

وهنا فائدة:

في اللغة العربية لا يمكن التقاء ساكنين، لذلك يحرك الساكن الأول بحركة تناسب الحركة الأولىٰ من الكلمة التالية.

ومن الأمثلة أيضًا على ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء:١٤١].

الفعل المضارع هنا **نستحوذ** مجزوم بالسكون؛ لأنه سبق بأداة جزم، وهي «**ألم**».

و«**ألم**» تعرب حرف نفي وجزم مبنيا علىٰ السكون لا محل له من الإعراب.

ومن الأمثلة أيضًا على ذلك: قولك: ألمّا أكرمْك.

هنا الفعل المضارع مجزوم بالسكون؛ لأنه سبق بأداة جزم، وهي «**ألما**»، والكاف ضمير مبني علىٰ الفتح في محل نصب مفعول به.

وتعرب الأداة، وهي **ألَّما** حرف نفي، وجزم مبني علىٰ السكون لا محل له من الإعراب.

ومن الأمثلة أيضًا على ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [الطلاق:٧].

فهنا الفعل المضارع **ينفقْ** مجزوم بالسكون؛ لأنه سبق بأداة جزم لام الطلب التي تدل علىٰ الأمر.

ولام الطلب تعرب حرفا مبنيا علىٰ السكون لا محل له من الإعراب.

ومن الأمثلة أيضًا على ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام:٦٨].

فهنا الفعل المضارع **تقعدْ** مجزوم بالسكون؛ لأنه سبق بأداة جزم لا الطلبية التي تدل علىٰ النهي.

أما أدوات الجزم التي تجزم فعلين فهي اثنا عشر أداة هي: إنْ، ومَنْ، وما، وأي ومتىٰ، وأين، وأيّانَ، وأنَّىٰ، وحيثُما، وكيفَما، وإذْ ما، ومهما.

فهذه الأدوات تجزم فعلين يسمىٰ أولهما: فعل الشرط، والثاني: جواب الشرط.

ومن الأمثلة على ذلك: قولك: إنْ تذاكرْ تنجحْ.

فهنا **تذاكرْ** فعل مضارع، وهو فعل الشرط مجزوم بالسكون؛ لأنه سبق بأداة جزم «**إنْ**»، والفاعل ضمير مستتر وجوبًا تقديره «**أنت**».

وتنجحْ: فعل مضارع وهو جواب الشرط، مجزوم بالسكون؛ لأنه سُبق بأداة جزم «**إنْ**»، والفاعل ضمير مستتر وجوبا تقديره «**أنت**».

ومن الأمثلة أيضًا على ذلك: قولك: مَن يجتهدْ يَفُزْ.

يجتهدْ هو فعل الشرط، **ويفزْ** هو جواب الشرط، ويُعرب فعل الشرط **يجتهد**

فعلًا مضارعًا مجزومًا بالسكون؛ لأنه سُبق بأداة جزم وهي من، والفاعل ضمير مستتر وجوبا تقديره «**أنت**».

أما جواب الشرط، وهو **يفز** فيعرب فعلًا مضارعًا مجزومًا بالسكون؛ لأنه سبق بأداة جزم «منْ»، والفاعل ضمير مستتر وجوبا تقديره «**أنت**».

ومن الأمثلة أيضًا على ذلك: قولك: ما تفعلْ تُحاسَبْ عليه.

هنا فعل الشرط **تفعلْ**، وجواب الشرط **تحاسبْ** فعل الشرط يعرب فعلًا مضارعًا مجزومًا بالسكون؛ لأنه سبق بأداة جزم «ما»، والفاعل ضمير مستتر وجوبًا تقديره «**أنت**».

وأما جواب الشرط وهو تحاسب فيعرب فعلًا مضارعًا مجزومًا بالسكون؛ لأنه سبق بأداة جزم «**ما**»، والفاعل ضمير مستتر وجوبًا تقديره «**أنت**».

ومن الأمثلة أيضًا على ذلك: قولك: أيَّ معروفٍ تصنعْ تُجزَ به.

فهنا فعل الشرط **تصنع**، وجواب الشرط **تُجزَ**، فعل الشرط يعرب فعلًا مضارعًا مجزومًا بالسكون؛ لأنه سبق بأداة جزم «**أي**»، والفاعل ضمير مستتر وجوبًا تقديره «**أنت**».

وأما جواب الشرط، فيعرب فعلًا مضارعًا مجزومًا بحذف حرف العلة؛ لأنه سبق بأداة جزم «**أي**»، والفاعل ضمير مستتر وجوبًا تقديره «**أنت**».

ومن الأمثلة أيضًا على ذلك: قولك: متىٰ تكلمَّ بالخيرِ اسمعْ له.

هنا فعل الشرط **تكلم**، وجواب الشرط **اسمعْ**، ويعربان الإعراب السابق.

ومن الأمثلة أيضًا على ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ﴾ [الأحزاب:٦١].

هنا فعل الشرط **ثُقِفُوا**، وجواب الشرط **أُخِذُوا**، هنا فعل الشرط يعرب فعلًا مضارعًا مجزومًا بحذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، ولأنه سبق بأداة جزم هي «**أين**»، والواو ضمير مبني علىٰ السكون في محل رفع نائب فاعل.

وأخذوا تعرب فعلًا مضارعًا مجزومًا بحذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، ولأنه سبق بأداة جزم «أين»، والواو ضمير مبني علىٰ السكون في محل رفع نائب فاعل.

ومن الأمثلة أيضًا على: قولك: أيّانَ تقرأْ أقرأْ.

فهنا فعل الشرط **تقرأْ**، وجواب الشرط **أقرأْ** يعرب كل فعل منهما فعلًا مضارعًا مجزوما بالسكون؛ لأنهما سبقا بأداة جزم، وهي «**أيان**».

ومن الأمثلة أيضًا على ذلك: أنَّىٰ تأمرْ بخير تَجدْ مُجيبًا.

هنا فعل الشرط تأمر، وجواب الشرط تجد، ويعرب كل فعل منهما فعلًا مضارعًا مجزومًا بالسكون؛ لأنه سبق بأداة جزم «**أنىٰ**»، والفاعل ضمير مستتر وجوبًا تقديره «**أنت**».

ومن الأمثلة أيضًا على ذلك: قولك: حيثُما تستقِمْ تَفلحْ.

هنا فعل الشرط **تستقمْ**، وجواب الشرط **تفلحْ**، ويعربان الإعراب السابق.

ومن الأمثلة أيضًا على ذلك: قولك: كيفما تكن همتك يكُنْ نجاحُك.

هنا فعل الشرط **تكن**، وجواب الشرط **يكن**، فعل الشرط يعرب فعلًا ناقصًا مجزومًا بالسكون؛ لأنه سبق بأداة جزم «**كيفما**»، وحُذفت الواو منعًا لالتقاء الساكنين، ويعرب جواب الشرط فعلًا مضارعًا ناقصًا مجزومًا بالسكون؛ لأنه سبق بأداة جزم، وهي «**كيفما**»، وحذفت الواو منعًا لالتقاء الساكنين.

ومن الأمثلة أيضًا على ذلك: قولك: إذْ ما تحسنْ إلىٰ الناس تطمئنْ.

هنا فعل الشرط **تحسنْ**، وجواب الشرط **تطمئنْ** يعرب فعل الشرط: فعلًا مضارعًا مجزومًا بالسكون؛ لأنه سبق بأداة جزم «**إذ ما**»، والفاعل ضمير مستتر وجوبًا تقديره «**أنت**».

وأما جواب الشرط فيعرب فعلًا مضارعًا مجزومًا بالسكون؛ لأنه سبق بأداة جزم: «**إذ ما**»، والفاعل ضمير مستتر وجوبا تقديره «**أنت**».

ومن الأمثلة أيضًا على ذلك: قولك: مهما تقرأْ تفهمْ.

فعل الشرط هو تقرأ، وجواب الشرط هو تفهم.

ويعربان: فعلًا مضارعًا مجزومًا بالسكون؛ لأنه سبق بأداة جزم وهي «**مهما**»، والفاعل ضمير مستتر وجوبا تقديره «**أنت**».

وهنا فائدة: وهي ما هي الأفعال الخمسة؟ وما إعرابها؟

الأفعال الخمسة هي كل فعل مضارع اتصل به: ضمير التثنية، أو ضمير الجمع، أو ضمير المؤنثة المخاطبة، مثل يفعلان، تفعلان، يفعلون، تفعلون، تفعلين، وترفع بثبوت النون، وتنصب وتجزم بحذف النون.

تقول في حال الرفع: يحفظان، تحفظان، يحفظون، تحفظون، تحفظين.

وتقول في حال النصب: لن يحفظا، لن تحفظا، لن يحفظوا، لن تحفظوا، لن تحفظي.

وتقول في حال الجزم: لم يحفظا، لم تحفظا، لم يحفظوا، لم تحفظوا، لم تحفظي.

أسئلة الدرس

السؤال الأول: متىٰ يُجزم الفعل المضارع؟ مع ذكر أمثلة علىٰ ما تقول.

السؤال الثاني: استخرج الفعل المضارع، وبين نوعه من الجمل الآتية:

الأولى: لمّا يأتِ المسافرُ.

الثانية: أينما يكُنِ المؤمنُ يكُنِ الخيرُ.

الثالثة: ذاكرْ لتنجحَ.

الرابعة: أيّان تجدِ العلماءَ تجدِ العلمَ.

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الثامن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الإخوة، والأخوات في هذه الدورة العلمية المباركة، وهذا هو الدرس الثامن من دروس النحو من كتاب «المختصر في النحو»، وفي هذا الدرس نتعرف إن شاء الله تعالىٰ علىٰ رفع الأسماء.

قال المصنف عفا الله عنه:

المبحث الثاني: أحوال إعراب الأسماء

وفيه فرعان:

الفرع الأول: أحوال إعراب الأسماء.

الفرع الثاني: أنواع الأسماء المعربة.

الفرع الأول: أحوال إعراب الأسماء

عرفنا قبل ذلك أن الأسماء منها معرب، ومنها مبني، وعرفنا الأسماء المبنية، هنا نتعرف إن شاء الله تعالىٰ علىٰ الأسماء المعربة.

ثم قال: وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: ما هي أحوال إعراب الأسماء؟

أحوال إعراب الأسماء أربعة:

الحال الأولى: الرفع: إذا كانت أحد الأنواع الآتية:

المبتدأ، والخبر، والفاعل، ونائب الفاعل، واسم كان وأخواتها، وخبر إن وأخواتها.

يعني هذه الأنواع كلها تكون مرفوعة.

الحال الثانية: النصب: إذا كانت أحد الأحوال التالية: المفعول به، والمفعول المطلق، والمفعول لأجله، والمفعول معه، وظن وأخواتها، وظرف الزمان، وظرف المكان، والحال، والتمييز، والاستثناء، واسم لا النافية للجنس، وخبر كان وأخواتها، واسم إن وأخواتها، والمنادىٰ، هذه الأنواع كلها تكون منصوبة.

الحال الثالثة: الجر: إذا كانت أحد الأنواع التالية: المجرور بحرف الجر، والمجرور بالإضافة.

الحال الرابعة: الرفع، أو النصب، أو الجر: إذا كانت أحد الأنواع التالية: النعت، والعطف، والتوكيد، والبدل.

ثم شرع في تفصيل ذلك، فقال:

المسألة الثانية: بِمَ ترفع الأسماء؟

ترفع الأسماء بثلاث علامات، وهي الضمة، والواو، والألف، والضمة علامة أصلية، أما الواو والألف، فعلامتان فرعيتان، وهذا مجمل علامات رفع الأسماء، وفيما يلي تفصيل ذلك:

العلامة الأولى: وهي الضمة تكون في ثلاثة مواضع:

الأول: الاسم المفرد، وهو ما دل علىٰ مفرد، كزيدٍ، وعمرٍو، وخديجةَ، وأسدٍ، وبيتٍ، وشجرةٍ.

تقول: حضرَ زيدٌ.

حضرَ فعل ماضٍ مبني علىٰ الفتح.

وزيدٌ فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة.

وتقول أيضًا: فازَتْ خديجةُ.

فازَ: فعل ماضٍ مبني علىٰ الفتح، والتاء حرف مبني علىٰ السكون لا محل له من الإعراب.

وخديجةُ: فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة.

الموضع الثاني: جمع تكسير، وهو ما دل علىٰ أكثر من اثنين، أو اثنتين مع تغير في صيغة مفرده.

تقول: أسَد، أُسْد، سَرير، سُرُر، كتَاب، كُتُب، سَبَب، أسْباب، هذا يسمىٰ بجمع التكسير.

ومن الأمثلة عليه: تقول: انتصرَ الرجالُ.

انتصرَ: فعل ماضٍ مبني علىٰ الفتح.

والرجالُ: فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة.

تقول أيضًا: قامَ المرضَىٰ.

قامَ: فعل ماضٍ مبني علىٰ الفتح.

والمرضَى: فاعل مرفوع بالضمة المقدرة منع من ظهورها التعذر.

أما الموضع الثالث: فهو جمع المؤنث السالم، وهو ما دل علىٰ أكثر من اثنتين مع زيادة ألف وتاء في آخره، كمسلِمات، ومؤمنات، وقانتات، وساجدات، وصائمات إلىٰ آخر ذلك.

تقول: جاءَت المسلماتُ.

جاء: فعل ماضٍ مبني علىٰ الفتح، والتاء حرف مبني علىٰ السكون المقدر منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة التخلص من التقاء الساكنين، ولا محل له من الإعراب.

والمسلماتُ: فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة.

وهنا فائدة: متىٰ كانت الألف، أو التاء غير زائدة لم يكن جمع مؤنث سالما، وإنما يكون جمع تكسير.

مثال المنتهي بألف أصلية: القاضي القضاة، الداعي الدعاة.

ومثال المنتهي بتاء أصلية: أخت أخوات، بيت أبيات، صوت أصوات.

فهذه ليست من جمع المؤنث السالم، وإنما هي من جمع التكسير.

إذن الأسماء ترفع بالضمة في ثلاثة مواضع:

الأول: الاسم المفرد.

الثاني: جمع التكسير.

الثالث: جمع المؤنث السالم.

العلامة الثانية: الواو.

الواو: تكون علامة لرفع الأسماء في موضعين:

الموضع الأول: جمع المذكر السالم، وهو ما دل علىٰ أكثر من اثنين، مع زيادة واو ونون، أو ياء ونون، كالمسلمون، والمجتهدون والمستقيمون، والمنتصرون، والمسلمين، والمجتهدين، والمستقيمين، والمنتصرين، فهذا يسمىٰ بجمع المذكر السالم.

إذن المفرد إذا أضفنا إليه واوًا ونونًا، أو ياءً ونونًا صار جمع مذكر سالما.

أما إذا أضفنا إليه ألفًا، وتاءً صار جمع مؤنث سالما.

ومن ذلك: تقول: يجتهد المسلمون.

هنا **يجتهدُ** فعل مضارع مرفوع بالضمة الظاهرة.

والمسلمون فاعل مرفوع بالواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوضٌ عن التنوين الحادث في الاسم المفرد، وهو مسلم.

الموضع الثاني: الأسماء الخمسة: وهي أبوك، وأخوك، وحَمُوك، وفوك، وذو مال.

الأسماء الخمسة ترفع بالواو، تقول: تكلم أبوك، وقال أخوك، ويجلس حموك -حموك هو أبو زوجتك-، وسكت فوك.

وتقول: أبوك ذو مال، وأخوك ذو جاه.

هنا الأسماء الخمسة رُفعت بالواو نيابة عن الضمة.

وهنا فائدة: وهي أن الأسماء الخمسة لا تُعرب هذا الإعراب إلا إذا توفرت فيها خمسة شروط:

الشرط الأول: أن تكون مفردة، فإذا كانت مجموعة أو مثناة لم تعرب إعراب الأسماء الخمسة.

تقول: حضر الآباء، أو حضر الإخوة.

فهنا **الآباء** جمع، فلا تعرب إعراب الأسماء الخمسة، وكذلك **الإخوة** جمع، فلا تعرب إعراب الأسماء الخمسة.

تقول أيضًا: جلس الأبون، أو جلس أبواك.

فهنا لا تعرب **الأبون** إعراب الأسماء الخمسة؛ لأنها جمع مذكر سالم، وكذلك لا تعرب **أبواك** إعراب الأسماء الخمسة؛ لأنها مثنىٰ.

أما الشرط الثاني: فهو ألا تكون مصغرة، فإذا كانت مصغرة أعربت إعراب الاسم المفرد.

تقول مثلًا: جاء أُبَيٌّ، وجلس أُخَيٌّ.

فهنا **أُبَيّ** لا تعرب إعراب الأسماء الخمسة، وكذلك **أُخَيّ** لا تعرب إعراب الأسماء الخمسة؛ لأنهما مصغرتان، وإنما يعربان إعراب الاسم المفرد فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة.

أما الشرط الثالث: فهو أن تكون مضافة لغير ياء المتكلم.

فإذا كانت غير مضافة، أو مضافة لياء المتكلم أعربت إعراب الاسم المفرد.

تقول مثلا: جاء أبٌ، أو: جاء أبي.

فهنا كلمة **أب** لا تعرب إعراب الأسماء الخمسة، وإنما تعرب إعراب الاسم المفرد.

الشرط الرابع: أن تخلوَ «**فُوكَ**» من الميم.

فإذا اتصلت بها الميم أعربت إعراب الاسم المفرد، **تقول**: هذا فمٌ حسن فكلمة **فمٌ** لا تعرب إعراب الأسماء الخمسة، وإنما تعرب إعراب الاسم المفرد.

الشرط الخامس: أن تكون ذُو بمعنىٰ صاحب، وأن يكون المضاف إليها اسم جنس ظاهرا ليس بوصف، فإذا كانت موصولة بمعنىٰ «**الذي**»، أو كان المضاف إليها وصفا لم تعرب إعراب الأسماء الخمس.

تقول مثلا: جاء ذو قامة.

هنا **ذو** لا تعرب إعراب الأسماء الخمس؛ لأنها بمعنىٰ «**الذي**».

وكذلك تقول: مررت برجل ذي قائم.

هنا لا تعرب إعراب الأسماء الخمسة؛ لأنها جاءت وصفا، وليست اسم جنس.

العلامة الثالثة لرفع الأسماء: الألف.

وتكون في المثنىٰ، والمثنىٰ هو ما دل علىٰ اثنين، أو اثنتين بزيادة ألف ونون، أو ياء ونون.

يعني الاسم المفرد إذا أضيف إليه ألف ونون، أو ياء ونون صار مثنىٰ.

تقول: حضر الطالبان، وجلست المرأتان.

فهنا **الطالبان**، **والمرأتان** يعربان فاعلًا مرفوعًا بالألف نيابة عن الضمة؛ لأنهما مثنىٰ.

❁❁❁

أسئلة الدرس

السؤال الأول: استخرج مما يأتي الأسماء المرفوعة، وبين أنواعها:

الأولى: محمدٌ مجتهدٌ.

الثانية: نجحَ الطلابُ.

الثالثة: المسلمونَ أقوياءُ.

الرابعة: أحبُّ أبي.

الخامسة: بكرٌ لَهُ أخٌ.

السادسة: أبوكَ كريمٌ.

السابعة: الطالبان مجتهدان.

السؤال الثاني: أعرِب الجمل الأتية:

الأولى: فازَ الطالبُ.

الثانية: جلسَ أخوك.

الثالثة: سافرَ أبواك.

الرابعة: جلسَ الأميران.

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس التاسع

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الإخوة المؤمنون، وأيتُها الأخوات المؤمنات في هذه الدورة العلمية المباركة، وهذا هو الدرس التاسع من دروس النحو من كتاب «المختصر في النحو»، وفي هذا الدرس نتعرف إن شاء الله تعالىٰ علىٰ علامات نصب الأسماء.

قال المصنف عفا الله عنه:

المسألة الثالثة: بِمَ تنصب الأسماء؟

تنصب الأسماء بأربع علامات، وهي: الفتحة، والألف، والكسرة، والياء.

أما الفتحة فهي علامة أصلية، وأما الألف والكسرة والياء فعلامات فرعية.

هذا مجمل علامات نصب الأسماء، وفيما يلي سيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله تعالىٰ.

العلامة الأولى: الفتحة في موضعين:

الموضع الأول: الاسم المفرد، الاسم المفرد ينصب بالفتحة.

تقول مثلا: كلمتُ زيدًا.

كلمتُ: فعل ماضٍ مبني علىٰ السكون؛ لاتصاله بتاء الفاعل، والتاء ضمير مبني علىٰ الضم في محل رفع فاعل.

وزيدًا: مفعول به منصوب بالفتحة الظاهرة.

ومثال ذلك أيضًا: قولك: رأيتُ الفتىٰ.

رأيتُ: فعل ماضٍ مني علىٰ السكون؛ لاتصاله بتاء الفاعل، والتاء ضمير مبني علىٰ الضم في محل رفع فاعل.

والفتى: مفعول به منصوب بالفتحة المقدرة، منع من ظهورها التعذر.

أما الموضع الثاني: فهو جمع التكسير، ينصب جمع التكسير بالفتحة.

تقول: كرمتُ الأبطالَ

الأبطالَ: تعرب مفعولا به منصوبا بالفتحة الظاهرة.

العلامة الثانية: الألف في الأسماء الخمسة، وهي: أبوك، وأخوك، وحموك، وفوك، وذو مال.

الأسماء الخمسة تنصب بالألف، تقول: كلمت أباك، ورأيت أخاك، وكلِّمْ حماك، وأغلِقْ فاك، وأبصرتُ ذَا علم.

هنا الأسماء الخمسة كلها تعرب مفعولا به منصوبا بالألف نيابة عن الفتحة، والكاف فيها يعرب ضميرا مبنيا علىٰ الفتح في محل جر مضاف إليه.

وكلمة علم في «ذَا مال» تعرب مضافا إليه مجرورا بالكسرة الظاهرة.

العلامة الثالثة: الكسرة في جمع المؤنث السالم.

مثال: رأيتُ الكاتباتِ الناجحاتِ.

فهنا الاسم الكاتباتِ يعرب مفعولا به منصوبا بالكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم.

ويعرب الاسم الناجحاتِ نعتا منصوبا بالكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم.

العلامة الرابعة: الياء في المثنى، وجمع المذكر السالم.

كأن تقول: علَّمتُ المسلمَيْنِ كيفيةَ الوضوءِ.

فهنا الاسم **المسلمَيْنِ** يعرب مفعولا به منصوبا بالياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه مثنىٰ، والنون عِوَض عن التنوين الحادث في الاسم المفرد **مسلمٌ**.

وتقول: علَّمتُ المسلمِينَ الجُدُدَ كيفيةَ الوضوءِ.

فهنا الاسم **المسلِمين** يعرب مفعولا به منصوبا بالياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين الحادث في الاسم المفرد مسلم.

وهنا فائدة: كيف نفرق بين ياء المثنىٰ، وياء جمع المذكر السالم؟

الياء في المثنى يكون ما قبلها مفتوحا، وما بعدها مكسورا.

وأما الياء في جمع المذكر السالم، فيكون ما قبلها مكسورا، وما بعدها مفتوحا.

إذن علامات نصب الأسماء أربعة: الفتحة، والألف، والكسرة، والياء.

أما الفتحة: فتنصب الأسماء في موضعين:

الأول: الاسم المفرد.

والثاني: جمع التكسير.

وأما الألف: فتكون علامةً لنصب الأسماء الخمسة فقط.

وأما الكسرة: فتكون علامةً لنصب جمع المؤنث السالم فقط.

وأما الياء: فتكون علامة لنصب المثنىٰ، وجمع المذكر السالم.

أسئلة الدرس

السؤال الأول: بِمَ تُنصب الأسماء؟

السؤال الثاني: هات من الكلمات الآتية مفردًا مرة، وجمع تكسير مرة وضع كل واحد منهما في جملة مفيدة بحيث يكون منصوبا:

عالمان، رجلان، قلَمان.

السؤال الثالث: اذكر خمسَ جُمل كل جملة تشتمل علىٰ اسم من الأسماء الخمسة بحيث يكون منصوبا.

السؤال الرابع: اذكر جملتين بحيث تشتمل كل جملة منهما علىٰ جمع مؤنث سالم منصوب، واذكر علامة نصبه.

السؤال الخامس: هات من الكلمات الآتية جمع مذكر سالما مرة، ومثنىٰ مرة أخرىٰ، وضع كل واحد منهما في جملة مفيدة بحيث يكون منصوبا:

مُخلص، المُجرم، الطائع، المُسلم.

السؤال السادس: أعرب الجمل الأتية:

الأولى: شرحَ الأستاذُ الدرسَ.

الثانية: رأيتُ أباك.

الثالثة: كلمتُ الطالباتِ الناجحاتِ.

الرابعة: اشتريتُ كتابَينِ.

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس العاشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الإخوة المؤمنون، وأيتها الأخوات المؤمنات في هذه الدورة العلمية المباركة، وهذا هو الدرس العاشر من دروس النحو من كتاب «**المختصر في النحو**»، وفي هذا الدرس نتعرف إن شاء الله تعالىٰ علىٰ علامات جر الأسماء.

قال المصنف عفا الله عنه:

المسألة الرابعة: بِمَ تُجر الأسماء؟

تُجر الأسماء بثلاث علامات، وهي: الكسرة، والياء، والفتحة.

أما الكسرة فعلامة أصلية، وأما الياء والفتحة فعلامتان فرعيتان.

ثم شرع المصنف عفا الله عنه في بيان هذه العلامات، فقال:

العلامة الأولى: الكسرة، في ثلاثة مواضع:

الموضع الأول: الاسم المفرد المنصرف، وهو الذي يلحقه التنوين.

تقول مثلا: سلمتُ علىٰ زيدٍ.

فهنا **سلمْتُ:** فعل ماض مبني علىٰ السكون؛ لاتصاله بتاء الفاعل، والتاء ضمير مبني علىٰ الضم في محل رفع فاعل.

وعلى: حرف جر مبني علىٰ السكون لا محل له من الإعراب.

وزيدٍ: اسم مجرور بالكسرة الظاهرة.

الموضع الثاني: جمع التكسير المنصرف، وهو الذي يلحقه التنوين.

تقول: التقيْتُ بالطلابِ المتفوقين.

هنا **التقيْتُ**: فعل ماضٍ مبني علىٰ السكون؛ لاتصاله بتاء الفاعل، والتاء ضمير مبني علىٰ الضم في محل رفع فاعل، والباء حرف جر مبني علىٰ الكسر لا محل له من الإعراب.

والطلاب: اسم مجرور بالكسرة الظاهرة.

والمتفوقين: نعت مجرور بالياء؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عِوَض عن التنوين الحادث في الاسم المفرد **متفوق**.

أما الموضع الثالث: فهو جمع المؤنث السالم.

ومن ذلك قولك: دخلتُ علىٰ الطالباتِ المتفوقاتِ.

فهنا الاسم **الطالباتِ** يعرب اسم مجرور بالكسرة؛ لأنه جمع مؤنث سالم.

ويعرب الاسم **المتفوقاتِ** نعتا مجرورا بالكسرة؛ لأنه جمع مؤنث سالم.

ثم قال المصنف عفا الله عنه:

العلامة الثانية: الياء في ثلاثة مواضع:

الموضع الأول: الأسماء الخمسة، وهي: أبوك، وأخوك، وحموك، وفوك، وذو مال.

تقول مثلا: سلمتُ علىٰ أبيك.

ومررتُ بأخيك.

وسعدتُ بحميك.

وضَعْ يدك علىٰ فيك.

وتحدثت مع ذي علم.

هنا الأسماء الخمسة كلها مجرورة بالياء نيابة عن الكسرة، والضمير **الكاف** يعرب ضميرًا مبنيًا علىٰ الفتح في محل جر مضاف إليه.

وكلمة **علم** تعرب مضافا إليه مجرورا بالكسرة الظاهرة.

أما الموضع الثاني: فهو المثنى.

تقول: سلمت علىٰ الصديقَيْنِ.

هنا إذا تأملت الاسم **الصديقَيْن** وجدته مجرورا بالياء نيابة عن الكسرة، لماذا؟؛ لأنه مثنىٰ، والنون عوض عن التنوين الحادث في الاسم المفرد **صديق**.

أما الموضع الثالث: فهو جمع المذكر السالم.

عرفنا قبل ذلك أن جمع المذكر السالم هو كل مفرد أضيف إليه واوٌ ونون، أو ياءٌ ونون.

ومن ذلك أن تقول: نظرتُ إلىٰ المصلِّينَ.

فهنا إذا تأملت الاسم **المُصلين** وجدته مجرورا بالياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عِوَض عن التنوين الحادث في الاسم المفرد **مصلٍ**.

ثم قال: العلامة الثالثة لجر الأسماء: الفتحة في الممنوع من الصرف، وهو الذي لا يقبل التنوين.

تقول: سافرتُ إلىٰ مكةَ.

مررتُ بعثمانَ.

تكلمتُ عن حبيبةَ.

فهنا إذا تأملت الأسماء: مكة، وعثمان، وحبيبة وجدتها مجرورة بالفتحة نيابة عن الكسرة، لماذا؟.

لأنها ممنوعة من الصرف، فكل منها يعرب اسما مجرورا بالفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنها ممنوعة من الصرف.

والممنوع من الصرف قسمان:

الأول: ما يُمنع من الصرف؛ لوجود علة واحدة فيه، وهو ثلاثة أنواع:

الأول: ما كان آخره ألف تأنيث ممدودة، **مثل:** صفراء، خضراء، حمراء، بيضاء، عمياء.

النوع الثاني: ما كان آخره ألف تأنيث مقصورة، **مثل:** سلوىٰ، لبنىٰ، سلمىٰ، ليلىٰ.

النوع الثالث: صيغة منتهىٰ الجموع، وهي جمع التكسير الذي وقع بعد ألفه حرفان، **مثل:** مساجد، مقابر، أفاضل، منابر، أو جمع التكسير الذي وقع بعد ألفه ثلاثة أحرف وسطها ساكن، **مثل:** مفاتيح، عصافير، عجاجيل، عقاقير.

فهذه كلها تسمىٰ بصيغة منتهىٰ الجموع، وتعرب إعراب الممنوع من الصرف تجر بالفتحة.

أما القسم الثاني من الممنوع من الصرف: فهو ما يُمنع من الصرف لوجود علتين فيه:

إحداهما: أن يكون عَلَمًا، أو وَصْفًا، وهو نوعان:

النوع الأول: ما يمنع من الصرف من الأعلام، وهي:

الأول: الأعلام المؤنثة تأنيثا معنويا، أو لفظيا بالتاء، أو معنويا لفظيا.

والتأنيث المعنوي: مثل زينب، وسعاد، ورباب.

وأما التأنيث اللفظي بالتاء: فهو ما كان آخره تاء، وإن لم يكن في الحقيقة مؤنثا، مثل حمزة، وطلحة، وشُعبة.

وأما التأنيث المعنوي اللفظي: مثل خديجة، حبيبة، عائشة، فاطمة، عزة، كريمة.

الثاني: الأعلام الأعجمية ممنوعة من الصرف.

مثل: جميع أسماء الأنبياء عدا صالح، ونوح، وشعيب، ومحمد، ولوط، وهود عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

تقول مثلا: قرأت عن إبراهيمَ، وآدمَ، ويونسَ، وإسماعيلَ.

سلمتُ علىٰ صالحٍ، ونوحٍ، وشعيبٍ، ومحمدٍ، ولوطٍ، وهودٍ.

كذلك جميع أسماء الملائكة ممنوعة من الصرف عدا مالكًا عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

تقول: قرأتُ عن ميكائيلَ، وجِبْرِيلَ، وإسرافيلَ.

الثالث: الأعلام المنتهية بألف ونون زائدتين.

مثل: رمضان، شعبان، غسَّان، حسَّان.

فهذه الأسماء ممنوعة من الصرف.

تقول: سلمت علىٰ رمضانَ، وشعبانَ، وحسّانَ.

الرابع: الأعلام المركبة تركيبا مزجيًّا.

مثل: حضر موت، وبعلبك، وبور سعيد، هذه الأسماء ممنوعة من الصرف.

الخامس: الأعلام التي علىٰ وزن الفعل.

مثل: أكرم، وأحمد، وأمجد، وأدهم، ويزيد، وتدمر، ويشكر.

تقول مثلا: سلمتُ علىٰ أكرمَ، وأحمدَ، وأمجدَ، وأدهمَ، ويزيدَ، وتدمرَ ويشكر.

فكلها مجرورة بالفتحة؛ لأنها ممنوعة من الصرف.

السادس: الأعلام المعدولة من وزن إلىٰ وزن أخر.

مثل: عُمَرَ أصلها عَامِر، فعُدل عنها إلىٰ عُمَر.

كذلك زُفَر أصلها زَافِر، فعُدل عنها إلىٰ زُفَر.

أما النوع الثاني: فهو ما يمنع من الصرف من الأوصاف.

الأول: الأوصاف التي علىٰ وزن الفعل.

مثل: أجمَل، وأقبَح، وأفضَل، وأنجَح.

فهذه كلها ممنوعة من الصرف.

الثاني: الأوصاف التي تنتهي بألف ونون.

مثل: ريَّان، وعطشانَ، وجوعانَ، وغضبانَ، وفرحانَ، هذه كلها ممنوعة من الصرف تجر بالفتحة.

الثالث: الأوصاف المعدولة من وزن إلىٰ وزن آخر، وهي شيئان:

الأول: ما كان علىٰ وزن فُعَالٍ، ومَفْعَلٍ.

مثل: أُحادَ، وثُناءَ، وثُلاثَ، ورُباعَ، ومَوْحَدَ، ومَثنَىٰ، ومَثْلَثَ، ومَرْبَعَ، إلىٰ عُشَارَ، ومَعْشَرَ.

فهذه كلها ممنوعة من الصرف؛ لأنها معدولة عن واحد واحد، اثنين اثنين، ثلاثة ثلاثة، أربعة أربعة، عشرة عشرة.

أما الثاني: فهي كلمة أُخَر فهي معدولة عن آخَر.

ويشترط لجر الممنوع من الصرف بالفتحة شرطان:

الشرط الأول: ألا يبدأ بـ «**ال**»، فإن بدأ بـ «**ال**» أُعرِبَ إعراب الاسم المنصرف.

تقول: أغلقتُ قفصًا علىٰ عصافيرَ.

عصافيرَ هنا تعرب باسم مجرور بالفتحة؛ لأنها ممنوعة من الصرف.

أما إذا قلت: أغلقتُ القفصَ علىٰ العصافيرِ.

فهنا تعرب اسما مجرورا بالكسرة، ولا تعرب إعراب الممنوع من الصرف.

أما الشرط الثاني: فهو ألا يضاف إلىٰ اسم بعده.

فإن أضيف إلىٰ اسم بعده أعرِبَ إعراب الاسم المنصرف.

مثال: تقول: مررتُ بمساجدَ كثيرةٍ.

هنا مساجد تعرب إعراب الممنوع من الصرف؛ لأنها غير مضافة.

أما إذا قلت: مررتُ بمساجدِ القريةِ.

فهنا لا تعرب إعراب الممنوع من الصرف؛ لأنها مضافة.

إذن نستطيع أن نلخص علامات إعراب الأسماء فيما يلي:

الاسم المفرد: يرفع بالضمة، وينصب بالفتحة، ويجر بالكسرة.

جمع التكسير: يرفع بالضمة، وينصب بالفتحة، ويجر بالكسرة.

جمع المؤنث السالم: يرفع بالضمة، وينصب بالكسرة، ويجر بالكسرة.

جمع المذكر السالم: يرفع بالواو، وينصب بالياء، ويجر بالياء.

المثنى: يرفع بالألف، وينصب بالياء، ويجر بالياء.

الأسماء الخمسة: ترفع بالواو، وتنصب بالألف، وتجر بالياء.

الممنوع من الصرف: يرفع بالضمة، وينصب بالفتحة، ويجر بالفتحة.

أسئلة الدرس

السؤال الأول: هات من الكلمات الآتية مفردًا وضعه في جملة مفيدة بحيث يكون مجرورا:

المتقون، الطلاب.

السؤال الثاني: هات من الكلمات الآتية جمع تكسير مرة، وجمع مؤنثٍ سالما مرة وضعه في جملة مفيدة بحيث يكون مجرورا.

الطالب، الكاتب.

السؤال الثالث: استخرج الأسماء المجرورة بالياء من الجمل الآتية:

١- قوله تعالىٰ: ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة:١١٩].

٢- اسمع كلام أخيك، وأبيك، وحميك.

السؤال الرابع: استخرج الممنوع من الصرف من الجمل الآتية، وبين سبب منعه:

١- أول من أسلم من النساء خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

٢- تزوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خديجة، وعائشة، وسَوْدة، وجُوَيرية، وصفية، وزينب، وأم حبيبة، وأم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ.

٣- أحب السفر لمكة.

٤- جاء الطلاب رُباع خُماس.

٥- لا تتكلم وأنت غضبان، ولا تأكل وأنت شبعان.

السؤال الخامس: أعرب الجمل الآتية:

١- صليتُ بمساجد.

٢- سلمتُ علىٰ المتفوقين.

٣- تكلمتُ عن العلماء.

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الحادي عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الإخوة المؤمنون، وأيتها الأخوات المؤمنات في هذه الدورة العلمية المباركة، وهذا هو الدرس الحادي عشر من دروس النحو من كتاب «المختصر في النحو»، وفي هذا الدرس نتعرف إن شاء الله تعالىٰ علىٰ المبتدأ، والخبر.

قال المصنف عفا الله عنه:

الفرع الثاني: أنواع الأسماء المُعربة

وفيه ثلاثة وعشرون نوعا:

النوع الأول: المبتدأ والخبر.

النوع الثاني: الفاعل.

النوع الثالث: نائب الفاعل.

النوع الرابع: المفعول به.

النوع الخامس: كان وأخواتها.

النوع السادس: إن وأخواتها.

النوع السابع: النعت.

النوع الثامن العطف.

النوع التاسع: التوكيد.

النوع العاشر: البدل.

النوع الحادي عشر: ظن وأخواتها.

النوع الثاني عشر: المفعول المطلق.

النوع الثالث عشر: المفعول لأجله.

النوع الرابع عشر: المفعول معه.

النوع الخامس عشر: ظرف الزمان.

النوع السادس عشر: ظرف المكان.

النوع السابع عشر: الحال.

النوع الثامن عشر: التمييز.

النوع التاسع عشر: الاستثناء.

النوع العشرون: اسم لا النافية للجنس.

النوع الحادي والعشرون: المنادى.

النوع الثاني والعشرون: حروف الجر.

النوع الثالث والعشرون: المضاف إليه.

هذا مجمل أنواع الأسماء المعربة، ثم يأتي تفصيل كل نوع من هذه الأنواع كل علىٰ حدة.

قال المصنف عفا الله عنه:

النوع الأول: المبتدأ والخبر

وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: عرف المبتدأ والخبر.

المبتدأ: هو الاسم المرفوع في أول الجملة.

والخبر: هو الاسم المرفوع الذي يكوِّن مع المبتدأ جملة مفيدة.

وتسمىٰ الجملة المكونة من المبتدأ، والخبر جملة اسمية.

إذن عندنا المبتدأ اسم مرفوع في أول الجملة، والخبر اسم مرفوع يكوّن مع المبتدأ جملة مفيدة.

ومن ذلك قولك: زيدٌ مجتهدٌ.

زيدٌ هنا مبتدأ، **ومجتهدٌ**: خبر؛ لأنه كوَّن مع المبتدأ جملة مفيدة.

إذن **زيدٌ**: مبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة.

ومجتهدٌ: خبر مرفوع بالضمة الظاهرة.

ومن ذلك أيضًا: قولك: الزيدون مجتهدون.

الزيدون: مبتدأ مرفوع بالواو؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين الحادث في الاسم المفرد **زيد**.

ومجتهدون: خبر مرفوع بالواو؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين الحادث في الاسم المفرد **مجتهد**.

المسألة الثانية: ما الذي يشترط في المبتدأ، والخبر؟

يشترط في المبتدأ، والخبر أن يتطابقا في شيئين:

الأول: الإفراد، والتثنية، والجمع.

يعني المبتدأ لو كان مفردا فلا بد أن يكون الخبر مفردا، والمبتدأ لو كان مثنىٰ فلا بد أن يكون الخبر مثنىٰ، وكذلك المبتدأ لو كان جمعا فلا بد أن يكون الخبر جمعا.

تقول في حال الإفراد: زيد مجتهد، هنا المبتدأ مفرد، والخبر مفرد.

وتقول في حال التثنية: الزيدان مجتهدان، المبتدأ هو **الزيدان** مثنىٰ، والخبر وهو **مجتهدان** مثنىٰ.

وتقول في حال جمع المذكر السالم: الزيدون مجتهدون، المبتدأ هنا **الزيدون** جمع، والخبر **مجتهدون** جمع.

الأمر الثاني الذي لا بد أن يتطابقا فيه: التذكير، والتأنيث.

يعني لو كان المبتدأ مذكرا فلا بد أن يكون الخبر مذكرا، ولو كان المبتدأ مؤنثا فلا بد أن يكون الخبر مؤنثا.

تقول في حال الإفراد: هندُ مجتهدةٌ.

هنا المبتدأ والخبر تطابقا بالإفراد والتأنيث.

وتقول في حال التثنية: الهندان مجتهدتان.

هنا المبتدأ والخبر تطابقا في حالتي التثنية، والتأنيث.

وتقول في حال الجمع: الهندات مجتهدات.

هنا المبتدأ، والخبر تطابقا في حالتي الجمع، والتأنيث.

وكذلك في الأمثلة التي ذكرتها لكم قبل ذلك تطابق المبتدأ، والخبر في التذكير.

ثم قال المصنف عفا الله عنه:

المسألة الثالثة: ما هي أقسام المبتدأ؟

ينقسم المبتدأ قسمين:

القسم الأول: مبتدأ ظاهر، وهو ما تقدم ذكره.

تقول: زيدٌ محبوبٌ، المسلمون مجتهدون.

فهنا كل من **زيدٌ**، **والمسلمون** مبتدأ ظاهر.

القسم الثاني: مبتدأ مُضمَر، وهو ثلاثة أنواع:

الأول: ضمير التكلم: وهو: أنا، ونحن، أنا للمفرد، ونحن للجماعة.

تقول: أنا زيدٌ، نحن أبطالٌ، فهنا كل من **أنا**، **ونحن** مبتدأ مضمَر، نوعه ضمير تكلم.

وعند الإعراب نقول: أنا ضمير مبني على السكون في محل رفع مبتدأ.

وزيدٌ: خبر مرفوع بالضمة الظاهرة.

ونقول: **نحنُ**: ضمير مبني علىٰ الضم في محل رفع مبتدأ.

وأبطالٌ: خبر مرفوع بالضمة الظاهرة.

النوع الثاني: ضمير المخاطَبة، وهو أنتَ، وأنتِ، وأنتما، وأنتم، وأنتنَّ.

أنتَ: للمخاطَب المفرد.

وأنتِ: للمخاطَبَة المفردة.

وأنتما: للمخاطَبَيْن المثنىٰ المذكرين، أو الأنثيين.

وأنتم: للمخاطَبين الذكور.

وأنتن: للمخاطَبات الإناث.

تقول: أنت زيدٌ، أنتِ خديجةٌ، أنتما مجتهدان، أنتم أحرارٌ، أنتن مسلماتٌ.

فهنا **المبتدأ**: مضمر نوعه ضمير مخاطَبة.

ويعرب المبتدأ في كل هذه الأمثلة: ضميرا مبنيا في محل رفع مبتدأ.

أما النوع الثالث: فهو ضمير الغيبة: هو، وهي، وهما، وهم، وهنَّ.

هو: للغائب المفرد.

وهي: للمفردَة المؤنثة.

وهما: للغائبَيْن المثنىٰ الذكرين، أو الأنثيين.

وهم: للغائبين الذكور.

وهن: للغائبات الإناث.

تقول: هو عمرو، وهي سعادٌ، وهما حاضران، وهم عبيدٌ، وهن محجباتٌ.

هنا المبتدأ في كل هذه الأمثلة: مُضمَر نوعه ضمير غيب، يعرب ضميرا مبنيا في محل رفع مبتدأ.

ثم قال المصنف عفا الله عنه:

المسألة الرابعة: ما هي أقسام الخبر؟

ينقسم الخبر خمسة أقسام:

القسم الأول: خبر مفرد، وهو ما ليس جملة، ولا شبه جملة.

كأن تقول: زيدٌ قائمٌ، الرجالُ قائمون، فاطمةُ مهذبةٌ.

هنا الخبر في هذه الأمثلة الثلاثة خبر مفرد ليس بجملة، ولا شبه جملة.

القسم الثاني: خبر جملة اسمية.

كأن تقول: زيدٌ علمهُ غزيرٌ.

فهنا الخبر **علمُهُ غزيرٌ** جملة اسمية، ويعرب **زيدٌ** مبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة.

وعلمُهُ: مبتدأ ثانٍ مرفوع بالضمة الظاهرة، والهاء ضمير مبني علىٰ الضم في محل جر مضاف إليه.

وغزيرٌ: خبر للمبتدأ الثاني مرفوع بالضمة الظاهرة.

والجملة الاسمية **علمُهُ غزيرٌ** في محل رفع خبر المبتدأ الأول **زيدٌ**.

القسم الثالث: خبر جملة فعلية.

كأن تقول: عمرٌو جلسَ أبوهُ.

هنا **جلسَ أبوهُ:** خبر وهو جملة فعلية.

وعند الإعراب تقول: **عمرٌو** مبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة.

وجلسَ فعل ماضٍ مبني علىٰ الفتح.

وأبوهُ فاعل مرفوع بالواو؛ لأنه من الأسماء الخمسة، والهاء ضمير مبني علىٰ الضم في محل جر مضاف إليه.

والجملة الفعلية: جلسَ أبوهُ في محل رفع خبر المبتدأ، وهو عمرٌو.

القسم الرابع: خبر جار ومجرور.

كأن تقول: بكرٌ في المسجدِ.

هنا الخبر قوله: في المسجدِ جار، ومجرور.

وعند الإعراب تقول: **بكرٌ** مبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة.

وفي حرف جر مبني علىٰ السكون لا محل له من الإعراب.

والمسجدِ: اسم مجرور بالكسرة الظاهرة.

وشِبه الجملة **في المسجدِ** في محل رفع خبر المبتدأ، وهو بكرٌ.

القسم الخامس: خبر ظرف مكان، أو زمان.

تقول: زيدٌ فوقَ البيتِ.

أو تقول: الراحةُ يومَ الجمعةِ.

فهنا قوله: **فوقَ البيتِ** خبر للمبتدأ زيدٌ، وهو ظرف مكان.

وفي المثال الثاني قوله: **يومَ الجمعةِ** خبر للمبتدأ وهو الراحةُ، وهو ظرف زمان.

وعند الإعراب تقول: **زيدٌ**: مبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة.

وفوقَ: ظرف مكان مبني علىٰ الفتح.

والبيتِ: مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة.

وشبه الجملة: **فوقَ البيتِ** في محل رفع خبر المبتدأ **زيدٌ**.

وتقول في المثال الثاني: **الراحةُ**: مبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة.

ويومَ: ظرف زمان مبني علىٰ الفتح.

والجمعةِ: مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة.

وشبه الجملة: **يومَ الجمعةِ** في محل رفع خبر المبتدأ **الراحةُ**.

وهنا فائدة: إذا كان الخبر جملة فلا بد من رابط يربطه بالمبتدأ، والرابط نوعان:

النوع الأول: ضمير في جملة الخبر يعود إلىٰ المبتدأ.

كأن تقول: محمدٌ فازَ أبوهُ، فـ**الهاء** هنا هي الرابط الذي ربط الخبر بالمبتدأ.

أما النوع الثاني: فهو اسم إشارة في جملة الخبر يعود إلىٰ المبتدأ.

كأن تقول: زيدٌ هذا طالبٌ مجتهدٌ، فالرابط هنا اسم الإشارة **هذا**.

إذن نستطيع أن نلخص هذا الدرس في عدة عناصر:

الأول: التعريف.

المبتدأ: هو الاسم المرفوع في أول الجملة.

والخبر: هو الاسم المرفوع الذي يكوِّن مع المبتدأ جملة مفيدة.

المبتدأ ينقسم قسمين: مبتدأ ظاهر، ومبتدأ مُضمَر.

مثال المبتدأ الظاهر: زيدٌ محبوبٌ

والمبتدأ المُضمَر: ثلاثة أنواع:

الأول: ضمير التكلم: أنا، ونحن.

الثاني: ضمير المخاطبة: أنتَ، وأنتِ، وأنتما، وأنتم، وأنتنَّ.

والثالث: ضمير الغيب: هو، وهي، وهما، وهم، وهُن.

أما الخبر فينقسم خمسة أقسام:

الأول: خبر مفرد.

الثاني: خبر جملة اسمية.

الثالث: خبر جملة فعلية.

الرابع: خبر جار ومجرور.

الخامس: خبر ظرف مكان، أو زمان.

ويشترط في المبتدأ، والخبر أن يتطابقا في شيئين: الإفراد، والتثنية، والجمع، والتذكير، والتأنيث.

فإن كان المبتدأ مفردا، فلا بد أن يكون الخبر كذلك، وإن كان مثنىً فلا بد أن يكون الخبر كذلك، وإن كان جمعًا فلا بد أن يكون الخبر كذلك.

وإن كان المبتدأ مذكَّرا فلابد أن يكون الخبر مذكرا، وإن كان المبتدأ مؤنثا فلابد أن يكون الخبر مؤنثا.

أسئلة الدرس

السؤال الأول: استخرج كل مبتدأ، وكل خبر من الجمل الآتية:

الأولى: المسلمُ مؤدبٌ.

الثانية: الإسلامُ عظيمٌ.

الثالثة: الولدُ جاءَ أبوهُ.

الرابعة: أنا مسلمٌ.

الخامسة: العلماءُ ورثةُ الأنبياءِ.

السؤال الثاني: ضع كل كلمة من الكلمات الآتية في جملة اسمية مفيدة بحيث تكون مبتدأ:

البلد، الكتاب، العلم، هو، الشجرة، الطيور.

السؤال الثالث: ضع كل كلمة من الكلمات الآتية في جملة اسمية مفيدة بحيث تكون خبرا:

الكبيرة، مؤمنون، حلو، قادم، الباكية.

السؤال الرابع: أعرب الجمل الآتية:

الأولى: البيت واسع.

الثانية: هو طبيب مسلم.

الثالثة: الأسد أكل الغزال.

الرابعة: عمرو سافر أبوه.

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الثاني عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الإخوة المؤمنون، وأيتها الأخوات المؤمنات في هذه الدورة العلمية المباركة، وهذا هو الدرس الثاني عشر من دروس النحو من كتاب «المختصر في النحو»، وفي هذا الدرس نتعرف إن شاء الله تعالىٰ علىٰ الفاعل، ونائب الفاعل.

قال المصنف عفا الله عنه:

النوع الثاني: الفاعل

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: عرف الفاعل.

الفاعل هو اسم مرفوع تقدمه فعلٌ، ويدل على الذي أُسند إليه الفعل.

يعني لا بد أن يتقدم الفعل علىٰ الفاعل، فإن تقدم الفاعل علىٰ الفعل، أُعرِبَ مبتدأ.

ومثال ذلك: تقول: فازَ الطالبُ.

فازَ: فعل ماض مبني علىٰ الفتح.

والطالبُ: فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة.

أما إذا قلت: الطالبُ فازَ، فهنا الطالبُ يعرب مبتدأ.

وتقول مثلا: جاءَ الأسدُ.

جاءَ: فعل ماض مبني على الفتح.

والأسدُ: فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة.

وهنا فائدة: وهي أنك تستطيع أن تعرف الفاعل بأن تسأل عنه بـ**مَن** للعاقل، أو **ما** لغير العاقل.

ففي المثال الأول: فاز الطالب.

أين الفاعل؟ **نقول**: من الذي فاز؟

الجواب: الطالب، فالطالب هو الفاعل.

ولو قلت: أكلَ الولدُ.

تسأل، وتقول: من الذي أكل؟

الجواب: هو الولد، إذن الولد يُعرب فاعلا.

وفي المثال الثاني: جاءَ الأسدُ، الأسد هنا غير عاقل.

هنا نسأل بـ **ما**، ما الذي جاء؟

الجواب: الأسد، إذن الأسد هو الفاعل.

ثم قال المصنف عفا عنه:

المسألة الثانية: ما هي أقسام الفاعل؟

ينقسم الفاعل قسمين:

القسم الأول: **فاعل ظاهر**، وهو خمسة أنواع:

النوع الأول: مفرد.

كأن تقول: جلسَ زيدٌ، جاءَ عمرٌو.

فهنا الفاعل: مفرد، زيدٌ، وعمرٌو

النوع الثاني: مثنى.

تقول: جلس الطالبان، جلست الطالبتان.

الفاعل هنا الطالبان، والطالبتان مثنىٰ.

النوع الثالث: جمع التكسير.

تقول: جلسَ الرجالُ، جلست الهنودُ.

فهنا الفاعل الرجالُ، والهنودُ جمع تكسير.

النوع الرابع: جمع مذكر سالم.

تقول: جلس الحاضرون، يجلس الحاضرون.

هنا الفاعل هو الحاضرون جمع مذكر سالم.

النوع الخامس: جمع مؤنث سالم.

تقول: جلست الحاضراتُ، تجلس الحاضراتُ.

فهنا الحاضراتُ فاعل، ونوعه جمع مؤنث سالم.

أما القسم الثاني: فهو الفاعل المضمر.

وهو ثلاثة أنواع:

الأول: ضمير التكلم: تاء الفاعل، ونا الفاعلين.

تقول: قرأتُ، قرأنَا.

الفاعل هنا تاء الفاعل، ونا الفاعلين.

وعند الإعراب تقول: قرأتُ: فعل ماض مبني علىٰ السكون؛ لاتصاله بتاء الفاعل، والتاء ضمير مبني علىٰ الضم في محل رفع فاعل.

وقرأنا: فعل ماض مبني علىٰ السكون؛ لاتصاله بنا الفاعلين، ونا ضمير مبني علىٰ السكون في محل رفع فاعل.

النوع الثاني: ضمير المخاطَبة: وهو تاء المخاطَب، وتاء المخاطَبة، وضمير المخاطَبين المثنىٰ، وضمير المخاطَبين الجمع، وضمير المخاطَبات.

تقول: قرأتَ، قرأتِ، قرأتُما، قرأتمْ، قرأتُنَّ.

فهنا الفاعل في جميع هذه الأمثلة هو ضمير المخاطبة.

فهنا ضمير المخاطبة في هذه الأمثلة كلها يعرب ضميرا مبنيا في محل رفع فاعل.

أما النوع الثالث: فهو ضمير الغَيْبة: وهو ضمير المفرد المذكر، وضمير المفردة المؤنثة، وضمير المثنىٰ، وضمير الجمع المذكر، وضمير الجمع المؤنث.

تقول: جلسَ، جلسَتْ، جلسَا، جلسَتَا، جلسُوا، جلسْنَ.

فهنا في المثال الأول **جلسَ** الفاعل ضمير مستتر جوازا تقديره «هو».

وفي المثال الثاني **جلسَتْ**، الفاعل ضمير مستتر جوازا تقديره «هي».

وفي المثال الثالث **جلسَا** الفاعل هو الألف ضمير مبني علىٰ السكون في محل رفع فاعل.

وفي المثال الرابع **جلسَتَا** الألف ضمير مبني علىٰ السكون في محل رفع فاعل.

وفي المثال الخامس **جلسوا** الواو ضمير مبني علىٰ السكون في محل رفع فاعل.

وفي المثال السادس **جلسْنَ** النون ضمير مبني علىٰ الفتح في محل رفع فاعل.

إذن نستطيع أن نلخص درس الفاعل في أمرين:

الأول: تعريفه، وهو اسم مرفوع تقدمه فعل، ويدل علىٰ الذي أُسند إليه الفعل.

الثاني: أقسامه، الفاعل ينقسم قسمين:

القسم الأول: فاعل ظاهر.

والقسم الثاني: فاعل مضمر.

أما الفاعل الظاهر فهو خمسة أنواع:

مفرد، ومثنىٰ، وجمع تكسير، وجمع مذكر سالم، وجمع مؤنث سالم.

أما القسم الثاني: وهو الفاعل المضمر، فهو ثلاثة أنواع:

ضمير التكلم، وضمير المخاطبة، وضمير الغَيْبة.

ثم قال المصنف عفا الله عنه:

النوع الثالث: نائب الفاعل

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: عرِّف نائب الفاعل.

قال: نائب الفاعل: هو اسم مرفوع حل محل الفاعل بعد حذفه.

كأن تقول: حُفِظَ الدرسُ، وكُسِرَ الإناءُ.

هنا إذا تأملت كلمتي: **الدرسُ**، **والأناءُ** وجدتهما اسمين مرفوعين حلّا محل الفاعل بعد حذفه.

وإذا تأملت الفعلين: **حُفِظَ**، **وكُسِرَ** وجدتهما فعلين مبنيين لم يُسَمَّ فاعلهما.

وأصل المثال الأول: حفظَ زيدٌ الدرسَ، فلما حذف الفاعل وهو **زيدٌ** أسند الفعل إلىٰ المفعول، وصار حُفِظَ الدرسُ، فالدرس هنا في الأصل مفعول به صار نائب فاعل.

وأصل المثال الثاني: كسَرَ عمرٌو الإناءَ، حُذف الفاعل وهو **عمرٌو**، وأُسند الفعل إلىٰ المفعول فصار كُسِرَ الإناءُ

وعند الإعراب تقول: في المثال الأول: حفظ الدرس، **حُفِظَ** فعل ماض مبني لَما لم يُسمَّ فاعله، و**الدرسُ** نائب فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة.

وفي المثال الثاني: كُسرَ الإناءُ، **كُسِرُ** فعل ماض مبني للمجهول، أو مبني لما لم يُسَمَّ فاعله، **والإناءُ** نائب فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة.

المسألة الثانية: ماذا يحدث للفعل إذا حُذف فاعله؟

إذا حُذف الفاعل، وأُسند الفعل إلى المفعول فله حالان:

الحال الأولى: إذا كان الفعل ماضيا، ضُم أوله، وكُسر ما قبل آخره.

تقول: أَكَلَ، أُكِلَ، حَفِظَ، حُفِظَ، شَرِبَ، شُرِبَ، جَلَسَ، جُلِسَ.

فهنا ضُم الحرف الأول، وكُسِرَ ما قبل الآخر.

الحال الثانية: إذا كان الفعل مضارعا ضُم أوله، وفُتح ما قبل آخره.

تقول: يَأكُلُ، يُؤكَلُ، يَدرُسُ، يُدرَسُ، يَفتَحُ، يُفتَحُ، يَسمَعُ، يُسْمَعُ.

ويسمىٰ الفعل حينئذ فعلًا مبنيًا لِما لم يُسمَّ فاعله، أو فعلا مجهولا.

ومن الأمثلة على ذلك: إذا قلت: أكَلَ زيدٌ الطعامَ.

نريد أن نجعل هذه الجملة مبنية للمجهول، ماذا نفعل؟

نحذف الفاعل، وهو زيدٌ، فتصير أكَلَ الطعام، **أَكَلَ** فعل ماض، إذن ماذا نفعل فيه؟ نضم أوله، ونكسر ما قبل آخره، فتصير **أُكِلَ الطعامُ**، والطعامُ تصير مرفوعة.

كذلك نقول: يأكلُ زيدٌ الطعام.

تريد أن تحوِّل هذه الجملة للبناء للمجهول تحذف الفاعل، ثم تنظر إلىٰ الفعل إن كان ماضيا تضم أوله، وتكسر ما قبل آخره، وإن كان مضارعا تضم أوله، وتفتح ما قبل آخره.

هنا الفعل مضارع، إذن نضم أوله، ونفتح ما قبل آخره **يُؤْكَل الطعام**، **الطعام** مفعول به يصير نائب فاعل مرفوع بالضمة.

المسألة الثالثة: ما هي أقسام نائب الفاعل؟

ينقسم نائب الفاعل قسمين:

الأول: **نائب فاعل ظاهر**، وهو خمسة أنواع كما تقدم في أقسام الفاعل.

النوع الأول: مفرد.

كأن تقول: أكرِمَ زيدٌ، فـ **زيد** هنا نائب فاعل مفرد.

النوع الثاني: مثنى.

كأن تقول: أكرِمَ الطالبان، **الطالبان** نائب فاعل مثنىٰ.

النوع الثالث: جمع التكسير.

كأن تقول: أكرِمَ الطلاب، **الطلاب** هنا نائب فاعل نوعه جمع تكسير.

النوع الرابع: جمع مذكر سالم.

تقول: أكرم الحاضرون، **الحاضرون** هنا نائب فاعل ونوعه جمع مذكر سالم.

النوع الخامس: جمع مؤنث سالم.

تقول: أُكرِمَت الحاضرات، **الحاضرات** هنا نائب فاعل، نوعه جمع مؤنث سالم.

أما القسم الثاني: فهو نائب فاعل مضمر، وهو أنواع ثلاثة:

الأول: ضمير التكلم: تاء فاعل، ونا الفاعلين.

تقول: أُكرِمْتُ، أُكرِمْنا.

فهنا نائب الفاعل هو تاء الفاعل في المثال الأول، ونا الفاعلين في المثال الثاني.

النوع الثاني: ضمير المخاطبة: وهو تاء المخاطب، وتاء المخاطبة، وضمير المخاطبَيْن المثنىٰ، وضمير المخاطِبين الجماعة، وضمير المخاطبات.

كأن تقول: أُكْرِمتَ، أُكْرِمتِ، أُكرِمتُما، أُكرِمتمْ، أُكرِمْتُنَّ.

أما النوع الثالث: فهو ضمير الغَيْبة، وهو ضمير المفرد المذكر، وضمير المفردة المؤنثة، وضمير المثنىٰ، وضمير الجمع المذكر، وضمير الجمع المؤنث.

كأن تقول: أُكرِمَ، أُكرِمَتْ، أُكرِما، أكرِمَتَا، أُكرِمُوا، أُكرِمْنَ.

فهنا نائب الفاعل هو ضمير الغَيْبة، في المثال الأول: نائب الفاعل ضمير مستتر جوازا تقديره «هو».

والمثال الثاني: **أُكرمَتْ** نائب الفاعل: ضمير مستتر جوازا تقديره «هي».

وفي المثال الثالث: **أُكرمَا** نائب الفاعل: ألف الاثنين.

وفي المثال الرابع: **أُكرمتَا** نائب الفاعل: ألف الاثنين.

وفي المثال الخامس: **أُكرموا** نائب الفاعل: واو الجماعة.

وفي المثال السادس: **أُكرمْنَ** نائب الفاعل: نُون النسوة.

إذن نستطيع أن نلخص نائب الفاعل في أمرين:

الأول: تعريفه.

نائب الفاعل هو اسم مرفوع حل محل الفاعل بعد حذفه.

الثاني: أقسامه:

نائب الفاعل ينقسم قسمين:

القسم الأول: نائب فاعل ظاهر، وهو خمسة أنواع: مفرد، ومثنىٰ، وجمع تكسير، وجمع مذكر سالم، وجمع مؤنث سالم.

أما القسم الثاني: فهو نائب فاعل مضمر، وهو ثلاثة أنواع:

الأول: ضمير التكلم.

الثاني: ضمير المخاطَبة.

الثالث: ضمير الغَيْبة.

❁❁❁

أسئلة الدرس

السؤال الأول: ضع كل كلمة من الكلمات الآتية في جملة فعلية مفيدة، بحيث تكون فاعلا:

الأب، المعلم، الطلاب.

السؤال الثاني: استخرج الفاعل من الجمل الآتية، وبين نوعه:

الأولى: حافظوا علىٰ المسجد.

الثانية: جلسا علىٰ المائدة.

الثالثة: جلست الحاضرات.

السؤال الثالث: حول الجمل الآتية إلىٰ البناء للمجهول، واضبطها بالشكل:

الأولى: شرب زيد اللبن.

الثانية: سمعت عائشة القرآن.

الثالثة: ألقىٰ المدير خطابا.

السؤال الرابع: استخرج نائب الفاعل من الجمل الآتية، وبين نوعه، ثم رد كل جملة إلىٰ أصلها مكونةً من فعل، وفاعل، ومفعول:

الأولى: كُسِرَ الزجاجُ.

الثانية: طُبِعَ الكتابُ.

الثالثة: ضُرِبَتْ فاطمةُ.

السؤال الخامس: أعرب الجمل الآتية:

الأولى: كتب العامل رسالة.

الثانية: قُرِأ الكتاب.

الثالثة: تحجبت الفتيات.

الرابعة: حُفِظَ القرآن.

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الثالث عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الإخوة المؤمنون، وأيتها الأخوات المؤمنات في هذه الدورة العلمية المباركة، وهذا هو الدرس الثالث عشر من دروس النحو من كتاب «**المختصر في النحو**»، وفي هذا الدرس نتعرف إن شاء الله تعالى على المفعول به.

قال المصنف عفا الله عنه:

النوع الرابع: المفعول به

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: عرف المفعول به.

المفعول به: هو اسم منصوب يدل على الذي وقع عليه الفعل.

ومن ذلك: قولك: شرحَ الأستاذُ الدرسَ.

فهنا الدرسَ مفعول به، لماذا؟ لأنه هو الذي وقع عليه الفعل، لذلك يعرب مفعولا به، وتستطيع أن تعرف المفعول به بأن تسأل عنه بـ **ماذا**؟

تقول في هذا المثال: ما الذي شرح الأستاذ؟

الجواب: الدرس، هذا هو المفعول به.

ولا يشترط أن يتقدم الفعلُ علىٰ المفعول به، فقد يتقدم المفعول به علىٰ الفعل، وقد يتأخر.

ومن ذلك أيضًا: قولك: لمْ تشربْ خديجةُ اللبنَ.

هنا كلمة **اللبن** مفعول به، لماذا؟ لأنها هي الذي وقع عليها الفعل، لذلك تعرب مفعولا به.

ثم قال المصنف عفا الله عنه:

المسألة الثانية: ما هي أقسام المفعول به؟

ينقسم المفعول به قسمين:

القسم الأول: مفعول به ظاهر، وهو خمسة أنواع:

النوع الأول: مفرد.

كأن تقول: كرّمَ المديرُ الفائزَ.

فهنا **الفائزَ** مفعول به مفرد، وعند الإعراب تقول: **كرَّمَ** فعل ماض مبني علىٰ الفتح.

و**المديرُ** فاعل مرفوع بالضمة.

و**الفائزَ** مفعول به منصوب بالفتحة.

النوع الثاني: مُثنى.

كأن تقول: كرّمَ المديرُ الفائزَيْن.

فهنا كلمة **الفائزَيْن** مفعول به، نوعه مثنىٰ.

النوع الثالث: جمع تكسير.

كأن تقول: كرمَ المديرُ الطلابَ.

فهنا **الطلاب** مفعول به منصوب بالفتحة، نوعه جمع تكسير.

النوع الرابع: جمع مذكر سالم.

كأن تقول: كرمَ المديرُ الفائزين.

فهنا **الفائزين** مفعول به، نوعه جمع مذكر سالم.

النوع الخامس: جمع مؤنث سالم.

كأن تقول: كرمَتِ المديرةُ الفائزاتِ.

فهنا **الفائزاتِ** مفعول به، نوعه جمع مؤنث سالم.

أما القسم الثاني: فهو مفعول به مضمر، وهو نوعان:

النوع الأول: مفعول به مضمر متصل.

النوع الثاني: مفعول به مضمر منفصل.

أما المفعول به المضمر المُتصل: فهو ما لا يمكن الابتداء به في أول الكلام.

أما المفعول به المضمر المنفصل: فهو ما يمكن الابتداء به في أول الكلام.

والمضمر المتصل ثلاثة أنواع:

الأول: ضمير التكلم: وهو **ياء** المتكلم، **نا** المتكلِّمين.

تقول: أكرَمَني عمرٌو، يُكرِمُنا عمرٌو.

فهنا **ياء** المتكلِّم في المثال الأول مفعول به، والـ **نا** في المثال الثاني مفعول به أيضًا.

وعند الإعراب:

أكرمني: فعل ماض مبني علىٰ الفتح، والنون للوقاية، نون الوقاية تقي الفعل من الكسر إذا اتصلت به ياء التكلم، ولولاها لكُسِر الفعل، وكسرُ الفعل لا يصح في اللغة، والياء ضمير متصل مبني علىٰ السكون في محل نصب مفعول به.

ويكرمُنا: فعل مضارع مرفوع بالضمة الظاهرة، والنا ضمير متصل مبني علىٰ السكون في محل نصب مفعول به.

وعمرٌو في المثالين يعرب فاعلا مرفوعًا بالضمة الظاهرة.

أما النوع الثاني: فهو ضمير المخاطبة، وهو كاف المخاطَب المذكر، وكاف المخاطَبة المؤنثة، وكاف المخاطبَيْن، وكاف المخاطبِين، وكاف المخاطَبات.

تقول: أسعدَكَ أخوكَ، وأسعدَكِ أخوكِ، وأسعدَكُما الأميرُ، وأسعدَكُم الأميرُ، وأسعدَكُنَّ القاضي.

فهنا المفعول به في هذه الأمثلة الخمسة هو ضمير المخاطبة، وعند الإعراب تقول: **أسعدَك** فعل ماض مبني علىٰ الفتح، والكاف ضمير متصل مبني علىٰ الفتح في محل نصب مفعول به مقدم، وكذلك تقول في الأمثلة الباقية.

النوع الثالث: ضمير الغيبة: وهو هاء المفرد المذكر، وهاء المفردة المؤنثة، وهاء المثنىٰ، وهاء جمع المذكر، وهاء جمع المؤنث.

تقول: أجلسَهُ ابنُهُ، وأجلسَها ابنُهَا، وأجلسَهُما القاضي، وأجلسَهُمْ عمرٌو، وأجلسَهُنَّ الفتَىٰ.

فهنا المفعول به في هذه الأمثلة الخمسة هو ضمير الغيبة، وعند الإعراب تقول: **أجلسَهُ** فعل ماض مبني علىٰ الفتح، والهاء ضمير متصل مبني علىٰ الضم في محل نصب مفعول به، وهكذا تقول في باقي الأمثلة.

أما المفعول به المضمر المنفصل فهو ثلاثة أنواع، وهذا كما قلنا يمكن الابتداء به في أول الكلام.

النوع الأول: ضمير التكلم وهو إيّاي، وإيَّانا.

تقول مثلا: إيَّايَ أكرَمْتَ، وإيَّانا أكرَمْتَ.

فهنا عند الإعراب تقول: إيَّا ضمير منفصل مبني علىٰ السكون في محل نصب مفعول به مقدم، والياء حرف دال علىٰ المتكلم المفرد، والـ **نا** حرف دال علىٰ المتكلم الجماعة، أو المفرد المعظِّم نفسه.

والنوع الثاني: هو ضمير المخاطبة: وهو إيّاكَ، وإيّاكِ، وإيّاكُما، وإيّاكُم، وإيّاكُنَّ.

تقول مثلا: إيّاكَ أكرمتُ، وإيّاكِ أكرمتُ، وإيّاكُما أكرمتُ، وإيّاكُمْ أكرمْنَا، وإيّاكُنَّ أكرَمْنا.

فهنا المفعول به في هذه الأمثلة هو ضمير المخاطبة، وعند الإعراب تقول: **إيّا** ضمير منفصل مبني علىٰ السكون في محل نصب مفعول به مقدم.

والكاف في إياكَ حرف دال علىٰ المخاطب المفرد المذكر.

والكاف في إياكِ حرف دال علىٰ المخاطبة المفردة المؤنثة.

والكاف في إياكُما حرف دال علىٰ المخاطبين الذكرين، أو الأنثيين، والميم والألف علامة التثنية.

والكاف في إياكُم حرف دال علىٰ المخاطبين الذكور، والميم علامة جمع المذكر السالم.

والكاف في إياكُن حرف دال علىٰ المخاطبات الإناث، والنون علامة جمع المؤنث السالم.

النوع الثالث: ضمير الغيب: وهو إيَّاهُ، وإيَّاهَا، وإيَّاهُمَا، وإيَّاهُمْ، وإيَّاهُنَّ.

تقول مثلا: إياهُ أكرَمْتُ، وإياها أكرَمْتُ، وإياهُما أكرَمْتُ، وإيَّاهُمْ أكرَمْنَا، وإيّاهُنَّ أكرَمْنَا.

فهنا المفعول به في هذه الأمثلة كلها هو ضمير الغيبة، وعند الإعراب تقول: **إيا** ضمير منفصل مبني علىٰ السكون في محل نصب مفعول به مقدم.

والهاء في **إيّاه** حرف دال علىٰ الغائب المفرد المذكر.

والهاء في **إيّاها** حرف دال علىٰ الغائبة المفردة المؤنثة.

والهاء في **إياهما** حرف دال علىٰ الغائبَيْنِ الذّكرَيْنِ أو الأنثَيَيْنِ، والميم والألف علامة التثنية.

والهاء في **إيّاهم** حرف دال علىٰ الغائبِينَ الذكور، والميم علامة جمع المذكر السالم.

والهاء في **إيّاهن** حرف دال علىٰ الغائبات الإناث، والنون علامة جمع المؤنث السالم.

إذن نستطيع أن نلخص درس المفعول به في أمرين:

الأول: تعريفه.

الثاني: أقسامه.

أما تعريفه فهو اسم منصوب يدل علىٰ الذي وقع عليه الفعل.

أما أقسامه: فينقسم المفعول به قسمين:

القسم الأول: مفعول به ظاهر.

وهو خمسة أنواع: مفرد، ومثنىٰ، وجمع تكسير، وجمع مذكر سالم، وجمع مؤنث سالم.

أما القسم الثاني: فهو مفعول به مضمَر، وهو نوعان:

الأول: مفعول به مضمر متصل، وهو ما لا يمكن الابتداء به في أول الكلام، وهو ضمير التكلم، وضمير المخاطبة، وضمير الغُيْبة.

النوع الثاني: مفعول به مضمر منفصل، وهو ما يمكن الابتداء به في أول الكلام، وهو ثلاثة أنواع: ضمير التكلم، وضمير المخاطبة، وضمير الغَيْبة.

وهنا فائدة: ما الفرق بين الفاعل، والمفعول؟

نستطيع أن نفرق بين الفاعل، والمفعول من عدة وجوه:

الوجه الأول: النوع.

الفاعل اسم، والمفعول اسم.

الوجه الثاني: التعريف.

الفاعل هو الذي أُسنِدَ إليه الفعل، أما المفعول فهو الذي وقع عليه الفعل.

الوجه الثالث: الإعراب.

يُرفَع الفاعل بالضمة، أو ما ناب عنها، أما المفعول فيُنصَب بالفتحة، أو ما ناب عنها.

الوجه الرابع: الشروط.

يشترط في الفاعل أن يُسبَقَ بفعل، أما المفعول فلا يشترط أن يُسبَقَ بفعل، بل قد يأتي قبل الفعل.

أسئلة الدرس

السؤال الأول: استخرِج المفعول به من الجمل الآتية، وبين نوعه:

الأولى: ضرب بكر سعدا.

الثانية: أطاعه ابنه.

الثالثة: أسعدها أبوها.

الرابعة: صليت الفجر.

السؤال الثاني: أعرب الجمل الآتية:

الأولى: حفظ الولد القرآن.

الثانية: أعجبني القارئ.

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الرابع عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الإخوة المؤمنون، والأخوات المؤمنات في هذه الدورة العلمية المباركة، وهذا هو الدرس الرابع عشر من دروس النحو من كتاب «المختصر في النحو»، وفي هذا الدرس نتعرف إن شاء الله تعالىٰ علىٰ كان وأخواتها، وإنَّ وأخواتها.

قال المصنف عفا الله عنه:

النوع الخامس: كان وأخواتها

وفيه خمس مسائل:

المسألة الأولى: ما عمل كان وأخواتها؟

تدخل كان وأخواتها على المبتدأ فترفعه ويُسمى اسمها، وتدخل على الخبر فتنصبه ويسمى خبرها.

أي كان تدخل علىٰ الجملة الاسمية، فالمبتدأ يصير اسمها، والخبر يصير خبرها.

ومن ذلك إذا قلت: التلميذُ مجتهدٌ إذا أدخلت كان علىٰ هذه الجملة تصير: كان التلميذُ مجتهدًا.

فكلمة **التلميذُ** تعرب اسم كان مرفوع بالضمة، و**مجتهدًا** تعرب خبر كان منصوبا بالفتحة.

ومن ذلك أيضًا إذا قلت: **المعلمُ مُتعَبٌ** إذا أدخلت أمسىٰ، وهىٰ من أخوات كان تصير الجملة: **أمسى المعلمُ مُتعَبًا**.

المعلمُ اسم أمسىٰ مرفوع بالضمة، و**متعبًا** خبر أمسىٰ منصوب بالفتحة.

ومن ذلك أيضًا إذا قلت: **زيدٌ جالسٌ** إذا أردت أن تدخل صار، وهي من أخوات كان علىٰ هذه الجملة تصير: **صار زيدٌ جالسًا**.

زيدٌ اسم صار مرفوع بالضمة، و**جالسًا** خبر صار منصوب بالفتحة.

المسألة الثانية: ما هي أخوات كان؟ وما إعرابها؟

كان وأخواتها ثلاثة عشر فعلًا، وهي كان، أمسى، أصبح، أضحى، ظل، بات، صار، ليس، ما زال، ما انفكَّ، ما فتِئَ، ما برح، ما دام.

ومعنى ما انفك: لم يزل، و**معنى ما فتِئَ**: ما زال، و**معنى ما برح**: ما زال.

وتعرب جميعها الإعراب التالي: فعل ماضٍ ناقص يرفع الاسم، وينصب الخبر، وسمي فعلا ناقصا؛ لأنه لا يكتفي بمرفوعه.

وتعرب **ما** في **ما زال**، وما انفك، وما فتِئَ، وما بَرِحَ وما دام: حرف نفي مبنيًّا علىٰ السكون.

فإذا قلت مثلا: ما زال الإسلامُ عظيمًا.

ما: حرف نفي مبني علىٰ السكون.

وزال: فعل ماض ناقص يرفع الاسم، وينصب الخبر.

والإسلامُ: اسم ما زال مرفوع بالضمة الظاهرة.

وعظيمًا: خبر ما زال منصوب بالفتحة الظاهرة.

المسألة الثالثة: ما هي أقسام كان وأخواتها من حيث عملها؟

تنقسم كان وأخواتها من حيث عملها، وهو رفع الاسم، ونصب الخبر ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما يعمل عملها بدون شروط وهو ثمانية أفعال: كان، وأمسىٰ، وأصبح، وأضحىٰ، وظل، وبات، وصار، وليس.

هذه الأفعال تعمل عمل كان وأخواتها، وهو رفع الاسم، ونصب الخبر بدون شروط.

أما القسم الثاني: فهو ما يعمل عملها بشرط أن يتقدمها نفي، أو استفهام، أو نهي، وهو أربعة أفعال: زال، أنفك، فتِئَ، برِحَ.

هذه الأفعال الأربعة لكي تعمل عمل كان، وأخواتها لا بد أن يتقدمها نفي، أو استفهام، أو نهي.

تقول في زال: ما زالَ، هل زالَ؟ لا تزلْ.

وتقول في انفَكَّ: ما انفَكَّ، هل انفَكَّ؟، لا تنفَكَّ.

وتقول في فتِئَ: ما فتِئَ، هل فتِئَ؟، لا تفْتَأْ.

وتقول في بَرِحَ: ما برِحَ، هل برِحَ؟، لا تبرَحْ.

أما القسم الثالث: فهو ما يعمل عملها بشرط أن يتقدمها ما المصدرية الظرفية، وهو فعل واحد دَام.

ومِن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾ [مريم:٣١]، أي مدة دوامي حيًّا، فهنا ما ظرفية.

ودُمْتُ: تعرب فعلا ماضيا ناقصا يرفع الاسم وينصب الخبر، والتاء ضمير مبني علىٰ الضم في محل رفع اسم ما دام.

وحيًّا: تعرب خبر ما دام منصوبا بالفتحة الظاهرة.

المسألة الرابعة: ما هي أقسام كان وأخواتها من حيث التصرف؟

تنقسم كان وأخواتها من حيث التصرفُ ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما يتصرفُ تصرُّفًا مطلقًا.

أي يأتي منه الماضي، والمضارع، والأمر، وهو سبعة أفعال: كان، وأمسىٰ، وأصبح، وأضحىٰ، وظل، وبات، وصار.

هذه الأفعال السبعة يمكن أن تأتي بالأفعال الثلاثة منها.

تقول في كان: كان، يكونُ، كُنْ.

وفي أمسى: أمسىٰ، يُمسي، أَمْسِ.

وفي أصبح: أصبَحَ، يُصبِحُ، أَصْبِحْ، وهكذا.

أما القسم الثاني: فهو ما يتصرف تصرفًا ناقصًا.

أي يأتي منه الماضي والمضارع فقط، وهو أربعة أفعال: زال، وانفك، وفَتِئَ، وبَرِحَ.

يعني لا يأتي من هذه الأفعال الأربعة فعل الأمر، تقول: زال يزال، انفكَّ ينفَكُّ، فتِئَ يفتَأُ، برِحَ يبرَحُ.

أما القسم الثالث: فهو ما لا يتصرف مطلقا.

أي يلزم صيغة الماضي لا يمكن أن يأتي منه المضارع، أو الأمر، وهو فعلان: ليس، وما دام، ويسمىٰ كل فعل منهما فعلًا جامدًا.

المسألة الخامسة: هل صيغتا المضارع، والأمر تعملان عمل صيغة الماضي؟

نعم صيغتا المضارع والأمر تعملان عمل صيغة الماضي فترفعان الاسم وتنصبان الخبر.

تقول مثلا في كان: كان الولدُ مجتهدًا، **هذا في الماضي.**

وفي المضارع تقول: يكونُ الولدُ مجتهدًا.

وفي الأمر تقول: كُنْ مجتهدًا.

وعند إعراب صيغة المضارع تقول: **يكونُ:** فعل مضارع متصرف من كان الناقصة، يرفع الاسم، وينصب الخبر.

والولدُ: اسم يكون مرفوع بالضمة الظاهرة.

ومجتهدًا: خَبر يكون منصوب بالفتحة الظاهرة.

وعند إعراب صيغة الأمر تقول: كُنْ فعل أمر متصرف من كان الناقصة يرفع الاسم، وينصب الخبر، واسمه ضمير مستتر وجوبا تقديره «أنت»، كُنْ أنتَ.

ومجتهدًا: خبر كن منصوب بالفتحة الظاهرة.

ومن الأمثلة أيضًا على ذلك: تقول في حال الماضي: أمسَىٰ الرجلُ مؤمنًا، وفي المضارع: يُمسِي الرجلُ مؤمنًا، وفي الأمر: أمْسِ مؤمنًا.

وتقول أيضًا في حال الماضي: صارَ الطالبُ ذكيًّا، وفي حال المضارع: يَصيرُ الطالبُ ذكيًّا، وفي حال الأمر تقول: صِرْ ذكيًّا.

ومن ذلك أيضًا: تقول في حال الماضي: ما انفَكَّ المريضُ متعَبًا، وتقول في حال المضارع: لا ينفكُّ المريضُ متعَبًا.

وهكذا في جميع أخوات كان.

ثم قال المصنف عفا الله عنه:

النوع السادس: إن وأخواتها

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: ما عمل إن وأخواتها؟

تدخل إن وأخواتها على المبتدأ فتنصبه ويسمى اسمها، وتدخل على الخبر فترفعه ويسمى خبرها.

يعني عكس كان وأخواتها، كان وأخواتها تدخل علىٰ المبتدأ فترفعه، وتدخل

علىٰ الخبر فتنصبه، أما إن وأخواتها فتدخل علىٰ المبتدأ فتنصبه، وتدخل علىٰ الخبر فترفعه.

ومن ذلك: إذا قلت: **التلميذُ مجتهدٌ**، إذا أدخلت **إنَّ** علىٰ هذه الجملة تصير **إنَّ التلميذَ مجتهدٌ**.

هنا **التلميذَ**: اسم إنَّ منصوب بالفتحة.

ومجتهدٌ: خبر إن مرفوع بالضمة.

تقول أيضًا: **الجوُّ حارٌّ**، إذا أدخلت **كأنَّ**، وهي من أخوات إن علىٰ هذه الجملة تصير **كأنَّ الجوَّ حارٌّ**.

الجوَّ: اسم كأن منصوب بالفتحة.

وحارٌّ: خبر كأن مرفوع بالضمة.

تقول أيضًا: المسجدُ مزدحمٌ.

إذا أردت أن تُدخل: **لعلَّ** علىٰ هذه الجملة وهي من أخوات إنَّ، فتصير: **لعلَّ المسجدَ مزدحمٌ**

المسجدَ: اسم لعل منصوب بالفتحة.

ومزدحمٌ: خبر لعل مرفوع بالضمة.

المسألة الثانية: ما هي أخوات إنَّ؟ وما إعرابها؟

إن وأخواتها ستة حروف، وهي: إنَّ، وأنَّ، ولكنَّ، وكأنَّ، وليتَ، ولعلَّ.

وتعرب جميعها حرفًا مبنيًّا علىٰ الفتح لا محل له من الإعراب.

المسألة الثالثة: ما هي معاني إنَّ، وأخواتها؟ مع ذكر أمثلة على ما تقول.

لكل حرف من حروف إن وأخواتها معنى:

أما **إنَّ** فمعناه **توكيد نسبة الخبر للمبتدأ**.

ومن ذلك تقول: إنَّ الإسلامَ قادمٌ، فهنا تؤكد قدومَ الإسلامِ.

وأنَّ كذلك معناها: **توكيد نسبة الخبر للمبتدأ.**

تقول: أُخْبِرْتُ أنَّ زيدًا ناجحٌ.

هنا تؤكد نسبة الخبر، وهو النجاح إلىٰ المبتدأ، وهو زيد.

أما **لكن** فمعناها **الاستدراك**، وهو إثبات ما يُتوهم نفيه.

كأن تقول: محمدٌ مجتهدٌ لكنَّ أخاهُ مهمِلٌ.

فهنا أثبت ما قد يتوهم نفيه، وهو إهمال الأخ.

وأما **كأنَّ** فمعناها **تشبيه المبتدأ بالخبر.**

تقول: كأن الرجلَ أسدٌ.

فهنا شبه المبتدأ، وهو الرجل بالخبر، وهو الأسد.

وأما **لَيْتَ** فمعناها **التمني.**

ومن ذلك تقول: ليتَ الشبابَ راجعٌ، أو: ليتَّ المهملَ ناجحٌ.

وأما **لعَلَّ** فمعناها **الترجي.**

تقول: لعلَّ أبِي قادِمٌ.

يعني أرجو قدوم أبي، وعند إعراب هذه الجملة تقول: **لعل:** حرف تَرَجٍّ، ونصب ينصب الاسم ويرفع الخبر.

وأبي: اسم لعل منصوب بالفتحة المقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة، والياء ضمير مبني علىٰ السكون في محل جر مضاف إليه.

وقادم: خبر لعل مرفوع بالضمة الظاهرة.

وكذلك في سائر الجمل تقول مثل هذا الإعراب.

❁❁❁

أسئلة الدرس

السؤال الأول: بيّن كل اسم وخبر لكان وأخواتها في الجمل الآتية:

الأولى: كان زيد مريضا.

الثانية: بات القط جائعا.

الثالثة: ما زال العلم متاحا.

الرابعة: ما دام الأمن منتشرا.

الخامسة: يمسي الجو باردا.

السادسة: ما برح الحارس واقفا.

السؤال الثاني: أدخل كان، أو إحدىٰ أخواتها علىٰ الجمل الآتية، ثم اضبطها بالشكل بحيث لا تكرر الفعل في أكثر من جملة:

الأولى: التاجر أمين.

الثانية: الشارع مزدحم.

الثالثة: الغني فقير.

الرابعة: الحق ظاهر.

السؤال الثالث: بيّن كل اسم، وخبر لإن وأخواتها في الجمل الآتية:

الأولى: إن زيدا مريض.

الثانية: لعل المريض نشيط.

الثالثة: لكنَّ الصلاة فريضة.

الرابعة: كأن القط أسد.

السؤال الرابع: أدخل إنَّ، أو إحدىٰ أخواتها علىٰ الجمل الآتية، ثم اضبطها بالشكل بحيث لا تكرر الحرف في أكثر من جملة.

الأولى: التاجر أمين.

الثانية: البلد واسعة.

الثالثة: الشارع مزدحم.

الرابعة: الحق ظاهر.

السؤال الخامس: أعرب الجمل الآتية:

الأولى: كان الطالب نشيطا.

الثانية: ليس الإسلام إرهابا.

الثالثة: إن الولد نشيط.

الرابعة: لعل الخير راجع.

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الخامس عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الإخوة المؤمنون، وأيتها الأخوات المؤمنات في هذه الدورة العلمية المباركة، وهذا هو الدرس الخامس عشر من دروس النحو من كتاب «المختصر في النحو»، وفي هذا الدرس نتعرف إن شاء الله تعالىٰ علىٰ النعت، والعطف، والتوكيد، والبدل.

قال المصنف عفا الله عنه:

النوع السابع: النعت

وفيه خمس مسائل:

المسألة الأولى: ما هو النعت؟

النعت: هو وصف يوصف به ما قبله، ويسمىٰ بالصفة.

المسألة الثانية: ما إعراب النعت؟

النعت يتبع المنعوت، وهو الموصوف في الرفع، والنصب، والجر.

فإذا كان المنعوت مرفوعًا جاء النعت مرفوعًا، وإذا كان المنعوت منصوبًا جاء النعت منصوبًا، وإذا كان المنعوت مجرورًا جاء النعت مجرورًا.

ومن ذلك: قولك: جاءَ زيدٌ المجتهدُ.

وأكرمتُ زيدًا المجتهدَ.

ومررتُ بزيدٍ المجتهدِ.

فهنا إذا تأملت كلمة **المجتهد** في هذه الأمثلة الثلاثة وجدتها مرة مرفوعة، ومرة منصوبة، ومرة مجرورة، لماذا؟

لأنها نعت، والنعت كما قلت: يتبع المنعوت في الرفع، والنصب، والجر، فلما كان في المثال الأول المنعوت مرفوعًا، جاء النعت مرفوعًا، ولما كان المنعوت في المثال الثاني منصوبًا، جاء النعت منصوبًا، ولما كان المنعوت في المثال الثالث مجرورًا، جاء النعت مجرورًا.

وعند الإعراب تقول في المثال الأول:

جاءَ: فعل ماض مبني علىٰ الفتح.

زيدٌ: فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة.

المجتهدُ: نعت مرفوع بالضمة الظاهرة.

وهكذا تقول في باقي الأمثلة.

المسألة الثالثة: هل يتبع النعت المنعوت في تعريفه وتنكيره؟

يعني إذا كان المنعوت معرفة، هل لا بد أن يكون النعت معرفة؟

كذلك إذا كان المنعوت نكرة، فهل لا بد أن يكون النعت نكرة كذلك؟

نعم، النعت يتبع المنعوت في تعريفه وتنكيره، فإذا كان المنعوت معرفة كان النعت معرفة، وإذا كان المنعوت نكرة كان النعت نكرة.

كأن تقول: جاءَ الرجلُ الكريمُ.

وجاءَ رجلٌ كريمٌ.

فهنا إذا تأملت كلمتي **الكريم** في هذين المثالين وجدتهما مرة معرفة، ومرة نكرة.

المرة الأولىٰ معرفة؛ لأجل أن المنعوت وهو كلمة الرجل معرفة، وفي المرة الثانية نكرة؛ لأجل أن المنعوت هو كلمة رجل نكرة.

المسألة الرابعة: هل يتبع النعت المنعوت في تذكيره وتأنيثه؟

نعم، النعت يتبع المنعوت في تذكيره وتأنيثه، فإذا كان المنعوت مذكَّرا كان النعت مذكَّرا، وإذا كان المنعوت مؤنثا كان النعت مؤنثا.

تقول: فازَ طالبٌ مجتهدٌ.

وفازت طالبةٌ مجتهدةٌ.

فهنا في المثال الأول النعت، وهو **مجتهد** مذكر، لماذا؟ لأجل أن المنعوت مذكَّر.

وفي المثال الثاني النعت، وهو **مجتهدة** مؤنث، لماذا؟ لأجل أن المنعوت، وهو طالبة مؤنث.

المسألة الخامسة: هل يتبع النعت المنعوت في إفراده، وتثنيته، وجمعه؟

نعم، النعت يتبع المنعوت في إفراده، وتثنيته، وجمعه.

فإذا كان المنعوت مفردا كان النعت مفردا، وإذا كان المنعوت مثنىٰ كان النعت مثنىٰ، وإذا كان المنعوت جمعا كان النعت جمعا.

ومن ذلك: قولك: رأيتُ زيدًا البطلَ.

ورأيتُ الزيدَيْنِ البَطلَيْنِ.

ورأيتُ الرجالَ الأبطالَ.

إذا تأملت النعت في المثال الأول، وهو **البطل** وجدته مفردا، لماذا؟ لأجل أن المنعوت مفرد.

وإذا تأملت النعت في المثال الثاني، وهو **البطلين** وجدته مثنىٰ، لماذا؟ لأجل أن المنعوت وهو **الزيدين** مثنىٰ.

وإذا تأملت النعت في المثال الثالث، وهو **الأبطال** وجدته جمعا، لماذا؟ لأجل أن المنعوت، وهو **الرجال** جمع.

إذن نستطيع أن نلخص درس النعت في أمرين:

الأول: تعريفه، وهو وصف يوصف به ما قبله، ويسمىٰ بالصفة.

الثاني: اتّباعُهُ للمنعوت، النعت يتبع منعوته وهو موصوفه في رفعه، ونصبه، وجره، وتعريفه، وتنكيره، وتذكيره، وتأنيثه، وإفراده، وتثنيته، وجمعه.

وقد استثنىٰ النُّحَاةُ أشياء قد ذكرتها في الكتاب يمكنك الرجوع إليها.

ثم قال المصنف عفا الله عنه:

النوع الثامن: العطف

وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: ما هو العطف؟ وما هي حروفه؟

العطف: هو تابعٌ يتوسط بينه، وبين متبوعه أحد حروف العطف.

يعني يأتي بينه وبين متبوعه حرف من حروف العطف، وحروف العطف تسعة وهي الواو، والفاء، وثم، وأو، وأم، وبل، ولا، ولكن، وحتىٰ.

المسألة الثانية: ما هي معاني حروف العطف؟

أما **الواو،** فمعناها مطلق الجمع.

تقول مثلا: جاء زيدٌ، وبكرٌ.

أي جاءا معا لا مزية لأحدهما علىٰ الآخر.

وأما **الفاء،** فمعناها الترتيب، والتعقيب.

تقول: جاءَ زيدٌ فبكرٌ.

أي جاء عقبه بِلا مُهلة.

أما **ثم،** فمعناها الترتيب مع التراخي.

تقول: جاء زيدٌ، ثم بكرٌ

أي جاء بكر عقب زيد بمُهلةٍ.

أما **أو**، فمعناها الشك، أو التخيير، أو الإباحة.

تقول مثلا: جاء زيدٌ، أو عمرٌو.

فهنا أشك، هل جاء زيد، أو عمرو؟

تقول أيضًا: تزوجْ هندًا، أو أختَها.

فهنا أُخيِّرُك تزوج هندًا، أو أختها.

تقول: اشرَبْ ماءً أو لبنًا.

يعني أُبيح لك هذا، أو ذاك.

وأما **أم**، فمعناها طلب التعيين بعد همزة الاستفهام.

تقول: أكلتَ اللحمَ، أم الخبزَ؟

هنا يريد المتكلم من المخاطَب أن يعيِّن له ما أكله اللحم، أم الخبز.

وأما **بل**، فمعناها إثبات الحكم لما بعدها، ونفيه عما قبلها، ويشترط لها ألا يسبقها استفهام، وأن يكون ما بعدها مفرد.

مثل: إذْ قامَ زيدٌ بلْ عمرٌو.

فهنا أثبت المتكلم القيام لعمرو، ونفاه عن زيد.

وأما **لا**، فمعناها نفي الحكم عما بعدها، وإثباته لما قبلها.

تقول: قام زيدٌ لا عمرٌو.

فهنا أثبت المتكلم القيام لزيد، ونفاه عن عمرو.

وأما **لكن**، فمعناها تقرير حكم ما قبلها، وإثبات ضده لما بعدها، ويشترط لها أن يسبقها نفي، وألا تقترن بالواو.

تقول: ما قام زيدٌ لكن عمرٌو.

هنا أثبت المتكلم القيام لعمرو، ونفاه عن زيد.

وأما **حتى**، فمعناها الغاية، والتدريج في انقضاء الحكم.

تقول: أكلتُ السمكةَ حتىٰ رأسَها.

أي تدرجت في أكلها حتىٰ أكلت رأسها.

وقد تأتي حتىٰ حرف جر كما في قوله تعالىٰ: ﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ۝٥ ﴾ [القدْر:٥]، فهنا في هذه الآية حتىٰ حرف جر.

المسألة الثالثة: ما هي أركان جملة العطف؟ وما إعراب كل ركن؟

جملة العطف تتكون من ثلاثة أركان: معطوف عليه، وحرف العطف، ومعطوف.

أما المعطوف عليه: فيكون قبل حرف العطف.

وأما حرف العطف: فيأتي بين المعطوف عليه، والمعطوف.

وأما المعطوف: فيأتي بعد حرف العطف.

والمعطوف عليه: فيُعرب حسب موقعه في الجملة.

أما حرف العطف: فيعرب حرفا مبنيا لا محل له من الإعراب.

وأما المعطوف: فيتبع المعطوف عليه في الرفع، والنصب، والجر، والجزم

فإذا كان **المعطوف عليه** مرفوعا كان **المعطوف** مرفوعا.

وإذا كان **المعطوف عليه** منصوبا كان **المعطوف** منصوبا.

وإذا كان **المعطوف عليه** مجرورا كان **المعطوف** مجرورا.

وإذا كان **المعطوف عليه** مجزوما كان **المعطوف** مجزوما.

ومن ذلك: قولك: فازَ زيدٌ، وعمرٌو.

فهنا زيدٌ هو المعطوف عليه، وحرف العطف هو الواو، وعمرٌو هو المعطوف.

وتقول مثلا: أشرب الماءَ، أو العصيرَ.

فهنا الماء هو المعطوف عليه، وحرف العطف هو أو، والمعطوف هو العصير.

ومن ذلك: أيضًا: قولك: اجتهد أحمدُ بل إبراهيمُ.

فهنا المعطوف عليه: أحمدُ، وحرف العطف: بل، والمعطوف: إبراهيمُ.

المسألة الرابعة: وضح إعراب المعطوف عليه بالأمثلة.

تقول: أحبُّ اللبنَ، أو اللحمَ.

عند الإعراب تقول: **أحبُّ**: فعل مضارع مرفوع بالضمة الظاهرة، والفاعل ضمير مستتر وجوبا تقديره «**أنا**».

واللبنَ: مفعول به منصوب بالفتحة الظاهرة.

وأو: حرف عطف مبني علىٰ السكون لا محل له من الإعراب.

واللحمَ: معطوف علىٰ اللبن منصوب بالفتحة الظاهرة.

وتقول أيضًا: المسلمونَ عظماءُ لا الكفارُ.

فعند الإعراب تقول: **المسلمون**: مبتدأ مرفوع بالواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين الحادث في الاسم المفرد **مسلم**.

عظماءُ: خبر مرفوع بالضمة الظاهرة.

ولا: حرف عطف مبني علىٰ السكون لا محل له من الإعراب.

والكفارُ: معطوف علىٰ المسلمون مرفوع بالضمة الظاهرة.

إذن نستطيع أن نلخص درس العطف في أربعة أمور:

الأول: **تعريفه**: وهو تابع يتوسط بينه وبين متبوعه أحد حروف العطف.

الثاني: **حروفه**: الواو، والفاء، وثم، وأو، وأَمْ، وبل، ولا، ولكن، وحتىٰ.

الثالث: **أركانه**: معطوف عليه، وحرف عطف، ومعطوف.

الرابع: **إعرابه**: المعطوف يتبع المعطوف عليه في الرفع، والنصب، والجر، والجزم.

ثم قال المصنف عفا الله عنه:

النوع التاسع: التوكيد

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: ما هو التوكيد؟

التوكيد: هو تابع يُذكر في الكلام؛ لدفع ما قد يتوهمه السامع مما ليس مقصودا، ويقال له: التأكيد.

المسألة الثانية: التوكيد ينقسم قسمين، وضح ذلك مع ذكر أمثلة على ما تقول.

ينقسم التوكيد قسمين:

القسم الأول: توكيد لفظي: وهو تَكرار الكلمة نفسها، أو مرادفها سواء كان اسما، أو فعلا، أو حرفا.

ومن ذلك: تقول: قامَ زيدٌ زيدٌ.

فهنا **زيدٌ** الثانية توكيد.

وتقول: قامَ قامَ زيدٌ.

فهنا قامَ الثانية توكيد لـ قامَ الأولىٰ.

وتقول: لا لا عرَفتُ الحقَّ.

فلا الثانية توكيد لـ لا الأولىٰ.

ففي هذه الأمثلة الثلاثة كُررت الكلمة نفسها.

وتقول أيضًا: جاءَ حضرَ زيدٌ.

فهنا حضرَ توكيد لـ جاء، ولكن هنا لم تكرر الكلمة نفسها، ولكن جيء بالمرادف، مرادف كلمة جاء: حضر، فهذا يسمىٰ بالتوكيد اللفظي.

أما القسم الثاني: فهو التوكيد المعنوي.

وهو رفع الشك عن المتبوع بلفظ مخصوص مثل نفس، عين، كل، جميع، أجمع، كِلا، كلتا، ويجب أن يتصل كل منها بضمير يطابق المؤكَّد، فإن كان المؤكَّد مفردا كان الضمير مفردا، وكذلك لفظ التوكيد.

تقول مثلا: جاءَ الطالبُ نفسُه.

وحضرَ الطالبُ عينُه.

أما إذا كان المؤكَّد مثنىٰ كان الضمير مثنىٰ.

تقول: جاء الطالبان أنفُسُهُما.

وحضر الأبوان أعيُنُهُما.

وإذا كان المؤكد جمعا كان الضمير جمعا، وكذلك لفظ التوكيد.

تقول: جاء الرجال أنفُسُهُم.

وحضر القوم أعيُنُهُم.

فهنا التوكيد في هذه الأمثلة كلها هو كلمة **نفس**، أو **عين** وقد أضيف إليها ضمير يطابق المؤكَّد، فإذا كان المؤكد مفردا أُتِيَ بضمير مفرد، وإذا كان مثنىٰ أُتيَ بضمير المثنىٰ، وإذا كان جمعا أُتيَ بضمير الجمع.

ومن ذلك أيضا: **تقول**: جلسَ زيدٌ **نفْسُهُ**.

وتكلمَ الأميرُ **عينُه**.

وجاءَ القومُ **كلهُم**.

وفازَ المسلمون **أجمعون**.

ونجح الطالبان **كلاهما**.

ففي هذه الأمثله التوكيد هو **نفسه**، **وعينه**، **وكلهم**، **وأجمعون**، **وكلاهما**.

ثم قال المسألة الثالثة: ما إعراب التوكيد؟

التوكيد يتبع المؤكد في الرفع، والنصب، والجر.

فإذا كان **المؤكَّد** مرفوعا جاء **التوكيد** مرفوعا.

وإذا كان **المؤكَّد** منصوبا جاء **التوكيد** منصوبا.

وإذا كان **المؤكَّد** مجرورا جاء **التوكيد** مجرورا.

ويعرب الضمير المتصل بلفظ التوكيد المعنوي: في محل جر مضاف إليه.

تقول مثلا: جاءَ محمدٌ محمدٌ.

فمحمد الثانية تعرب توكيدا لفظيا، مرفوعا بالضمة الظاهرة.

لماذا مرفوع بالضمة الظاهرة؟ لأجل أن المؤكد مرفوع بالضمة.

وتقول أيضًا: أكرمتُ محمدًا محمدًا.

فمحمدًا الثانية تعرب: توكيدا لفظيا منصوبا بالفتحة الظاهرة.

وتقول: مررتُ بمحمدٍ محمدٍ.

فمحمدٍ الثانية تعرب: توكيدا لفظيا مجرورا بالكسرة الظاهرة.

إذن متىٰ كان المؤكد مرفوعا كان التوكيد مرفوعا، ومتىٰ كان منصوبا كان التوكيد منصوبا، ومتىٰ كان مجرورا كان التوكيد مجرورا.

ومن الأمثلة أيضًا تقول: جاءَ الأميرُ نفسُهُ.

ورأيتُ الأميرَ نفسَهُ.

وسلمتُ علىٰ الأميرِ نفسِهِ.

فهنا كلمة **نفسه** في المثال الأول أتت مرفوعة؛ لأجل أن المؤكد مرفوع، وأتت منصوبة في المثال الثاني؛ لأجل أن المؤكَّد منصوب، وأتت مجرورة في المثال الثالث؛ لأجل أن المؤكَّد مجرور.

وتعرب في المثال الأول: توكيدا معنويا مرفوعا بالضمة الظاهرة، والهاء ضمير مبني علىٰ الضم في محل جر مضاف إليه.

وفي المثال الثاني تعرب: توكيدا معنويا منصوبا بالفتحة الظاهرة، والهاء ضمير مبني علىٰ الضم في محل جر مضاف إليه.

وتعرب في المثال الثالث: توكيدا معنويا مجرورا بالكسرة الظاهرة، والهاء ضمير مبني علىٰ الكسر في محل جر مضاف إليه.

ثم قال المصنف عفا الله عنه:

النوع العاشر: البدل

وفيه ثلاث مسائل:

المسالة الأولى: ما هو البدل؟

البدل: هو تابع مُمَهَّدٌ له بذكر كلمةٍ قبلَهُ غيرِ مقصودةٍ لِذاتها.

تقول مثلا: الفاروقُ عمرُ عادلٌ.

فهنا كلمة **عمر** بدل، لماذا؟ لأجل أنه جيء قبلها بكلمة مهَّدَتْ لها، وهي الفاروقُ.

وتقول مثلا: أكلتُ الطعامَ ثُلُثَهُ.

كلمة **ثلثه** هنا بدل، لماذا؟ لأجل أنه جيء قبلها بكلمة مهَّدت لها وهي الطعام.

المسألة الثانية: ما إعراب البدل؟

البدل يتبع المُبدَلَ منه في الرفع، والنصب، والجر، والجزم.

فإن كان **المبدَلُ منه** مرفوعا جاء **البدل** مرفوعا.

وإذا كان **المبدَل منه** منصوبا جاء **البدل** منصوبا.

وإذا كان **المبدَل منه** مجرورا جاء **البدل** مجرورا.

وإذا كان **المبدَل منه** مجزوما جاء **البدل** مجزوما.

تقول مثلا: جاء الأميرُ زيدٌ.

ورأيتُ الأميرَ زيدًا.

وسلمتُ علىٰ الأميرِ زيدٍ.

فهنا إذا تأملت كلمة **زيد** في الأمثلة الثلاثة وجدتها مرة مرفوعة ومرة منصوبة ومرة مجرورة، لماذا؟ لأجل أن المبدَل منه **في المثال الأول** مرفوع لذلك أتت مرفوعة، و**في المثال الثاني** منصوب لذلك أتت منصوبة، و**في المثال الثالث** مجرور لذلك أتت مجرورة.

ومن ذلك: أيضًا: قولك: مَنْ يَشكُرْ رَبَّهُ يَسْجُدْ لَهُ يَفُزْ.

فكلمة **يَفُزْ** هذه بدل، والمبدل منه هنا **يَسْجُدْ**، فهنا أتىٰ البدل، وهو **يَفُز** مجزوما؛ لأجل أن المبدَل منه وهو **يَسجُد** مجزوم.

المسألة الثالثة: ينقسم البدل أربعة أقسام، وضح ذلك، مع ذكر أمثلة على ما تقول.

ينقسم البدل أربعة أقسام، وهي:

القسم الأول: بدل الكل من الكل: أن يكون البدل مطابقا للمبدل منه.

مثال: جاءني محمدٌ أخوك، وتكلمَ الخليفةُ عمرُ.

فهنا البدل كل من الكل: محمد هو أخوك، وأخوك هو محمد، عمر هو الخليفة، والخليفة هو عمر، فهذا يسمىٰ ببدل الكل من الكل، أو البدل المطابق.

القسم الثاني: بدل البعض من الكل: أي يكون البدل جزءًا من المبدَل منه.

وهنا يجب في هذا البدل أن يضاف إلىٰ ضمير عائد إلىٰ المبدل منه.

مثال: تحدثتُ مع الطلابِ نصفِهِمْ، ونظفتُ البيتَ بابَهُ.

فهنا البدل يسمىٰ بدل البعض من الكُلِّ، أو الجزء من الكل؛ لأن النصف جزء من الطلاب، والباب جزء من البيت؛ لذلك يسمىٰ ببدل البعض من الكل.

أما القسم الثالث: فهو بدل الاشتمال: أي يربط البدل، والمبدل منه رابط غير الجزئية، والكلية.

ويجب في هذا البدل أن يضاف إلىٰ ضمير عائد إلىٰ المبدل منه.

تقول مثلا: أكرمتُ زيدًا ولدَهُ، ونفعني زيدٌ علمُهُ.

فهنا إذا تأملت الكلمتين: **ولدَهُ، وعلمُهُ** وجدت كل واحدة منهما يربط بينها وبين المبدل منه رابط، وهذا الرابط غير الجزئية والكلية، وأضيف إلىٰ البدل ضمير الهاء يعود إلىٰ المبدَل منه: زيد، لذلك يسمىٰ بدل اشتمال.

القسم الرابع: بدل الغلط.

أي يذكر المتكلم كلمة غلطا، ثم يذكر المراد.

كأن يقول: رأيتُ زيدًا الكتابَ، وجلسَ قامَ زيدٌ.

فهنا كلمة الكتاب، وكلمة قام بدل غلط؛ لأن المتكلِّم أراد في المثال الأول أن يقول: رأيت الكتاب فأخطأ، وقال: زيدا، ثم قال: الكتاب.

كذلك في المثال الثاني أراد المتكلم أن يقول: قام زيد فأخطأ، وقال جلس، ثم قال: قام زيد.

هنا فائدة: هذه الأنواع الأربعة التي ذكرتها في هذا الدرس وهي: النعت، والعطف، والتوكيد، والبدل تسمىٰ بالتوابع، وهي ما تتبع ما قبلها في الإعراب رفعا، ونصبا، وجرا.

إذن نستطيع أن نلخص درس البدل في ثلاثة أمور:

الأول: تعريفه، وهو تابع ممهَّد له بذكر كلمة قبله غير مقصودة لذاتها.

أما أقسامه: فالبدل أربعة أقسام: بدل الكل من الكل، وبدل البعض من الكل، وبدل الاشتمال، وبدل الغلط.

وأما إعرابه: فالبدل يتبع المبدَل منه في الرفع، والنصب، والجر، والجزم.

❁❁❁

أسئلة الدرس

السؤال الأول: ضع كل كلمة من الكلمات الآتية في جملة مفيدة بحيث تكون نعتا، واضبطه بالشكل:

المجتهد، مثمرة، العاملون.

السؤال الثاني: ضع كل كلمة من الكلمات الآتية في جملتين بحيث تكون في إحداهما معطوفة، وفي الأخرىٰ معطوفا عليه:

المجتهد، سعداء، الصالح.

السؤال الثالث: ضع كل كلمة من الكلمات الآتية في جملة بحيث تكون توكيدا، ثم اضبطها بالشكل:

العالم، الفائز، نفسُه، سكت، عينُه.

السؤال الرابع: ضع كل كلمة من الكلمات الآتية في جملة بحيث تكون بدلا، ثم اضبطها بالشكل:

الإمام، الفتاة، أخوك، القلم.

السؤال الخامس: أعرب الجمل الآتية:

الأولى: البنت المهذبة محبوبة.

الثانية: إن العلم النافع مثمر.

الثالثة: ما ذاكرت الفقه لكن العقيدة.

الرابعة: قام الأستاذ ثم الطالب.

الخامسة: رأيت السلطان نفسَه.

السادسة: سكت صمت الطلاب.

السابعة: بعت الشجرة ثمرتها.

الثامنة: كانت أم المؤمنين عائشة حجة في الحديث.

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس السادس عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الإخوة، والأخوات في هذه الدورة العلمية المباركة، وهذا هو الدرس السادس عشر من دروس النحو من كتاب «المختصر في النحو»، وفي هذا الدرس سنتعرف إن شاء الله تعالىٰ علىٰ ظن وأخواتها، والمفعول المطلق، والمفعول لأجله، والمفعول معه، وظرف الزمان، وظرف المكان.

قال المصنف عفا الله عنه:

النوع الحادي عشر: ظن وأخواتها

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: ما هي أخوات ظن؟

أخوات ظن ثمانية، وهي حَسِبَ، وخالَ، وزعَمَ، ورأى، وعلم، ووجد، واتخذ، وجعل، ومعنىٰ خالَ: ظن.

ويشترط في زعَمَ أن تكون بمعنىٰ ظن، ويشترط في رأىٰ أن تكون بمعنىٰ علم، أو ظن.

المسألة الثانية: ما عمل ظن، وأخواتها؟

ظن، وأخواتها تدخل على المبتدأ والخبر فتنصبهما، ويقال للمبتدأ: مفعول أول، وللخبر: مفعول ثان.

ومن الأمثلة على ذلك: قولك: ظنَّ العدوَّ شجاعًا.

عند الإعراب تقول: **ظنَّ:** فعل ماض مبني علىٰ الفتح، وهو ينصب مفعولين: الأول المبتدأ، والثاني الخبر، والفاعل ضمير مستتر جوازا تقديره «هو».

والعدوَّ: مفعول بِه أول منصوب بالفتحة الظاهرة.

وشجاعًا: مفعول به ثانٍ منصوب بالفتحة الظاهرة.

ومن ذلك أيضًا: قولك: حسِبنا الجوَّ باردًا.

عند الإعراب تقول: **حسبنا** فعل ماض مبني علىٰ السكون؛ لاتصاله بِنَا الفاعلين، وهو ينصب مفعولين: الأول المبتدأ، والثاني الخبر، و**نا** ضمير مبني علىٰ السكون في محل رفع فاعل.

والجوَّ: مفعول بِه أول منصوب بالفتحة الظاهرة.

وباردًا: مفعول به ثانٍ منصوب بالفتحة الظاهرة.

ومن ذلك أيضًا: تقول: رأىٰ الطالبَ ناجحًا.

عند الإعراب تقول: رأىٰ فعل ماض مبني علىٰ الفتح المقدر منع من ظهوره التعذر، وهو ينصب مفعولين، الأول المبتدأ، والثاني الخبر، والفاعل ضمير مستتر جوازا تقديره «هو».

وهنا رأىٰ بمعنىٰ: علم، لذلك تعمل عمل ظن، وأخواتها.

والطالبَ: مفعول به أول منصوب بالفتحة الظاهرة.

وناجحًا: مفعول بِه ثانٍ منصوب بالفتحة الظاهرة.

وكذلك تقول في جميع أخوات ظن.

ثم قال المصنف عفا الله عنه:

النوع الثاني عشر: المفعول المطلق

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: ما هو المفعول المُطلَق؟

قال: المفعول المطلق هو الاسم المنصوب الذي يوافق الفعل في لفظه، أو معناه، ويأتي بعد الفعل؛ لتأكيده، أو لبيان نوعه، أو لبيان عدده، ويسمى بالمصدر.

ومن ذلك: قولك: حفظَ زيدٌ القرآنَ حِفظًا.

ويجري عمرٌو جَريَ الأسدِ.

وشربَتْ خديجةُ شربتَيْنِ.

وجلستُ قعودًا.

ووقفتُ قيامَ الجنديِّ.

وضربتُهُ لَكْمتَيْنِ.

إذا تأملتَ المفعول المطلق في هذه الأمثلة الستة: حفظا، وجريا، وشربتين، وقعودا، وقياما، ولكْمتين، وجدته منصوبا، وموافقا للفعل في لفظه، أو معناه.

ففي المثال الأول: جاء المفعول المطلق **حفظًا** موافقا للفعل حَفِظَ في لفظه وذلك لتأكيده، يعني أكد الفعل، وهو الحفظ.

وفي المثال الثاني: جاء المفعول المطلق **جريا** موافقا للفعل يجري في لفظه، وذلك لبيان نوعه، نوع الجري، يجري جري الأسد.

وفي المثال الثالث: جاء المفعول المطلق **شربتين** موافقا للفعل شربت في لفظه، وذلك لبيان عدده، كم شَربة شربت خديجة؟ شَربتين.

وفي المثال الرابع: جاء المفعول المطلق **قعودا** موافقا للفعل جلست في معناه، قعودا بمعنىٰ جلست، وذلك لتأكيده.

وفي المثال الخامس: جاء المفعول المطلق **قياما** موافقا للفعل وقفت في معناه، القيام بمعنىٰ الوقوف، وذلك لبيان نوعه.

وفي المثال السادس: جاء المفعول المطلق **لكمتين** موافقا للفعل ضربتُهُ في معناه، اللكم هو الضرب، وذلك لبيان عدده.

المسألة الثانية: ما هي أقسام المفعول المطلق؟

ينقسم المفعول المطلق قسمين:

القسم الأول: مفعول مطلق لفظي: وهو الذي يوافق الفعل في لفظه.

تقول: أكلتُ أكلًا، لعبتُ لعبًا، ضَربتُ ضربًا.

فهنا إذا تأملت المفعول المطلق في هذه الأمثلة الثلاثة: أكلا، ولعبا، وضربا وجدته موافقا للفعل في لفظه.

أما القسم الثاني: فهو مفعول مُطلق معنوي، وهو الذي يوافق الفعل في معناه.

ومن ذلك: تقول: أهانَه احتقارا، وقَعَدتُ جلوسًا، وكَذِبَ مَيْنًا.

فهنا إذا تأملت المفعول المطلق في هذه الأمثلة الثلاثة: احتقارا، وجلوسا، ومَينا، وجدته يوافق الفعل في معناه، فالاحتقار في معنىٰ الإهانة، والجلوس في معنىٰ القعود، والمَيْنُ في معنىٰ الكذب.

ويعرب في جميع الأمثلة: مفعولًا مطلقًا منصوبا بالفتحة الظاهرة.

ثم قال المصنف عفا الله عنه:

النوع الثالث عشر: المفعول لأجله

وفيه مسألة واحدة: ما هو المفعول لأجله؟

المفعول لأجله هو الاسم المنصوب الذي يذكر بيانًا لسبب وقوع الفعل، ويقال له: المفعول له، والمفعول من أجله.

ومن ذلك: تقول: أكرَمَ زيدًا إسعادًا لأبيه.

فهنا **إسعادًا** مفعول لأجله، وذلك؛ لأنه ذُكِرَ لبيان سبب وقوع الفعل، لماذا أكرَمَ زيدا؟ أكرمه؛ ليسعد أباه.

ومن ذلك: أيضًا: تقول: سافرتُ طلبًا للعلمِ، فكلمة طلبا مفعول لأجله، لماذا؟ لأجل أنها ذُكرت؛ لبيان سبب وقوع الفعل وهو السفر، لماذا سافرت؟ سافرت طلبا للعلم.

ومن ذلك: أيضًا: تقول: قامَ التلميذُ إجلالًا للمعلمٍ.

فكلمة **إجلالا** مفعول لأجله، لماذا؟؛ لأنها ذكرت؛ لبيان سبب وقوع الفعل وهو القيام، لماذا قام التلميذ؟ قام لأجل إجلال المعلم.

ومن ذلك: أيضًا: تقول: جئتُكَ ابتغاءَ إحسانِكَ.

فكلمة ابتغاء مفعول لأجله، لماذا؟ لأجل أنها ذُكرت لبيان سبب وقوع الفعل، لماذا جئتك؟ لأجل ابتغاء إحسانك.

ويعرب في جميع الأمثلة مفعولا لأجله منصوبا بالفتحة الظاهرة.

وهنا فائدة: متىٰ يجر المفعول لأجله باللام، أو مِنْ؟

إذا سُبق المفعول لأجله باللام، أو مِن لم يعرب إعراب المفعول لأجله، وإنما يعرب اسما مجرورا.

ومن ذلك: تقول: سافرتُ لطلبِ العلمِ.

وسكتُّ مِنْ أجلِ إجلالِ الشيخِ.

وجئتُكَ لابتغاءِ المعروفِ.

ويكون إعراب المثال الأول علىٰ النحو التالي:

سافرْتُ: فعل ماض مبني علىٰ السكون؛ لاتصاله بتاء الفاعل، والتاء ضمير مبني علىٰ الضم في محل رفع فاعل.

و**اللام** حرف جر مبني علىٰ الكسر لا محل له من الإعراب، و**طلبِ** اسم مجرور بالكسرة الظاهرة.

والعلمِ مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة.

إذن متىٰ سُبِق المفعول لأجله باللام، أو من لا يعرب إعراب المفعول لأجله، وإنما يعرب اسما مجرورا.

ثم قال المصنف عفا الله عنه:

النوع الرابع عشر: المفعول معه

وفيه مسألة واحدة: ما هو المفعول معه؟

المفعول معه: هو الاسم المنصوب الذي يُذكر بعد الواو التي بمعنى مع.

تقول مثلا: جاءَ زيدٌ وعمرا.

فهنا كلمة **عمرًا** تعرب مفعولًا معه منصوبا بالفتحة الظاهرة، لماذا؟ لأنه جاء بعد الواو التي بمعنىٰ مع.

ومن ذلك أيضًا: تقول: استوىٰ الماءُ والخشبةَ.

فهنا كلمة **الخشبةَ** تعرب مفعولا معه منصوبا بالفتحة الظاهرة؛ لأنه أتىٰ بعد الواو التي بمعنىٰ مع.

وهنا فائدة: الاسم الواقع بعد الواو على نوعين:

النوع الأول: ما يجب نصبه علىٰ أنه مفعول معه، والواو للمعية، وذلك إذا لم يصح تشريك ما بعد الواو لما قبلها في الحكم.

ومن ذلك: تقول: ذاكرتُ، والمصباحَ.

فهنا **المصباحَ** يجب إعرابها مفعولا معه، لماذا؟ لأنه لا يصحُ التشريك بين المتكلم، والمصباح في الحكم وهو المذاكرة.

وتقول أيضًا: أنا سائرٌ، والجبلَ.

الجبلَ: هنا يجب إعرابها مفعولا معه منصوبا بالفتحة الظاهرة، وذلك؛ لأنه لا يصح التشريك بين المتكلم، والجبل في الحكم وهو السير، فالجبل لا يسير.

أما النوع الثاني: فهو ما يجوز نصبه علىٰ أنه مفعول معه، وتكون الواو للمعية، ويجوز إعرابه معطوفا عليه، وتكون الواو للعطف، وذلك إذا صح تشريك ما بعد الواو لما قبلها في الحكم إلا إذا كان الفعل لا يقع إلا من اثنين فيجب العطف.

ومن ذلك: تقول: قامَ زيدٌ وعمرًا.

فهنا **عمرا** تعرب مفعولا معه، ويجوز إعرابها بدلا، تقول: قام زيدٌ وعمرٌو، لماذا؟ لأنه يصح التشريك بين زيد وعمرو في الحكم، وهو القيام.

ومن ذلك: أيضًا: تقول: ذهبَ سعدٌ وبكرًا.

ويجوز أن تقول: ذهبَ سعدٌ وبكرٌ.

فهنا يجوز الإعراب علىٰ المفعولية، ويجوز الإعراب علىٰ البدلية، لماذا؟ لأنه يصح التشريك بين سعد، وبكر في الحكم، وهو الذهاب.

ومن ذلك: أيضًا: قولك: تحادث زيدٌ وبكرٌ.

فهنا بكرٌ يجب إعرابها بدلا، ولا يجوز إعرابها مفعولا معه، لماذا؟ لأن الفعل تحادثَ يفيد المشاركة، أي لا يقع إلا من اثنين، فلا بد من العطف.

ثم قال المصنف عفا الله عنه:

النوع الخامس عشر: ظرف الزمان

وفيه مسألة واحدة: عرف ظرف الزمان، مع ذكر أمثلة عليه.

ظرف الزمان هو اسم الزمان المنصوب بتقدير «في»، ويسمى مفعولا فيه.

مثل: اليومَ، والليلةَ، وغُدوةً، وبُكرةً، وسَحَرًا، وغَدًا، وعَتمةً، وصباحًا، ومساءً، وأبدًا، وأمدًا، وحِينًا، وساعةً، ولحظةً، وضحوةً.

ومن ذلك: تقول: جئتُكَ اليومَ، وسآتيكَ الليلةَ، وحضرتُ غُدوةً، وسافرتُ بكرةً، وسأزوركَ غدًا، وذهبَ عَتَمةً، وقُتلَ صباحًا، وجاءَ مساءً، ولا أفعلُ الشرَّ أمدًا، وانتظرتُكَ ساعةً، ولن أضيِّعَ لحظةً.

فهنا إذا تأملت ظرف الزمان في هذه الأمثلة كلها وجدته يدل علىٰ الزمان بتقدير «في»، ويعرب في جميعها ظرف زمان منصوبا بالفتحة الظاهرة.

وهنا فائدة: متى لا يعرب ظرف الزمان إعرابه المتقدم؟

قال: إذا لم يمكن دخول «في» في ظرف الزمان لم يعرب إعرابه المتقدم، وإنما يعرب حسب موقعه في الجملة.

تقول: ليلتكَ سعيدةٌ.

وتقول: هذه ليلةٌ سعيدةٌ.

وتقول: استثمِرْ ليلتَك فِيما ينفعُكَ.

فهنا إذا تأملت كلمة ليلة في هذه الأمثلة كلها وجدتها أسماء، ولكنها لم تعرب إعراب ظرف الزمان، لماذا؟ لعدم إمكان دخول «في» عليها، لا يمكن أن تقول: في ليلتك سعيدة، وهذه في ليلة سعيدة، واستثمر في ليلتك فيما ينفعك؛ لذلك تعرب حسب موقعها في الجملة.

ففي المثال الأول: تعرب مبتدأً، وفي الثاني: تعرب خبرًا، وفي الثالث: تعرب مفعولًا به.

ثم قال المصنف عفا الله عنه:

النوع السادس عشر: ظرف المكان

وفيه مسألة واحدة: عرف ظرف المكان، مع ذكر أمثلة عليه.

قال: ظرف المكان هو اسم المكان المنصوب بتقدير فيه، ويسمى مفعولا فيه.

مثل: أمامَ، وخلفَ، وقُدَّامَ، ووراءَ، وفوقَ، وتحتَ، وعندَ، ومعَ، وإزاءَ، وحِذاءَ، وتلقاءَ، وهُنا، وثَمَّ، فكل هذه من ظرف المكان.

ومعنىٰ كلمة إزاء: أي مقابل.

ومعنىٰ حِذاء: أي مقابل.

وهنا: إشارة للمكان القريب.

وثَمَّ: إشارة للمكان البعيد.

ومن الأمثلة على ذلك قولك: جلستُ **أمامَ** المسجدِ.

ووقفتُ **خلفَ** الأستاذِ.

ويمشي الوالدُ **قُدَّامَ** ولدِهِ.

ووقفَ العسكرُ **وراءَ** أميرِهِم.

وصعدَ زيدٌ **فوقَ** البيتِ.

ونمتُ **تحتَ** المنارةِ.

وانتظرتُك **عندَ** البابِ.

وعشتُ **هنا** سنةً.

وجلستُ **ثَمَّ**.

وأعملُ **إزاءَ** المسجدِ.

وجاءَ زيدٌ **معَ** عمرٍو.

فهنا ظرف المكان في هذه الأمثلة كلها يعرب ظرف مكان منصوبا بالفتحة، وذلك؛ لأنه يدل على المكان بتقدير «في».

وهنا فائدة: إذا سُبق ظرف المكان بحرف الجر «من» فإنه يكون اسمًا مجرورا، وليس منصوبا.

ومن ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا﴾ [يس:٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُ﴾ [الجاثية:١٠].

وقوله تعالىٰ: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ﴾ [الأعراف:٤٣].

وتعرب جميعا: اسمًا مجرورا بالكسرة الظاهرة.

❁❁❁

أسئلة الدرس

السؤال الأول: بيّن كل مفعول لظن، وأخواتها في الجمل الآتية:

الأولى: ظن العلم عيبا.

الثانية: وجدت الإيمان حلوا.

الثالثة: خِلت الكتاب مفيدا.

السؤال الثاني: أدخل ظن، أو إحدىٰ أخواتها علىٰ الجمل الآتية، ثم اضبطها بالشكل:

الأولى: السماء ممطرة.

الثانية: الحيوان جائع.

السؤال الثالث: ضع كل فعل من الأفعال الآتية في جملة مفيدة بحيث تشتمل كل جملة علىٰ مفعول مطلق يناسبها، ثم اضبطها بالشكل:

تاب، صار، صرخ.

السؤال الرابع: ضع كل كلمة من الكلمات الآتية في جملة مفيدة بحيث تكون مفعولا لأجله:

إكرامًا، تأديبًا، تخليدًا.

السؤال الخامس: ضع خطا تحت المفعول معه، ثم اضبطه بالشكل فيما يلي:

الأولى: جئت وشيخي.

الثانية: تبايع زيد وعمرو.

الثالثة: طلع القمر والنور.

الرابعة: قام أبي، وأخي.

السؤال السادس: ضع كل كلمة من الكلمات الآتية في جملتين مفيدتين بحيث تكون إحداهما مفعولا معه، والأخرىٰ معطوفا.

القمر، الأرض، القلم.

السؤال السابع: ضع كل كلمة من الكلمات الآتية في جملتين مفيدتين بحيث تكون إحداهما ظرف زمان والأخرىٰ حسب موقعها في الجملة:

اليوم، السحر، الساعة.

السؤال الثامن: ضع كل كلمة من الكلمات الآتية في جملة مفيدة بحيث تكون ظرف مكان:

أمام، وراء، خلف.

السؤال التاسع: أعرب الجمل الآتية:

الأولى: علمت الخير منجيا.

الثانية: سيرت سيرًا سريعا.

الثالثة: دعوت الله تضرعا.

الرابعة: تقاتل الأمير، والجيش.

الخامسة: سافرت الليلة.

السادسة: جلست بين الرجلين.

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس السابع عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الإخوة المؤمنون، وأيتها الأخوات المؤمنات في هذه الدورة العلمية المباركة، وهذا هو الدرس السابع عشر من دروس النحو من كتاب «المختصر في النحو»، وفي هذا الدرس نتعرف إن شاء الله تعالىٰ علىٰ الحال، والتمييز.

قال المصنف عفا الله عنه:

النوع السابع عشر: الحال

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: عرف الحال، واذكر أمثلة عليه.

الحال هي الاسم المنصوب الذي يُذكر لبيان الهيئات.

ومن ذلك: قولك: جلسَ زيدٌ مبتسمًا.

فهنا إذا تأملت هذه الكلمة **مبتسما** وجدتها منصوبة، وقد ذكرت في الجملة لبيان هيئة ما قبلها، ما كيفية جلوس زيد؟ الكيفية أنه جلس مبتسما، لذلك تعرب حالا منصوبة.

ومن ذلك أيضًا: تقول: رأيتُ الأميرَ جالسًا.

كلمة جالسًا تعرب حالا منصوبة؛ لأنها ذكرت لبيان هيئة الأمير عند رؤيته، وهو كونه جالسا.

ومن ذلك: أيضًا: تقول: مررتُ بعمرٍو قارئًا.

فقارئًا حال منصوبة؛ لأنها ذكرت؛ لبيان هيئة عمرو عند المرور بِه، وهو كونه قارئًا.

المسألة الثانية: ما هي شروط الحال، وشروط صاحبها؟

يشترط في الحال وصاحبها ثلاثة شروط:

الشرط الأول: أن تكون الحال نكرة، فإذا كانت مُعرَّفة لم تعرب حالا.

ومن ذلك: قولك: جاءَ الأميرُ حازمًا.

فهنا حازمًا تعرب حالا منصوبة بالفتحة الظاهرة، لماذا؟ لأنها نكرة، وجاءت لبيان هيئة مجيء الأمير.

أما إذا قلت: جاءَ الأميرُ الحازمُ.

فهنا كلمة **الحازم** لا تعرب حالا، لماذا؟ لأنها معرفة، وإنما تعرب نعتًا مرفوعًا بالضمة الظاهرة.

الشرط الثاني: أن تأتي الحال بعد تمام الجملة، فإن كانت من أصل الجملة لم تعرب حالا.

ومن ذلك: قولك: جاءَ زيدٌ نشيطًا.

فكلمة نشيطًا هنا تعرب حالا، لماذا؟ لأنها أتت بعد تمام الجملة.

أما إذا قلت: زيدٌ نشيطٌ.

فهنا نشيطٌ لا تعرب حالا؛ لأنها من أصل الجملة، وإنما تعرب خبرا مرفوعا بالضمة الظاهرة.

أما الشرط الثالث: فهو أن يكون صاحبها معرفة، فإن كان صاحبها نكرة لم تعرب حالا.

ومن ذلك: قولك: جاءَ الرجلُ ضاحكًا.

فهنا إذا تأملت صاحب الحال، وهو **الرجلُ** وجدته معرفة، لذلك **ضاحكا** تعرب حالا منصوبا بالفتحة الظاهرة.

أما إذا قلت: جاءَ رجلٌ ضاحكٌ.

فهنا لا تعرب ضاحك حالا، وإنما تعرب: نعتا مرفوعا بالضمة الظاهرة، لماذا؟؛ لأن صاحبها، وهو رجل نكرة.

إذن يشترط في الحال وصاحبها ثلاثة شروط:

١- أن تكون نكرة.

٢- وأن تأتي بعد تمام الجملة.

٣- وأن يكون صاحبها معرفة.

فإن اختل شرط من هذه الشروط الثلاثة لم تعرب حالًا، وإنما تعرب حسب موقعها في الجملة.

ثم قال المصنف عفا الله عنه:

النوع الثامن عشر: التمييز

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: عرف التمييز، واذكر أمثلة عليه.

التمييز هو الاسم المنصوب الذي يذكر لبيان الذوات، أو النِّسَب.

ومن ذلك: قولك: تصببَ زيدٌ عرقًا.

فهنا كلمة عرقًا تعرب تمييزا منصوبا بالفتحة الظاهرة، وذلك لأنها ذُكرت؛ لبيان نسبة التصبب إلىٰ زيد.

ومن ذلك أيضًا: تقول: غَرستُ الأرضَ شجرًا.

فهنا كلمة شجرًا تعرب تمييزا منصوبا بالفتحة الظاهرة، وذلك لأجل أنها ذُكرت؛ لبيان نسبة الغرس إلىٰ الأرض.

ومن ذلك أيضًا: تقول: اشتريتُ ثلاثينَ كتابًا.

فهنا كتابًا تعرب تمييزا منصوبا بالفتحة الظاهرة؛ لأنها ذكرت لبيان ذات الثلاثين.

المسألة الثانية: ما شروط التمييز؟

يشترط في التمييز شرطان:

الشرط الأول: أن يكون نكرة.

والشرط الثاني: أن يكون بعد تمام الجملة كما تقدم في درس الحال.

المسألة الثالثة: التمييز قسمان، وضح ذلك مع ذكر أمثلة على ما تقول.

ينقسم التمييز قسمين:

القسم الأول: تمييز ذات، ويُذكر لبيان إبهام في اسم قبله، ويكون بعد العدد، أو بعد المقادير في الموزونات، أو المكيلات، أو المساحات.

ومن ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنًا﴾ [البقرة:٦٠].

فـ **عَيْنًا** تمييز ذات؛ لأنها ذكرت بعد عدد، وهو اثنتا عشرة.

ومن ذلك أيضًا: قوله تعالىٰ: ﴿إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبًا﴾ [يوسف:٤].

فـ **كَوْكَبًا** تمييز ذات؛ لأنها ذكرت بعد عدد، وهو أحد عشر.

ومن ذلك أيضًا: قولك: اشتريتُ كيلو قمحًا.

فـ **قَمحًا** تمييز ذات؛ لأنها ذكرت بعد وزن، وهو كيلو.

ومن ذلك أيضًا: قولك: تصدقتُ بصاعٍ شعيرًا.

فـ **شعيرًا** تمييز ذات؛ لأنها ذكرت بعد كيل، وهو الصاع.

ومن ذلك أيضًا: قولك: أوقفتُ قيراطًا أرضًا.

فكلمة **أرضًا** تمييز ذات؛ لأنها أتت بعد مساحة، وهو قيراطا.

وهنا فائدة: متى يأتي التمييز منصوبا بعد الأعداد؟

يأتي التمييز منصوبا بعد الأعداد في حالين:

الحال الأولى: بعد الأعداد المركبة أي من أحدَ عشر إلىٰ تسعةَ عشر.

تقول: اشتريتُ أحدَ عشرَ كتابًا.

واشتريتُ تسعةَ عشرَ كتابًا.

فهنا التمييز **كتابًا** منصوب؛ لأنه أتىٰ بعد عدد مركب، وهو **أحد عشر** كما في المثال الأول.

وفي المثال الثاني: أتىٰ بعد عدد مركب، وهو تسعة عشر.

الحال الثانية: بعد العشرين، وأخواتها وهي الثلاثون، والأربعون، والخمسون، والستون، والسبعون، والثمانون، والتسعون، فالتمييز يأتي بعدها منصوبا.

تقول: اشتريتُ عشرينَ كتابًا.

واشتريتُ تسعينَ كتابًا.

فهنا كتابا أتت منصوبة؛ لأجل أنها أتت بعد العدد **عشرين** كما في المثال الأول، وأتت بعد العدد **تسعين** كما في المثال الثاني.

أما في غير هاتين الحالين فإن التمييز يأتي بعدها مجرورا، تقول: اشتريتُ تسعةَ كتبٍ.

وأهديتُ عشرةَ أقلامٍ.

واشتريتُ مائةَ كتابٍ.

واشتريتُ ألفَ بقرةٍ.

فهنا التمييز في كل هذه الأمثلة أتىٰ مجرورا؛ لأنه ليس من الحالين المتقدمتين.

أما القسم الثاني: **فهو تمييز نِسبة**، ويذكر في لبيان إبهام في نسبة جملة قبله وهو نوعان:

النوع الأول: تمييز محوَّل عن الفاعل، أو المفعول به، أو المبتدأ، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾ [مريم:٤].

فكلمة **شيبًا** تمييز محول عن الفاعل؛ لأن الأصل: اشتعلَ شيبُ الرأسِ، فحُذف الفاعل، وهو شيب، وأُتِيَ بالتمييز **شيبًا**.

ومن ذلك أيضًا: قوله تعالىٰ: ﴿وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا﴾ [القمر:١٢].

فـ **عيونًا** تمييز محول عن المفعول به؛ لأن الأصل: وفجّرنَا عيونَ الأرضِ، فحُذف المفعول بِه وأُتِيَ بالتمييز **عيونًا**.

ومن ذلك أيضًا: قوله تعالىٰ: ﴿أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا﴾ [الكهف:٣٤].

فـ **مالًا** هنا تمييز محول عن المبتدأ؛ لأن الأصل: مالي أكثر منك، فحذف المبتدأ وهو مال، وأُتي بالتمييز مالا.

أما النوع الثاني: فهو تمييز غير محوَّل، وهو ما دل علىٰ امتلاء، وهو سماعي، وليس مَقِيسًا، يعني مأخوذ من اللغة العربية دون قياس.

ومن ذلك: قولهم: امتلأَ الإناءُ ماءً.

فـ **ماءً** تمييز غير محول عن الفاعل، أو المفعول، أو المبتدأ، بل هو ترتيب وُضع ابتداء هكذا، ويعرب تمييزا منصوبا بالفتحة.

إذن التمييز ينقسم قسمين: تمييز ذات، وتمييز نسبة.

وتمييز النسبة نوعان: تمييز محول عن الفاعل، أو المفعول به، أو المبتدأ، وتمييز غير محوَّل.

❁❁❁

أسئلة الدرس

السؤال الأول: ضع كل كلمة من الكلمات الآتية في جملة مفيدة بحيث تكون حالا:

جديدا، ونشيطات، جميلا، مسرعا، كئيبا.

السؤال الثاني: بين التمييز، ونوعه في الجمل الآتية:

الأولى: اشتريت فدانا قمحا.

الثانية: محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثر من موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أتباعا.

الثالثة: الشهر ثلاثون يوما.

الرابعة: امتلأ العدو غيظا.

الخامسة: طاب المعلم نفسا.

السادسة: اشتريت تسعين كتابا.

السؤال الثالث: ضع كل كلمة من الكلمات الآتية في جملة مفيدة بحيث تكون تمييزا:

خُلقا، علما، سعرا.

السؤال الرابع: أعرب الجمل الآتية:

الأولى: تصبب العامل عرقا.

الثانية: شربت كُوبا ماء.

الثالثة: دخل أبي البيت مبتسما.

الرابعة: عادت النساء مبتهجات.

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الثامن عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الإخوة المؤمنون، وأيتها الأخوات المؤمنات في هذه الدورة العلمية المباركة، وهذا هو الدرس الثامن عشر من دروس النحو من كتاب «المختصر في النحو»، وفي هذا الدرس نتعرف إن شاء الله تعالىٰ علىٰ الاستثناء.

قال المصنف عفا الله عنه:

النوع التاسع عشر: الاستثناء

وفيه سبع مسائل:

المسألة الأولى: ما هو الاستثناء؟

الاستثناء هو إخراج بعض أفراد العام بـ إلا، أو إحدى أخواتها، ولولا ذلك الإخراج لكان داخلا فيما قبل الأداة.

ومن ذلك: قولك: حضر القومُ إلا زيدًا.

وقام الطلابُ غيرَ زيدٍ.

هنا إذا تأملت المثال الأول وجدت ما قبل إلا عاما يفيد حضور جميع القوم، ولكن لما ذُكرت أداة الاستثناء إلا أخرجت بعض أفراد هذا العموم من هذا الحكم، وهو الحضور، وهذا يسمىٰ بالاستثناء.

وكذلك إذا تأملت المثال الثاني وجدت ما قبل **غير** وهي من أدوات الاستثناء، عامًّا يفيد قيام جميع الطلاب، ولكن لما ذُكرت أداة الاستثناء **غير** أخرجت بعض أفراد هذا العموم من هذا الحكم، وهو القيام.

المسألة الثانية: ما هي أنواع الاستثناء؟

الاستثناء ثلاثة أنواع:

الأول: استثناء تام مُثبَت، وهو ما ذكر فيه المستثنىٰ منه، ولم تُسبَق أداته بنفي، أو نهي، أو استفهام، أو دعاء.

ومنه قولك: جاءَ القومُ إلا زيدًا.

فهذا استثناء تام مُثبَت، وذلك؛ لأنه ذُكر فيه المستثنىٰ منه، ولم تسبق أداته وهي إلا بنفي، أو نهي، أو استفهام، أو دعاء.

النوع الثاني: استثناء تام منفي.

وهو ما ذُكر فيه المستثنىٰ منه، وسُبِقَت أداته بنفي، أو نهي، أو استفهام، أو دعاء.

ومنه قولك: لم يَقُمِ الحاضرون إلا زيدًا، أو زيدٌ.

فهذا استثناء تام منفي، لماذا؟ لأنه ذكر فيه المستثنىٰ منه، وسُبقت الأداة، وهي **إلا** بنفي، وهو حرف الجزم «**لم**».

أما النوع الثالث: فهو استثناء ناقص منفي وهو ما لم يُذكر فيه المستثنىٰ منه، وسُبقت أداته بنفي، أو نهي، أو استفهام، أو دعاء.

ومنه قولك: لم يحضُرْ إلا محمدٌ.

فهذا استثناء ناقص منفي، لماذا؟ لأنه لم يُذكر فيه المستثنىٰ منه لذلك ناقص، وسُبقت أداته بنفي لذلك هو منفي.

إذن عندنا الاستثناء ثلاثة أنواع:

استثناء تام مثبَت، واستثناء تام منفي، واستثناء ناقص منفي.

التام: هو ما ذُكر فيه المستثنىٰ منه.

والمثبَت: هو ما لم يُسبق بأداة نفي، أو نهي، أو استفهام، أو دعاء.

والمنفي: هو ما سبق بأداة نفي، أو نهي، أو استفهام، أو دعاء.

والناقص: هو ما لم يُذكر فيه المستثنىٰ منه.

المسألة الثالثة: ما هي أركان الاستثناء؟

أركان الاستثناء ثلاثة وهي المستثنى منه، وأداة الاستثناء، والمستثنى.

أما المستثنى منه: فهو الاسم العام الذي يكون قبل أداة الاستثناء.

وأما أداة الاستثناء: فهي الأداة التي تستثني بعض أفراد العام من العموم.

وأما المستثنى: فهو الاسم المراد إخراجه من أفراد العام، ويكون بعد أداة الاستثناء.

ومن ذلك: قولك: جاءَ الوفدُ إلا عمرًا.

فالمستثنى منه في هذا المثال هو **الوفد**، وأداة الاستثناء هي «**إلا**»، والمستثنىٰ هو **عمرو**، ونوع الاستثناء تام مثبت.

ومن ذلك أيضًا: قولك: ما فازَ الطلابُ إلا زيدٌ.

فهنا المستثنىٰ منه: **الطلاب**، وأداة الاستثناء **إلا**، والمستثنىٰ **زيد**، ونوع الاستثناء تام منفي، **تام**؛ لأجل أن المستثنىٰ ذُكر فيه، **ومنفي**؛ لأجل أنه سُبق بأداة نفي، وهي **ما**.

ومن ذلك أيضًا: تقول: لمْ ينجحْ سِوىٰ سعدٍ.

هنا لم يُذكر المستثنىٰ منه، لذلك هذا يسمىٰ استثناء ناقصا.

وأداة الاستثناء هي **سِوى**، والمستثنىٰ هو **سعد**، وهذا استثناء ناقص منفي، **ناقص**؛ لأجل أنه لم يذكر فيه المستثنىٰ منه، **ومنفي**؛ لأجل أنه سُبق بحرف نفي وهو **لم**.

ومن ذلك أيضًا: تقول: أكرمني الأمراءُ عدا محمودٍ.

فهنا المستثنىٰ منه: **الأمراءُ**، وأداة الاستثناء: **عدا**، المستثنىٰ **محمود**، ونوع الاستثناء تام مثبت، لماذا؟ لأجل أنه ذُكر فيه المستثنىٰ منه، ولم يُسبق بأداة نفي، أو نهي، أو استفهام، أو دعاء.

المسألة الرابعة: ما هي أدوات الاستثناء؟

أشهر أدوات الاستثناء ثمانية، وهي على ثلاثة أنواع:

الأول: ما يكون حرفا دائما، وهو «**إلا**».

الثاني: ما يكون اسما دائما، وهو سِوىٰ، وسُوىٰ، وسَواء -وهذه الثلاثة بمعنىٰ واحد: سِوىٰ بكسر السين، وسُوىٰ بضم السين، وسواء- وغير.

النوع الثالث: ما يكون حرفا تارة، وفعلا تارة، وهي خلا، وعدا، وحاشا.

المسالة الخامسة: ما إعراب المستثنى بـ «إلا»؟

المستثنى بإلا له ثلاث أحوال:

الحال الأولى: وجوب النصب علىٰ الاستثناء إذا كان الاستثناء تاما مثبَتا.

يعني متىٰ كان الاستثناء تاما مثبتا وجب نصب المستثنىٰ.

ومن ذلك: قولك: سافرَ الطلابُ إلا زيدًا.

فهنا الاستثناء تام مثبت، ويكون إعراب هذا المثال علىٰ النحو التالي: **سافرَ** فعل ماض مبني علىٰ الفتح.

والطلابُ: فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة.

وإلا: حرف استثناء مبني علىٰ السكون لا محل له من الإعراب.

وزيدًا: مستثنىٰ منصوب بالفتحة الظاهرة.

ومن ذلك أيضًا: تقول: جاءَ الأبطالُ إلا عمرًا.

عمرًا: مستثنىٰ منصوب بالفتحة الظاهرة، لماذا؟ لأن الاستثناء تام مثبَت.

أما الحال الثانية: فهي جواز النصب علىٰ الاستثناء، وجواز إعرابه بدلا.

وذلك إذا كان الاستثناء تاما منفيا، أي إذا كان الاستثناء تاما منفيا، فهنا يجوز إعراب المستثنىٰ منصوبا، ويجوز إعرابه بدلا.

ومن ذلك: تقول: ما سافرَ الطلابُ إلا زيدٌ، أو زيدًا.

لماذا زيدٌ، أو زيدًا؟ لأجل أن الاستثناء تام منفي، لذلك: يجوز إعراب المستثنىٰ: مستثنىٰ منصوبا بالفتحة الظاهرة، ويجوز إعرابه بدلا، ويكون الإعراب كالتالي:

ما: حرف نفي مبني علىٰ السكون لا محل له من الإعراب.

وسافرَ: فعل ماضٍ مبني علىٰ الفتح.

و**الطلابُ**: فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة.

و**إلا**: حرف استثناء مبني علىٰ السكون لا محل له من الإعراب.

و**زيدٌ**: بدل من الطلاب مرفوع بالضمة الظاهرة.

هذا علىٰ البدلية، أما علىٰ الاستثناء فنقول: مستثنىٰ منصوب بالفتحة الظاهرة.

ومن ذلك أيضًا: ما جاءَ الأبطالُ إلا عمرٌو، أو عمرًا.

فهنا يجوز إعراب **عمرًا** مستثنىٰ منصوبا بالفتحة الظاهرة، ويجوز إعرابه **عمرٌو** بدلا مرفوعا بالضمة الظاهرة، وذلك لأجل أن الاستثناء تام منفي.

أما الحال الثالثة: فهي وجوب إعرابه علىٰ حسب ما يقتضيه العامل المذكور قبل **إلا** إذا كان الاستثناء ناقصا منفيا.

فهنا يجب إعراب المستثنىٰ علىٰ حسب ما يقتضيه العامل المذكور قبل **إلا**، فإذا كان العامل يقتضي رفع المستثنىٰ علىٰ الفاعلية، وجب رفعه.

وإذا كان العامل يقتضي نصب المستثنىٰ علىٰ المفعولية، وجب نصبه.

وإذا كان العامل يقتضي جر المستثنىٰ بحرف الجر، وجب جره.

يعني من باب التسهيل: احذف أداة النفي، واحذف أداة الاستثناء، وأعرب الجملة.

من ذلك: قولك: ما سافرَ إلا زيدٌ.

هنا زيدٌ ماذا تُعرب؟ تعرب: فاعلا مرفوعا بالضمة الظاهرة، لماذا؟

لأن الاستثناء هنا ناقص منفي فيعرب المستثنىٰ علىٰ حسب ما يقتضيه العامل المذكور قبل إلا، كما قلت: احذف حرف النفي، واحذف أداة الاستثناء، إذن صارت الجملة: سافرَ زيدٌ، **زيدٌ** تعرب فاعلا.

من ذلك: أيضًا تقول: ما رأيتُ إلا زيدًا

احذف **ما**، واحذف **إلا** صارت: رأيتُ زيدًا، **زيدًا** تعرب مفعولا به منصوبا بالفتحة الظاهرة.

ومن ذلك أيضًا: قولك: ما مررتُ إلا بزيدٍ.

احذف **ما**، واحذف **إلا** تصير الجملة: مررتُ بزيدٍ، **زيدٍ** تعرب اسما مجرورا بالكسرة الظاهرة

المسألة السادسة: ما إعراب المستثنى بسِوى، وسُوى، وسَواء، وغير؟

المستثنى بسِوى، وسُوى، وسَواء، وغير يجب جره.

يعني ما بعد هذه الأدوات يجب جره.

أما الأداة: سوىٰ، وسوىٰ، وسواء، وغير، فتعرب إعراب الاسم المذكور بعد إلا كما تقدم، فإذا كان الاستثناء تاما مثبتا وجب نصب الأداة علىٰ الاستثناء.

وإذا كان الاستثناء تاما منفيا جاز نصب الأداة علىٰ الاستثناء، وجاز إعرابها علىٰ البدلية.

وإذا كان الاستثناء ناقصا منفيا وجب إعراب الأداة علىٰ حسب العامل المذكور قبلها.

ومن ذلك: قولك: جاء القوم سوىٰ زيدٍ.

وما جاء القوم غيرَ زيدٍ.

وما جاء غيرُ زيدٍ.

وما رأيت غيرَ زيدٍ.

وما سلَّمت علىٰ غير زيدِ.

فهنا إذا تأملت المستثنىٰ وجدته مجرورا، لماذا؟ لأنه وقع بعد أداة من هذه الأدوات: سوىٰ، وغير.

أما أداة الاستثناء في المثال الأول: جاء القوم سوىٰ زيد، فتعرب سِوَىٰ: مستثنىٰ مبني علىٰ السكون في محل نصب، هنا يجب نصبها، لماذا؟ لأن الاستثناء تام مثبت.

أما أداة الاستثناء في المثال الثاني: فيجوز نصبها علىٰ الاستثناء، ويجوز إعرابها بدلا، لماذا؟ لأن الاستثناء تام منفي.

وأما أداة الاستثناء في المثال الثالث: ما جاء غيرُ زيد، فيجب رفعها، لماذا؟ لأن الاستثناء ناقص منفي، والعامل يقتضي الرفع، فتعرب: فاعلا مرفوعا بالضمة الظاهرة.

وأما أداة الاستثناء في المثال الرابع: ما رأيت غير زيد، فيجب نصبها علىٰ الاستثناء، لماذا؟ لأن الاستثناء ناقص منفي، والعامل يقتضي النصب، فتعرب الأداة مفعولا به منصوبا بالفتحة الظاهرة.

وأما أداة الاستثناء في المثال الخامس: فيجب جرها، لماذا؟ لأن الاستثناء ناقص منفي، والعامل يقتضي الجر، فتعرب الأداة: اسما مجرورا بالكسرة الظاهرة.

المسألة السابعة: ما إعراب المستثنى بعد عدا، وخلا، وحاشا؟

المستثنى بعد: عدا، وخلا، وحاشا يجوز نصبه، ويجوز جره.

وذلك؛ لأن هذه الأدوات تكون أفعالا تارة، وحروفا تارة، فإذا كانت أفعالا وجب نصب ما بعدها علىٰ أنه مفعول به، والفاعل ضمير مستتر وجوبًا تقديره «**هو**»، وإذا كانت حروفا وجب جر ما بعدها علىٰ أنه اسم مجرور.

ومن ذلك: تقول: أكرمت الطلاب عدا زيدًا، أو زيدٍ.

فهنا المستثنىٰ بعد عدا يجوز نصبه، ويجوز جره.

إذا أردنا أن ننصبه فيكون الإعراب كالتالي:

نقول: عدا: فعل ماض مبني علىٰ السكون، والفاعل ضمير مستتر وجوبا تقديره «**هو**».

وزيدًا: يعرب مفعولا به منصوب بالفتحة الظاهرة.

وإذا أردنا جره فيكون الإعراب كالتالي:

عدا: حرف جر مبني علىٰ السكون لا محل له من الإعراب.

و**زيد** اسم مجرور بالكسرة الظاهرة.

إذن أداة الاستثناء: عدا، وخلا، وحاشا إذا أعربناها فعلا، فلابد أن نعرب ما بعدها مفعولا به، وإذا أعربناها حرفا فلا بد أن نعرب ما بعدها اسما مجرورا.

وهنا فائدة: ما الحكم إذا سبقت عدا، وخلا، وحاشا بما المصدرية؟

إذا سبقت أداة من هذه الأدوات بما المصدرية وجب نصب ما بعدها، لماذا؟ لأن ما المصدرية لا تدخل إلا علىٰ الأفعال.

تقول مثلا: أكرمتُ الطلابَ ما عدا زيدًا.

هنا يجب النصب، لماذا؟ لأن عدا سبقت بما المصدرية، وما المصدرية هذه لا تدخل إلا علىٰ الأفعال، فتعيَّن إعراب عدا هنا فعلا ماضيا، لذلك يعرب ما بعدها مفعولا به.

وتقول أيضًا: جلسَ القومُ ما خلا عمرًا.

خلا هنا سُبقت بما المصدرية، فتعرب فعلا، لذلك يعرب ما بعدها، وهو عمرًا مفعولا به.

تقول أيضًا: أسعدتُ القومَ ما حاشا البائسَ.

فهنا حاشا سُبقت بما المصدرية، لذا يجب إعرابها فعلا، وإعراب ما بعدها مفعولا به.

إذن نستطيع أن نلخص درس الاستثناء في عدة أمور:

الأول: تعريفه: هو إخراج بعض أفراد العام بإلا، أو إحدىٰ أخواتها لولا ذلك الإخراج لكان داخلا في ما قبل الأداة.

الثاني: أركانه: مستثنىٰ منه، وأداة الاستثناء، ومستثنىٰ.

الثالث: أدواته: إلا، وسِوىٰ، وسُوىٰ، وسواء، وغير، وخلا، وعدا، وحاشا.

الرابع: إعراب المستثني: له ثلاثة أحوال:

إذا كان الاستثناء تاما مثبتا فيجب نصب المستثنىٰ.

وإذا كان الاستثناء تاما منفيا: جاز نصب المستثنىٰ، وجاز إعرابه علىٰ البدلية.

وإذا كان الاستثناء ناقصا منفيا: وجب إعراب المستثنىٰ علىٰ حسب ما يقتضيه العامل المذكور قبل إلا.

الخامس: المستثنىٰ بعد سِوىٰ، وسُوىٰ، وسَواء، وغير يجب جره، **أما هذه الأدوات:** فتعرب إعراب الاسم المذكور بعد إلا كما تقدم.

السادس: المستثنى بعد عداء، وخلا، وحاشا يجوز نصبه، ويجوز جره، يجوز نصبه إذا أعربت الأداة فعلا، ويجوز جره إذا أعربت الاداة حرفا.

أما إذا سبقت هذه الأدوات بما المصدرية، فهنا يجب إعراب ما بعدها مفعولا به.

❁❁❁

أسئلة الدرس

السؤال الأول: عيِّن المستثنىٰ، والمستثنىٰ منه، وأداة الاستثناء في الجمل الآتية، واضبط كلا منها بالشكل:

الأولى: كلَّمت الطلاب سوىٰ طالب.

الثانية: ما زارني أحد في مرضي إلا ابنك.

الثالثة: لم يكرِّمني في نجاحي إلا المدير.

الرابعة: لم يذبح الجازر سوىٰ بقرة.

الخامسة: قام الرجل الليل غير ساعة.

السادسة: ما قام القوم غير رجل.

السؤال الثاني: أعرب الجمل الآتية:

الأولى: نجح الطلاب إلا زيدا.

الثانية: سافر الوفد إلا رجلا.

الثالثة: ما سلمت إلا علىٰ زيد.

الرابعة: ما أكرمت إلا سعدا.

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس التاسع عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الإخوة، والأخوات في هذه الدورة العلمية المباركة، وهذا هو الدرس التاسع عشر من دروس النحو من كتاب «المختصر في النحو»، وفي هذا نتعرف إن شاء الله تعالىٰ علىٰ اسم «لا» النافية للجنس، والمنادىٰ.

قال المصنف عفا الله عنه:

النوع العشرون: اسم «لا» النافية للجنس

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: ما هو عمل «لا» النافية للجنس؟

تعمل «لا» النافية للجنس عمل «إنَّ» فتنصب الاسم، ويسمى اسمها، وترفع الخبر ويسمى خبرها، وسميت لا نافيةً للجنس؛ لأن نفيها يستغرق كل الجنس دون ترك أحد.

ومن ذلك: قولك: لا رَجُلَ مُسافِرٌ.

وهنا دخلت لا علىٰ الجملة: فنصبت اسمها، ورفعت خبرها، واسمها هو رجلَ، وخبرها هو مسافرٌ.

ومن ذلك أيضًا: تقول: لا طالبَ جالِسٌ.

فهنا أيضًا دخلت «لا» علىٰ الجملة، فنصبت اسمها وهو طالبَ، ورفعت خبرها وهو جالسٌ.

ويكون إعراب المثال الأول بما يلي:

لا: نافية للجنس، حرف مبني علىٰ السكون لا محل له من الإعراب.

ورجلَ: اسم «لا» النافية للجنس مبني علىٰ الفتح في محل نصب.

ومسافرٌ: خبر «لا» النافية للجنس مرفوع بالضمة الظاهرة.

وكذلك يعرب المثال الثاني.

المسألة الثانية: ما هي شروط إعمال «لا» عمل «إنَّ»؟

يجب أن تعمل لا عمل «إنَّ» المتقدم إذا توفرت أربعة شروط:

الشرط الأول: أن يكون اسمها نكرة، فإن كان اسمها معرفة، لم تعمل لا عمل «إنَّ».

تقول: لا طفلَ رشيدٌ، فهنا «لا» عملت عمل «إنَّ»؛ لأجل أن اسمها نكرة.

أما إذا قلت: لا الطفلُ رشيدٌ، فهنا لم تعمل لا عمل «إنَّ»؛ لأجل أن ما بعدها معرفة.

الشرط الثاني: أن يكون اسمها متصلًا بها، فإذا فُصِلَ بينها وبين اسمها بفاصل، لم تعمل لا عمل «إنَّ».

ومن ذلك: قولك: لا رجُلَ في الدارِ.

هنا «لا» عملت عمل «إنَّ»، لماذا؟ لأنه لم يُفصَل بينها وبين اسمها بفاصل.

أما إذا قلت: لا في الدارِ رجلٌ، فهنا لم تعمل لا عمل «إنَّ»؛ لأجل أنه فُصِل بينها، وبين اسمها بحرف جر.

وعند إعراب المثال الأول تقول:

لا: نافية للجنس، حرف مبني علىٰ السكون لا محل له من الإعراب.

ورجل: اسم «لا» النافية للجنس مبني علىٰ الفتح في محل نصب.

في: حرف جر مبني علىٰ السكون لا محل له من الإعراب.

الدارِ: اسم مجرور بالكسرة الظاهرة، والجار والمجرور في محل رفع خبر «لا».

ويكون إعراب «لا» في المثال الثاني: لا في الدارِ رجلٌ: **لا**: النافية ملغاة لا عمل لها.

في: حرف جر مبني علىٰ السكون لا محل له من الإعراب.

الدارِ: اسم مجرور بالكسرة الظاهرة، والجار والمجرور متعلق بمحذوفٍ خبر.

رجلٌ: مبتدأ مؤخر مرفوع بالضمة الظاهرة.

الشرط الثالث: **أن يكون خبرها نكرة**، فإن كان خبرها معرفة لم تعمل لا عمل «إنَّ».

ومن ذلك: قولك: لا رجلَ قائمٌ، هنا عملت لا عمل «إنَّ»؛ لأجل أن خبرها نكرة.

أما إذا قلتَ: لا رجلَ القائمُ، فهنا لم تعمل لا عمل «إنَّ»؛ لأجل أن خبرها معرفة.

الشرط الرابع: **عدم تكرار لا**، فإذا كُرِّرت لا، لم يجب إعمالُها عمل «إنَّ»، بل يجوز حينئذ إعمالها إن استوفت بقية الشروط، ويجوز إهمالها.

ومن ذلك: قولك: لا رجلَ في الدارِ، ولا امرأةٌ.

وتقول: لا رجلٌ في الدارِ، ولا امرأةٌ.

فهنا في المثال الأول عملت «لا» عملها، وفي المثال الثاني لم تعمل عملها، لماذا؟ لأجل أن «لا» كُرِّرَت، أذا كُرِّرت «لا»، يجوز إعمالها، ويجوز إلغاؤها، وذلك بشرط: إذا توفرت بقية الشروط.

المسألة الثالثة: ما أنواع اسم لا؟

اسم «لا» ثلاثة أنواع:

النوع الأول: مفرد.

والثاني: مضاف.

والثالث: شبيه بالمضاف.

أما المفرد، فهو ما ليس مضافا، ولا شبيهًا بالمضاف، ويدخل فيه المثنىٰ، وجمع التكسير، وجمع المذكر السالم، وجمع المؤنث السالم.

وأما المضاف، فهو ما أضيف إلىٰ نكرة.

وأما الشبيه بالمضاف، فهو ما اتصل به شيء من تمام معناه، وليس بمضافٍ، ويكون منوَّنًا.

والمفرد يُبنىٰ علىٰ الفتح إذا كان نصبُهُ بالفتحة، ويُبنىٰ علىٰ الياء إذا كان نصبه بالياء، ويُبنىٰ علىٰ الكسر إذا كان نصبه بالكسرة نيابةً عن الفتحة.

وأما المضاف، والشبيه بالمضاف، فينصبان بالفتحة الظاهرة، أو بالكسرة، أو بالياء.

ومن ذلك: قولك: لا حزينَ بينَنا.

هنا اسم «لا» هو حزينَ، نوعه مفرد، ويعرب اسم «لا» مبني علىٰ الفتح في محل نصب، وخبر «لا» هو بينَنا.

ومن ذلك أيضًا: تقول: لا طلابَ مهملونَ.

فهنا اسم «لا» طلابَ نوعه مفرد «جمع تكسير»، ويعرب اسم «لا» مبني علىٰ الفتح في محل نصب، وخبر «لا» مهملون.

ومن ذلك أيضًا: تقول: لا طالبَيْنِ في الفصلِ.

اسم «لا» طالبَيْنِ نوعه مفرد «مثنىٰ»، ويعرب اسم «لا» مبني علىٰ الياء نيابةً عن الفتحة في محل نصب، وخبر «لا» في الفصلِ.

ومن ذلك أيضًا: تقول: لا طالباتِ جنةٍ مُقصِّراتٌ.

اسم «لا» طالبات، نوعه مضاف -طالباتِ جنةٍ-، ويعرب اسم «لا» منصوب بالكسرة الظاهرة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، وخبر «لا» مقصرات.

ومن ذلك أيضًا: تقول: لا مُريدي خيرٍ مكروهون.

هنا اسم «لا» مُريدي، ونوعه مضاف، ويعرب اسم «لا» منصوبا بالياء؛ لأنه جمع مذكر سالم، وخبر «لا» مكروهون.

ومن ذلك أيضًا: تقول: لا كارهًا للعلمِ ناجحٌ.

اسم «لا» كارهًا، ونوعه شبيه بالمضاف، ويعرب اسم «لا» منصوبا بالفتحة الظاهرة، وخبر «لا» ناجحٌ.

ومن ذلك أيضًا: تقول: لا طالبين علمًا مهملان.

فهنا اسم «لا» طالبَيْنِ، نوعه شبيه بالمضاف، ويعرب اسم «لا» منصوب بالياء؛ لأنه مثنىٰ، وخبر «لا» مهملان.

ثم قال المصنف عفا الله عنه:

النوع الحادي والعشرون: المنادى

وفيه مسألتان:

المسالة الأولى: ما هو المنادى؟، وما هي حروفه؟

قال: المنادى هو المطلوب إقباله بـ يا، أو إحدى أخواتها.

وحروف النداء خمسة هي: يا، والهمزة، وأي، وأيا. وهيا.

ومن ذلك: تقول: يا زيدُ اتقِ اللهَ.

وتقول: أزيدُ قِفْ.

وتقول: أيْ عمرٌو أطِعْ ربَّكَ.

وتقول: أيا طالبًا للمجدِ أسرِعْ.

وتقول: هيا مسافرًا ارجِعْ.

وهذه الحروف تنقسم ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما يُنادىٰ به القريب، وهما حرفان: الهمزة، وأي.

القسم الثاني: ما يناديٰ به البعيد، وهما حرفان: أيا، وهيا.

القسم الثالث: ما ينادىٰ به القريب والبعيد، وهو حرف واحد: يا.

وتعرب جميعا: حرف نداء مبنيا علىٰ السكون لا محل له من الإعراب إلا الهمزة فإنها مبنية علىٰ الفتح.

المسألة الثانية: أنواع المنادى خمسة، وضح ذلك مع ذكر أمثلة على ما تقول.

النوع الأول: المفرد العَلَم.

النوع الثاني: النكرة المقصودة.

النوع الثالث: النكرة غير المقصودة.

النوع الرابع: المضاف.

النوع الخامس: الشبيه بالمضاف.

أما المفرد العَلَم: فهو ما ليس مضافا، ولا شبيها بالمضاف من الأعلام.

فيدخل فيه المثنىٰ، وجمع التكسير، وجمع المذكر السالم، وجمع المؤنث السالم.

وأما النكرة المقصودة: فهي النكرة التي يُقصد بها واحد معين.

وأما النكرة غير المقصودة: فهي النكرة التي يُقصد بها واحد غير معين، والذي يحدد ذلك هو القرائن، وسياق الكلام.

وأما المضاف: فهو اسم نُسب إلىٰ اسم بعده فصار معرفة، أو مخصَّصا بهذه النسبة.

وأما الشبيه بالمضاف: فهو ما اتصل به شيء من تمام معناه، وليس بمضاف.

والمفرد العَلَم: يبنىٰ علىٰ الضم إذا كان يرفع بالضمة، ويبنىٰ علىٰ الألف إذا كان يرفع بالألف نيابة عن الضمة، ويبنىٰ علىٰ الواو إذا كان يرفع بالواو نيابة عن الضمة.

وكذلك النكرة المقصودة: تعرب إعراب المفرد العَلَم.

أما النكرة غير المقصودة: فتنصب بالفتحة الظاهرة، أو بالكسرة، أو بالياء.

أما المضاف: فيُنصَب بالفتحة الظاهرة، أو بالكسرة، أو بالياء، أو بالألف.

أما الشبيه بالمضاف: فينصب بالفتحة الظاهرة، أو بالكسرة، أو بالياء.

ومن الأمثلة على ذلك: قولك: يا زيدُ ادْعُ ربَّكَ.

هنا المنادىٰ **زيدُ**، نوعه علم مفرد، ما إعرابه؟ يعرب منادىٰ مبنيا علىٰ الضم في محل نصب.

ومن ذلك أيضًا: قولك: يا فاطماتُ افعلنَ المعروفَ.

المنادىٰ هنا **فاطماتُ**، نوعه علم مفرد، ويعرب منادىٰ مبنيا علىٰ الضم في محل نصب.

ومن ذلك أيضًا: قولك: يا رجلُ اتقِ اللهَ.

إذا كنت تقصد رجلا معينا، فهنا المنادىٰ **رجلُ**، ونوعه نكرة مقصودة، ويعرب منادىٰ مبنيا علىٰ الضم في محل نصب.

وكذلك قولك أيضًا: يا فتياتُ اجتهِدْنَ.

المنادىٰ هنا **فتياتُ**، ونوعه نكرة مقصودة، إذا كنت تقصد فتيات محددات، ويعرب منادىٰ مبنيا علىٰ الضم في محل نصب.

ومن ذلك أيضًا: قولك: يا طالبًا اجتهِدْ.

هنا المنادىٰ **طالبًا**، نوعه نكرة غير مقصودة، هذا إذا كنت لا تقصد طالبا بعينه، ويعرب منادىٰ منصوبا بالفتحة الظاهرة.

ومن ذلك أيضًا: تقول: يا مسلمِينَ أبشِرُوا.

فهنا المنادىٰ **مسلمِينَ**، نوعه نكرة غير مقصودة، ويُعرب منادىٰ منصوبا بالياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم.

ومن ذلك أيضًا: تقول: يا طالبَ العلمِ انتبِهْ.

فهنا المنادىٰ **طالبَ**، ونوعه مضاف، ويعرب منادىٰ منصوبا بالفتحة الظاهرة.

ومن ذلك أيضًا: تقول: يا أبا زيدٍ اتقِ الله.

هنا المنادىٰ **أبا**، ونوعه مضاف، ويعرب منادىٰ منصوبا بالألف نيابة عن الفتحة؛ لأنه من الأسماء الخمسة.

ومن ذلك أيضًا: تقول: يا جميلًا خطُّهُ تمَهَّلْ.

هنا المنادىٰ **جميلًا**، ونوعه شبيه بالمضاف، ويعرب منادىٰ منصوبا بالفتحة الظاهرة.

وتقول أيضًا: يا محسنين خيرًا لا تحزنوا.

هنا المنادىٰ **محسنين**، ونوعه شبيه بالمضاف، ويعرب منادىٰ منصوبا بالياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم.

❊❊❊

أسئلة الدرس

السؤال الأول: عين اسم وخبر «لا» النافية للجنس، وبين نوع اسمها، وأعربه فيما يلي:

الأولى: لا ضعيفَ بيننا.

الثانية: لا علماءَ كذَّابون.

الثالثة: لا فلاحِين في الأرض.

الرابعة: لا زوجاتٍ كسولات.

الخامسة: لا جمعةَ علىٰ مسافر.

السؤال الثاني: عيِّن المنادىٰ، وبيِّن نوعه، وأعربه فيما يلي:

الأولى: يا بكر اشكر ربك.

الثانية: يا عامل أتقن عملك.

الثالثة: يا هندات افعلن الخير.

الرابعة: يا مسلمون حافظوا علىٰ الصلاة.

الخامسة: يا بناتُ تحجبن.

السادسة: يا رَجلين لا تبتدعا.

السؤال الثالث: أعرب الجمل الآتية:

الأولى: لا أحدَ في البيت.

الثانية: لا مؤمنَ مهمل.

الثالثة: يا معشرَ العرب اتحدوا.

الرابعة: يا ناشرَ العلم أبشر.

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس العشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الإخوة، والأخوات في هذه الدورة العلمية المباركة، وهذا هو الدرس العشرون والأخير من دروس النحو من كتاب «المختصر في النحو»، وفي هذا الدرس نتعرف إن شاء الله تعالىٰ علىٰ حروف الجر، والمضاف إليه.

قال المؤلف عفا الله عنه:

النوع الثاني والعشرون: حروف الجر

وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: ما هي حروف الجر؟

حروف الجر أربعة عشر، وهي: مِن، إلى، عن، على، في، رُبَّ، الباء، الكاف، اللام، مذْ، منذُ، وحروف القَسَم، وهي الواو، الباء، التاء، وإذا وقع بعد مُذ، ومُنذ فعل، أو كان الاسم الذي بعدهما مرفوعا، فهما اسمان.

المسألة الثانية: ما إعراب حروف الجر، والاسم الذي بعدها؟

حروف الجر تعرب حرف جر مبنيا لا محل له من الإعراب، والاسم المذكور بعدها يعرب اسما مجرورا بالكسرة إذا كان مفردا، أو جمع تكسير، أو جمع مؤنث

سالما، وبالفتحة إذا كان ممنوعا من الصرف، وبالياء إذا كان مثنىٰ، أو جمع مذكر سالما، أو من الأسماء الخمسة.

ومن ذلك: تقول: سافرتُ مِن مكةَ.

فهنا **مِنْ**: حرف جر مبني علىٰ السكون لا محل له من الإعراب.

ومكةَ: اسم مجرور بالفتحة الظاهرة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف.

ومن ذلك أيضًا: قولك: رجعتُ إلىٰ الشيخَيْنِ.

إلى: حرف جر مبني علىٰ السكون لا محل له من الإعراب.

والشيخين: اسم مجرور بالياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه مثنىٰ.

ومن ذلك أيضًا: قولك: جلستُ علىٰ المكتبِ.

على: حرف جر مبني علىٰ السكون لا محل له من الإعراب.

والمكتب: اسم مجرور بالكسرة الظاهرة.

ومن ذلك أيضًا: قولك: رُبَّ مهملِينَ ينجحون.

فـ **رُبَّ**: حرف جر مبني علىٰ الفتح لا محل له من الإعراب.

ومهملين: اسم مجرور بالياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم.

ومن ذلك أيضًا: قولك: أنتما كالبحرِ.

الكاف: حرف جر مبني علىٰ السكون لا محل له من الإعراب.

والبحرِ: اسم مجرور بالكسرة الظاهرة.

ومن ذلك أيضًا: قولك: وَاللهِ لأجتهدَنَّ.

الواو: حرف جر مبني علىٰ الفتح لا محل له من الإعراب.

واللهِ: اسم الجلالة اسم مجرور بالكسرة الظاهرة.

المسألة الثالثة: اذكر بعض معاني حروف الجر، مع ذكر مثال على ما تقول.

أما **مِن** فمعناها: الابتداء.

ومن ذلك: قولك: سافرتُ من مكة.

أي ابتدأتُ سفري من مكة.

وأما **إلى** فمعناها: الانتهاء.

ومن ذلك: قولك: رجعتُ إلىٰ البيتِ.

فالمعنىٰ هنا انتهيت إلىٰ البيت.

وأما **عَنْ** فمعناها: المجاوزة.

ومن ذلك: قولك: رضي الله عن الصحابة

وأما **على** فمعناها: العلو.

تقول: جلست علىٰ الكرسِيِّ

وأما **في**، فمعناها: الظرفية.

تقول: وضعت الكتاب في المكتبة.

وأما **رُبَّ** فمعناها: التقليل، أو التكثير، أي قد تفيد التقليل، وقد تفيد التكثير.

ومن ذلك: قولك: رُبَّ مؤمنٍ ينجحُ، يعني قليل من المؤمنين من ينجحون.

وأما **الباء** فمعناها: التعدية.

تقول: مررتُ بزيدٍ، أي تعديته.

وأما **الكاف** فمعناها: التشبيه.

تقول: أنت كالبحرِ، أي تُشْبه البحر في العطاء، والجود.

و أما **اللام** فمعناها: الملكية.

تقول: البيتُ لعمروٍ، أي يملكه عمرو.

أما **مُذ** فمعناها: مِن، أو في.

تقول مثلا: ما ذاكرت مُذ أسبوع، أي من أسبوع.

وتقول: ما ذاكرتُ مُذ يومِنا، أي في يومنا.

وأما **منذ** فمعناها: من، أو في.

تقول: ما حضرت مُنذُ يومٍ، أي من يوم.

وتقول: جئت منذ يومِنا، أي في يومنا.

وأما **واو القَسَم، وباء القسَم، وتَاء القسَم**، فهذه الثلاثة تفيد القسَم.

ومن ذلك: قولك: واللهِ لأجتهدن، باللهِ لتأكلَنَّ، تاللهِ لأذهبَن.

المسألة الرابعة: حروف الجر قسمان، وضح ذلك مع ذكر مثال على ما تقول.

تنقسم حروف الجر قسمين، وهما:

القسم الأول: حروف تجر الاسم الظاهر والضمير، وهي ثمانية: من، وإلىٰ، وعن، وعلىٰ، وفي، والباء، واللام، وباء القسم.

ويعرب الضمير ضميرًا مبنيا في محل جر اسم مجرور.

ومن الأمثلة على ذلك: تقول في «مِن»: جئت مِنَ القاهرةِ، فالاسم المجرور هنا اسم ظاهر.

وتقول: مِنكُمُ المُحسنون، فهنا الاسم المجرور ضمير، وهو الكاف.

وتقول في «إلى»: ذهبت إلىٰ المسجد، فهنا المسجد اسم مجرور ظاهر.

وتقول: ذهبتُ إليهم، فالاسم المجرور هنا الهاء، وهو ضمير.

تقول في «عن»: رضي الله عن الصحابة، وتقول: لنذهبنَّ عنكم.

وتقول في «على»: صعِدت علىٰ المنبر، وصعِد عليها.

وتقول في «في»: دخلت في البيت، ودخل فيهم.

وتقول في الباء: مررت ببكرٍ، ومررت بهم.

وتقول في اللام: الكتاب لإبراهيمَ، الكتاب لهم.

وتقول في باء القسم: بالله لتجتهد، وبك لأكرمنَّ المجتهد.

أما القسم الثاني: فحروف تجر الاسم الظاهر فقط وهي ستة: رُبَّ، والكاف، وواو القسم، وتاء القسم، ومذ، ومنذ.

يعني هذه الحروف لا تجر الضمير مطلقا.

ومن ذلك: قولك في رُبَّ: رُبَّ غائبٍ حاضرٌ.

وتقول في الكاف: محمد كأحمد في الكرم.

وتقول في مُذ: ما تكلمت مذ أمسِ.

وتقول في مُنذ: جئت منذ اليوم.

وتقول في واو القسم: والله لأطلبنَّ العلم.

وتقول في تاء القسم: تالله لنكرمنَّ ضيوفنا.

ثم قال المصنف عفا الله عنه:

النوع الثالث والعشرون: المضاف إليه

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: ما هو المضاف إليه؟ وما إعرابه؟

المضاف إليه هو الاسم المجرور الذي يُنسب إلى اسم قبله.

ويعرب **مضافًا إليه مجرورا بالكسرة** إذا كان مفردا، أو جمع تكسير، أو جمع مؤنث سالما.

وبالفتحة إذا كان ممنوعا من الصرف.

وبالياء إذا كان مثنىٰ، أو جمع مذكر سالما، أو من الأسماء الخمسة.

المسألة الثانية: ما هي أنواع الإضافة في المضاف إليه؟

أنواع الإضافة في المضاف إليه ثلاثة:

النوع الأول: أن تكون الإضافة فيه بمعنى «من»، وذلك إذا كان المضاف جزءا، أو بعضا من المضاف إليه.

من ذلك: قولك: باب حديد، فهنا الإضافة بمعنىٰ «من» لماذا؟ لأن تقدير الكلام باب من حديد.

ومن ذلك أيضًا: قولك: ثوبُ حريرٍ.

الإضافة هنا بمعنىٰ «من»؛ لأن تقدير الكلام: ثوبٌ مِن حريرٍ

ومن ذلك أيضًا: قولك: خاتم ذهب، الإضافة هنا بمعنىٰ «من» لماذا؟ لأن تقدير الكلام: خاتم من ذهب.

ففي هذه الأمثلة الثلاثة: المضاف جزء من المضاف إليه، فالباب جزء من الحديد، والثوب جزء من الحرير، والخاتم جزء من الذهب.

النوع الثاني: أن تكون الإضافة فيه بمعنى «في»، وذلك إذا كان المضاف إليه ظرفا للمضاف.

ومن ذلك: قولك: حر الظهيرة، الإضافة هنا بمعنىٰ «في»؛ لأن تقدير الكلام: حَرٌّ في الظهيرة.

ومن ذلك أيضًا: قولك: برد الليل.

الإضافة هنا بمعنىٰ «في»؛ لأن تقدير الكلام: برد في الليل.

ففي هذين المثالين المضاف إليه ظرفا للمضاف، فالظهيرة ظرف للحر، والليل ظرف للبرد.

النوع الثالث: أن تكون الإضافة فيه بمعنى اللام، وذلك إذا لم يكن المضاف جزءًا من المضاف إليه، ولم يكن المضاف إليه ظرفا للمضاف.

ومن ذلك: قولك: كتاب زيد، هنا الإضافة بمعنىٰ **اللام**، لماذا؟ لأن تقدير الكلام: كتاب لزيد.

ومن ذلك أيضًا: قولك: سجاد المسجد.

هنا الإضافة بمعنىٰ اللام؛ لأن تقدير الكلام: سجاد للمسجد

ومن ذلك أيضًا: قولك: حمدُ الله.

فالإضافة هنا بمعنىٰ **اللام**؛ لأن تقدير الكلام: حمدٌ لله.

فهنا في هذه الأمثلة الثلاثة المضاف ليس جزءا من المضاف إليه، والمضاف إليه ليس ظرفا للمضاف، فالكتاب مِلك لزيد، والسجاد مختص للمسجد، والحمد مستحَق لله تعالىٰ.

❁❁❁

أسئلة الدرس

السؤال الأول: عيِّن الاسم المجرور، وأعربه فيما يلي:

١- قوله تعالىٰ: ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ ﴾ [البقرة:١٢٩].

٢- قوله تعالىٰ: ﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ٥ ﴾ [القدْر:٥].

٣- قوله تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٩ ﴾ [البقرة:٢٩].

السؤال الثاني: عيِّن المضاف والمضاف إليه، وبيِّن نوع الإضافة فيما يلي:

١- رأيت ثوب كَتَّان.

٢- اشتريت خاتم فضة.

٣- لا تدع ذكر الله.

٤- كلام الله حقيقي.

٥- غسلتُ باب المسجد.

السؤال الثالث: أعرب الجمل الاتية:

١- اجلس علىٰ الحصير.

٢- رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ.

٣- ذهب عبد الله إلىٰ المسجد.

٤- أحب دراسة النحو، والفقه.

٥- علم النحو سهل.

وبهذا نكون بفضل الله تعالىٰ انتهينا من دراسة هذا الكتاب **«المختصر في النحو»**.

من أراد أن يتقن هذا الكتاب فعليه أن يسمع الدروس الصوتية مرارا وتكرارا، ويقرأ الكتاب قراءة جيدة، ويجيب عن التدريبات التي بعد نهاية كل درس؛ فالنحو يحتاج دُربة، وتدريب، ولا يمكن استيعابه في أيام معدودة.

هذا، وأسأل الله العظيم أن يجعلنا ممن يتعلمون العلم ابتغاء مرضاته، وأن يثبت قلوبنا علىٰ الإيمان، وأن يباعد بيننا، وبين خطايانا كما باعد بين المشرق والمغرب،

وصلِّ اللَّهُمَّ وسلم وبارك على نبينا محمد،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الفهـرس

الشَرحُ المُختَصَرُ

عَلَى

البِدَايَةِ فِي عُلُومِ البَلَاغَةِ

تأليف

خَالِدِ بنِ مَحمُودٍ الجُهَنِي

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

كلمة افتتاح دورة علوم البلاغة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم علىٰ سيد المرسلين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فإنني أرحب بجميع الإخوة، والأخوات المشتركين في هذه الدورة المباركة في علوم البلاغة، ففي هذه الدورة سندرس إن شاء الله تعالىٰ علوم البلاغة إجمالا، وهي علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع.

وينبغي لطلاب، وطالبات العلم أن يدرسوا علوم البلاغة؛ لما فيها من فوائد عزيزة، وقد نص علىٰ ذلك جمع من أهل العلم، ومن ذلك أن أبا الهلال العسكري رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «**إن أحق العلوم بالتعلم، وأولاها بالتحفُّظ بعد المعرفة بالله جل ثناؤه علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة الذي به يُعرف إعجاز كتاب الله** عَزَّوَجَلَّ».

ومعنىٰ كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن أحق العلوم بالتعلم والحفظ بعد تعلم العلم الواجب من العقيدة والفقه علوم البلاغة.

فحري بكم يا طلاب، وطالبات العلم أن تهتموا بدراسة علوم البلاغة؛ لما فيها من فوائد كثيرة، وأهم هذه الفوائد: أنكم تدركون إعجاز القرآن الكريم.

ولكي يستفيد كل واحد منا الإفادة المثلىٰ من هذه الدورة عليه أن يخطو عدة خُطوات:

الأولى: سماع الدروس الصوتية التي سنرسلها إليكم.

الثانية: قراءة القدر المشروح من الكتاب المقرر قراءة جيدة، ثم تلخيصه في كراس، ونحوه.

الثالثة: الإجابة عن الأسئلة التي تكون في نهاية كل درس، والاحتفاظ بالأجوبة، وحفظها حفظا جيدا؛ لأن الاختبار النهائي سيأتي من هذه الأسئلة.

الرابعة: اعملوا بما تعلمتموه؛ فإن العلم يطلب للعمل.

الخامسة: علموا ما تعلمتموه لإخوانكم وأخواتكم؛ لتكونوا ممن تعلَّم، فعمل، فعلَّم.

أسأل الله العظيم أن يرزقنا وإياكم حق التقوىٰ، وأن يشرح صدورنا وصدوركم لقبول الحق، وأن يثبت قلوبنا وقلوبكم علىٰ دينه حتىٰ نلقاه.

هذا، وصل اللَّهُمَّ وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فضيلة الشيخ الدكتور

خالد الجهني

حفظه الله

الدرس الأول

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الإخوة المؤمنون، وأيتها الأخوات المؤمنات في هذه الدورة العلمية المباركة، وهذا هو الدرس الأول من دروس علوم البلاغة من كتاب «**البناية في شرح البداية في علوم البلاغة**»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ المبادئ العشرة لعلوم البلاغة، وقد جمعها الصبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أبيات شعرية حيث قال:

إنَّ مبـــادي كل فـــنٍّ عشـــرهْ ... الحــدِّ والموضـــوع ثـــمَّ الثمـــرهْ

نسبـــةٌ وفضـــلهُ والواضـــعْ ... والاســم الاســتمداد حكــم الشــارعْ

مســائل والبعــض بــالبعض اكــتفى ... ومَــن دَرى الجميــع حَــاز الشَّــرَفَا

هذه هي المبادئ العشرة التي ينبغي لقاصد أي علم أن يتعلمها حتىٰ يستطيع أن يتصور ذلك العلم تصورا صحيحا.

هذه المبادئ العشرة هي:

الأول: الحد، والمراد به التعريف، والتعريف تعريفان: تعريف لغوي، وتعريف اصطلاحي.

أما التعريف اللغوي للبلاغة: فالبلاغة مصدر بلُغ الرجل إذا صار بليغا.

والبلاغة اصطلاحا: هي مَلَكة يستطيع بها المتكلِّم أن يؤلِّف كلاما بليغا.

وقيل: البلاغة هي التعبير عن المعنىٰ الصحيح لما طابقه من اللفظ الرائق من غير مزيد علىٰ المقصد، ولا انتقاص عنه في البيان.

أي يأتي بكلام يطابق المعنىٰ من غير زيادة، ولا نقصان، فكلما ازداد الكلام في المطابقة للمعنىٰ كانت البلاغة أزيد.

المبدأ الثاني: موضوعُ البلاغة.

البلاغة تتناول ثلاثة موضوعات، وهي:

١- علم المعاني.

٢- وعلم البيان.

٣- وعلم البديع.

أما علم المعاني: فهو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي يطابق بها الكلام مقتضىٰ الحال.

أي أن علم المعاني يمكِّنُك من الإتيان بكلام يناسب، ويطابق الحال التي أنت فيها، وسيأتي تفصيل ذلك فيما بعد إن شاء الله تعالىٰ.

أما علم البيان: فهو علم يُعرف به إيراد المعنىٰ الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه.

أي أن علم البيان تستطيع به أن تعبِّر عن المعنىٰ الواحد بأساليب مختلفة مرة كناية، ومرة مجاز، ومرة استعارة، ومرة تشبيه، كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

أما علم البديع: فهو علم يُعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية مطابقة الكلام لمقتضىٰ الحال، ورعاية، وضوح الدلالة.

أي أن علم البديع علم مكمِّل لعلمي المعاني، والبيان، فهو علم تزييني يزيِّن الكلام.

وقوله: «بعد رعاية مطابقة الكلام لمقتضى الحال»: هذا هو علم المعاني.

وقوله: «ورعاية وضوح الدلالة»: هذا هو علم البيان.

أما المبدأ الثالث: وهو الثمرة، والفائدة المرجوة من تعلم علوم البلاغة.

من أهم الثمرات المرجوة من تعلم علوم البلاغة:

١- أنك تستطيع إذا درستَ علوم البلاغة أن تفهم القرآن العظيم.

٢- وتستطيع أن تقف علىٰ أسراره، لذلك العرب أيقنوا أن القرآن ليس بكلام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنهم أهل فصاحة يعرفون الفصاحة، والبلاغة، ويعرفون أن هذا الكلام لا يستطيع أحد من البشر أن يأتي به، لذلك لم يستطع أحد أن يأتي بكلام يضاهي القرآن، الله عَزَّوَجَلَّ تحداهم أن يأتوا بمثل القرآن ما استطاعوا، تحداهم أن يأتوا بعشر سور ما استطاعوا، تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله ما استطاعوا، عجزوا، لماذا؟

لأنهم أدركوا أسرار، وفصاحة، وبلاغة القرآن الكريم بخلاف من أتىٰ بعدهم ممن أتىٰ بكلام ويقول: هذا مثل القرآن، هو لم يفهم القرآن حتىٰ يدرك هذه الحقيقة، وهي أنه لا يستطيع أحد أن يأتي بمثل القرآن؛ لأن القرآن من عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٣- كذلك علوم البلاغة: تنمي عندك القدرة علىٰ انتقاد النص الأدبي شعر، ونثر إلىٰ آخره.

٤- كذلك علوم البلاغة: تُعينك علىٰ نطق الكلام وتمييز الحسن من الرديء منه.

وهناك ثمرات أخرىٰ يمكنك الرجوع إليها في الكتاب.

أما المبدأ الرابع: وهو نسبة علوم البلاغة.

إلىٰ أي العلوم تنسب علوم البلاغة؟

علوم البلاغة تُنسب إلىٰ العلوم اللغوية، كالنحو، والصرف، والأدب، ونحو ذلك.

وهنا فائدة: هناك فرق بين لفظتي لُغُوية، ولَغَوية.

أما لُغُوية: فنسبة إلىٰ اللغة.

وأما لَغَوية: فنسبة إلىٰ اللغو، وهو الكلام الذي لا طائل تحته.

أما المبدأ الخامس: وهو فضل علوم البلاغة.

علوم البلاغة من أجل العلوم العربية، لماذا؟

لأنها تُعِين علىٰ إدراك إعجاز كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كما تعين علىٰ فهم القرآن، والسنة فهما صحيحا.

أما المبدأ السادس: وهو واضع علوم البلاغة:

من هو الذي وضع علوم البلاغة؟

البلاغة من العلوم التي كانت متقررةً عند العرب قديما، ولكن لم يجمعها الأولون في كتب مستقلة، وكان أول من اعتنىٰ بجمع علوم البلاغة هو عبد الحميد الكاتب، ثم أتىٰ بعده عبد الله بن المُقَفَّع.

ويُعد إمام العربية عبد القاهر الجرجاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو مؤسس علوم البلاغة، وقد أَلَّف كتابين في هذا المضمار وهما دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة، هذان الكتابان من أهم الكتب التي أُلفت في علوم البلاغة، وهما مؤلفان؛ لبيان إعجاز القرآن الكريم، وفضله علىٰ النصوص الأدبية من شعر، ونثر.

وهنا فائدة أيضًا: الفرق بين الشعر، والنثر:

الشعر: عبارة عن أبيات، والأبيات هذه تتكون من شطرين، الجزء الأول يسمىٰ الشطر الأول ويسمىٰ بصدر البيت، والجزء الثاني يسمىٰ الشطر الثاني، أو عجُز البيت.

أما **النثر** فهو كلام مسترسَل.

أما المبدأ السابع: وهو أسماء علوم البلاغة.

فمن أسماء علوم البلاغة: علوم البلاغة، وعلم البيان، وكما تقدم أن علم البيان علم من علوم البلاغة، وسميت علوم البلاغة بعلم البيان من باب إطلاق الجزء علىٰ الكل.

أما المبدأ الثامن: من أين تستمد علوم البلاغة مادتها؟

علوم البلاغة تستمد مادتها من القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وآثار الخلفاء الراشدين، والخطباء المشهورين، وأشعار العرب وآدابهم.

أما المبدأ التاسع: وهو حكم تعلم وتعليم علوم البلاغة.

حكم تعلم وتعليم علوم البلاغة فرض كفاية إذا قام به من يكفي سقط عن الباقين.

أما المبدأ العاشر من مبادئ علوم البلاغة: فهو المسائل التي تتناولها علوم البلاغة.

المسائل هي القضايا الجزئية بخلاف الموضوعات، فالموضوعات قضايا كلية، أما المسائل فهي قضايا جزئية، فمن مسائل علوم البلاغة:

- الكلام الإنشائي.
- والكلام الخبري.
- والإيجاز.
- والإطناب.
- والمساواة.
- والمجاز.
- والكناية.
- والمحسِّنات المعنوية.
- والمحسِّنات اللفظية.

وسيأتي تفصيل كل هذا إن شاء الله تعالىٰ كل في موضعه.

وقبل أن أنتهي أريد من كل السامعين، والسامعات أن يجيبوا عن التدريبات الموجودة خلف كل درس في الكتاب؛ لأن هذه التدريبات تُعينك علىٰ فهم الدرس فهما جيدا.

❁❁❁

سؤال الدرس

ضع علامة صح أمام العبارة الصحيحة، وعلامة خطأ أمام العبارة الخطأ مع تصويب الخطأ.

الأول: علوم البلاغة تُنمِّي القدرة علىٰ اختيار الكلام المناسب لكل موقف .

الثاني: علوم البلاغة تُعِين علىٰ فهم القرآن الكريم.

الثالث: علوم البلاغة تُنسب إلىٰ العلوم اللغوية.

الرابع: أول من اعتنىٰ بجمع علوم البلاغة هو عبد الحميد الكاتب.

الخامس: من مسائل علوم البلاغة النعت، والمبتدأ، والسجع.

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الإخوة المؤمنون، وأيتها الأخوات المؤمنات في هذه الدورة العلمية المباركة، وهذا هو الدرس الثاني من دروس علوم البلاغة من كتاب «البناية في شرح البداية في علوم البلاغة»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ مقدمة المصنف عفا الله عنه.

قال المصنف عفا الله عنه:

«مقدمة

الحمد لله الذي نظم جواهر البلاغة بأسلاك البيان، وألهم كل بليغ بديعَ ما يعبِّر به عن معاني الحال والشان، وصلاة وسلامًا على أفصح من نطق بالضاد، وعلى آله وصحبه فرسان الفصاحة، وبعد، فهذه رسالة موجزة كتبتُها في علوم البلاغة، تبصرةً للمبتدي، وتذكرةً للمنتهي، والله أسال أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وأن ينفع بها كلَّ مسلم، إنه على كل شيء قدير».

هذه هي مقدمة المصنف عفا الله عنه، وهي تشتمل علىٰ خمسة أمور:

الأمر الأول: ثناء علىٰ الله تعالىٰ.

الأمر الثاني: دعاء للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وآله، وأصحابه.

الأمر الثالث: موضوع هذا الكتاب.

الأمر الرابع: الفائدة، والغاية من تأليف هذا الكتاب.

الأمر الخامس: دعاء منه عفا الله عنه أن يجعل هذا العمل خالصا لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وأن ينفع به جميعَ المسلمين.

هذا مجمل ما اشتملت عليه المقدمة، وعند التفصيل نقول:

الأمر الأول: هو ثناء علىٰ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وهو قوله: «**الحمد لله**»، والحمد هو الثناء علىٰ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بما يستحقه من أنواع المحامد، فمعنىٰ الحمد لله: أُثبت لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ جميع أنواع المحامد، فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يُحمد علىٰ تفرده بالربوبية، فهو الرب الواحد سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ويُحمد سبحانه علىٰ تفرده بالألوهية حيث إنه الإله الواحد سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الذي لا شريك له، ويُحمد سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ علىٰ تفرده بالأسماء والصفات، فهو سميعٌ بصيرٌ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عَدل بين عباده، ويُحمد كذلك سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ علىٰ قضائه وقدره، ويُحمد علىٰ شرعه الذي شرعه لنا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

إذن معنى «الحمد لله»: أي أثبت لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ جميع أنواع المحامد.

ومعنى قوله: «الذي نظم جواهر البلاغة بأسلاك البيان»: هذا تشبيه من المصنِّف عفا الله عنه حيث شبَّه البلاغةَ بأنها جواهر تنظم، ويُضم بعضها إلىٰ بعض بالأسلاك «**الذي نظم جواهر البلاغة بأسلاك البيان**»، وشبَّه البيان بأن له أسلاكا يَضُم أفراد البلاغة بعضها إلىٰ بعض، يعني كأن البلاغة هذه جواهر مثل الجواهر التي توضع في العُقْد، والبيان هو السِّلك الذي تدخل فيه هذه الجواهر.

ومعنى قوله: «وألهم كل بليغ بديعَ ما يعبر به عن معاني الحال، والشان»: أي ألقىٰ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في نفس كل بليغ بديعَ ما يعبر به عن حاله، وعما في ضميره، والبليغُ هو الذي يتكلم بكلام يطابق مقتضىٰ الحال، يعني يتكلم بكلام يناسب الحال التي هو فيها.

وقالوا: المراد بالحال الأمر الداعي إلىٰ التكلم، ما الذي جعلك تتكلم؟ هذا هو

الحال، فإن كان حزنا، فحالك حزن، وإن كان فرحا، فحالك فرح، فالبليغ يعبر عن الحزن بمعانٍ تناسبه، ويعبر عن الفرح بمعانٍ تناسبه.

ومعنى قوله: «والشان»: أي الشأن، وخُففت الهمزة فصارت الشان.

أما الأمر الثاني الذي اشتملت عليه المقدمة وهو الدعاء للرسول ﷺ وآله وصحبه، قال: «**وصلاة، وسلامًا على أفصح من نطق بالضاد، وعلى آله وصحبه فرسان الفصاحة**»: هذا دعاء من المصنف عفا الله عنه أن يصلي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويسلِّم علىٰ أفصح من نطق بالضاد ﷺ.

والصلاة من الله: ثناء في الملأ الأعلىٰ.

والسلام من الله: هو التسليم من الأهوال، والشرور من الدنيا والآخرة، فكأن المصنِّف يدعو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يثني علىٰ نبيه محمد ﷺ وآله وصحبه، وأن يسلمهم من الآفات والشرور في الدنيا والآخرة، ولماذا خصت اللغة العربية بحرف الضاد؟ لماذا قيل: لغة الضاد؟ لماذا لم يقال: لغة الميم، أو لغة اللام، أو لغة الجيم، لماذا؟

قال العلماء: لأن النطق بهذا الحرف مخصوص بالعرب، يعني لا يستطيع أن ينطق بحرف الضاد إلا عربي، كذلك قالوا: لأن حرف الضاد لا يوجد في غير لغة العرب.

وآل النبي ﷺ هم أتباعه علىٰ دينه، فكل من اتبع النبي ﷺ إلىٰ قيام الساعة فهو من آله ﷺ.

أما أصحابه، فهم الذين لقوه ﷺ مؤمنين به، وماتوا علىٰ ذلك.

وقوله: «فرسان الفصاحة»: تشبيه حيث شبَّه الفصاحة بأنها خيل يركبها الفرسان، والفصاحة هي ملكة يستطيع بها المتكلِّم أن يعبِّر عن المقصود بلفظ فصيح.

وقيل: هي عبارة عن الألفاظ الظاهرة المعنىٰ المألوفة الاستعمال عند العرب.

يعني المتكلم يأتي بألفاظ ظاهرة المعنىٰ، هذه الألفاظ مألوفة الاستعمال عند

العرب لا يأتي بألفاظ غير مألوفة، وإنما يأتي بألفاظ مألوفة معروفة عند العرب.

وهنا فائدة: ما الفرق بين الفصاحة، والبلاغة؟

قالوا: الفصاحة يوصف بها اللفظ، أما البلاغة فلا تكون وصفا إلا للألفاظ مع المعاني، فلا يقال: هذه كلمة بليغة، وإنما يقال: هذه كلمة فصيحة.

ثم قال المصنف عفا الله عنه: «وبعد»: وهذه الكلمة كلما قرأتها، أو سمعتها فاعلم أن المتكلم، أو الكاتب سيدخل في الموضوع الذي يتكلم من أجله، أو يكتب من أجله، لذلك دخل المصنف عفا الله عنه في موضوع الكتاب بقوله: **«فهذه رسالة موجزةٌ، كتبتها في علوم البلاغة»**.

هذا الموضوع الثالث الذي اشتملت عليه المقدمة، **«هذه»** إشارة إلىٰ ما سيكتبه من مجمل علوم البلاغة.

ومعنى قوله: «من رسالة موجَزة»: أي مختصَرة، والموجَز ما قل لفظه، وكثر معناه، وما الفائدة من تأليف المختصرات؟

الفائدة أن يحفظها طالب العلم، ثم بعد ذلك يأخذ شرحها، ثم يترقىٰ في هذا العلم شيئًا فشيئًا، لذلك قال السلف: من حفِظ المتون نال الفنون، وقال الرَّحبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**فاحفظ فكل حافظ إمام**»، فالذي يحفظ هذا يصير إماما بخلاف الذي لا يحفظ.

وقوله: «كتبتها في علوم البلاغة»: أي موضوع هذه الرسالة في علوم البلاغة الثلاثة، ما هي؟ البيان، والمعاني، والبديع.

ثم ذكر الموضوع الرابع الذي اشتملت عليه هذه المقدمة، وهو الفائدة من تأليف هذا الكتاب.

قال: «تبصرة للمبتدي»: أي كتبت هذا المختصر؛ لأجل أن يبصِّر طالب العلم بعلوم البلاغة حتىٰ يستطيع أن يفهم القرآن والسنة فهما صحيحا، ويستطيع أن يدرك فصاحتهما وبلاغتهما وهذا هو السبب الأول الذي جعل المصنف عفا الله عنه يصنِّف هذه الرسالة.

السبب الثاني، **قال: «وتذكرةً للمنتهي»**: يذكِّر المنتهي الذي وصل إلىٰ نهاية علوم البلاغة بقواعدها، ومبادئها.

ثم ختم المقدمة بالموضوع الخامس والأخير، وهو الدعاء، **قال: «واللّٰهَ أسال أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم»**: أي لا يدخلها الرياء؛ لأن العمل إذا كان لغير الله فإنه لا يقبل.

احذر أيها الأخ الكريم، واحذري أيتها الأخت الكريمة أن تعملا عملا لا تريدا به وجه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، كلما عمل الواحد منا عملا ينبغي أن ينظر إلىٰ الدافع الذي جعله يعمل هذا العمل، قبل أن تعمل أي عمل سواء طاعة أوعادة، فإن كان طاعة فأنت تنوي به أن يكون لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، تريد به الثواب والجزاء من الله، وإن كان عادة انوِ به التقوي علىٰ طاعة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ حتىٰ تثاب علىٰ هذا العمل، وتأتي يوم القيامة من أصحاب الأجور العظيمة.

وقد قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾﴾ [الزُّمَر:١١].

وقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البيِّنة:٥].

وقال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد**»، أي مردود عليه، أي لا يقبله الله عَزَّوَجَلَّ منه.

وقال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إنما الأعمال بالنية**»، أي صحيح الأعمال وفاسدها بالنية، فَيُنظر إلىٰ نيتك إن كانت لله فهذا العمل تؤجر عليه، وإن كانت لغير الله فإن هذا العمل لا تؤجر عليه.

قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**وإنما لكل امرء ما نوىٰ**»، يعني لا حظ لك في الذي تعمله إلا بمقدار ما نويت، ثم ضرب النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مثالين للنية، فقال: «**من كانت هجرته إلىٰ الله ورسوله فهجرته إلىٰ الله ورسوله** -أي أجره علىٰ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ورسوله- **ومن كانت هجرته إلىٰ دنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها**»، أي من كانت هجرته، وعمله لغير الله فهجرته إلىٰ ما هاجر إليه، ولم يذكر هنا هجرته إلىٰ دنيا، أو

امرأة كما ذكر في الأول «**فهجرته إلىٰ الله ورسوله**»؛ تحقيرا لحال من يريد بعمله غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثم دعا المصنف عفا الله عنه بدعوة ثانية وهي قوله: «**وأن ينفع بها كل مسلم**»، أي أن ينفع بهذه الرسالة، وبهذا الكتاب جميع المسلمين، فالعمل إن لم يكن نافعا صار وبالا علىٰ صاحبه، وكان من دعاء النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع**».

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: «**العلم ما نفع، ليس العلم ما حُفظ**»، يعني العلم الذي سينفعك في الآخرة هو العلم الذي تعمل به، وليس العلم الذي تحفظه.

بعض الناس يظن أن العلم فقط حفظ، يحفظ الأحاديث، ويحفظ القرآن، ويحفظ المتون، وأخلاقه ليست بأخلاق المسلمين، ومعاملاته ليست بمعاملات المسلمين، تجده في بيته لا يتعامل مع زوجته وأولاده بأخلاق النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتجده في السوق لا يتعامل بآداب، وشرائع الإسلام، فهذا علم لا ينفع، لذلك سل الله عَزَّ وَجَلَّ كثيرا أن يعيذك من علم لا ينفع.

ثم ختم المقدمة بقوله: «**إنه على كل شيء قدير**»: أي لا يعجزه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٠].

❁❁❁

سؤال الدرس

ما هي الأمور الخمسة التي اشتملت عليها مقدمة المصنف عفا الله عنه، اذكرها بإجمال.

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الثالث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الإخوة المؤمنون، وأيتها الأخوات المؤمنات في هذه الدورة العلمية المباركة، وهذا هو الدرس الثالث من دروس البلاغة من كتاب «البناية في شرح البداية في علوم البلاغة»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ مجمل كتب علوم البلاغة.

قال المصنف عفا الله عنه:

«البلاغة

وفيها ثلاثة كتب:

الكتاب الأول: علم المعاني.

الكتاب الثاني: علم البيان.

الكتاب الثالث: علم البديع».

هذه الكتب الثلاثة هي علوم ثلاثة تشتمل عليها البلاغة، وكتب: جمع كتاب، والكتاب مصدر سمي به المكتوب، كالخلق بمعنىٰ المخلوق.

والكتاب في اصطلاح العلماء: هو اسم لجنس من الأحكام ونحوها، وتشتمل الكتب علىٰ أنواع مختلفة، فهنا كتب البلاغة ثلاثة: علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع.

فعلم المعاني يشتمل علىٰ أنواع الكلام، والقصر، والإيجاز، والإطناب، والمساواة، ونحو ذلك، وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله تعالىٰ.

أما علم البيان فيشتمل علىٰ التشبيه، والمجاز المرسَل، والاستعارة، والكناية.

وأما علم البديع فيشتمل علىٰ المحسِّنات المعنوية، والمحسنات اللفظية.

هذا كله سيأتي تفصيله إن شاء الله تعالىٰ فيما يلي.

إذن عندنا علوم البلاغة ثلاثة، ولا يخلو كتاب من كتب علوم البلاغة المتأخرة من هذه العلوم الثلاثة.

الأول: علم المعاني، وقد سبق أن عرفنا علم المعاني بقولنا: علمٌ يعرف به أحوال اللفظ العربي التي يطابق بها الكلام مقتضىٰ الحال.

فمعنى قولنا: «علم يعرف به أحوال اللفظ العربي»: أي ما يُعرف به من أمور يقتضيها المقام، فالمقام قد يقتضي تقديما، أو تأخيرا، أو ذِكرا، أو حذفا، أو فصلا، أو وصلا إلىٰ غير ذلك.

ومعنى قولنا: «التي يطابق بها الكلام»: أي يجيء الكلام بصورة خاصة، هذه الصورة يستدعيها الحال، فلكل حال مقام، ولكل حال صورة تناسبه من الكلام، فالحال قد يقتضي كما ذكرت تقديم الكلام، أو تأخيره، أو ذكر بعض الأشياء، أو حذف بعض الأشياء إلىٰ غير ذلك.

ومعنى قولنا: «مقتضى الحال»: الحال هو المقام الذي ورد فيه الكلام، والمقام يختلف باختلاف الأحوال، فمقام المدح مثلا يحتاج إلىٰ بسط في الحديث، فلو أوجز في الحديث لحدث خلل في المقام، ومقام النفي يحتاج إلىٰ إجمال في الحديث، فلو بسط في الحديث عند النفي لحدث خلل في المقام، وهكذا.

ويشتمل علم المعاني على أربعة أبواب:

الأول: الكلام.

الثاني: القصر.

الثالث: الإيجاز، والإطناب، والمساواة.

الرابع: الوصل، والفصل.

أما علم البيان قد عرفناه قبل ذلك بقولنا: هو علم يعرف به إيراد المعنىٰ الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه.

ومعنىٰ ذلك أن يأتي المعنىٰ في عدة طرق بعضها واضح الدلالة، وبعضها أوضح، لماذا؟

لأن المقصود من علم البيان وضوح الدلالة، فغاية البيان أن يوضِّح الدلالة المرادة.

ومعنى البيان في اللغة: الإظهار، ومنه قول الرسول صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن من البيان لسِحرا**».

وعلم البيان يشتمل على أربعة أبواب:

الأول: التشبيه.

الثاني: المجاز المرسَل.

الثالث: الاستعارة.

الرابع: الكناية.

أما العلم الثالث، وهو علم البديع فقد تقدم تعريفه في قولنا: هو علمٌ يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية مطابقة الكلام لمقتضىٰ الحال، ورعاية وضوح الدلالة.

فمعنى قولنا: «علم يعرف به وجوه تحسين الكلام»: أي هذا العلم يهتم بمعرفة تصور المعاني، وكذلك يهتم بأعداد، وتفاصيل، ومنشأ الحسن في المعاني، وهذه تنقسم قسمين:

١- محسنات معنوية.

٢- ومحسنات لفظية.

ومعنى قولنا: «بعد رعاية مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ورعاية وضوح الدلالة»: أي بعد أن يؤدي علم المعاني، وعلم البيان مهمتهما، فعلم البديع علم مكمِّل لعلمي

المعاني والبيان، والبديعُ مأخوذ من بدع الشيء، إذا أنشأه وبدأه من غير مثال سابق.

وعلم البديع يشتمل على بابين:

الأول: المحسِّنات المعنوية، وهي الطباق، والمقابَلة، والتَّورِية.

أما الباب الثاني فهو المحسنات اللفظية، وهو الجِناس، والسَّجْع، والاقتباس.

كل هذا سيأتي تفصيله إن شاء الله تعالىٰ فيما يلي.

أسئلة الدرس

السؤال الأول: ما هي الموضوعات التي يشتمل عليها كل مما يأتي:

الأول: علم المعاني.

الثاني: علم البيان.

الثالث: علم البديع.

السؤال الثاني: عرف كلا مما يأتي مع شرح التعريف شرحا مجملا.

الأول: علم المعاني.

الثاني: علم البيان.

الثالث: علم البديع.

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الرابع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الإخوة المؤمنون، وأيتها الأخوات المؤمنات في هذه الدورة العلمية المباركة، وهذا هو الدرس الرابع من دروس البلاغة من كتاب «البناية في شرح البداية في علوم البلاغة»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ أول أبواب علم المعاني، وهو الكلام عند البلاغيين.

قال المصنف عفا الله عنه:

«الكتاب الأول: علم المعاني

وفيه أربع أبواب:

الباب الأول: الكلام.

الباب الثاني: القصر.

الباب الثالث: الإيجاز، والإطناب، والمساواة.

الباب الرابع: الوصل، والفصل».

هذه الأبواب الأربعة هي الأبواب التي يشتمل عليها علم المعاني، والأبواب: جمع باب، والباب: يُطلق علىٰ الصنف، ويُدخل منه إلىٰ المقصود، وربما يسأل سائل فيقول: ما الفائدة من دراسة علم المعاني؟

قال العلماء: الفائدة من دراسة علم المعاني إعانة المتكلم علىٰ تأدية الكلام بحيث يكون مطابقا لمقتضىٰ الحال مع وفائه بغرض بلاغي يُفهم ضمنا من سياقه.

يعني علم المعاني يجعلك أيها المتكلم تؤدي الكلام مطابقا للحال التي أنت فيها.

ومعنى قوله: «الباب الأول: الكلام»: أي من حيث الخبرُ، والإنشاء.

ومعنى قوله: «الباب الثاني: القصر»: أي من حيث طرقُه، وأنواعه.

ومعنى قوله: «الباب الثالث: الإيجاز والإطناب والمساواة»: هذه طرق ثلاثة للتعبير عن الكلام، فالإيجازُ بمعنىٰ الاختصار، والإطنابُ بمعنىٰ التطويل، والمساواةُ بمعنىٰ المماثلة.

وسيأتي تعريف ذلك إن شاء الله تعالىٰ كل في موضعه.

ومعنى قولنا: «الباب الرابع: الوصل، والفصل»: أي من حيث المواضع التي يجب فيها الوصل، والمواضع التي يجب فيها الفصل، فهناك مواضع يجب أن نصل الكلام بعضه ببعض، وهناك مواضع يجب أن نفصل الكلام عن بعضه ببعض، هذه المواضع سيأتي ذكرها إن شاء الله تعالىٰ في الباب الرابع.

ثم شرع المصنف عفا الله عنه في بيان ما ذكره إجمالا، فقال:

«الباب الأول: الكلام

وفيه سبعة ضوابط:

الضابط الأول: أنواعه اثنان:

الأول: كلام خبري.

الثاني: كلام إنشائي».

قوله: «الباب الأول: الكلام»: أي عند البلاغيين، فالكلام عند البلاغيين يختلف عن الكلام عند النحويين ويختلف عن الكلام عند اللغويين، فكلٌّ لهم اصطلاح، فهنا الحديث عن الكلام عند البلاغيين.

وقوله: «**وفيه سبعة ضوابط**»: أي جماع ضوابط الكلام عند البلاغيين سبعة.

وضوابط: جمع ضابط، والضابط في اصطلاح العلماء: هو كل ما يَحصر ويَحبس سواء كان بالقضية الكلية، أو بالتعريف، أو ببيان أقسامه، أو شروطه، أو أسبابه وحصرها، فهو كل ما يحصر جزئيات أمر معين.

معنى هذا الكلام: أن الضابط إما أن يأتي تعريفا، قال مثلا: الطهارة هي كذا، وإما أن يأتي أقساما، أقسام الطهارة، أقسام الصلاة، إلىٰ آخره، وإما أن يأتي شروطا، كشروط صحة الصلاة، وشروط صحة النكاح إلىٰ غير ذلك، وإما أن يأتي أسبابا، كأسباب الإرث، وأسباب القصاص إلىٰ آخره.

إذن الضابط يجمع جزئيات أمر معين، وهو بخلاف القاعدة، **فالقاعدة** تجمع جزئيات ولكن من أبواب شتىٰ، أما **الضابط** فمن باب واحد.

ومعنى قوله: «**أنواعه اثنان**»: أي أنواع الكلام عند البلاغيين اثنان، ما هما؟

قال: «**الأول: كلام خبري، والثاني: كلام إنشائي**»: يعني الكلام عند البلاغيين إما أن يكون كلاما خبريا، وإما أن يكون كلاما إنشائيا، ولا يوجد قسم ثالث، طيب ما هو الكلام الخبري؟ وما هو الكلام الإنشائي؟

عرَّف ذلك في الضابطين الثاني، والثالث بقوله: «**الضابط الثاني: الكلام الخبري: هو كل كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته.**

الضابط الثالث: الكلام الإنشائي: هو كل كلام لا يحتمل صدقا، ولا كذبا».

ومن هذين التعريفين نستطيع أن نفرق بين الكلام الخبري، والكلام الإنشائي، فما الفرق؟

الكلام الخبري كلام تستطيع أن تصفه بالصدق، أو بالكذب، تستطيع أن تقول: هذا المتكلم صادق، وتستطيع أن تقول: هذا المتكلم كاذب.

ومثل ذلك: أن يقال لك: جاء زيد، أو: نجح عمر، أو: بكر مسافر، أو: محمد مقيم، كل هذا الكلام تستطيع أن تصفه بالصدق، أو بالكذب.

ومعنى قولنا: «لذاته»: أي حيث هي أخبار بصرف النظر عن قائلها؛ لأننا في بعض الأحيان قد نصف الخبر بالصدق فقط، أو نصفه بالكذب فقط، ولكن ذلك ليس باعتبار ذاته كخبر، وإنما باعتبار أسباب أخرىٰ خارجة عن نطاق العبارة تؤيد صدقه، أو كذبه.

فمثلا: القرآن الكريم لا يحتمل إلا الصدق، فلا يمكن أن نصفه بالكذب.

كذلك أخبار الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الثابتة عنه لا يمكن أن نصفها بالكذب.

كذلك النظريات العلمية التي أثبتت التجارب صحتها لا يمكن أن نصفها بالكذب.

مثال ذلك: قولنا: قيعان البحار مظلمة، فهذا خبر لا يحتمل إلا الصدق.

إذن الكلام الخبري نستطيع أن نصفه بالصدق، أو بالكذب.

أما الكلام الإنشائي فهو كلام لا نستطيع أن نصفه بالصدق أو بالكذب، ومن ذلك: أسلوب الأمر، وأسلوب النهي، وأسلوب الاستفهام، وأسلوب التمني، وأسلوب النداء، فكل هذه الأساليب لا يمكن أن نصفها بالصدق أو بالكذب.

ومثال أسلوب الأمر: قولك: سافر يا إبراهيم، فإذا سمعت هذا الكلام لا يمكن أن تقول: هو صادق، أو كاذب، فهذا كلام إنشائي.

ومثال أسلوب النهي: لا تسافر يا إبراهيم، لا تأتِ يا زيد، لا تلعب يا عمرو، وكل هذه الأمثلة لا يمكن أن تقول: هي صادقة، أو: كاذبة.

ومثال أسلوب الاستفهام: هل قمت الليل الليلة الماضية؟، هل تحافظ علىٰ الصلوات الخمس في جماعة؟

هذا أسلوب استفهام لا يمكن أن تصف الكلام بالصدق، ولا الكذب.

ومثال أسلوب التمني: قولك: ليتني صاحبت الصالحين، أو: ليتني اجتهدت في دروسي، فهذا الكلام لا يمكن أن تصفه بالصدق، أو بالكذب.

ومثال أسلوب النداء: قولك: يا بُني تعلَّم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الحديث.

هذه وصية من حكيم لابنه، يعني ينبغي أن نتعلم حسن الاستماع للآخرين كما نتعلم حسن الحديث معهم، فهذا الكلام لا يحتمل صدقا، ولا كذبا، فهو كلام إنشائي.

ثم قال المصنف عفا الله عنه: «**الضابط الرابع: أركانه اثنان:**

الأول: مسنَد.

والثاني: مسنَد إليه».

ومعنىٰ ذلك أن الكلام الإنشائي، أو الخبري يتكون من ركنين:

الأول: مسنَد.

والثاني: مسنَد إليه.

والمسنَد يسمىٰ مخبَرا عنه، أو محكوما به.

والمسنَد إليه يسمىٰ مخبَرا عنه، أو محكوما عليه.

ولكلٍّ من المسنَد، والمسنَد إليه مواضع:

فمن مواضع المسند: الفعل، فكل فعل يسمىٰ مسندا.

مثال ذلك: قولك: حضر العالم، فكلمة **حضر** تسمىٰ مسند.

ومن مواضع المسند أيضًا: المبتدأ المكتفي بمرفوع

مثال قولك: أناجح زيد، فكلمة **ناجح** تسمىٰ مسند.

كذلك من مواضع المسند: خبر المبتدأ.

مثال قولك: أخوك مهذب، **فمهذب** خبر تسمىٰ عند البلاغيين بالمسنَد.

كذلك من مواضع المسند: ما أصله خبر المبتدأ، كخبر كان وأخواتها، وخبر إن وأخواتها.

مثال قولك: كانت السُّنة ظاهرة، و: إن الإسلام منتصرٌ، فكلمتا **ظاهرة، ومنتصر** تسميان عند البلاغيين بالمسند، لماذا؟

لأن أصلهما خبر المبتدأ، فكلمة **ظاهرة** خبر كان، وكلمة **منتصر** خبر إن.

أما المسند إليه، فمن مواضعه: الفاعل.

مثال قولك: جاء زيد، فكلمة **زيد** فاعل تسمىٰ عند البلاغيين بالمسنَد إليه، أما كلمة **جاء** فعل، وقد سبق أن قلنا إن من مواضع المسند الفعل.

كذلك من مواضع المسنَد إليه: نائب الفاعل.

مثال قوله تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ [الكهف:٤٩] فكلمة **كتاب** تسمىٰ عند البلاغيين بالمسند إليه.

كذلك من مواضع المسند إليه: المبتدأ الذي له خبر.

مثال قولك: الصدق نجاة، فكلمة **الصدق** تسمىٰ عند البلاغيين بالمسند إليه، أما كلمة **النجاة** فخبر، والخبر من مواضع المسند، ولذلك تسمىٰ عند البلاغيين بالمسنَد.

كذلك من مواضع المسنَد إليه: ما أصله المبتدأ، كاسم كان وأخواتها، وكاسم إنَّ وأخواتها.

مثال قوله: إن السماء صافية، أو: كان العدل سائدا، فكلمتا **السماء، والعدل** تسميان عند البلاغيين بالمسند إليه، أما كلمة **سائدا، وصافية** فتسميان عند البلاغيين بالمسند؛ لأننا عرفنا أن من مواضع المسند ما أصله خبر المبتدأ كخبر كان وأخواتها، وخبر إن وأخواتها.

ثم قال المؤلف عفا الله عنه:

«الضابط الخامس: أنواع الإنشاء اثنان:

١- إنشاء طلبي.

٢- وإنشاء غير طلبي».

أي الكلام الإنشائي إما أن يكون كلاما طلبيا، وإما أن يكون كلاما غير طلبي، ثم بين الطلبي، وغير الطلبي، فقال: **«الضابط السادس:**

الإنشاء الطلبي: هو ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقتَ الطلب.

الضابط السابع: الإنشاء غير الطلبي: هو ما لا يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب».

أي الفرق بين الكلام الطلبي، والكلام غير الطلبي أن الكلام الطلبي يُفهم منه الطلب، أما الكلام غيرُ الطلبي، فلا يُفهم منه الطلب، **فالكلام الطلبي** يحصل بعد الطلب، ويكون بخمسة أشياء: الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء.

ومثال الأمر: قوله تعالىٰ: ﴿خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم:١٢]، فهذا كلام إنشائي طلبي.

وأيضًا مثال الأمر: قوله تعالىٰ: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾[الطلاق:٧]، فهذا كلام إنشائي طلبي نوعه أمر.

ومثال النهي: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف:٥٦]، فهذا كلام إنشائي طلبي يُفهم منه الطلب، وهو عدم الإفساد في الأرض.

ومثال الاستفهام: قولك: أزيد مسافر، أم عمرو؟، أو تقول: هل قدم الحاج؟ أو تقول: من المسافر؟، فكل هذا يسمىٰ كلاما إنشائيا طلبيا نوعه استفهام.

وهنا فائدة موجودة في الكتاب، وهي أدوات الاستفهام، وهي الهمزة، وهل، وما، ومَن، ومتىٰ، وأيَّان، وأين، وكيف، وأنَّىٰ، وكم، وأي، وهي تنقسم ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما يُطلب به التصوُّر تارة، والتصديق أخرىٰ وهو الهمزة.

والقسم الثاني: ما يُطلب به التصديق فحسب وهو «هل» يعني تقول: نعم، أو لا.

القسم الثالث: ما يُطلب به التصور فقط، وهو بقية أدوات الاستفهام.

أما التمني، فمثاله قول الشاعر:

ليت الكواكب تدنو لي فأنظمَها ... عقودَ مدح فما أرضى لكم كَلِمي

فهذا كلام إنشائي طلبي نوعه تمني.

أما الكلام غير الطلبي، فقلنا: هو كلام لا يراد منه الطلب، ويكون بالتعجب، والقَسَم، وصيغ العقود.

والمراد بصيغ العقود: عقود البيع، والزواج، والطلاق، والإجارة ونحو ذلك.

أما التعجب: فمثاله: قوله تعالىٰ: ﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ﴾ [مريم:٣٨]، فهذا كلام إنشائي غير طلبي نوعه تعجب، أي ليس المراد منه الطلب.

وأما القسم: فمثاله: والله لأجاهدنَّ في سبيل الله، فهذا قَسَم، وهو كلام إنشائي غير طلبي نوعه قسم.

وأما صيغ العقود: فمن أمثلتها: بعت ثوبي، وأعرت إنائي، ورهنت بيتي، وطلقت زوجتي، فهذا كله كلام إنشائي غير طلبي نوعُه صيغ عقود.

وهنا فائدة مذكورة في الكتاب، **وهي أنواع الكلام الخبري.**

الكلام الخبري ينقسم أقساما، والأصل في الكلام الخبري أن يكون خاليا من التوكيد، لماذا؟

لأن التوكيد إن لم يكن لفائدة كان لَغوا، والكلام الخبري باعتبار اشتماله علىٰ التوكيد، وخلوه منه ينقسم ثلاثة أقسام:

الأول: خبر ابتدائي.

الثاني: خبر طلبي.

الثالث: خبر إنكاري.

أما الخبر الابتدائي: فهو خبر خال من التوكيد، وهذا يكون عند مخاطبة خالي الذهن الذي لا يحتاج إلىٰ توكيد، أي إذا خاطبت إنسانا خال الذهن ينبغي ألا تؤكد الكلام بأي أداة من أدوات التوكيد.

مثال ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الكهف:٤٦].

أما الخبر الطلبي: فهو الخبر الذي يحصل توكيده، وهذا يكون عند مخاطبة المتردِّد الشاك في حصول الخبر.

ومثاله: أن تقول: قد سافر محمد، أو تقول: إن محمدًا مجتهد.

فهنا أكد الكلام في الجملة الأولىٰ بـ «قد»، والثانية بـ «إنَّ»، وهما من أدوات التوكيد، وذلك لأجل أن المخاطب متردِّد شاك في حصول الخبر.

أما الخبر الإنكاري: هو الخبر الذي يجب توكيده بمؤكِّد، أو مؤكِّدين، أو ثلاثة حسب قوة الإنكار، ويكون ذلك عند مخاطبة منكِرٍ لحصول الخبر.

مثال ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ١٦﴾ [يس:١٦]

فهنا أكدَّ الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ هذا الخبر بمؤكِّدين وهما «**إن**»، و«**اللام**» في قوله: ﴿لَمُرۡسَلُونَ﴾.

وقولك أيضًا: والله إن أخاك لمسافر.

فهذه الجملة فيها ثلاث أدوات من أدوات التوكيد، وهي القسم «والله»، وإنَّ، واللام في لمسافر.

❁❁❁

أسئلة الدرس

السؤال الأول: ضع علامة صح أمام العبارة الصحيحة، وعلامة خطأ أمام العبارة الخاطئة مع تصويب الخطأ.

الأول: الكلام الإنشائي يحتمل الصدق، والكذب.

الثاني: أخبار القرآن لا تحتمل إلا الصدق.

الثالث: من مواضع المسند إليه الفعل، وخبر المبتدأ.

الرابع: من مواضع المسند إليه المبتدأ الذي له خبر، واسم كان وأخواتها.

الخامس: الإنشاء الطلبي هو ما لا يستدعي مطلوبا غير حاصل وقتَ الطلب.

السادس: من الإنشاء الطلبي التمني، والتعجب، وصيغ العقود.

السؤال الثاني: بيِّن أنواع الجمل الآتية، وعيِّن المسنَد، والمسنَد إليه:

الأولى: يا معشر المسلمين.

الثانية: لا تصاحب نمَّاما.

الثالثة: لا تجادل بالباطل.

الرابعة: بعث الله رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحق.

السؤال الثالث: بيِّن أنواع الجمل الآتية من حيث الإنشاء الطلبي، والإنشاء غير الطلبي:

الأولى: يا محمد اتق الله.

الثانية: لا تجلس علىٰ القبر.

الثالثة: حي علىٰ الصلاة.

الرابعة: ما أكرم المسلمين.

الخامسة: من أفضل الملائكة؟

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الخامس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الإخوة المؤمنون، وأيتها الأخوات المؤمنات في هذه الدورة العلمية المباركة، وهذا هو الدرس الخامس من دروس علوم البلاغة من كتاب «البناية في شرح البداية في علوم البلاغة»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ تعريف القصر، وأشهر طرقه، وأركانه، وأنواعه.

قال المصنف عفا الله عنه:

«الباب الثاني: القصر

وفيه أربعة ضوابط:

الضابط الأول: القصر: هو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص».

هذا تعريف القَصْر عند البلاغيين، ومعنىٰ ذلك: أن القصر هو اختصاص المقصور بالمقصور عليه بحيث لا يتجاوزه، ولا يتعداه لغيره، وستأتي أمثلة علىٰ ذلك إن شاء الله تعالىٰ فيما يلي.

ثم قال المصنف عفا الله عنه: «الضابط الثاني: أشهر طرق القصر أربعة:

الأول: النفي، والاستثناء.

الثاني: إنما.

الثالث: العطف بـ «لا»، أو «بل»، أو «لكن».

الرابع: تقديم ما حقُّه التأخير».

ومعنى قولنا: «أشهر طرق القصر»: أي أشهر طرق القصر عند البلاغيين.

وقد اتفق البلاغيون علىٰ أن للقصر البلاغي طرقا معينة لا يتجاوزها، وهذه الطرق ستة، وقد ذكر المصنف عفا الله عنه أشهرها وهي أربعة:

الأول: النفي، والاستثناء.

ومعناه أن يثبت المتكلِّم شيئًا لشيء، وينفي ما عداه عنه، فهذا الطريق، -أعني النفي والاستثناء- أقوىٰ طرق القصر.

ومثاله: قول الله تعالىٰ: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ٣١﴾ [يوسف:٣١].

ففي هذه الآية نفت النسوة عن يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أن يكون بشرا، ثم استثنيت شيئًا واحدا، وهو كونه مَلَكا، وهذا يسمىٰ بالقصر، والتخصيص.

مثال آخر: قولك: ما أعجبني إلا خُلُقَك.

ففي هذه الجملة نفىٰ المتكلم الإعجاب عن كل ما يعجب، وهذا نفي عام، ثم استثنىٰ شيئًا واحدا وهو الخلق، وهذا يسمىٰ قصر، وتخصيص.

إذن الطريق الأول من طرق القصر هو النفي، والاستثناء، ومعناه أن ينفي المتكلم ما يريد نفيه، ثم يثبت ما يريد إثباته.

أما الطريق الثانية: وهي إنما.

هذه كلمة «**إنما**» تتضمن معنىٰ «**ما**» النافية، و«**إلا**» الاستثنائية، ففيها نفي، وإثبات.

ومثال ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [طه:٩٨].

فهنا أثبت الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ الألوهية لله وحده، ونفاها عن كل ما سواه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

مثال آخر: حديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**إنما الأعمال بالنية**»، ففي هذا الحديث قصر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قبول الأعمال علىٰ النية.

وكذلك من الأمثلة على ذلك: قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا﴾ [التوبة:٦٠] إلىٰ آخر هذه الآية.

فهنا قصر الله عَزَّوَجَلَّ الصدقات، وهي الزكاة علىٰ الأصناف الثمانية المذكورة في هذه الآية، فلا يجوز إخراج الزكاة في غير هذه الأصناف الثمانية، وهذا هو القصر.

الطريق الثالثة من طرق القصر: العطف بـ «لا»، أو «بل»، أو «لكن».

هذه الحروف الثلاثة تفيد القصر دون غيرها من حروف العطف، لماذا؟

لأنها هي التي يمكن أن تحقق ما يَعتمد عليه القصر من نفي وإثبات؛ لأنه يشترط في القصر نفي وإثبات، فهذه الحروف تحقق النفي والإثبات.

أما الحرف الأول: وهو «لا»، فإنه يفيد القصر بثلاثة شروط لا بد أن تتوفر حتىٰ يفيد القصر.

أما الشرط الأول: فهو أن يكون ما بعدها مفردا.

وأما الشرط الثاني: فهو ألا تقترن بالواو.

وأما الشرط الثالث: فهو ألا يتقدمها نفي؛ لأنها موضوعة لأن تنفي ما أوجبته للمتبوع فيجب أن تُسبق بإيجاب.

هذه الشروط الثلاثة إن اختل منها شرط لم تُفد «لا» القصر.

ومن الأمثلة على ذلك: أن تقول: يسأل في الدرس المتيقظ لا النائم.

فهنا «**لا**» أفادت القصر، فأثبت المتكلم السؤال في الدرس للمتيقظ، ونفاه عن النائم، ففي هذا المثال أفادت «لا» القصر، لماذا؟ لتحقق الشروط الثلاثة:

الشرط الأول: أن يكون ما بعد «لا» مفردا، وهنا في المثال كلمة **النائم**، وهي مفرد.

الشرط الثاني: ألا تقترن «بالواو»، فإذا تأملنا المثال وجدنا أن «لا» لم تقترن بالواو، لم يقل: يسأل في الدرس المتيقظ، ولا النائم، فلو قال ذلك لما أفادت «لا» القصر.

الشرط الثالث: ألا يتقدمها نفي، فإذا تأملنا المثال وجدنا أن ما قبل «لا» مثبَت، وليس منفيا.

ومن الأمثلة على ذلك أيضًا: قولهم: شوقي أمير الشعر لا أمير النثر.

ففي هذا المثال قصر المتكلم إمارة الشعر لشوقي، ونفىٰ عنه إمارة النثر، فإذا تأملنا هذا المثال وجدنا أن الشروط الثلاثة توفرت فيه:

الشرط الأول: أن ما بعد «**لا**» مفرد، وهو **أمير**.

الشرط الثاني: أن «**لا**» لم تقترن بالواو.

الشرط الثالث: أن «**لا**» لم تسبق بنفي.

ومن الأمثلة على ذلك أيضًا: قول الله تعالىٰ: ﴿مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖ﴾[الأنعام:١٤٨]، فهذه الآية لا تفيد القصر، لماذا؟

لأن «لا» تقدمها نفي، قوله تعالىٰ: ﴿مَآ أَشۡرَكۡنَا ﴾.

كذلك اقترنت «بالواو» ﴿وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴾.

كذلك ما بعدها جاء جملة، قال: ﴿مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴾ هذه جملة ﴿وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖ﴾.

أما الحرف الثاني: فهو «بل»، ولا يفيد القصر إلا بشرطين:

الأول: أن يكون ما بعدها مفردا.

الشرط الثاني: أن يتقدمها نفي، أو نهي، لماذا؟

لأنها حينئذ تقرر حكم ما قبلها، وتُثبت ضده لما بعدها حيث تتضمن النفي، والإثبات، كما قلنا: يشترط في القصر أن تكون الجملة متضمنة للنفي، والإثبات.

كما ذكرنا في الطريق الأولىٰ، وهي النفي والاستثناء، والطريق الثانية «إنما».

إذن متىٰ اختل أحد هذين الشرطين لم تُفد «بل» القصر.

ومن الأمثلة على ذلك: قولهم: لا يتفاضل الناس بالمال بل بالعلم.

فهنا «بل» أفادت القصر، لماذا؟ لتوفر الشرطين:

الشرط الأول: أن ما بعدها جاء مفردا **العلم**.

الشرط الثاني: أنه تقدمها نفي **لا يتفاضل**.

فهنا أفادت «**بل**» القصر، نفىٰ المتكلم كون المال سببا للتفاضل بين الناس، ثم أثبت أن العلم هو السبب في التفاضل.

ومن الأمثلة أيضًا على ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾ [المؤمنون:٧٠]، هذه الآية لا تفيد القصر، لماذا؟ لعدم توفر الشرطين:

أولا: لم يسبقها نفي، أو نهي.

ثانيا: أنه لم يلحقها مفرد.

ومن الأمثلة أيضًا على ذلك: قولهم: جاء زيد بل بكر.

فهذا الكلام لا يفيد القصر، لماذا؟

لأنه لم يسبقه نفي، أو نهي، وإنما سبقه إثبات، وإنما تفيد القصر إذا قلنا: لم يأت زيد بل بكر، فحينئذ تفيد الإثبات؛ لأن «بل» سبقها نفي، وأتىٰ بعدها مفرد.

أما الحرف الثالث، وهو «لكن»، فإنه لا يفيد القصر إلا بثلاثة شروط:

الشرط الأول: أن يكون ما بعدها مفردا.

الشرط الثاني: ألا تقترن بالواو.

الشرط الثالث: أن يتقدمها نفي، أو نهي.

فاذا اختل شرط من هذه الشروط الثلاثة لم تُفد «لكن» القصر.

ومن الأمثلة على ذلك: قولهم: ما زيد ضعيف لكن قوي.

فهنا «لكن» أفادت القصر، لماذا؟

لأنه أتىٰ بعدها مفرد، وهو **قوي**، ولم تقترن بالواو، وتقدمها نفي **ما زيد**، فهنا نفىٰ المتكلم عن زيد الضعف، ثم أثبت له القوة، فهذا هو القصر.

كذلك من الأمثلة: قولهم: ما عمرو شاعر لكن حسان، فهنا «لكن» أفادت القصر، لماذا؟ لتوفر الشروط الثلاثة:

- أتىٰ بعدها مفرد.
- لم تقترن بالواو.
- تقدمها نفي.

فالمتكلم نفىٰ الشعرية عن عمرو، ثم أثبتها لحسان، فهذا قصر.

ومن الأمثلة أيضًا على ذلك: قولهم: بكر غني لكن بخيل.

فهذه الجملة لا تفيد القصر، لماذا؟

لأنه اختل شرط من شروط «**لكن**»، وهو أن «**لكن**» لم يتقدمها نفي أو نهي، وإنما تقدمها إثبات.

أما الطريق الرابعة: فهو تقديم ما حقُّه التأخير.

ومثال ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:٥].

فهنا أصل الكلام: نعبد إياك، ونستعين إياك، فقدم ما حقه التأخير، وذلك ليفيد القصر والحصر والتخصيص في أن العبادة لا تجوز لغير الله، وأن الاستعانة لا تجوز إلا بالله.

ومن الأمثلة أيضًا على ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١٢٢﴾ [آل عمران:١٢٢].

فأصل الكلام: فليتوكل علىٰ الله المؤمنون، فهنا قدم قوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾ علىٰ ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ﴾، وذلك ليفيد القصر، والحصر، والتخصيص؛ لأن التوكل لا يجوز إلا علىٰ الله تعالىٰ.

وأيضًا من الأمثلة على ذلك: أن تقول: مسلم أنا.

فأصل الكلام: أنا مسلم، فهذا تخصيص، وقصر، وحصر.

هذه المسميات الثلاثة: التخصيص، والحصر، والقصر مسميات لشيء واحد.

فهنا قدم قوله: **مسلم** على الضمير «أنا» يفيد القصر، والحصر في أن الإسلام محصور في المتكلم.

ثم قال المصنف عفا الله عنه: «الضابط الثالث: أركانه اثنان:

الأول: مقصور.

الثاني: مقصور عليه».

يعني القصر يتكون من ركنين، وهذان الركنان يسميان بطرفي القصر مقصور، ومقصور عليه.

أما المقصور: فهو الصفة مقصورة، **والمقصور عليه** هو الذي خُصصت الصفة من أجله.

ومن الأمثلة على ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

فهنا المقصور هو العبادة، والمقصور عليه هو الله جَلَّجَلَالُهُ، قصر العبادة وهي الصفة علىٰ الله وهو المقصور عليه أيضًا.

قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران:١٤٤].

فهنا المقصور الإرسال، والمقصور عليه هو الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فقصر الصفة وهي الإرسال علىٰ المقصور عليه وهو الذي خُصصت هذه الصفة من أجله وهو الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وأيضًا من الأمثلة على ذلك: قولهم: لا ينجح إلا المجتهد.

فهنا قصر صفة النجاح علىٰ المجتهد، وهو المقصور عليه.

ثم قال المصنف عفا الله عنه: «الضابط الرابع: أشهر أنواعه أربعة:

الأول: قصر حقيقي.

الثاني: قصر إضافي.

الثالث: قصر صفة على موصوف.

الرابع: قصر موصوف على صفة».

ومعنى ذلك: أن أشهر أنواع القصر أربعة، وهذا باعتبارين:

الأول: باعتبار الواقع، أو غرض المتكلم، وهذا ينقسم قسمين وهما:

١- قصر حقيقي.

٢- وقصر إضافي.

أما الاعتبار الثاني، فهو باعتبار طرفيه، وينقسم قسمين، وهما:

١- قصر صفة علىٰ موصوف.

٢- وقصر موصوف علىٰ صفة.

النوع الأول: قصر حقيقي، وهو أن يكون النفي فيه عاما ينطبق علىٰ كل ما عدا المقصور عليه.

ومن الأمثلة على ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[محمد:١٩].

فهنا نفىٰ الألوهية عن كل ما سوىٰ الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، فهذا نفي حقيقي.

مثال آخر: قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾[الفاتحة:٥].

فهنا نفي العبادة عن كل ما سوىٰ الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، وكذلك نفىٰ الاستعانة عن كل ما سوىٰ الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

كذلك من الأمثلة: قولهم: لا مجتهد في الفصل إلا زيد.

فهنا نفىٰ الاجتهاد عن كل ما سوىٰ زيد، وأثبته لزيد فقط، هذا قصر حقيقي.

أما النوع الثاني: وهو القصر الإضافي، فهو أن يكون النفي فيه خاصا بمعين.

ومثال ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡ ﴾ [المائدة:١١٧].

ففي هذه الآية قصر عيسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ قوله لقومه علىٰ ما أمره الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ به، وهو عبادة الله وحده، وليس المعنىٰ أنه لم يتكلم معهم بكلام آخر، فهو فقط نفىٰ عن نفسه الكلام في غير ما أمره الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ به.

ومن الأمثلة أيضًا على ذلك: قول القائل: ما زيد إلا مسافر.

فهنا قصر المتكلم السفر علىٰ زيد، وليس معناه أنه لا يوجد مسافر سواه.

كذلك أن يقول القائل: ما بكر إلا قائم.

فقصر المتكلم صفة القيام علىٰ بكر، وليس المراد نفي صفة القيام عن غيره، فهذا يسمىٰ بالقصر الإضافي.

وأما النوع الثالث من أنواع القصر فهو قصر صفة على موصوف، والمراد بالصفة هنا الصفة المعنوية، وليس المراد الصفة النحوية التي تسمىٰ بالنعت.

والمراد بقصر الصفة علىٰ الموصوف أن تختص الصفة بالموصوف، فلا يتصف بها غيره.

ومن الأمثلة على ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾[البقرة:٢٥٥].

ففي هذه الآية قصر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ صفة الألوهية عليه دون غيره، وليس في الآية ما يمنع اتصاف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بغير هذه الصفة، فهذا يسمىٰ قصر الصفة علىٰ الموصوف.

ومن الأمثلة أيضًا: قول أبي العلاء: أبو تمام، والمتنبي حكيمان، وإنما الشاعر البحتري.

فهنا قصر أبو العلاء الشاعرية علىٰ البحتري دون أبي تمام والمتنبي، وليس في الكلام ما يمنع اتصاف البحتري بغير الشاعرية.

أيضًا من الأمثلة على ذلك: قولهم: لا فارس إلا علي.

فهنا قصر الفروسية علىٰ علي فقط دون كل من عداه، وليس فيه ما يمنع اتصاف علي بغير الفروسية.

أما النوع الرابع من أنواع القصر فهو قصر موصوف على صفة، ومعناه أن يختص الموصوف بالصفة دون كل ما عداها من الصفات، ويجوز أن يشارك الموصوف في الاتصاف بهذه الصفة غيره.

ومن الأمثلة على ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾ [آل عمران:١٤٤].

ففي هذه الآية قصر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ صفة الإرسال علىٰ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليس في الآية ما يمنع من اتصاف غير الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذه الصفة.

ومن الأمثلة أيضًا: قوله تعالىٰ: ﴿ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [فاطر:٢٣]

فهنا قصر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ صفة الإنذار علىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دون أن يملك تحويل قلوب المشركين عما هي عليه من الباطل، ولا يوجد في الآية ما يمنع من اتصاف غير النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذه الصفة.

إذن عندنا أنواع القصر أربعة:

الأول: حقيقي، ومعناه أن يكون النفي فيه عامًّا ينطبق علىٰ كل ما عدا المقصور عليه.

الثاني: قصر إضافي، ومعناه أن النفي فيه يكون خاصًّا بمعين.

الثالث: قصر صفة على موصوف، ومعناه أن تحبس الصفة علىٰ الموصوف، فلا يتصف بها ما عداه، ويجوز أن يكون للموصوف صفات أخرىٰ غير الصفة التي قُصرت عليه.

النوع الرابع: قصر موصوف على صفة، ومعناه أن يقصر الموصوف علىٰ الصفة، ويُختص بها دون كل ما عداها من الصفات، ويجوز أن يشارك الموصوف في الاتصاف بهذه الصفة غيره.

❁❁❁

أسئلة الدرس

السؤال الأول: ضع علامة صح أمام العبارة الصحيحة، وعلامة خطأ أمام العبارة الخاطئة مع تصويب الخطأ.

الأولى: القصر باعتبار الواقع ينقسم نوعين قصر حقيقي، وقصر إضافي.

الثانية: قصر الصفة علىٰ الموصوف يجوز أن يكون للموصوف صفات أخرىٰ غير الصفة التي قُصرت عليه.

الثالثة: القصر، والحصر، والتخصيص بمعنىً واحد.

الرابعة: المراد بالصفة في باب القصر الصفة النحوية.

السؤال الثاني: لا تفيد «لا» القصر إلا بثلاثة شروط، وضح ذلك.

السؤال الثالث: أشهر أنواع القصر أربعة، وضح ذلك مع ذكر مثال علىٰ كل نوع.

السؤال الرابع: بيِّن فيما يأتي نوع القصر، وعيِّن كلا من المقصور، والمقصور عليه:

الأول: قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة:٥].

الثاني: قول القائل: إنما زيد يجيد الخط.

الثالث: القرآن أحب.

الرابع: ما عليٌّ إلا شجاع.

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس السادس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الإخوة المؤمنون، وأيتها الأخوات المؤمنات في هذه الدورة العلمية المباركة، وهذا هو الدرس السادس من دروس علوم البلاغة من كتاب «البناية في شرح البداية في علوم البلاغة»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ الإيجاز، والإطناب، والمساواة.

قال المصنف عفا الله عنه:

«الباب الثالث: الإيجاز والإطناب والمساواة

وفيه أربعة ضوابط».

هذه الثلاثة -وهي الإيجاز، والإطناب، والمساواة- هي طرق التعبير عما يكون في النفس من معانٍ تكون علىٰ حسب حال المخاطب.

والإيجاز كما مر معناه: أن تأتي الألفاظ قليلة، والمعنىٰ كثير.

والإطناب عكسه: وهو أن تأتي الألفاظ كثيرة.

والمساواة: أن يساوي اللفظ المعنىٰ.

ثم شرع المصنف عفا الله عنه في بيان هذه الطرق الثلاثة، فقال: «الضابط الأول: الإيجاز: هو جمع معان كثيرة في ألفاظ أقل منها مع الإبانة، والإفصاح».

يعني الإيجاز هو أن يجمع المتكلم معانٍ كثيرة في ألفاظ أقل منها، ويُشترط فيه أن تصحبه الإبانة والإفصاح، فإن لم يف بالغرض سُمي إخلالا.

ومن الأمثلة على ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ [الأعراف:٥٤]

فهذه الآية مع قلَّة ألفاظها، فقد جمعت جميع الأشياء والشؤون علىٰ وجه الاستقصاء، وهذا يسمىٰ إيجازا؛ فلفظ الآية قليل، والمعنىٰ كثير.

كذلك من الأمثلة: حديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنما الأعمال بالنية**».

فهذه ألفاظ قليلة لها معانٍ كثيرة، فقد جمع هذا الحديث الدين كله.

وأيضًا من الأمثلة على ذلك: حديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**».

فهذا الحديث ألفاظه قليلة، ومع ذلك جمع معانٍ كثيرة، وهذا يسمىٰ بالإيجاز.

ومن الأسباب التي تجعل المتكلم يوجز في كلامه:

- تسهيل الحفظ، فالعلماء يكتبون المختصرات، وهي موجزة؛ ليسهل حفظها.
- وكذلك لتقريب الفهم ليفهم الجميع، فقد يتكلم الشيخ محاضرة موجَزة حتىٰ يفهم الجميع، فإن أطنب في الحديث قد لا يفهم البعض.
- كذلك من الأسباب التي تجعل المتكلم يوجز في كلامه: ضيق المقام، ليس عنده وقت كثير ليفصِّل، ويُطْنب في كلامه.
- كذلك إذا أراد المتكلم أن يخفي شيئًا فإنه يلجأ إلىٰ الإيجاز.
- وكذلك إذا كانت عنده سآمة في المحادثة يلجأ إلىٰ الإيجاز، لا يريد أن يتكلم.

ثم ذكر المصنف عفا الله عنه تعريف الإطناب، فقال: «الضابط الثاني: الإطناب: هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة».

يعني الإطناب: أن يأتي بألفاظ زائدة علىٰ المعنىٰ، وذلك لفائدة، فإن لم يكن لفائدة سُمي تطويلا.

ومن الأمثلة على ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم:٤]، فهذا تطويل، لماذا؟

لأن الزيادة غير متعيَّنة، فلو حذف ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ لصح، ولكن التطويل هنا له أسباب أخرىٰ سيأتي ذكرها.

كذلك من الأمثلة: قول الشاعر:

وألفـى قولـهـا كـذبــا ومَيـنًــا.

فلو حذف الشاعر هنا كلمة كذبا لصح الكلام، وكذلك إذا حذف مَينا، والمَين هو الكذب.

كذلك من الأمثلة علىٰ ذلك: قول الشاعر:

وأعلم علم اليــوم والأمس قبله.

فهنا حشو؛ لأن الزيادة متعينة، فكلمة قبله تغني عنها كلمة أمس.

ومن الأسباب التي تجعل المتكلم يتكلم بالإطناب:

- تثبيت المعنىٰ، لذلك الشرح يأتي مطنبا، أي بألفاظ كثيرة حتىٰ يثبت المعنىٰ عند المتلقي.
- وكذلك إذا أراد المتكلِّم أن يوِّضح المراد فإنه يلجأ إلىٰ الإطناب.
- وكذلك إذا أراد أن يؤكِّد المعنىٰ.

ثم ذكر المصنف عفا الله عنه تعريف المساواة، فقال: «الضابط الثالث: المساواة: هي تأدية المعنى المراد بعبارة مساوية له».

يعني اللفظ يأتي مساويا للمعنىٰ بحيث لو أنك حاولت أن تزيد للجملة لفظا لجاءت هذه الزيادة فضلا، وإن أردت أن تسقط كلمة لكان ذلك إخلالا.

ومن الأمثلة على ذلك: قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الأنعام:٦٨]، فهذا مساواة؛ اللفظ يساوي المعنىٰ.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [المزَّمل:٢٠]، فهنا اللفظ يساوي المعنىٰ.

كذلك من الأمثلة: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر:٤٣]، فهنا لفظ يساوي المعنىٰ.

ثم ذكر المصنف عفا الله عنه أنواع الإيجاز، فقال: «الضابط الرابع: أنواع الإيجاز اثنان:

الأول: إيجاز قِصَر.

الثاني: إيجاز حذف».

أما إيجاز القصر فهو أن يُضمِّن المتكلم العبارات القصيرة معان كثيرة من غير حذف.

ومثال ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة:١٧٩].

فهذه الآية معناها كثير، ولفظها قليل، ولا حذف فيها، فلو أن رجلا بليغا كتب مقالا يصور لنا فيه آثار القصاص، وما يعود علىٰ المجتمع من ورائه من منافع إلىٰ آخر ذلك ما استطاع أن يصوِّره كما صوره القرآن، فهذا يسمىٰ إيجاز قِصَر.

أيضًا من الأمثلة: قوله تعالىٰ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف:١٩٩].

فهذه الآية مع قلة ألفاظها قد جمعت كثيرا من مكارم الأخلاق منها: العفو، والصَّفح عمن أساء، وصلة الأرحام، والإعراض عن الجاهلين إلىٰ آخر ذلك.

أما النوع الثاني من أنواع الإيجاز فهو إيجاز حذف، وهو أن يقصد المتكلم إلىٰ إكثار المعنىٰ مع حذف شيء من التركيب ككلمة، أو جملة، أو أكثر مع وجود قرينة تدل علىٰ المحذوف.

ومن الأمثلة على ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ [آل عمران:١٨٤].

فهنا يوجد حذف في الآية، وهو فتأسَّ، واصبر.

أيضًا قوله تعالىٰ: ﴿فَأَرْسِلُونِ ۝٤٥ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ [يوسف:٤٥-٤٦].

فالتقدير: أرسلوني إلىٰ يوسف؛ لاستعبره الرؤيا، ففعلوا، فآتاه، وقال: يا يوسف، فهنا أكثر من جملة تم حذفها، فهذا يسمىٰ إيجاز حذف.

كذلك من الأمثلة على إيجاز الحذف: قول امرئ القيس:

فقلتُ يمين الله أبرح قاعدا ... ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

هنا حذف الشاعر حرف «لا»، والتقدير: فقلت: يمين الله لا أبرح قاعدا، وهذا يسمىٰ بإيجاز الحذف.

إذن الفرق بين إيجاز القِصَر، وإيجاز الحذف:

أن إيجاز الحذف يحذف كلمة، أو جملة، أو أكثر من الكلام.

أما إيجاز القِصَر فهو أن يأتي المعنىٰ كثيرا، واللفظ قليلا.

وهنا فائدة نعرِّج عليها، وهي أنواع الإطناب:

فالإطناب ينقسم أنواعا كثيرة من أشهرها: **ذكر الخاص بعد العام.**

ومن الأمثلة على ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ۝٩٨﴾ [البقرة:٩٨].

فهنا في هذه الآية عطف ﴿وَجِبْرِيلَ﴾ و﴿وَمِيكَىٰلَ﴾ علىٰ ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ﴾ مع أنهما داخلان في جنس الملائكة، وهذا من عطف الخاص علىٰ العام.

وأيضًا من الأمثلة على عطف الخاص بعد العام: قوله تعالىٰ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة:٢٣٨]، والصلاة الوسطىٰ من الصلوات هذا عطف خاص بعد عام.

وفائدة هذا النوع: التنبيه علىٰ فضل الخاص، والاهتمام به.

النوع الثاني من أنواع الإطناب: ذكر العام بعد الخاص، عكس النوع الأول.

ومن ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [نوح:٢٨].

فهنا عطف ﴿وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ علىٰ ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا﴾، وعطف ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ علىٰ ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا﴾، وهذا من عطف العام علىٰ الخاص.

ومن الأمثلة على ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [آل عمران:٨٤]، فهنا عطف ﴿وَٱلنَّبِيُّونَ﴾ علىٰ ﴿مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾، وهذا من عطف العام علىٰ الخاص.

كذلك من الأمثلة على ذلك: أحب أبا بكر، وعمر، وعثمان، والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فهنا عطف الصحابة علىٰ أبي بكر وعمر وعثمان، وهذا من عطف العام بعد الخاص.

وفائدة هذا النوع إفادة العموم مع العناية بشأن الخاص.

كذلك النوع الثالث من أنواع الإطناب: الأيضًاح بعد الإبهام، وهو أن يأتي الكلام مبهما، ثم يأتي بيانه.

ومثاله: قوله تعالىٰ: ﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الشعراء:١٣٢-١٣٣].

فقوله ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ﴾ إيضاح، وتبيين لقوله تعالىٰ: ﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ﴾.

أيضًا من الأمثلة على ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الحجر:٦٦].

فقوله: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ أيضًاح وتبيين لقوله: ذلك الأمر.

وفائدة هذا النوع، وهو الإيضاح بعد الإبهام: تقرير المعنىٰ في ذهن السامع.

وهنا فائدة أيضًا نعرِّج عليها، وهي متىٰ يكون الكلام بليغا في هذه الصور الثلاثة: الإيجاز، والإطناب، والمساواة؟

قال البلاغيون: لا يكون الكلام في هذه الصور الثلاثة بليغا حتىٰ يكون مطابقا لمقتضىٰ الحال، فإذا كان المقام يحتاج إلىٰ الإطناب فعدل المتكلم عنه إلىٰ الإيجاز لم يكن الكلام بليغا.

ومن تأمل القرآن الكريم وجد معان كثيرة جاءت تارة بالإيجاز، وجاءت تارة بالإطناب، وجاءت تارة بالمساواة، لماذا؟

لأن كل مقام يناسبه صورة من هذه الصور الثلاثة ومن ذلك: الدلالة علىٰ أن كل إنسان مجازىٰ بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر، فهذا المعنىٰ جاء مرة بالإيجاز، ومرة بالإطناب، ومرة بالمساواة.

فالإيجاز: قوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴿٢١﴾﴾ [الطور:٢١].

والإطناب: قوله تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ﴿٣١﴾﴾ [الكهف:٢٩:٣١]، فهنا اللفظ كثير، والمعنىٰ قليل، وهذا هو الإطناب.

مثال المساواة: قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة:٧:٨]، فهنا المعنىٰ يساوي اللفظ.

❁❁❁

أسئلة الدرس

السؤال الأول: ضع علامة صح أمام العبارة الصحيحة، وعلامة خطأ أمام العبارة الخاطئة مع تصويب الخطأ.

الأول: الإطناب هو جمع معانٍ كثيرة في ألفاظ أقل منها مع الإبانة والإفصاح.

الثاني: من أسباب الإطناب تسهيل الحفظ.

الثالث: من أسباب الإيجاز دفع الإيهام.

الرابع: الإيجاز هو زيادة اللفظ علىٰ المعنىٰ لفائدة.

السؤال الثاني: بيِّن أنواع الإيجاز في الجمل الآتية مع بيان السبب:

الأولى: قوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ﴾ [الأنعام:٨٢].

الثانية: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ﴾ [الحُجُرات:٥].

الثالثة: قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**إن من البيان لسحرا**».

السؤال الثالث: بين أنواع الإطناب في الجمل الآتية مع بيان السبب:

الأولى: قوله تعالىٰ: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ ﴾ [القدْر:٤].

الثانية: قوله تعالىٰ: ﴿ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ ﴾ [طه:١٢٠].

الثالثة: قول القائل: أستمتع بدراسة الفقه، والعقيدة، والعلوم الشرعية.

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس السابع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الإخوة المؤمنون، وأيتها الأخوات المؤمنات في هذه الدورة العلمية المباركة، وهذا هو الدرس السابع من دروس علوم البلاغة من كتاب «البناية في شرح البداية في علوم البلاغة»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ مواضع الوصل، ومواضع الفصل بين جملتين.

قال المصنف عفا الله عنه:

«الباب الرابع: الوصل والفصل

وفيه أربعة ضوابط:

الضابط الأول: الوصل: هو عطف جملة على أخرى بالواو.

الضابط الثاني: الفصل: هو ترك العطف بالواو بين جملتين».

أي الفصل عكس الوصل، فالوصل أن تعطف بين جملتين بحرف الواو، والفصل هو ترك العطف، ولماذا خُص حرف الواو؟

قالوا: لأن العطف بغير الواو لا يُحدث اشتباها، والتباسا بخلاف الواو، فالواو قد يأتي للعطف، وقد يأتي للاستئناف إلىٰ آخره.

قال المصنف عفا الله عنه: «**الضابط الثالث: يجب الفصل بين جملتين في ثلاثة مواضع**».

فهذه المواضع الثلاثة يجب فيها الفصل، فلا يجوز فيها الوصل بالواو.

أما الموضع الأول: فهو أن يكون بينهما -أي بين الجملتين- **اتحاد تام، وهذا له ثلاثة أحوال:**

الحال الأولى: أن تكون الجملة الثانية بدلا من الجملة الأولى، فهنا يجب الفصل.

ومثال ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ ۝١٣٢ أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ ۝١٣٣﴾ [الشعراء:١٣٢-١٣٣]، فهنا الآية الثانية بدل من الآية الأولىٰ، لذلك فُصل بينهما، ولم يؤتَ بحرف الواو، فلو وُصل بينهما بالواو لكانت الآية الثانية غير الآية الأولىٰ.

مثال آخر: قوله تعالىٰ: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ۝٢﴾ [الرعد:٢]، فهنا لم يُؤتَ بحرف الواو بين قوله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ﴾، وقوله: ﴿يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾؛ لأن قوله: ﴿يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ بدل من قوله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ﴾، فلو وُصل بينهما بحرف الواو لكانت الجملة الثانية غير الجملة الأولىٰ، وهو عكس المراد، فالمراد أن تكون الثانية بدلا من الأولىٰ.

أما الحال الثانية من أحوال الاتحاد التام بين الجملتين: أن تكون الجملة الثانية بيانا للجملة الأولى.

ومثال ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ﴾ [طه:١٢٠].

فهنا قوله: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ﴾ [طه:١٢٠] بيان، وتوضيح لقوله: ﴿فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾، فلو أُتي بحرف الواو قبل الجملة الثانية، وهي ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ﴾ لكانت الثانية غير الأولىٰ، وهو عكس المراد، فالمراد أن تكون الثانية بيانًا للأولىٰ.

الحالة الثالثة من أحوال الاتحاد التام: أن تكون الجملة الثانية مؤكِّدة للجملة الأولى، فهنا يجب الفصل.

ومثال ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ۝١٧﴾ [الطارق:١٧].

فهنا لو وُصل بين الجملتين بحرف الواو، وهما: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، و﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ لكانت الجملة الثانية غير الجملة الأولىٰ، وهذا غير مراد، والمراد أن تكون الثانية مؤكدة للأولىٰ.

أما الموضع الثاني الذي يجب فيه الفصل من الجملتين: فهو أن يكون بين الجملتين تباين تام.

يعني اختلاف تام، عرفنا الموضع الأول وهو أن يكون بينهما، أي بين الجملتين اتحاد تام.

الموضع الثاني عكسه: أن يكون بينهما -أي بين الجملتين- تباين تام، أي اختلاف تام، وهذا له حالتان:

الحالة الأولى: أن تختلف الجملتان خبرا، وإنشاء.

يعني جملة إنشائية، وجملة خبرية، فهنا يجب الفصل بين الجملتين، وقد ذكرنا فيما سبق المراد بالجملة الإنشائية، والمراد بالجملة الخبرية.

ومن الأمثلة على ذلك: قول الشاعر:

لا تسأل المرء عن خلائقه ... في وجهه شاهد من الخبر

فهنا الشطر الأول من البيت: «**لا تسأل المرء عن خلائقه**» جملة إنشائية نوعها نهي، والشطر الثاني: «**في وجهه شاهد من الخبر**» جملة خبرية تحتمل الصدق والكذب، فهنا فُصل بين هاتين الجملتين؛ لاختلافهما خبرا، وإنشاء.

ومن الأمثلة أيضًا على ذلك: قول الشاعر:

يا صاحب الدنيا المحب لها ... أنت الذي لا ينقضي تعبه

فهنا فُصل بين الجملتين؛ لاختلافهما خبرا وإنشاء، فالشطر الأول: «**يا صاحب الدنيا المحب لها**» هذا إنشاء نوعه نداء، والشطر الثاني: «**أنت الذي لا ينقضي تعبه**» خبر يحتمل الصدق، والكذب.

الحالة الثانية من أحوال الاختلاف التام أو التباين التام: ألا يكون بين الجملتين مناسبة في المعنى، فهنا يجب الفصل.

ومثال ذلك: أن تقول: زيد كاتبٌ، السماء صافيةٌ.

فهنا يجب الفصل بين الجملتين فلا مناسبة بينهما، الأولىٰ: زيد كاتب، والثانية: السماء صافية.

أما الموضع الثالث من مواضع وجوب الفصل بين الجملتين: هو أن تكون الجملة الثانية جوابا عن سؤال يُفهم من الجملة الأولى.

يعني الجملة الثانية تعليل للجملة الأولىٰ، فهنا يجب الفصل.

ومثال ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف:٥٣].

فهنا الجملة الثانية تعليل، وجواب للجملة الأولىٰ ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓ﴾ لماذا؟ لأن النفس أمَّارة بالسوء.

مثال آخر: قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾ [هود:٤٦].

فهنا فُصل بين الجملتين وهما: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾.

وذلك لأن الجملة الثانية وهي قوله: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾ جواب، وتعليل للجملة الأولىٰ، لماذا هو ليس من أهلك؟ لأنه عمل غير صالح.

ثم قال المصنف عفا الله عنه: الضابط الرابع: «يجب الوصل بين الجملتين في ثلاثة مواضع:

الأول: إذا اتفقتا خبرًا، أو إنشاء، وكانت بينهما مناسبة تامة، ولم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما».

ومثال ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار:١٤].

فهنا وُصل بين الآيتين؛ لاتفاقهما في أنهما خبريتان، وبينهما مناسبة تامة، فهذا مصير الأبرار، وهذا مصير الفجار، ولا يوجد ما يقتضي الفصل بينهما، فلو حُذفت الواو؛ لحدث تنافر بين الآيتين.

مثال آخر: قوله تعالىٰ: ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا ﴾ [التوبة:٨٢].

فهنا وصل بين الجملتين بحرف الواو؛ لأنهما اتفقتا في أنهما إنشائيتان، وبينهما مناسبة تامة، فالأولىٰ: في الضحك، والثانية: في البكاء، ولا يوجد ما يقتضي الفصل بينهما، فلو حُذفت الواو؛ لحدث تنافر بين الآيتين.

أما الموضع الثاني لوجوب الوصل بين الجملتبن، قال: «إذا اختلفتا خبرا، أو إنشاء، وأوهم الفصل خلاف المقصود».

أي تكون إحدىٰ الجملتين خبرية، والأخرىٰ إنشائية، وإن فُصل بين الجملتين أوهم الفصل خلاف المقصود.

مثال ذلك: إذا قال لك قائل: هل تريد مساعدة؟ تقول: لا، وجزاك الله خيرا.

فهنا لو حُذفت الواو؛ لأوهم الفصل خلاف المقصود، أي الدعاء عليه، وأنت تريد أن تدعو له، إذا قلت: لا جزاك الله خيرا، فهذا معناه دعاء عليه، وأنت لا تريد أن تدعو عليه، وإنما تريد أن تدعو له.

مثال آخر: إذا قيل لك: هل عوفي المريض؟ تقول: لا، وشفاه الله.

فهنا يجب أن تأتي بحرف الواو؛ لماذا؟ لأنك لو حذفت حرف الواو؛ لأوهم الفصل خلاف المقصود، أنت تريد أن تدعو له، فيكون معنىٰ الجملة الدعاء عليه.

الموضع الثالث من مواضع وجوب الوصل بين الجملتين، قال: «إذا قُصد إشراكهما في الحكم الإعرابي».

أي إذا قَصد القائل أن يجعل الجملة الثانية مثل الجملة الأولىٰ في الحكم الإعرابي وجب الوصل بين الجملتين.

ومثال ذلك: قول الشاعر:

وحُـــب العـــيش أَعبـــد كلَّ حـــر   وعلَّـــم سَـــاغِبا أكـــلَ المُـــرَار

فهنا وصل بين الجملتين بحرف الواو؛ لأنه أراد أن يشرك الجملة الثانية مع الجملة الأولىٰ في الحكم الإعرابي، فعطفها علىٰ قوله: «**أعبد كل حر**»، والجملة الثانية قوله: «**وعلَّم ساغبا أكل المُرار**».

مثال آخر: قول الشاعر:

وللســر مــني موضــع لا ينــاله نــديم   ولا يُفضـــي إليـــه شـــارب

فهنا وصل بين الجملتين حرف الواو؛ حتىٰ يشرك الجملة الثانية مع الجملة الأولىٰ في الحكم الإعرابي. والجملة الأولىٰ قوله: «**لا يناله نديم**»، والجملة الثانية: «**لا يفضي إليه شارب**».

يعني الشاعر يريد أن يقول إنه كتوم للسر يضعه حيث لا يطلع عليه النديم ولا يكشف عنه للشُّراب، أي شُرَّاب الخمر، ونحوه.

أسئلة الدرس

السؤال الأول: ضع علامة صح أمام العبارة الصحيحة، وعلامة خطأ أمام العبارة الخاطئة مع تصويب الخطأ.

الأولى: الوصل هو عطف جملة بجملة أخرىٰ بالفاء.

الثانية: يجب الفصل عندما يكون بين الجملتين اتحاد تام.

الثالثة: يجب الفصل بين جملتين إذا قصد اشراكهما في الحكم الإعرابي.

السؤال الثاني: بين مواضع الوصل، والفصل فيما يأتي مع ذكر السبب في كل مثال:

الأول: قوله تعالىٰ: ﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ ﴾ [الذاريات:٢٨].

الثاني: قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) ﴾ [النجم:٣:٤].

الثالثة: لا وفاء لكذوب، ولا راحة لحسود.

الرابع: البلاغة سهلة الجو حار.

الخامس: لا، وأيدك الله.

نكتفي بهذا القدر، وصلاة وسلامًا على المبعوث رحمة للعالمين،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الثامن

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ سيد المرسلين نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الإخوة المؤمنون، وأيتها الأخوات المؤمنات في هذه الدورة العلمية المباركة، وهذا هو الدرس الثامن من دروس علوم البلاغة من كتاب «البناية في شرح البداية في علوم البلاغة»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ تعريف التشبيه، وأركانه، وأشهر أنواعه.

وقد تقدم في الدروس الماضية أن علوم البلاغة ثلاثة:

١- علم المعاني.

٢- وعلم البيان.

٣- وعلم البديع.

أما علم المعاني فقد انتهينا منه، فهو ينقسم أربعة أبواب، أو أربعة فنون:

الأول: الكلام.

الثاني: القصر.

الثالث: الإيجاز والإطناب والمساواة.

وهذه الثلاثة تسمىٰ بطُرق التعبير عما في النفس، أو عما في الضمير.

الرابع: الوصل، والفصل.

أما العلم الثاني، فسنبدأ فيه إن شاء الله تعالىٰ في هذا الدرس، وهو علم البيان، وعلم البيان ينقسم أربعة فنون، أو أربعة أبواب كما ذكرها المصنف عفا الله عنه حيث قال:

«الكتاب الثاني: علم البيان

وفيه أربعة أبواب:

الباب الأول: التشبيه.

الباب الثاني: المجاز المرسل.

الباب الثالث: الاستعارة.

الباب الرابع: الكناية».

والفائدة التي تعود علينا إذا تعلمنا علم البيان هي تأدية الكلام بأساليب عدة بين تشبيه، ومجاز، وكناية، واستعارة كما سيأتي، وسيأتي تفصيل هذه الأبواب الأربعة: التشبيه، والمجاز المرسل، والاستعارة، والكناية، فيما يلي إن شاء الله تعالىٰ، ونكتفي هنا بالمعنىٰ اللغوي لكل منها، فنقول:

التشبيه: بمعنىٰ التماثل، يقال: فلان يشبه فلانا إذا كان يماثله في اللون والصفة.

أما المجاز المرسل: ففي اللغة مشتق من جاز المكان يجوز إذا تعداه، وقطعه.

وأما الاستعارة: فهي مشتقة من استعار الشيء، أي طلبه عارية، وهي إعطاء الشيء للانتفاع به، ثم رده.

وأما الكناية: فهي أن تتكلم بشيء، وتريد به غيره.

قال المصنف عفا الله عنه:

«الباب الأول: التشبيه

وفيه ثلاثة ضوابط:

الضابط الأول: التشبيه: هو عقد مماثلة بين شيئين، أو أكثر باشتراكهما في صفة، أو أكثر بأداة بينهما».

معنىٰ هذا أن المراد من التشبيه عقد مماثلة بين شيئين، أو أكثر.

تقول مثلا: محمد مثل إبراهيم.

فهنا تم عقد مماثلة بين محمد، وإبراهيم.

أو تقول: محمد مِثل إبراهيم، وزيد.

فهنا تم عقد مماثلة بين محمد من جهة، وإبراهيم وزيد من جهة أخرىٰ.

أو تقول: محمود وسعيد مثل سعد وأحمد.

فهنا تم عقد مماثلة بين أكثر من شخص.

وهذه الأطراف تسمىٰ بالمشبَّه، والمُشَبَّه به، والطرف الأول يسمىٰ بالمشبَّه، والطرف الثاني يسمىٰ بالمُشَبَّه به.

وقوله: «**لاشتراكهما في صفة**»: أي سبب التشبيه هو اشتراكهما في صفة، أو أكثر، أي أكثر من صفة.

تقول مثلا: السنة كالقرآن في الاستدلال.

فهنا السنة تسمىٰ مشبَّه، والقرآن مُشَبَّه به، وقوله: «**في الاستدلال**» هذه هي الصفة التي جمعت بين القرآن، والسنة في التشبيه.

مثال آخر: تقول: إبراهيم كأحمد في الشجاعة.

فهنا جمعت بين إبراهيم، وأحمد في صفة وهي الشجاعة.

أو تقول: زيد كعمرو في الحلم، والكرم، والبشاشة، أي بشاشة الوجه.

فهنا اشترك المُشَبَّه والمُشَبَّه به في أكثر من صفة، وهي الحلم، والكرم، والبشاشة.

وقوله: «**بأداة بينهما**»: أي يربط بين المُشَبَّه والمُشَبَّه به أداة هذه الأداة تسمىٰ بأداة التشبيه، كما سيأتي بيانه في الضابط الثاني.

قال المصنف عفا الله عنه: «**الضابط الثاني: أركانه أربعة**»: أي أركان التشبيه أربعة، ما هي؟ «**المشبه، والمُشَبَّه به، وأداة التشبيه، ووجه الشبه**».

أما المشبَّه: فهو المراد تشبيهه بشيء آخر.

وأما المُشَبَّه به: فهو المراد تشبيه الشيء الأول به.

وأما أداة التشبيه: فهي اللفظ الذي يدل علىٰ معنىٰ المشابهة، وقد يكون فعلا، أو اسما، أو حرفا.

الفعل مثل: يُشبه، ويماثل، تقول: كتابي يشبه كتابك، فكلمة «يُشبه» هذه أداة تشبيه.

أو تقول: قلمي يماثل قلمك.

أداة التشبيه هي «يماثل» فعل.

وأما الاسم فهو «مثل»، تقول: أحمد مثل مصطفىٰ، فـ «**مثل**» هنا هي أداة التشبيه نوعها اسم.

وأما الحرف فهو «الكاف، وكأن»، تقول: ثوبي كثوبك، أو ثوبي كأنه ثوبك، أداة التشبيه هنا «**كأن**».

أو تقول: كأن ثوبك ثوبي.

فهنا تشبيه، وأداة التشبيه هي «**كأن**» هي حرف.

أما الركن الرابع، فهو وجه الشبه: وهو الوصف الخاص الذي قُصد إشراك الطرفين فيه.

ومن الأمثلة على ذلك: أن تقول: أنت كالشمس في الضياء.

فالمُشَبَّه هنا الممدوح «**أنت**»، والمُشَبَّه به «**الشمس**»، وأداة التشبيه «**الكاف**»، ووجه الشبه «**الضياء**»، الصفة التي قُصد اشتراك الطرفين فيها هي «**الضياء**».

مثال ثان: تقول: رُبَّ ليل كأنه الصبح.

فالمُشَبَّه هنا الضمير في «**كأنه**»، والمُشَبَّه به «**الصبح**»، وأداة التشبيه «**كأن**» ووجه الشبه «**الحسن**» يريد أن يشبه الليل بالصبح في الحسن.

مثال ثالث: تقول: أنت كالليل الذي هو مدركي.

فالمُشَبَّه هنا «**الممدوح**»، والمُشَبَّه به «**الليل**»، وأداة التشبيه «**الكاف**»، ووجه الشبه هو «**الإحاطة**» يريد أن يشبه الممدوح بالليل الذي يدرك، ويحيط بكل شيء.

وهنا فائدة: وهي أن المُشَبَّه، والمُشَبَّه به ركنان أساسيان في التشبيه متىٰ حُذف أحدهما لم يكن التشبيه، وإنما يسمىٰ التعبير استعارة، كما سيأتي بيانه في الدروس التالية إن شاء الله تعالىٰ.

ثم قال المصنف عفا الله عنه: «الضابط الثالث: أشهر أنواعه أربعة»: أي أشهر أنواع التشبيه أربعة:

«الأول: تشبيه مرسل.

الثاني: تشبيه مؤكَّد.

الثالث: تشبيه مُفصَّل.

الرابع: تشبيه تَمثيل».

أما التشبيه المرسَل، والتشبيه المؤكَّد فكل واحد منهما عكس الآخر.

التشبيه المرسَل: ما ذُكرت فيه أداة التشبيه.

أما التشبيه المؤكَّد: ما حُذفت منه أداة التشبيه.

مثال التشبيه المُرسَل الذي ذكرت فيه أداة التشبيه: قوله تعالىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ [إبراهيم:٢٤].

فهنا ذكر أداة التشبيه، وهي الكاف.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ [إبراهيم:٢٦].

فهنا ذكر أداة التشبيه، وهي «الكاف».

أيضًا من الأمثلة على التشبيه المرسل: قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ [النور:٣٥].

فهنا ذكر أداة التشبيه وهي الكاف، فهذا يسمىٰ تشبيها مرسلا.

أيضًا من الأمثلة على التشبيه المرسل: قول الشاعر:

أنا كالماء إن رضيتُ صفاء وإذا ما سخطت كنتُ لهيبا

هنا الشاعر ذكر أداة التشبيه وهي الكاف «**أنا كالماء**»، فهذا تشبيه مرسل.

ومن الأمثلة التشبيه المؤكَّد الذي حذفت منه أداة التشبيه: قول الشاعر:

هم البحور عطاء حين تسألهم.

فهنا شبه الشاعر الممدوحين بالبحور في كثرة العطاء حينما يسألهم سائل، وحذف أداة التشبيه وهي الكاف، فأصل الكلام: هم كالبحور، ولكنه قال: هم البحور، فهذا تشبيه مؤكَّد.

أيضًا من أمثلة التشبيه المؤكد: قول الشاعر:

أنت نَجم في رِفعة وضياء.

فهنا شبه الشاعر الممدوح بالنجم في الرفعة والضياء، ولكنه حذف أداة التشبيه وهي الكاف، فأصل الكلام: أنت كالنجم، فهذا تشبيه مؤكَّد.

أما النوع الثالث من أنواع التشبيه، فهو التشبيه المفصَّل، وهو ما ذُكر فيه وجه الشبه، وعكسه تشبيه مجمل، وهو ما لم يُذكر فيه وجه الشبه، عرفنا أن وجه الشبه هو الصفة الجامعة بين المُشَبَّه والمُشَبَّه به.

ومن الأمثلة على التشبيه المفصَّل:

أنا كالماء إن رضيت صفاء وإذا ما سخطت كنت لهيبا

ففي هذا البيت ذكر الشاعر وجه الشبه، الشاعر هنا يشبه نفسه بالماء في حال الصفاء، فوجه الشبه بينه وبين الماء هو الصفاء في حال الرضا، وأيضًا شبه نفسه بالنار عند السخط، ووجه الشبه بينه، وبين النار لهيب النار.

ومن الأمثلة أيضًا على التشبيه المفصَّل: قول القائل:

سرنا في ليل بهيم كأنه البحر ظلاما وإرهابا

فهنا شبه القائل الليل بالبحر في شدة الظلمة، والإرهاب، ووجه الشبه هنا الظلام والإرهاب، فهذا تشبيه مفصَّل.

أما التشبيه المجمل فهو ما لم يذكر فيه وجه الشبه.

مثال ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٢٤﴾ [إبراهيم:٢٤].

فهنا لم يذكر الله عَزَّوَجَلَّ وجه الشبه بين الكلمة الطيبة، والشجرة الطيبة.

كذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ ٢٦﴾ [إبراهيم:٢٦].

فهنا لم يذكر الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ وجه الشبه بين الكلمة الخبيثة، والشجرة الخبيثة.

ومن الأمثلة أيضًا على التشبيه المجمل: قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌ﴾ [النور:٣٥].

فهنا شبه الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ نوره بالمشكاة، ولم يذكر وجه الشبه.

أما النوع الرابع من أنواع التشبيه فهو تشبيه تمثيل: وهو ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزَعة من متعدد، وعكسه تشبيه غير تمثيلي، وهو ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزَعة من مفرد.

ومثال تشبيه التمثيل: قوله تعالىٰ: ﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ١٧ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨﴾ [البقرة:١٧:١٨].

فهنا شبه الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ حال المنافقين بحال من أوقد نارا فتمتع بضوئها قليلا، ثم لم يلبث أن أطفئت هذه النار فيغشاه الظلام، ووجه الشبه الهداية القصيرة التي يتلوها الضلال، فهو منتزَع من متعدد.

أيضًا من الأمثلة على التشبيه التمثيلي: قول الشاعر:

وليـل كمـوج البحـر أرخى سـدوله … عليَّ بــأنواع الهمـوم ليبـتلي

فهنا شبه الشاعر الليل بموج البحر، ووجه الشبه الظلمة والهول، فهذا منتزع من صفتين وهما الظلمة، والهول.

أما مثال التشبيه غير التمثيلي: فهو كقول الشاعر:

ما الموت إلا سارق دَقَّ شخصه.

فهنا شبه الشاعر الموت بالسارق الخفي، ووجه الشبه هو الخفاء وعدم الظهور، وهو منتزع من مفرد.

أيضًا من الأمثلة على التشبيه غير التمثيلي: قول الشاعر:

والنفس كالطفل إن تُهمله شبَّ على ... حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

فهنا شبه الشاعر النفس بالطفل، ووجه الشبه هو أن كلا منهما ينشأ علىٰ ما تعود عليه، وهو منتزع من مفرد.

وهناك أمثلة في الكتاب يمكنك الرجوع إليها.

أسئلة الدرس

السؤال الأول: ضع علامة صح أمام العبارة الصحيحة، وعلامة خطأ أمام العبارة الخاطئة مع تصويب الخطأ:

الأولى: التشبيه المجمل هو ما حُذفت منه أداة التشبيه.

الثانية: التشبيه المؤكَّد هو ما ذُكرت فيه أداة التشبيه.

الثالثة: التشبيه المفصل هو ما ذُكر فيه وجه الشبه.

الرابعة: التشبيه المرسل هو ما لم يُذكر فيه وجه الشبه.

السؤال الثاني: بيِّن المُشَبَّه والمُشَبَّه به، ونوع التشبيه، والسبب في الجمل الآتية:

الأولى: قوله تعالىٰ: ﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧﴾ [الحاقة:٧].

الثانية: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ۝٢٤﴾ [الرحمن:٢٤].

الثالثة: زيد بحر، السماح والجود.

الرابعة: قصور كالكواكب لامعات.

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس التاسع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الإخوة المؤمنون، وأيتها الأخوات المؤمنات في هذه الدورة العلمية المباركة، وهذا هو الدرس التاسع من دروس علوم البلاغة من كتاب «البناية في شرح البداية في علوم البلاغة»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ تعريف المجاز المرسَل، وأشهر عَلاقاته.

قال المصنف عفا الله عنه:

«الباب الثاني: المجاز المرسل

وفيه ضابطان:

الضابط الأول: المجاز المرسل: هو كلمة استُعملت في غير معناها الأصلي لعَلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي».

قوله: «الباب الثاني: المجاز المرسل»: هذا هو الفن الثاني من فنون علم البيان، وفي الدرس الماضي تعرفنا علىٰ الفن الأول وهو التشبيه، وفي هذا الدرس نتعرف علىٰ الفن الثاني، وهو المجاز المرسَل.

قوله: «المجاز المرسل: هو كلمة استُعملت في غير معناها الأصلي لعَلاقة غير

المشابهة مع قرينةٍ مانعةٍ من إردة المعنى الأصلي»: هذا تعريف المجاز المرسَل عند البلاغيين، وإذا تأملنا هذا التعريف وجدناه يشتمل علىٰ عدة قيود:

القيد الأول: المجاز المرسل هو كلمة استعملت في غير معناها الأصلي، فإذا استعملت الكلمة في معناها الأصلي لم تكن مجازا.

مثال ذلك: كلمة الأسد إذا استعملت في معناها الأصلي، وهو الحيوان المعروف لم تكن من المجاز المرسل.

كذلك كلمة القمر إذا استعملت في معناها الأصلي، وهو الكوكب المعروف لم تكن مجازا.

أما القيد الثاني: فيظهر في قوله: «**لعَلاقة غير المشابهة**»، فإن كانت العلاقة بين المعنىٰ الحقيقي، والمعنىٰ المجازي هي المشابهة لم يكن هذا التعبير مجازا، وإنما يكون استعارة كما سيأتي في الباب الثالث إن شاء الله تعالىٰ.

ومن الأمثلة علي ذلك: قولهم: زيد يتكلم بالدرر.

هنا كلمة الدرر استعملت في غير معناها الأصلي، وهو حسن الكلام وجماله، ولكن هذا لا يسمىٰ مجازا، وإنما يسمىٰ استعارة، لماذا؟

لوجود عَلاقة المشابهة بين المعنىٰ الحقيقي والمعنىٰ المجازي، فهنا شبَّه الكلام الجميل بالدرر.

كذلك من الأمثلة على ذلك: قولهم: زرع زيد المعروف.

فكلمة المعروف هنا استعملت في غير معناها الأصلي، وهو أن المعروف لا يزرع، ولكن هذا لا يسمىٰ مجازا، وإنما يسمىٰ استعارة، لماذا؟

لوجود عَلاقة المشابهة بين المعنىٰ الحقيقي والمعنىٰ المجازي، المتكلم هنا يريد تشبيه أعمال زيد بالزرع الذي يُزرع.

أما القيد الثالث: فيظهر في قوله: «**مع قرينة مانعة من إرادة المعنىٰ الأصلي**»: أي

لا بد من وجود قرينة في السياق تمنع من حمل الكلمة علىٰ معناها الأصلي، فإن لم توجد القرينة فلا يسمىٰ مجازا، وإنما يسمىٰ حقيقة.

ومن الأمثلة على ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم﴾ [البقرة:١٩].

فهنا كلمة الأصابع استعملت في غير معناها الأصلي وهو الأنامل، ومعناها الأصلي الذي وضعت له الأصابع المعروفة، والعَلاقة بين المعنىٰ الكلي، والمعنىٰ المجازي أن الأنملة جزء من الأصابع، وليست علاقة مشابهة، فلو كانت العَلاقة هي المشابهة لم يكن مجازا، وإنما يكون استعارة.

ومن الأمثلة على ذلك: أن تقول: رأيت أسدا.

فكلمة أسد تُحمل علىٰ المعنىٰ الحقيقي، وذلك لعدم وجود قرينة تمنع من حملها علىٰ المعنىٰ الحقيقي.

ثم قال المصنف عفا الله عنه: «الضابط الثاني: أشهر علاقاته أربعة:

الأولى: السببية.

الثانية: المسبَّبة.

الثالثة: الجزئية.

الرابعة: الكلية».

هذه هي أشهر علاقات المجاز المرسل بين المعنىٰ الحقيقي، والمعنىٰ المجازي.

الأولى هي السببية: ومعناها أن يذكر المتكلم السبب، ويريد المسبَّب.

ومثال ذلك: قول الشاعر:

تسيل على حد السيوف نفوسُنا.

فهنا ذكر الشاعر النفوس وأراد بها الدماء، فهذا مجاز مرسل عَلاقته السببية، فالنفوس سبب في الدماء، وإذا تأملنا هذا الكلام وجدناه من المجاز المرسل، لماذا؟ لتوفر القيود الثلاثة فيه:

الأول: أن الشاعر لا يريد المعنىٰ الحقيقي، وذلك لأن النفوس لا تسيل إنما الدماء هي التي تسيل.

القيد الثاني: لا يوجد بين المعنىٰ الحقيقي، والمعنىٰ المجازي مشابهة، وإنما يوجد سبب.

القيد الثالث: وجود قرينة تمنع من إرادة المعنىٰ الأصلي، وهو قوله: «**تسيل علىٰ حد السيوف**»، فالنفوس لا تسيل علىٰ حد السيوف.

ومن الأمثلة أيضًا على ذلك: قول الشاعر:

لـه أيــادٍ عـلـيَّ سـابغــة.

فالشاعر هنا ذكر السبب، وأراد المسبَّب، ما هو السبب؟ قوله: «**أياد**»: جمع يد، والمسبَّب هي «**النعم**»، فاليد هي سبب في النعمة، وهذا مجاز مرسل؛ لأن الشاعر لا يريد المعنىٰ الحقيقي، ولا يوجد بين المعنىٰ الحقيقي، والمعنىٰ المجازي مشابهة، وإنما العَلاقة بينهما هي السببية، وهنا قرينة تمنع من إرادة المعنىٰ الحقيقي، وهي أن الأيادي لا توصف بالسابغة.

أما العلاقة الثانية فهي المسبَّبة: وهي عكس السببية، **فالمسبَّبة**: أن يذكر المتكلم المسبب، ويريد السبب.

مثال ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾ [غافر:١٣].

فهنا ذكر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ المسبَّب وأراد السبب، فالرزق لا ينزل من السماء، وإنما ينزل من السماء المطر الذي هو سبب في الرزق، والرزق هذا مسبَّب، والمطر هو السبب.

مثال آخر: قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة:١٨٥].

فهنا ذكر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ المسبَّب وأراد السبب، المسبَّب هو الشهر، والسبب هو الهلال، فالهلال سبب في دخول الشهر، فالشهر لا يُرىٰ، وإنما الذي يرىٰ الهلال، فهذا مجاز مرسل عَلاقته المسبَّبة

أما العَلاقة الثالثة: وهي الجزئية: وهي أن يذكر المتكلم الجزء، ويريد الكُل.

مثال ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ﴾ [النساء:٩٢] .

فهنا ذكر الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ الجزء وهو الرقبة، وأراد الكل، وهو العبد.

مثال آخر: قول الشاعر:

كَمْ بَعَثنَا الْجَيْشَ جرَّارًا وَأَرْسَلْنا الْعُيُونَا.

فقول الشاعر هنا: «وأرسلنا العيونا»: العيون جزء، وهو يريد الجواسيس، فذكر الجزء وأراد الكل، فهذا مجاز مرسل عَلاقته الجزئية.

أما العَلاقة الرابعة فهي الكلية: وهي أن يذكر المتكلم الكل ويريد الجزء.

ومن الأمثلة على ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ﴾ [نوح:٧].

فهنا ذكر الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ الأصابع وأراد الأنامل، فهذا من الكل الذي يراد به الجزء، فهذا مجاز مرسل عَلاقته الكلية.

مثال آخر: أن يقول قائل: شربت ماء زمزم.

فهنا مجاز مرسل علاقته الكلية، ذكر الكل، وهو ماء زمزم، وأراد الجزء وهو البعض، فلا يستطيع أحد أن يشرب ماء زمزم كله.

أسئلة الدرس

السؤال الأول: ضع علامة صح أمام العبارة الصحيحة وعلامة خطأ أمام العبارة الخاطئة مع تصويب الخطأ.

الأولى: المجاز المرسل هو كلمة استُعملت في غير معناها الأصلي لعَلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنىٰ الأصلي.

الثانية: السببية هي أن يذكر المتكلم السبب، ويريد المسبَّب.

الثالثة: الكلية هي أن يذكر المتكلم الكل، ويريد الجزء.

السؤال الثاني: بين المجاز، وعلاقته في الجمل الآتية:

الأولى: قوله تعالىٰ: ﴿وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣﴾ [البقرة:٤٣].

الثانية: قوله تعالىٰ: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢﴾ [المزَّمل:٢].

الثالثة: قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من قام رمضان إيمانا واحتسابا غُفر له ما تقدم من ذنبه**».

الرابعة: قرأت الصحف.

نكتفي بهذا القدر، وصلاة وسلامًا على المبعوث رحمة للعالمين،

وعلى آله وصحبه أجمعين،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس العاشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الإخوة المؤمنون، وأيتها الأخوات المؤمنات في هذه الدورة العلمية المباركة، وهذا هو الدرس العاشر من دروس علوم البلاغة من كتاب «البناية في شرح البداية في علوم البلاغة»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ تعريف الاستعارة، وأركانها، وأنواعها، وتعريف كل نوع منها.

قال المصنف عفا الله عنه:

«الباب الثالث: الاستعارة

وفيه خمسة ضوابط:

الضابط الأول: الاستعارة هي تشبيه حُذف أحد طرفيه».

أي أن الاستعارة مثل التشبيه إلا أنها حُذف منها أحد طرفيه، وهما المشبه، والمُشَبَّه به، وحُذف أيضًا وجه الشبه وأداته، والاستعارة أبلغ من التشبيه.

كذلك الاستعارة مجاز عَلاقته المشابهة كما عرفنا فيما سبق أن المجاز لا يكون مجازا إن كان بين المعنىٰ الحقيقي، والمعنىٰ المجازي عَلاقة المشابهة، فإن كان بين المعنىٰ الحقيقي، والمعنىٰ المجازي علاقة المشابهة، فحينئذ تكون الاستعارة.

ومن الأمثلة علىٰ ذلك: أن يقول قائل: رأيت أسدًا في المعركة.

فهذه استعارة، لماذا؟ لأن القائل حذف المُشَبَّه وهو الرجل، أصل الكلام أن يقول: رأيت رجلا شجاعا كالأسد في المعركة، فهنا حذف المُشَبَّه، وصرح بالمُشَبَّه به.

ومن الأمثلة أيضًا على ذلك: أن يقول قائل: رأيت قمرا في بيتنا.

هذه استعارة، لماذا؟ لأنه حذف المُشَبَّه، وهو المرأة، وصرح بالمُشَبَّه به وهو القمر، وأصل الكلام: رأيت امرأة كالقمر في بيتنا.

ثم قال المصنف عفا الله عنه: «الضابط الثاني: أركانها ثلاثة:

الأول: مستعار.

الثاني: مستَعار منه.

الثالث: مستعار له».

أما المستعار فهو اللفظ الذي يجمع بين طرفي الاستعارة.

وأما المستعار منه فهو المُشَبَّه به.

وأما المستعار له فهو المشبَّه.

ففي المثال السابق: رأيت قمرا في بيتنا.

المستعار هو الجامع بين القمر، والمرأة وهو الحُسن والجمال، أما المستعار منه فهو المُشَبَّه به، وهو القمر، وأما المستعار له فهو المُشَبَّه، وهو المرأة في هذا المثال.

كذلك في المثال الأول: رأيت أسدا في المعركة.

المستعار هو اللفظ الذي جمع بين طرفي الاستعارة وهو الشجاعة، وأما المستعار منه فهو المُشَبَّه به وهو الأسد، وأما المستعار له فهو المُشَبَّه، وهو في هذا المثال الرجل.

ثم قال المصنف عفا الله عنه: «الضابط الثالث: أنواعها اثنان:

الأول: استعارة تصريحية.

الثاني: استعارة مكنية».

ثم ذكر تعريف هذين النوعين في الضابطين الرابع والخامس، فقال: «**الضابط الرابع: الاستعارة التصريحية: هي ما صُرِّح فيها بلفظ المُشبَّه به**».

أي حُذف المشبه.

مثال ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم:١].

فهنا شبَّه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الكفر بالظلمات، والهدىٰ بالنور، ولكنه لم يذكر المُشبَّه وهو الكفر والهدىٰ، وإنما ذكر المُشَبَّه به وهو الظلمات والنور، فهذه استعارة تصريحية، ذكر المُشَبَّه به، ولم يذكر المشبَّه.

مثال آخر: قول الشاعر:

فلم أر قبلي من مشى البحرُ نحوه ... ولا رجلا قامت تعانقه الأُسْد

فهنا شبه الشاعر الرجل الكريم بالبحر الذي يمشي، وكذلك شبَّه الرجل الشجاع بالأسد الذي يعانق، ففي كل من هذين الشطرين استعارة تصريحية، فالشاعر صرح بالمُشَبَّه به في الشطر الأول وهو البحر، ولم يذكر المُشَبَّه وهو الرجل الكريم الذي يريد أن يمدحه.

وكذلك في الشطر الثاني صرح بالمُشَبَّه به وهو الأسد، ولم يصرِّح بالمُشَبَّه وهو الرجل.

فهاتان استعارتان تصريحيتان.

ثم ذكر في الضابط الخامس تعريف الاستعارة المكنية، فقال: «الضابط الخامس: الاستعارة المكنية: هي ما حُذف فيها المُشَبَّه به ورُمز له بشيء من لوازمه».

أي متىٰ حذف المتكلم المُشَبَّه به، ورُمز له بشيء من لوازمه، فهذه تسمىٰ استعارة مَكنية.

مثال ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء:٢٤].

فهنا شبَّه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذُّلَّ بالطائر الذي له جناح، فصرح بالمُشبَّه وهو الذل، ولم يذكر المُشَبَّه به وهو الطائر، وإنما رَمز له بشيء من لوازمه وهو الجناح، أي طائر له جناح، فهذه استعارة مكنية.

مثال آخر: قول الشاعر:

سمع الليل ذو النجوم أنينا.

فهنا شبَّه الشاعر الليل بالإنسان الذي يسمع فصرح المُشَبَّه وهو الليل، وحذف المُشَبَّه به وهو الإنسان، ورَمز له بشيء من لوازمه وهو السماع، فالليل لا يسمع إنما الذي يسمع الإنسان، فهنا استعارة مكنية.

مثال آخر: قول الشاعر:

لا تعجبي يا سَلْمُ من رجل ... ضحك المشيبُ برأسه فبكى

هنا شبَّه الشاعر المشيب بالإنسان الذي يضحك، فصرَّح بالمُشَبَّه وهو المشيب، وحذف المُشَبَّه به وهو الإنسان، ورمز له بشيء من لوازمه وهو الضحك، فالمَشيب لا يضحك، وإنما الذي يضحك الإنسان، فهذه استعارة مكنية.

أسئلة الدرس

السؤال الأول: ضع علامة صح أمام العبارة الصحيحة، وعلامة خطأ أمام العبارة الخاطئة مع تصويب الخطأ.

الأولى: الاستعارة هي تشبيه حُذف أحد طرفيه.

الثانية: أركان الاستعارة ثلاثة: مستعار، ومستعار منه، ومستعار له.

الثالثة: الاستعارة المكنية هي ما حُذف فيها المُشَبَّه.

السؤال الثاني: بيِّن أركان الاستعارة في كل مما يأتي مع ذكر نوع الاستعارة، والسبب.

الأول: كلمتُ بحرا فأعجبني حسنُ بيانه.

الثاني: فلان يصوم عن المنكر.

الثالث: طار الخبر في المدينة.

الرابع: حدثني التاريخ عن بطولات الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الحادي عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الإخوة المؤمنون، وأيتها الأخوات المؤمنات في هذه الدورة العلمية المباركة، وهذا هو الدرس الحادي عشر من دروس علوم البلاغة من كتاب «البناية في شرح البداية في علوم البلاغة»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ تعريف الكناية، وأقسامها.

قال المصنف عفا الله عنه:

«الباب الرابع: الكناية

وفيه ضابطان:

الضابط الأول: الكناية: هي لفظ أُريد به غير معناه الذي وضع له مع جواز إرادة المعنى الأصلي».

أي الكناية هي كلمة يريد بها المتكلم معنىٰ غير المعنىٰ الأصلي لها، ويجوز إرادة المعنىٰ الأصلي من هذه الكلمة، وهذا هو الفرق بين الكناية، والمجاز المرسل.

فالمجاز المرسل: لا يُراد بالكلمة المعنىٰ الأصلي، فإن أريد بالكلمة المعنىٰ الأصلي لم يكن مجازا بخلاف الكناية.

فالكناية: تجوز إرادة المعنىٰ الأصلي.

ومن الأمثلة على ذلك: قولهم: زيد طويل النِّجاد.

هذا كناية عن طول القامة، لماذا؟

لأن المتكلم أراد بكلمة «**النِّجاد**» أن زيدا طويل القامة، ولم يرد المعنىٰ الأصلي وهو حمائل السيف، فكلمة «**النجاد**» في اللغة بمعنىٰ «**حمائل السيف**»؛ لأنه يلزم من طول حمائل السيف طول القامة.

مثال ثان: قولهم: عمرو رفيع العماد.

فهذه كناية عن سيادة عمرو في قومه.

فقوله: رفيع العماد، أراد به المتكلم أن عمرًا سيد قومه، ولم يرد معناه الأصلي الذي وضع له وهو علو عمود الخيمة، فيلزم من رفعة وعلو عمود الخيمة السيادة والرِّفعة في القوم.

ثم قال المصنف عفا الله عنه: «**الضابط الثاني: أقسامها ثلاثة**»: أي أقسام الكناية باعتبار المكني عنه ثلاثة أقسام:

«**الأول: كناية عن صفة.**

الثاني: كناية عن موصوف.

الثالث: كناية عن نِسبة».

أما القسم الأول: وهو كناية عن صفة فهو أن يذكر المتكلم شيئًا محسوسا، ويكني عن شيء معنوي.

مثال ذلك: قولهم: محمد كثير الرماد.

فهذا كناية عن صفة، وهي صفة الكرم، فهنا صرَّح المتكلم بالموصوف وهو محمد، وكنَّىٰ عنه بالصفة وهي الكرم، ولم يرد أن عنده رمادا كثيرا، والرماد هذا الحطب المحترق إنما أراد أنه يشعل النار كثيرا؛ لأجل الطبخ الذي يعده للضيفان، فقديما كانوا يطبخون علىٰ الحطب.

مثال ثان: قولهم: خديجة نؤوم الضحىٰ.

فهذا كناية عن صفة وهي الرفاهية وكثرة التنعم، فالمرأة التي تنام في الضحىٰ هذه ليس عندها أشغال، وذلك لأجل الرفاهية والتنعم عندها، فعندها من الخدم من يقوم بأشغالها.

مثال ثالث: قول القائل: محمد يُشار إليه بالبَنان.

فهذا كناية عن صفة وهي الشهرة وعلو المكانة، ولم يُرد المتكلم المعنىٰ الأصلي وهو الإشارة بالبَنان، وإنما أراد الصفة وهي الشهرة وعلو المنزلة، فالإشارة بالبَنان يلزم منها علو المنزلة، فالناس يشيرون، ويتطلعون لأصحاب المنازل العالية والرفيعة.

أما القسم الثاني من أقسام الكناية: فهو كناية عن موصوف: وهو أن يذكر المتكلم صفة، ويكني عن الموصوف.

من الأمثلة على ذلك: قولهم: جاء قابض يد.

فهذا كناية عن موصوف، وهو البخيل، ويلزم من قبض اليد عدم الإنفاق، ويلزم من عدم الإنفاق البخل.

مثال آخر: أن يقول القائل: جاء الرجل الرياضي.

فهذا كناية عن موصوف، وهو الرجل القوي، فلم يرد المتكلم الرياضة ذاتها، وإنما أراد الرجل القوي.

أما القسم الثالث من أقسام الكناية: فهو كناية عن نسبة: ومعناها: أن يَنسب المتكلم صفة إلىٰ الموصوف.

ومثال ذلك: أن يقول القائل: المجد بين ثوبيك.

فهذا كناية عن نسبة المجد إلىٰ الممدوح.

مثال آخر: أن يقول قائل: في ثوبيه أسد.

هذا كناية عن نسبة الشجاعة إلىٰ الممدوح.

مثال ثالث: أن يقول قائل: الكرم بين بُرديك.

فهذا كناية عن نسبة الكرم إلىٰ الممدوح.

أسئلة الدرس

السؤال الأول: ضع علامة صح أمام العبارة الصحيحة، وعلامة خطأ أمام العبارة الخاطئة مع تصويب الخطأ.

الأولى: الكناية هي لفظ أريد به معناه الذي وضع له مع جواز إرادة المعنىٰ الأصلي.

الثانية: الكناية عن صفة هي ما كان فيها المكني عنه صفة.

الثالثة: الكناية عن موصوف هي ما كان فيها المكني عنه موصوفا.

السؤال الثاني: بيِّن المكني عنه، ونوع الكناية في كل مما يأتي:

الأول: قوله تعالىٰ: ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧﴾ [الأنفال:٧].

الثاني: هو حارس علىٰ مالي.

الثالث: فلان رحب الذراع.

الرابع: الكرم في ثوبه.

الخامس: ألقىٰ فلان عصاه.

نكتفي بهذا القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الثاني عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الإخوة المؤمنون، وأيتها الأخوات المؤمنات في هذه الدورة العلمية المباركة، وهذا هو الدرس الثاني عشر من دروس علوم البلاغة من كتاب «البناية في شرح البداية في علوم البلاغة»، وفي هذا الدرس نتعرف سويًّا علىٰ المحسِّنات المعنوية وهي الطباق، والمقابلة، والتورية.

قال المصنف عفا الله عنه:

«الكتاب الثالث: علم البديع

وفيه بابان:

الباب الأول: المحسِّنات المعنوية.

الباب الثاني: المحسِّنات اللفظية».

قوله: «الكتاب الثالث: علم البديع»: هذا هو الفن والعلم الثالث من علوم البلاغة.

والفائدة من دراسة علم البديع: تزيين الألفاظ، أو المعاني بألوان بديعية، لذلك علم البديع قسمان:

١- محسنات معنوية.

٢- ومحسنات لفظية.

فالمحسنات المعنوية: هي ما يشتمل عليه الكلام من زينات جمالية معنوية، قد يكون بها أحيانا تحسين، وتزيين في اللفظ أيضًا، ولكن هذا يكون تبعا لا أصالة.

أما المحسنات اللفظية: فهي ما يشتمل عليه الكلام من زينات جمالية لفظية، قد تكون بها تحسين و تزيين في المعنىٰ أيضًا، ولكن تبعا لا أصالة.

إذن المحسنات المعنوية هي تزيين المعنىٰ، أما المحسِّنات اللفظية فهي تحسين اللفظ.

وقد أجمع أهل العلم علىٰ أن المحسِّنات لا سيما اللفظية منها لا تقع موقعها من الحُسن إلا إذا طلبها المعنىٰ، فإذا استرسل المتكلم فيها، فحينئذ لا تكون ممدوحة.

ثم ذكر المصنِّف عفا الله عنه الباب الأول، فقال:

«الباب الأول: المحسِّنات المعنوية

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الطباق.

الفصل الثاني: المقابلة.

الفصل الثالث: التورية».

هذه الفصول الثلاثة هي أنواع المحسِّنات المعنوية.

أما الطباق: ففي اللغة بمعنىٰ الموافقة، والمساواة، ويسمىٰ بالمطابقة، والتطبيق، والتضاد، والتكافؤ.

وأما المقابلة: فمعناها في اللغة المعارضة.

وأما التورية: فمعناها في اللغة الستر، يقال: ورَّيت الخبر، أي سترته.

ثم شرع المصنف عفا الله عنه في بيان هذه الفصول الثلاثة تفصيلا، فقال:

«الفصل الأول: الطباق

وفيه ضابطان:

الضابط الأول: الطباق: هو الجمع بين لفظين متقابلين في المعنى.

الضابط الثاني: أنواعه اثنان:

الأول: طباق إيجاب.

الثاني: طباق سلب».

أما طباق الإيجاب: فهو ما لم يختلف فيه الضدان إيجابا، وسلبا.

مثال ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞ ﴾ [الكهف:١٨].

فهنا طباق بين كلمتي: ﴿ أَيۡقَاظٗا ﴾، و﴿ رُقُودٞ ﴾، وهذا طباق إيجاب؛ لأنهما متضادتان، ولم يختلفا إيجابا وسلبا.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾ [الكهف:١٨].

فهنا طباق إيجاب بين: ﴿ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ ﴾، و﴿ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾، وذلك لأنهما متضادتان، ولم يختلفا إيجابا وسلبا.

مثال ثانٍ: قوله تعالىٰ: ﴿تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾ [آل عمران:٢٦].

فهنا طباق بين تؤتي، وتنزع، وهذا طباق إيجاب؛ لأنهما متضادتان، ولم يختلفا إيجابا وسلبا.

ثم قال سبحانه: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ﴾[آل عمران:٢٦].

فهنا أيضًا طباق بالإيجاب، فلم تختلف الكلمتان إيجابا، وسلبا.

مثال ثالث: قوله تعالىٰ: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡ ﴾[البقرة:٢٨٦].

فهنا طباق إيجاب بين: ﴿ لَهَا ﴾ و﴿ وَعَلَيۡهَا ﴾؛ لأنهما متضادتان، ولم يختلفا إيجابا، وسلبا.

أما طباق السلب، فهو الجمع بين فعلين من مصدر واحد أحدهما مثبَت، والأخر منفي، أو أحدهما أمر، والآخر نهي.

ومن الأمثلة على ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ ﴾ [المائدة:٤٤].

فهنا طباق سلب بين كلمتي: ﴿فَلَا تَخْشَوْا﴾ و﴿وَاخْشَوْنِ﴾، فالأولىٰ منفية، والثانية مثبَتة.

مثال ثان: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الروم:٦-٧].

هنا طباق سلب بين كلمتي ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ و﴿يَعْلَمُونَ﴾، فالأولىٰ منفية، والثانية مثبَتة.

مثال ثالث: قوله تعالىٰ: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ﴾ [النساء:١٠٨].

فبين كلمتي: ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾ و﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ﴾ طباق سلب، فالأولىٰ مثبَتة، والثانية منفية.

ثم قال المصنف عفا الله عنه:

«الفصل الثاني: المقابلة

وفيه ضابط واحد: المقابلة: هي ذكر معنيين أو أكثر، ثم ذكر ما يقابل ذلك على الترتيب».

أي يأتي المتكلم بمعنيين متوافقين، أو معان متوافقة، ثم يأتي بما يضاد ذلك علىٰ الترتيب، والمقابلة تكون بين جملتين.

مثال ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ [التوبة:٨٢].

فهذه الآية اشتملت علىٰ مقابلة حيث ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الضحك، والقلة، ثم ذكر عكس ذلك، وهو البكاء والكثرة.

مثال ثان: قوله تعالىٰ: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف:١٥٧].

فهذه الآية اشتملت علىٰ مقابلة حيث ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: التحليل، واللام في ﴿لَهُمُ﴾، والطيبات، ثم أتىٰ بما يضاد ذلك هو التحريم، وعلىٰ، والخبائث، فهذه مقابلة.

مثال ثالث: قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل:٥:١٠].

فهنا مقابلة حيث ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ العطاء، والتقوىٰ، والصدق، واليسرىٰ، ثم أتىٰ بما يقابل ذلك وهو البخل، والاستغناء، والكذب، والعسرىٰ.

ثم قال المصنف عفا الله عنه:

«الفصل الثالث: التورية

وفيه ضابط واحد: التورية هي ذكر لفظ مفرد له معنيان، أحدهما قريب ظاهر غير مراد، والآخر بعيد خفي هو المراد».

أي التورية هي أن يذكر المتكلم لفظا له معنيان أحدهما قريب، والآخر بعيد، فأما المعنىٰ القريب فلا يقصده المتكلم، وأما البعيد فهو الذي يقصده.

مثال ذلك: في حديث الهجرة كان يُسأل أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من هذا الرجل الذي بين يديك؟ فكان يقول: هذا الرجل -أي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يهديني السبيل، فيظن السائل: أنه إنما يعني الطريق، وإنما يريد أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سبيل الخير، أي يهديه السبيل إلىٰ الجنة، فهذه تورية.

فكلمة السبيل لها معنيان: معنىٰ قريب وهو الطريق، ومعنىٰ بعيد وهو سبيل الخير، وكان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يريد المعنىٰ البعيد.

وكذلك أيضًا في حديث الهجرة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ممن أنتما؟ فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نحن من ماء**».

فكلمة ماء لها معنيان: المعنىٰ الأول معنىٰ قريب، والثاني معنىٰ بعيد، أما المعنىٰ القريب فهو اسم مكان، وأما المعنىٰ البعيد فهو المَني، أي مخلوقون من مني، كما قال سبحانه: ﴿خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝٧﴾ [الطارق:٦:٧]، فهنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يريد المعنىٰ البعيد أنهم مخلوقون من مَني.

كذلك من الأمثلة على ذلك: حديث أبي طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما سأل امرأته عن ولده وكان مريضا: كيف الغلام؟ قالت: قد هدأت نفسه وأرجو أن يكون قد استراح، وظن أبو طلحة أنها صادقة.

فقولها: هدأت نفسه له معنيان: المعنىٰ الأول اطمأنت، والثاني ماتت، وهي تريد أنه مات، فهذه تورية.

أسئلة الدرس

السؤال الأول: ضع علامة صح أمام العبارة الصحيحة وعلامة خطأ أمام العبارة الخاطئة:

الأولى: المحسنات المعنوية هي ما يشتمل عليه الكلام من زينات جمالية لفظية.

الثانية: الطباق هو الجمع بين لفظين متقابلين في المعنىٰ.

الثالثة: طباق الإيجاب هو الجمع بين فعلين أحدهما مثبَت، والآخر منفي.

الرابعة: المقابلة هي ذكر معنيين، أو أكثر ثم ذكر ما يقابل ذلك علىٰ الترتيب.

السؤال الثاني: بيِّن المحسِّنات المعنوية في كل مما يأتي:

الأول: قوله تعالىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾[الأنعام:١٢٢].

الثاني: قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾[الحديد:٣].

الثالث: قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾﴾ [النبأ:١٠-١١].

الرابع: قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه**».

الخامس: قوله تعالىٰ: ﴿فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان:٧٠].

السادس: قوله تعالىٰ: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ﴿٤٤﴾ ﴾ [النجم:٤٣:٤٤].

السابع: كيف يشكو من الظمأ من له هذه العيون؟

الثامن: ومن العجائب لفظها حر، ومعناها رقيق.

نكتفي بهذا القدر، وصلاة وسلامًا على المبعوث رحمة للعالمين،

وعلى آله وصحبه أجمعين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الثالث عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الإخوة المؤمنون، وأيتها الأخوات المؤمنات في هذه الدورة العلمية المباركة، وهذا هو الدرس الثالث عشر من دروس علوم البلاغة من كتاب «البناية في شرح البداية في علوم البلاغة»، وفي هذا الدرس نتعرف علىٰ المحسِّنات اللفظية وهي الجناس، والسجع، والاقتباس.

قال المصنف عفا الله عنه:

«الباب الثاني: المحسنات اللفظية

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الجِناس.

الفصل الثاني: السَّجْع.

الفصل الثالث: الاقتباس».

هذه الثلاثة هي فنون ثلاثة تشتمل عليها المحسنات اللفظية.

أما الجِناس: في اللغة فمعناه المشاكَلة.

وأما السجع: فمعناه في اللغة الصوت المتوازن، والكلام المقفَّىٰ.

وأما الاقتباس: فأصله في اللغة طلب القبس وهو الشُّعلة، ثم استُعير لطلب العلم والهداية.

ثم شرع المصنف عفا الله عنه في بيان هذه الفنون الثلاثة بشيء من التفصيل، فقال:

«الفصل الأول: الجناس

وفيه ثلاثة ضوابط:

الضابط الأول: الجناس: هو تشابه لفظين في النطق واختلافهما في المعنى».

أي الجناس هو أن يتفق لفظان في النطق، ويختلفا في المعنىٰ.

ثم قال المصنف عفا الله عنه: «الضابط الثاني: أنواعه اثنان:

الأول: جناس تام.

الثاني: جناس غير تام».

أما الجناس التام: فمعناه اتفاق اللفظين في نوع الحروف، وشكلها، وعددها، وترتيبها.

أما الجناس غير التام: فهو اختلاف اللفظين في نوع الحروف، أو شكلها، أو عددها، أو ترتيبها.

ثم شرع المصنف عفا الله عنه في تعريف نوعي الجناس فقال: «الضابط الثالث: الجناس التام هو ما اتفق فيه اللفظان في أربعة أشياء هي نوع الحروف، وشكلها، وعددها، وترتيبها، وإن اختلفتا في واحد منها صار غير تام».

أي الجناس التام هو ما اتفق فيه اللفظان في أربعة أشياء:

الأول: نوع الحروف: ألف، باء، تاء، ثاء، جيم، حاء، إلىٰ آخره.

الثاني: شكل الحروف: والمراد به الحركات: فتحه، كسرة، ضمة، أو سكون.

وأما الثالث: عدد الحروف: يعني هذه الكلمة حرفان، وهذه حرفان، وهذه ثلاثة وهذه ثلاثة.

الرابع: ترتيب الحروف: أي يكون ترتيب الحروف بين اللفظين واحد، يعني ألف باء تاء في هذا اللفظ، وفي اللفظ الآخر ألف باء تاء، وهكذا.

أما إذا اختلف اللفظان في واحد من هذه الأربعة صار الجناس غير تامٍّ، أي ناقصا.

ومن أمثلة الجناس التام: قوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم:٥٥].

فهنا بين لفظتي الساعة الأولىٰ، والساعة الثانية جناس تام، فالأولىٰ بمعنىٰ القيامة، والثانية بمعنىٰ جزء من الوقت، فهنا جناس تام؛ لاتفاق اللفظين في نوع الحروف، والشكل، والعدد، والترتيب.

ومن الأمثلة أيضًا على ذلك: قول الشاعر:

عباسُ عباسٌ إذا احتدم الوغى والفَضل فضلٌ والربيعُ ربيعُ

فهنا في هذا البيت ثلاثة مواضع للجناس التام بين عباس وعباس، والفضل والفضل، والربيع والربيع، فعباس الأولىٰ اسم قاضٍ، وعباس الثانية صيغة مبالغة من العَبوس، والفضل الأولىٰ اسم أحد وزراء بني العباس، والفضل الثانية بمعنىٰ الشرف والعلو، والربيع الأولىٰ اسم أحد وزراء بني العباس، وربيع الثانية بمعنىٰ الخَصب والنماء.

أيضًا من الأمثلة على الجناس التام: أن تقول: كريم ذو خلق كريم.

فكريم الأولىٰ اسم شخص، والثانية صفة، وهي الكرم.

ومن الأمثلة على الجناس الناقص أو غير التام: قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ﴾ [النساء:٨٣].

فالجناس بين كلمتي: أمر، والأمن، فهذا جناس ناقص، وذلك لأجل اختلافهما في نوع الحروف، فآخر حرف في الكلمة الأولىٰ هو الراء، وآخر حرف في الكلمة الثانية هو النون.

أيضًا من الأمثلة على الجناس الناقص: قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [غافر:٧٥].

فبين لفظتي: ﴿تَفْرَحُونَ﴾ و﴿تَمْرَحُونَ﴾ جناس ناقص، لماذا؟ لاختلافهما في نوع الحروف، فالأولىٰ بالفاء، والثانية بالميم: ﴿تَفْرَحُونَ﴾، ﴿تَمْرَحُونَ﴾.

ومن الأمثلة أيضًا على الجناس غير التام: قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾ [القيامة:٢٩:٣٠].

فبين كلمتي ﴿ٱلسَّاقُ﴾، و﴿ٱلْمَسَاقُ﴾ جناس غير تام، لماذا؟ لاختلافهما في عدد الحروف، فالمساق الثانية تزيد علىٰ الأولىٰ بحرف «الميم».

أيضًا من الأمثلة على الجناس غير التام: قوله تعالىٰ: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [طه:٩٤].

فالجناس بين كلمتي: ﴿بَيْنَ﴾ و﴿بَنِيٓ﴾، فهنا جناس ناقص، لماذا؟ لأجل اختلافهما في ترتيب الحروف.

أيضًا من الأمثلة على الجِناس غير التام: أن تقول: أكلتُ العَشاء قبل صلاة العِشاء.

فهنا جناس بين كلمتي العَشاء والعِشاء وهو جناس ناقص؛ لأجل اختلافهما في شكل الحروف.

ثم قال المصنف عفا الله عنه:

«الفصل الثاني: السجع

وفيه ضابط واحد: السجع هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير».

أي السجع هو اتحاد وتماثل فقرتين، أو أكثر في الحرف الأخير، أي الحرف الأخير في كل فقرة متشابه.

مثال ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الواقعة:٢٨:٣٠].

فهنا في هذه الآيات الثلاثة سجع، وذلك لاتفاق الآيات الثلاثة في الحرف الأخير، وهو الدال.

مثال آخر: قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢﴾ [النجم:١-٢]

فهنا في هاتين الآيتين سجع، وذلك لاتفاقهما في الحرف الأخير وهو الألف.

مثال ثالث: قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ١ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ٢ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ٣﴾ [العاديات:١-٣].

فهنا في هذه الآيات الثلاثة سجع، وذلك لاتفاقها في الحرف الأخير وهو الألف.

ثم قال المصنف عفا الله عنه:

«الفصل الثالث: الاقتباس

وفيه ضابط واحد: الاقتباس: هو تضمين الشعر، أو النثر شيئًا من القرآن، أو الحديث على وجه لا يُشعِر بأنه منهما».

أي الاقتباس هو أن يضمِّن المتكلم كلامه بنصوص من القرآن، أو الحديث من غير أن يصرِّح بأنه من القرآن أو الحديث.

ومن الأمثلة على ذلك: قول الشاعر:

رحلوا فلستُ مسائِلا عن دارهم ... أنا باخعٌ نفسي على آثارهم

فهنا اقتبس الشاعر الشطر الثاني من قوله تعالىٰ: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦﴾ [الكهف:٦].

أيضًا من الأمثلة على ذلك: قول الشاعر:

ولا تعادِ الناس في أوطانهم ... قلمَّا يرعى غريب الوطن

وإذا ما شئتَ عيشًا بينهم ... خالقِ الناس بخُلْق حسن

فالشطر الأخير اقتبسه الشاعر من قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خالق الناس بخُلُق حسن**».

أسئلة الدرس

السؤال الأول: ضع علامة صح أمام العبارة الصحيحة، وعلامة خطأ أمام العبارة الخاطئة مع تصويب الخطأ:

الأولى: الجناس هو تشابه لفظين في المعنىٰ، واختلافهما في النطق.

الثانية: الجناس التام هو ما اتفق فيه اللفظان في أربعة أشياء هي نوع الحروف، وشكلها، وعددها، وترتيبها.

الثالثة: السجع هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير.

الرابعة: الاقتباس هو تضمين الشعر، أو النثر شيئًا من القرآن، أو الحديث علىٰ وجه لا يشعر بأنه منهما.

السؤال الثاني: بيِّن المحسِّنات اللفظية في كل مما يأتي:

الأول: قوله تعالىٰ: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ [الهُمَزة:١].

الثاني: قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾ [الضُّحى:٩-١٠].

الثالث: محمود ذو خُلُق محمود.

الرابع: قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣﴾ [المرسلات:١-٣].

الخامس: قوله تعالىٰ: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝٢٥ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ۝٢٦﴾ [طه:٢٥-٢٦].

السادس: يوم يأتي الحساب ما لظلوم من حميم، ولا شفيع يطاع.

وبهذا يكون انتهينا بفضل الله تعالىٰ من دراسة كتاب «**البناية في شرح البداية في علوم البلاغة**».

وفي الدرس القادم إن شاء الله تعالىٰ سنعمل مراجعة عامة علىٰ علوم البلاغة الثلاثة.

هذا، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلاة وسلامًا على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الرابع عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مرحبًا بكم أيها الإخوة المؤمنون، وأيتها الأخوات المؤمنات في هذه الدورة العلمية المباركة، وهذا هو الدرس الأخير من دروس علوم البلاغة من كتاب «**البناية في شرح البداية في علوم البلاغة**»، وفي هذا الدرس سنراجع مراجعة عامة علىٰ علوم البلاغة الثلاثة.

عرفنا أن علوم البلاغة ثلاثة:

الأول: علم المعاني.

الثاني: علم البيان.

الثالث: علم البديع.

أما علم المعاني: فيعينك علىٰ التكلم بكلام يطابق الحال التي أنت فيها، والحالُ هي الدافع الذي جعلك تتكلم فلكل مقام مقال، فمقام الحزن له أسلوب، فمقام الفرح له أسلوب، ومقام المدح له أسلوب، ومقام الذم له أسلوب، وهكذا.

أما علم البيان: فيعينك علىٰ تأدية المعنىٰ الواحد بطرق مختلفة، مرة بالتشبيه، ومرة بالمجاز، ومرة بالاستعارة، ومرة بالكناية.

أما علم البديع: فهو علم مكمِّل لعلمي المعاني والبيان، وهو علم يعينك علىٰ تحسين الكلام، وتجميله.

فهذه هي العلوم الثلاثة التي تشتمل عليها البلاغة.

أما علم المعاني فيشتمل على أربعة فنون:

الأول: الكلام.

الثاني: القصر.

الثالث: الإيجاز، والإطناب، والمساواة.

الرابع: الوصل، والفصل.

وأما علم البيان، فيشتمل على أربعة فنون، وهي:

١- التشبيه.

٢- والمجاز المرسل.

٣- والاستعارة.

٤- والكناية.

وأما علم البديع فيشتمل على فنين، وهما:

١- المحسِّنات المعنوية.

٢- والمحسِّنات اللفظية.

هذه هي علوم البلاغة إجمالا.

أما عند التفصيل نقول: **علم المعاني يشتمل على أربعة فنون، أو أربعة أبواب:**

الأول: الكلام، والكلام ينقسم عند البلاغيين قسمين:

الأول: كلام خبري.

الثاني: كلام إنشائي.

أما الكلام الخبري: فهو كلام يحتمل الصدق، والكذب لذاته.

وأما الكلام الإنشائي فلا يحتمل الصدق، ولا الكذب.

يعني الكلام الخبري يمكن أن تصفه بالصدق، أو بالكذب، أما الإنشائي فلا يمكن أن تصفه بالصدق، ولا بالكذب.

الكلام الخبري ينقسم ثلاثة أقسام:

الأول: ابتدائي.

والثاني: طلبي.

الثالث: إنكاري.

أما الابتدائي فهو يكون عند مخاطبة خالي الذهن.

فالأصل في الكلام الخبري أن يأتي خاليا من التوكيد، فإذا أوتي بالتوكيد في موضع لا يحتاجه كان لغوا.

أما الكلام الخبري الطلبي: فهو الذي يحسن توكيده بمؤكد واحد هذا يكون عند مخاطبة شاكٍّ في الأمر، تقول مثلا: قد جاء محمد، هو يشك، هل جاء أو لم يأت؟ فهنا يحسن توكيد الكلام بمؤكد.

أما الكلام الخبري الإنكاري: فهذا يكون عند مخاطبة منكِر، فهنا يجب توكيد الكلام بمؤكِّد، أو بمؤكدين، أو ثلاثة.

مثال تقول: إنَّ محمدا مسافر، فهنا أكدتَ الكلام بمؤكد واحد وهو «إن».

أو تقول: إن محمدا لمسافر، فهنا أكدتَ الكلام بمؤكدين: «إن»، و«اللام».

أو تقول: والله إن محمدا لمسافر، فهنا أكدت الكلام بثلاثة مؤكدات: «القسم»، و«إن»، و«اللام».

أما الكلام الإنشائي فينقسم قسمين:

١- كلام طلبي.

٢- وكلام غير طلبي.

أما الطلبي: فالمقصود به الطلب.

أما غير الطلبي: فلا يقصد به الطلب.

ومن الطلبي: أسلوب الأمر، وأسلوب النهي، وأسلوب الاستفهام، وأسلوب التمني، وأسلوب النداء، فكل هذه الأساليب من الإنشائي الطلبي.

أما غير الطلبي: فمنه: التعجب، والقسم، والمدح، والذم، وصيغ العقود، كالبيع، والإجارة، والزواج، والطلاق ونحو ذلك.

أما الفن الثاني من فنون علم المعاني فهو القصر، والقصر هذا يسمىٰ بالتخصيص، والحصر، وله طرق أربعة:

الطريق الأولى: النفي، والاستثناء: يعني أن ينفي المتكلم، ثم يستثني شيئًا، يقول: ما جاءني إلا محمد، فهنا نفىٰ ثم استثنىٰ.

الطريق الثانية: «إنما»: «**إنما الأعمال بالنية**».

الطريق الثالثة: العطف، وهذا يكون بثلاثة حروف «لا، بل، لكن»، وكل واحد من هذه الحروف الثلاثة له شروط يمكن أن ترجع إليها في الكتاب.

أما الطريق الرابعة: فهو تقديم ما حقُّه التأخير.

مثاله: قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:٥]، فأصل الكلام نعبد إياك، ونستعين إياك.

والقصر له ركنان:

١- مقصور.

٢- ومقصور عليه.

أما المقصور فهو الصفة المقصورة، وأما المقصور عليه فهو الذي خُصصت الصفة من أجله.

مثال ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

هنا المقصور هو العبادة، وهي الصفة التي خُصصت، والمقصور عليه هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، خُصصت العبادة هي الصفة من أجله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والقصر أشهر أنواعه أربعة:

الأول: قصر حقيقي.

الثاني: قصر إضافي.

الثالث: قصر صفة علىٰ موصوف.

الرابع: قصر موصوف علىٰ صفة.

أما القصر الحقيقي: فهو ما كان فيه النفي عاما ينطبق علىٰ كل ما عدا المقصور عليه.

مثاله: قوله تعالىٰ: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد:١٩].

فهنا نفىٰ الألوهية عن كل ما سوىٰ الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، فهذا قصر حقيقي.

أما القصر الإضافي: فهو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الإضافة، والنسبة إلىٰ شيء معين لا لجميع ما عداه.

مثال ذلك: قول القائل: ما زيد إلا مسافر.

فهنا قصر المتكلم السفر علىٰ زيد، وليس معناه أنه لا يوجد مسافر سواه.

أما النوع الثالث من أنواع القصر: فهو قصر صفة على موصوف.

والمراد بالصفة هنا الصفة المعنوية، ومعناه: أن تختص الصفة بالموصوف، فلا يتصف بها ما عداه، ويجوز أن يكون للموصوف صفات أخرىٰ.

مثال ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ [البقرة:٢٥٥].

فهنا قصر صفة الإلهية علىٰ الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ دون كل من عداه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وليس معنىٰ هذا أن الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لا يتصف إلا بهذه الصفة، بل إن الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ يتصف بصفات أخرىٰ.

أما النوع الرابع: فهو قصر موصوف على صفة، ومعناه أن يختص الموصوف بالصفة دون كل ما عداها من الصفات.

مثال ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ﴾ [الأنعام:٣٢].

فهنا قصر الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ صفة اللعب واللهو علىٰ الحياة، وليس في الآية ما يمنع اتصاف غير الحياة بهذه الصفة، فالحياة تتصف بصفات أخرىٰ غير هذه الصفة.

أما الفن الثالث: وهو الإيجاز، والإطناب والمساواة.

فهذه الثلاثة تسمىٰ بطرق التعبير عما في النفس، أو عما في الضمير.

فالمراد بالإيجاز: أن يكون اللفظ قليلا، والمعنىٰ كثيرا.

وأما الإطناب: فعكسه أن يأتي اللفظ كثيرا، والمعنىٰ قليلا.

وأما المساواة: فمعناها: أن يساوي اللفظ المعنىٰ.

والإيجاز قسمان:

١- إيجاز قِصر.

٢- وإيجاز حذف.

أما إيجاز القِصر: أن يكون اللفظ قليلا، والمعنىٰ كثيرا.

وأما إيجاز الحذف: فهو أن يحذف كلمة، أو أكثر من جملة، وغالبا يأتي بالقصص القرآنية.

وأما الإطناب ينقسم ثلاثة أنواع:

الأول: ذكر الخاص بعد العام.

ومثاله: قوله تعالىٰ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة:٢٣٨].

فهنا الصلوات عام، ثم خصص الصلاة الوسطىٰ، وهي العصر.

الثاني: ذكر العام بعد الخاص.

مثاله: قوله تعالىٰ ﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ﴾[آل عمران:٨٤].

فهنا خصص الله عَزَّوَجَلَّ موسىٰ وعيسىٰ بالذكر، ثم عم فقال: ﴿وَٱلنَّبِيُّونَ﴾.

الثالث: الأيضّاح بعد الإبهام.

يعني أن يتكلم المتكلم بكلام موهم، ثم يوضح ذلك.

ومثاله: قوله تعالىٰ: ﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [الشعراء:١٣٢] ما هو الذي تعلمون؟ وضّحه في الآية التالية، فقال: ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الشعراء:١٣٣]

أما الفن الرابع من فنون علم المعاني فهو الوصل والفصل.

يعني متىٰ يجب الفصل بين جملتين؟، ومتىٰ يجب الوصل بين جملتين؟

فيجب الفصل بين جملتين في ثلاثة مواضع:

الأول: أن يكون بين الجملتين اتحاد تام، وهذا يكون إذا كانت الجملة الثانية بدلا عن الجملة الأولىٰ، أو بيانا للجملة الأولىٰ، أو تأكيدا للجملة الأولىٰ.

أما الموضع الثاني: فهو أن يكون بين الجملتين تباين تام، أي اختلاف تام، وهذا يكون إذا اختلفت الجملتان خبرا وإنشاء، أو ألا يكون بين الجملتين مناسبة في المعنىٰ، فهنا يجب الفصل.

أما الموضع الثالث: فهو أن تكون الجملة الثانية جوابا عن سؤال يفهم من الجملة الأولىٰ.

هذه المواضع الثلاثة يجب فيها الفصل بين الجملتين.

أما مواضع وجوب الوصل بين الجملتين فهي ثلاثة أيضًا:

الأول: إذا اتفقت الجملتان خبرا أو إنشاء، وكانت بينهما مناسبة تامة، ولم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما.

الثاني: إذا اختلفت الجملتان خبرا أو إنشاء، وأوهم الفصل خلاف المقصود.

الثالث: إذا قصد المتكلم إشراك الجملتين في الحكم الإعرابي.

هذا هو ملخص علم المعاني.

أما علم البيان فكما قلنا يشتمل على أربعة فنون:

الأول: التشبيه، والتشبيه هو عقد مماثلة بين شيئين أو أكثر؛ لاشتراكهما في صفة، أو أكثر بأداة بينهما.

وعلى هذا فأركانه أربعة:

١- مشبَّه.

٢- ومُشَبَّه به.

٣- وأداة التشبيه.

٤- ووجه الشبَّه.

ومثال ذلك: أن تقول: محمد كإبراهيم في الشجاعة.

فهنا محمد هو المشبَّه، وإبراهيم هو المُشَبَّه به، والكاف هي أداة التشبيه، ووجه الشبه هو الصفة التي اشتركا فيها، وهي الشجاعة.

والتشبيه أربعة أنواع:

الأول: مرسَل.

الثاني: مؤكَّد.

الثالث: مفصَّل.

الرابع: تمثيل.

أما التشبيه المرسَل، والتشبيه المؤكَّد فكل واحد منهما عكس الآخر.

التشبيه المرسل: ما ذُكرت فيه أداة التشبيه.

أما التشبيه المؤكَّد: ما حُذفت منه أداة التشبيه.

أما التشبيه المفصل: فهو التشبيه الذي ذُكر فيه وجه الشبه، عكسه التشبيه المجمل، وهو التشبيه الذي لم يُذكر فيه وجه الشبه.

أما النوع الرابع من أنواع التشبيه فهو تشبيه تمثيل، وهو ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد، وعكسه **تشبيه غير تمثيلي**، وهو ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من مفرد، فإذا حُذف من التشبيه المُشَبَّه، أو المُشَبَّه به كان التعبير استعارة كما سيأتي.

أما الفن الثاني من فنون علم البيان: فهو المجاز المُرسَل.

والمجاز المرسل هو كلمة استُعملت في غير معناها الأصلي لوجود عَلاقة بين المعنىٰ الحقيقي، والمعنىٰ المجازي غير المشابهة.

فإن كانت العلاقة بين المعنيين الحقيقي والمجازي هي المشابهة لم يكن الأسلوب مجازا، وإنما يكون استعارة.

ما هي العلاقة بين المعنيين؟ العَلاقة: قد تكون سببية، وقد تكون مسبَّبة أو مسبَّبية، وقد تكون جزئية، وقد تكون كلية.

أما السببية فهي أن يذكر المتكلم السبب، ويريد المسبب.

وأما المسبَّبة فهي أن يذكر المتكلِّم المسبَّب، ويريد السبب.

وأما الجزئية فهي أن يذكر المتكلم الجزء، ويريد الكل.

وأما الكلية فهي أن يذكر المتكلم الكل، ويريد الجزء.

والأمثلة موجودة في الكتاب يمكنك الرجوع إليها.

أما الفن الثالث من فنون علم البيان فهو الاستعارة.

والاستعارة هي تشبيه حذف أحد طرفيه، ما هما طرفا التشبيه؟

١- المشبَّه.

٢- والمُشَبَّه به.

والاستعارة لها أركان ثلاثة:

الأول: مستعار، وهو الجامع بين المُشَبَّه، والمُشَبَّه به.

والثاني: مستعار منه، وهو المُشَبَّه به.

والثالث: مستعار له، وهو المشبَّه.

والاستعارة نوعان:

١- استعارة تصريحية.

٢- واستعارة مكنية.

أما الاستعارة التصريحية فهي التي صُرِّح فيها بالمُشَبَّه به.

أما الاستعارة المكنية فهي التي حُذف منها المُشَبَّه به، ورُمز له بشيء من لوازمه.

أما الفن الرابع من فنون علم البيان: فهو الكناية.

والكناية هي لفظ أُريد به غير معناه الذي وضع له مع جواز إرادة المعنىٰ الأصلي، وهي تنقسم ثلاثة أقسام:

١- كناية عن صفة.

٢- وكناية عن موصوف.

٣- وكناية عن نسبة.

لو قلنا: فلان ربيب أبي الهول، فهذا كناية عن صفة وهي كتمان السر.

ولو قلنا: جاءه النذير، فهذا كناية عن موصوف وهو قرب الموت.

ولو قلنا: الكرم بين برديك، فهذا كناية عن نسبة الكرم إلىٰ الممدوح.

هذا مجمل العلم الثاني من علوم البلاغة، وهو علم البيان.

أما **علم البديع**، فيشتمل علىٰ فنين:

الأول: المحسِّنات المعنوية.

الثاني: المحسِّنات اللفظية.

أما المحسِّنات المعنوية، فهي محسنات تكون في المعنىٰ.

وأما المحسِّنات اللفظية، فهي محسنات تكون في اللفظ.

والمحسنات المعنوية ثلاثة: طباق، ومقابلة، وتورية.

والطباق ينقسم قسمين: طباق إيجاب، وطباق سلب.

أما طباق الإيجاب فهو ما لم يختلف فيه الضدان إيجابا، وسلبا.

وأما السلب فهو أن يأتي بكلمة مثبَتة، ثم يأتي بنفيها.

والطباق يسمىٰ بالتضاد، مثال: الخير والشر، والنوم واليقظة، فهذا يسمىٰ **بطباق الإيجاب**.

وأما طباق السلب، فمثاله: قوله تعالىٰ: ﴿ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ

ٱللَّهِ ﴾ [النساء:١٠٨]، ﴿ يَسۡتَخۡفُونَ ﴾ أتت مثبَتة، ثم أتت منفية، فهذا طباق سلب.

أما المقابلة: فهي أوسع من الطباق، ومعناها أن يأتي المتكلم بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة، ثم يأتي بما يضاد ذلك علىٰ الترتيب.

مثاله: قوله تعالىٰ: ﴿ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا ﴾ [التوبة:٨٢]

فهنا أُتي بالضحك، والقلة، ثم أتي بعكس ذلك وهو البكاء، والكثرة.

وأما التورية: فهي أن يتكلم المتكلم بكلام يحتمل احتمالين: الأول قريب، والثاني بعيد، وهو يريد المعنىٰ البعيد.

أما المحسنات اللفظية فهي ثلاثة:

١- جناس.

٢- وسجع.

٣- واقتباس.

أما الجناس: فمعناه أن يتشابه لفظان في النطق، ويختلفا في المعنىٰ وهو قسمان:

١- جناس تام.

٢- وجناس ناقص.

أما الجناس التام، فهو اتفاق اللفظين في نوع الحروف، وشكلها، وعددها، وترتيبها.

أما الجناس الناقص فهو اختلاف اللفظين في نوع الحروف، أو شكلها، أو عددها، أو ترتيبها

وأما السجع: فهو اتفاق الحرف الأخير في الكلمة الأخيرة من كل جملة.

مثال ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ﴿٢٨﴾ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ﴿٢٩﴾ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الواقعة:٢٨-٣٠]

وهنا حرف الدال متفق في آخر كلمة من كل آية من هذه الآيات الثلاثة.

وأما الاقتباس: فهو أن يضمِّن المتكلم كلامه بشيء من القرآن، أو الحديث بحيث لا يُشعر المخاطَب بأنه منهما.

هذا هو ملخص علوم البلاغة الثلاثة، ولكي تتقن هذا العلم جيدا عليك **أولًا**: بسماع الدروس.

ثانيًا: بقراءة الكتاب قراءة جيدة.

ثالثًا: بإجابة التدريبات الموجودة في الكتاب.

ثم إن أردتَ أن تدرس شيئًا آخر في علوم البلاغة، فأنا أرشِّح لك كتاب «**البلاغة الواضحة**»، للأستاذين: علي الجارم، ومصطفىٰ آمين.

أسال الله الكريم أن يبارك لنا ولكم، وأن يرزقنا وإياكم الإخلاص في القول والعمل.

وأن يحشرنا، وإياكم مع الأنبياء والصديقين في الفردوس الأعلىٰ من الجنة.

هذا، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الفهـرس

فهرس المجلد الرابع [السيرة، واللغة]

كتب للمؤلف

علوم القرآن:

١- الفرق بين الرسم العثماني، والرسم الإملائي الذي جرىٰ عليه العُرف.

٢- هل البسملة آية من كتاب الله ؟

٣- ردود القرآن علىٰ كفار قريش في بعض دعاويهم.

٤- علم المصطلح وتعريفه في القرآن كما ظهر عند السيوطي في الإتقان.

العقيدة:

١- حصول المنة بشرح أصول السنة للإمام أحمد.

٢- تمام المنة علىٰ شرح السنة للإمام المزني.

٣- حرز الأماني شرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني.

٤- فتح الرب الغني علىٰ أصول السنة للإمام الحُمَيدي.

٥- الاعتماد شرح لمعة الاعتقاد.

٦- الدرر البهية شرح العقيدة الواسطية.

٧- التعليقات المرضية علىٰ المنظومة اللامية.

٨- فتح الرب الحميد شرح كتاب التوحيد.

٩- تحقيق كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

١٠- أوجز العبارات علىٰ كشف الشبهات.

١١- الكلمات السديدة شرح البداية في العقيدة.

١٢- الهداية الرشيدة شرح البداية في العقيدة.

١٣- فتح المنان شرح أصول الإيمان.

١٤- تهذيب كتاب أصول الإيمان.

١٥- القول السديد شرح تفسير كلمة التوحيد.

١٦- القول الأبلغ علىٰ القواعد الأربع.

١٧- الشرح المأمول علىٰ ثلاثة الأصول.

١٨- إعلام الأنام بشرح نواقض الإسلام.

١٩- شرح الأصل الجامع لعبادة الله وحده.

٢٠- حصول المأمول بشرح ستة الأصول.

٢١- المقصد المأمول من معارج القبول.

٢٢- التوضيحات الجلية للمصطلحات الكونية والشرعية [مطبوع ملحقا بكتاب «**فتح الرب الغني علىٰ أصول السنة للإمام الحميدي**»].

٢٣- حاشية علىٰ منهج العقيدة للمبتدئين.

٢٤- الإيمان عند السلف.

٢٥- الشيعة [مطبوع ملحقا بكتاب «**الكلمات السديدة شرح البداية في العقيدة**»].

٢٦- العذر بالجهل [مطبوع ملحقًا بكتاب «**أوجز العبارات علىٰ كشف الشبهات**»].

٢٦- الشرح المختصر علىٰ البداية في العقيدة.

٢٧- الشرح المختصر علىٰ أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل.

٢٨- الشرح المختصر علىٰ أصول السنة للإمام الحميدي.

٢٩- الشرح المختصر علىٰ شرح السنة للإمام المزني.

٣٠- الشرح المختصر علىٰ مقدمة ابن أبي زيد القيرواني.

٣١- الشرح المختصر علىٰ لمعة الاعتقاد الهادي إلىٰ سبيل الرشاد.

٣٢- الشرح المختصر علىٰ المنظومة اللامية لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٣٣- الشرح المختصر علىٰ ثلاثة الأصول.

٣٤- الشرح المختصر علىٰ نواقض الإسلام.

٣٥- الشرح المختصر علىٰ القواعد الأربع.

٣٦- الشرح المختصر علىٰ ستة الأصول.

٣٧- الشرح المختصر علىٰ الأصل الجامع لعبادة الله وحده.

٣٨- الشرح المختصر علىٰ تفسير كلمة التوحيد.

٣٩- الشرح الميسر علىٰ البداية في العقيدة.

الحديث:

١- جني الثمار شرح صحيح الأذكار.

٢- التحفة السَّنِيَّة في شرح الأربعين النووية.

٣- خزينة الأسرار في طريق الأبرار.

٤- الشرح المختصر علىٰ صحيح الأذكار.

٥- الشرح المختصر علىٰ الأربعين النووية.

الفقه:

١- التوثيق لبداية المتفقه.

٢- الاختيارات الفقهية للإمام أبي بكر بن المنذر في أحكام الأسرة «**رسالة ماجستير**».

٣- سِمْط اللآلي في الاختيارات الفقهية للشيخ وحيد بن بالي.

٤- كيف تحسب زكاة مالك ؟

٥- رحلة الحجيج من البداية إلىٰ النهاية.

٦- الدرر البهية في فقه الأضحية.

٧- كيف نصلي كما كان النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي؟

٨- مختصر التوثيق لبداية المتفقه.

٩- مختصر كيف تحسب زكاة مالك؟

١٠- مختصر أحكام الأسرة للإمام ابن المنذر.

١١- الشرح المختصر علىٰ منظومة القواعد الفقهية.

المواريث:

١- البداية المختصرة في علم المواريث.

٢- هداية الوريث شرح بداية المواريث.

٣- التقريرات السنية علىٰ المنظومة الرحبية.

٤- أحكام الوصية الواجبة.

٥- الشرح المختصر علىٰ البداية في المواريث.

الآداب الإسلامية:

١- اللآلئ البهية شرح صحيح الآداب الإسلامية.

٢- المفيد في آداب العيد.

٣- مختصر الآداب الإسلامية.

أصول الفقه:

١- الكفاية في شرح البداية في أصول الفقه.

٢- السنة النبوية ومكانتها في التشريع الإسلامي.

٣- الشرح المختصر علىٰ البداية في أصول الفقه.

القواعد الفقهية:

١- الكواكب الدرية علىٰ منظومة القواعد الفقهية.

٢- قواعد الترجيح بين النصوص الشرعية التي ظاهرها التعارض «**دراسة تأصيلية تطبيقية**»، «**جزء من رسالة ماجستير**».

٣- مختصر قواعد الترجيح بين النصوص الشرعية التي ظاهرها التعارض.

مصطلح الحديث:

١- المختصر في علم مصطلح الحديث والأثر.

٢- علم المصطلح في الحديث دراسة تطبيقية «**صحيح البخاري أنموذجا**».

٣- نشأة، وتطور علم مصطلح الحديث.

٤- مبادئ علم مصطلح الحديث، والأثر.

السيرة النبوية:

١- إسعاد البرية بشرح الخلاصة البهية في ترتيب أحداث السيرة النبوية.

٢- الدُّر المجتبىٰ في وصف المصطفىٰ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣- تيسير الوصول إلىٰ غزوات الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٤- المختصر في السيرة النبوية.

٥- المختصر في وصف المصطفىٰ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

اللغة:

١- المختصر في النحو «كتاب غني بالأمثلة، والجداول، والتدريبات».

٢- البِنَايةُ في شرح البداية في علوم البلاغة.

٣- البداية في علوم البلاغة.

٤- الخليل بن أحمد ومنهجه في كتاب «**العين**».

٥- مباحث حول مسألة «**نزع الخافض**».

٦- مبادئ علم النحو.

٧- الشرح المختصر علىٰ البداية في علوم البلاغة.

الخطب المنبرية:

١- نور المحراب في خطب العقيدة، والفقه، والآداب «**١٠٠ خطبة شاملة لمواضيع العقيدة، والفقه، والآداب**».

٢- تحفة الأبرار في الخطب القصار.

٣- الفواكه الشهية في الخطب المنبرية.

٤- قُرة العينين في خطب العيدين.

الأبحاث العلمية:

١- التجارة الالكترونية في ميزان الشريعة الإسلامية.

٢- التسويق الشبكي من وجهة نظر إسلامية.

٣- حكم اعتماد الخطيب علىٰ العصا والقوس والسيف أثناء خطبة الجمعة.

٤- القول الفصيح في الأعور يفقأ عين الصحيح.

٥- هل الأمم التي مُسخت قردة وفئرانا تناسلت، وتوالدت؟

كتب متنوعة:

١- المختصر في مبادئ العلوم الشرعية.

٢- موسوعة العلوم الإسلامية للأسرة المسلمة «**تشتمل علىٰ ٢٩ كتابا في مختلف العلوم الإسلامية**».